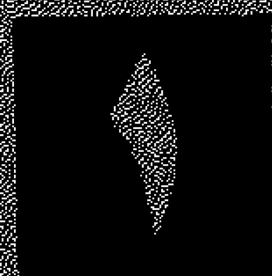
نحن وهم



المسيح اليهودي
ومفهوم السيادة الإسرائيلية

د. منى ناظم

الاتحاد
للصحافة والنشر

اهـــــــداء2005

أ.د.عباس عبد الحميد

جامعة الإسكندرية

نحن وهم



المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية

د. منى ناظم

المشرف العلمي
الدكتور ابراهيم البحراوي

المشرف العام
عبدالله النويس

سلسلة ثقافية قومية
تصدرها مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر دولة الإمارات العربية المتحدة

ابو ظبي

تقديم

تتبنى مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر اصدار هذه السلسلة الثقافية القومية انطلاقا من الايمان الراسخ بالوحدة العربية : قدرا وغاية ومصيرا ، واستجابة للتحديات التى تفرضها على أمتنا واجبات التصدى لأعدائها ..

إن هذا الايمان لا تمليه فحسب ضرورات الحياة فى عالمنا المعاصر .. عالم الكيانات القومية الكبرى .. بل تزرعه ابتداء فى واجداننا مقومات الوحدة التى ورثناها عن تاريخنا فى عصوره الذهبية المجيدة ..

إننا على ثقة إن هذه السلسلة ستدفع باحثينا وعلماءنا فى كافة اقطار وطننا العربى الى اجتهادات علمية وابداعات فكرية ايجابية وبناءة ، تزيح العقبات من طريق حلم وحدتنا الكبرى ، وتطرح الحلول للمشكلات التى تجابهنا .

إن تنوع جهود علمائنا فى هذه السلسلة وامتدادها الى تقديم المعرفة العلمية الدقيقة بالاخطار التى تواجهنا ، يفى بما تستوجبه هذه المرحلة من المعرفة بانفسنا وبالآخرين .

لقد اصبحت المعرفة العلمية بالنفس وبالآخرين شرطا أساسيا لارساء ركائز حلمنا الاعظم فى وحدتنا الكبرى التى تمثل فى ذاتها شرط الإدارة المظفرة الناجحة لصراعنا مع اعدائنا .

إن صدور هذه السلسلة لهو دليل حى على قدرتنا على الوفاء بادوارنا القومية من خلال التضامن الوحدة .

عبد الله النويس
المدير العام ورئيس التحرير
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر

مقدمة السلسلة

أبعاد الاختراق الفكرى الصهيونى ووسائل التصدى العلمى

استراتيجية الحرب الفكرية :

« الحروب تنشأ فى عقول الرجال والسلام كذلك » . هذه العبارة المستقرة فى العلوم الاجتماعية والنفسية والسياسية تعنى ان عقول الناس هى ميدان المجابهة الأساسى الذى يتصارع من أجل الاستيلاء عليه وكسبه الفرقاء المتنازعون على المستوى الدولى .

لقد تركت هذه العبارة ومحتواها أثرا بالغا على خطط وبرامج الدول المختلفة فنشأت وزارات الاعلام لادارة الصراع الفكرى مع الاعداء الخارجيين وقت السلم ونشأت أجهزة الحرب النفسية فى الجيوش لاختراق عقول ونفوس الرجال فى الجيش المعادى وقت الحرب .

ولقد اعترفت منظمة « اليونسكو » التابعة للأمم المتحدة بصحة محتوى هذه العبارة وأثرها على كافة الشعوب فضمنت محتوى العبارة فى دستورها فى مجال تحديد وسائل عملها لنشر دعوة السلم العالمى .

يكشف التاريخ البشرى أن الكيانات القومية أو السياسية أو الدينية المتحاربة لاتكف فى حالات السلم والمعاهدات التعاقدية عن مواصلة الحرب الفكرية بوجهيها .. الهجومى لاختراق عقول الناس فى الطرف الثانى والدفاعى لحماية عقول رجالها واجيالها من الاختراق المضاد .

والسبب فى ذلك واضح . فالمعاهدات عادة تعمل على ايجاد التسوية لبعض العناصر المادية التى تنشأ حولها الصراعات لكنها لاتستطيع فى ذاتها القيام بتسوية الصراعات الفكرية ومفاهيمها الكامنة فى عقول الناس على الطرفين والتى تدفعهم أصلا لخوض الصراع والتى قد تدفعهم بعد ذلك إلى اعادة النظر فى المعاهدات ومن ثم الاخلال بها والعودة إلى الصراع الشامل فى محاولة لحسم أصول النزاع أو على الأقل لتعديل موازين المعاهدات غير المرضية للمفاهيم المستقرة فى العقول .

من هنا يتمثل الهدف الأعظم الذى تسعى اليه كل من الدولتين اوالكيانين المتصارعين عن طريق خوض الحرب الفكرية خلال حالات السلم فى آمرين :

الأول : تغيير مفاهيم الناس فى الدولة او الكيان الثانى بحيث تزول العناصر الفكرية الحافزة لمعاودة الصراع أو تقل آثارها وذلك لكى يتميز موقف الجماهير بالرضا والقبول النفسى والتاريخى بعيد المدى للتسويات الواردة فى المعاهدةالسلمية على المدى الطويل .

وعندما تنجح هذه العملية الهجومية على جماهير الطرف الثانى نجاحا واسعا يسمى هذا غزوا أما عندما تظل هذه العملية محصورة فى دوائر ضيقة فانها تسمى اختراقا من حيث اشارتها الى حدوث ثغرة محدودة فى حصون المجتمع الفكرى .

الثانى : تحصين البناء الفكرى الداخلى وتثبيت مفاهيمه ودعائمه ليكون قادرا على صد محاولات الاختراق والصمود فى مواجهتها .. وذلك لكى يتميز موقف الجماهير بالتحفز الدائم والاستعداد المستمر لخوض الصراع الشامل من جديد فى الوقت المناسب .

ان جماع الامرين الأول والثانى يعنى ان كل دولة او كيان يحاول فى حالة السلم تجريد الطرف الآخر من حوافز الصراع أو إرادته ليبقى فريسة سهلة فيما بعد ومضاعفة حوافز الصراع لدى جماهيره هو ليبقى فى حالة هجومية لائقة بالمواجهة المستقبلية .

من هنا تنشط الوسائل العلمية والثقافية وتحتل الصدارة فى ادارة الحرب الفكرية وقت السلم يساعدها فى ذلك أن الحدود بين الكيانين تصبح مفتوحة وبالتالى تزول القيود على الحركة والتجول والاتصال والبحث داخل المجتمع المعادى لتحديد نقاطه الفكرية الحصينة والضعيفة واكتشاف مواقع الاختراق المناسبة . وبالطبع تبدأ بالرصد وتمر بالمتابعة وتصل الى الاختراقات فالغزو الشامل .

(ب)

الاستراتيجية الاسرائيلية :
للحرب الفكرية فى مصر :

أولا : الهجوم

رغم اننا لاننتوى الاثقال على القارىء بالنصوص والاقتباسات فانه يبدو ضروريا ان نراجع نصوص المعاهدات التى توصلت اليها اسرائيل مع مصر منذ عام ١٩٧٨ لنستكشف المطالب الاسرائيلية التى تحقق لها منافذ جيدة لخوض

حربها الفكرية الهجومية على المجتمع المصرى فى حالة السلم .

١ ـ فى الوثيقة الأولى لمؤتمر كامب ديفيد المنعقد بين ٥ ـ ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ نجد فى الديباجة العبارة التالية :

« ان السلام يتعزز بعلاقة السلام وبالتعاون بين الدول التى تتمتع بعلاقات طبيعية » .

إذن يأتى ذكر **العلاقات الطبيعية** فى الوثيقة الأولى على نحو عام مجمل .

٢ ـ فى متن معاهدة السلام الموقعة فى واشنطن فى مارس ١٩٧٩ يرد النص التالى :

« يتفق الطرفان على ان العلاقات الطبيعية التى ستقوم بينهما ستتضمن الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية » .

وهنا يؤكد النص الزام الطرف المصرى باعتبار **العلاقات الثقافية** جزءا اساسيا من العلاقات الطبيعية ويضعه على مستوى العلاقات الدبلوماسية .

٣ ـ فى الملحق رقم (٣) من المعاهدة المذكورة يرد فى البند الرابع النص التالى :

« ويعمل الطرفان على تشجيع التفاهم المتبادل والتسامح ويمتنع كل طرف عن الدعاية المعادية للطرف الآخر .

وهنا تنتقل الطلبات الاسرائيلية الى التحديد الدقيق **فالمطلوب الأول تشجيع تغيير مفاهيم الناس فى مصر فى عبارة « التفاهم المتبادل والتسامح » والمطلوب الثانى هو منع عمليات التحصين الفكرى لمفاهيم المجتمع فى عبارة « يمتنع كل طرف عن الدعاية المعادية » .**

٤ ـ فى الاتفاقية الثقافية المعقودة فى ٨/٥/١٩٨٠ يرد فى البند الثانى النص التالى :

« **يسعى الطرفان الى فهم افضل لحضارة وثقافة كل طرف** من خلال تبادل المطبوعات الثقافية والتعليمية والعلمية وتبادل المنتجات التكنيكية والاثرية وتبادل الاعمال الفنية وتشجيع اقامة المعارض العلمية والتكنولوجية ومعارض الفنون البصرية » .

وهكذا يتكشف المطلوب الاسرائيلى من مصر كاملا فى هذا النص سواء من حيث تحديد الغايات والاهداف وهى **تبديل مفاهيم المصريين ليتحولوا الى مايسميه النص** « فهم افضل لحضارة وثقافة الاسرائيليين » .

أو فيما يتعلق **بتحديد الوسائل العلمية والثقافية الواردة فى النص وهى شاملة لمعظم وسائل الحياة التربوية والفكرية فى مصر .**

ترى ما الذى يجعلنا نقول ان هذه النصوص تعبر عن المطالب الاسرائيلية بما يوحى ان الاسرائيليين هم الذين بادروا اليها ووضعوها على مائدة المفاوضات ؟ .

الدافع الى هذا القول القاطع عندنا امران يدل احدهما على الثانى :

اولهما : ان المفاوض المصرى مهما كان الرأى فى كفاءته والموازين الحاكمة

لقدرته على التفاوض قد عمل فى مجال الممارسة بعد توقيع الاتفاقيات على تعويق تنفيذ الاتفاقات الثقافية على النحو الكامل الوارد فى المعاهدات .

ثانيهما : ان المفاوض الإسرائيلى راح يحتج منذ توقيع الاتفاقيات ويشكو بالطرق العلنية والدبلوماسية من عدم تنفيذ هذه الاتفاقيات الثقافية بالكامل وكما وردت فى النصوص .

ان هدفنا من كل تلك النصوص هو أن نكشف المطلوب الإسرائيلى لتسهيل عمليات الحرب الفكرية الهجومية خلال زمن المعاهدة . **ولقد كشفت النصوص عن الأهداف وهى تبديل مفاهيم المصريين حول الصراع العربى الصهيونى وافصحت عن الوسائل المتعددة لهذا الغرض والتى تكشف فى مجموعها عن أن المخطط يستهدف غزوا شاملا وليس اختراقا محدودا** . ويمكننا فى سهولة أن نلاحظ ان الاستراتيجية الهجومية الإسرائيلية تبدو نموذجية.على المستوى التخطيطى ومتفقة مع الوسائل التى تأخذ بها الدول المتقدمة .

وأخر هذه الشكاوى هى التصريحات التى ادلى بها وزير الخارجية الاسرائيلى اسحاق شامير فى مارس ١٩٨٦ فى ذكرى مرور سبع سنوات على توقيع المعاهدة فى قوله « **ان المصريين لم ينفذوا عشرات الاتفاقيات الموقعة معهم ومازالوا ينعتوننا بلفظ العدو الاسرائيلى وان رجال الشرطة المصريين يتعاملون بخشونة مع كل مواطن مصري يريد السفر الى اسرائيل** » .

هل نجحت الاستراتيجية الاسرائيلية ؟

قبل ان ننتقل الى بحث بعض المحاور الفكرية التى يعمل مخطط الغزو الصهيونى عليها مثل المحور **الدينى** والمحور **القومى** والمحور **الديمقراطى** والمحور **الماركسى** يهمنا هنا ان نقول ان معلوماتنا عن نشاط الحرب الفكرية الهجومية الاسرائيلية تفيد اوليا ان هناك اختراقات قد وقعت بالفعل **ولست اعنى بالاختراق مجرد تحقيق الاتصال الاسرائيلى مع عناصر مصرية بل اعنى وقوع حالة تغيير المفاهيم لدى هذه العناصر المصرية مثل بعض طلاب واساتذة الجامعات من المترددين على ندوات المركز الاكاديمى الاسرائيلى بالقاهرة ومثل بعض الصحفيين والاذاعيين والفنانين** .

والمهم هنا هو الاعتراف بان اختراقات فكرية قد وقعت والأهم هو ان نؤكد ان الحال حتى الآن لاتعبر عن نجاح كبير للمخطط الهجومى الفكرى الاسرائيلى رغم أن حالات الاختراق وقعت بين الصفوة المؤثرة فى مصر .

لكن الأكثر أهمية هو التأكيد على حاجتنا إلى استخدام الوسائل العلمية بالاضافة إلى الوسائل الصحفية والحزبية فى اكتشاف الخريطة العامة للاختراقات الفكرية الإسرائيلية وتحديد الحجم الدقيق للخسائر المباشرة والمستقبلة والتوصل إلى وصف أكثر علمية ودقة لطرق المجابهة والدفاع والتصدى لحماية وتحصين البناء الفكرى فى مصر تجاه الصراع العربى الصهيونى .

ولن افيض هنا فى تقييم جهود التصدى الحزبية والصحفية فى مصر للمخطط الهجومى الاسرائيلى لكننى اكتفى بذكر سلبية واحدة تتعلق بهذه الجهود وهى **سلبية انعدام الدقة وعشوائية المتابعة** ... لكننى فى ذات الوقت أحتفى حفاوة بالغة **بالمعنى الذى تنطوى عليه واقعة التهديد بالقتل التى** حمل الينا فيها البريد خطابات موقعة باسم حركة « كاخ » والتى شملت حسب اعترافات زعيم تلك المنظمة فى صحيفة معاريف اكثر من خمسين شخصية صحفية وجامعية وحزبية فى مصر ممن تعتقد المخابرات الاسرائيلية انهم يعوقون مخطط الغزو الفكرى وهو امر سنعود إليه بالتفصيل فى كتابنا عن (قضايا الصراع الثابت والسلام المستحيل) فى هذه السلسلة بمشيئة الله .

ان تلك الواقعة تعنى ان هناك مقاومة وصعوبات بالغة تواجه مخطط الهجوم الفكرى الصهيونى فى عهد الرئيس مبارك الأمر الذى أدى الى لجوء الاسرائيليين الى وسائل الارهاب المباشر للعناصر المصرية المتصدية فى عهده وهو مالم يحدث فى العهد السابق .

ولاشك ان هذه الصعوبات ستتزايد امام هذا المخطط الاسرائيلى بعد **اكتمال امرين :**

الأول : **انتهاؤنا من بحث ميدانى نجريه حول « خبرات المصريين فى التعامل مع الاسرائيليين »** وهو يستهدف استثمار خبرات المصريين الذين اتصلوا بحكم اعمالهم فى المجالات المختلفة بالاسرائيليين لرسم خريطة كاملة لعمليات الاختراق ومحاورها الفكرية وهو بحث نجريه بالتعاون مع عدد من علماء علم النفس الاجتماعى .

الثانى : وصول اعداد الكتب الصادرة فى هذه السلسلة العلمية القاصدة الى التصدى الى قرائها الحقيقيين فى مصر وعدم نجاح الاسرائيليين فى جمعها وشرائها من الاسواق كعادتهم تجاه الكتب التى تضرب مخططاتهم للغزو الفكرى فى الصميم .

محاور الهجوم الفكرى الصهيونى :

أ ـ الهجوم على محور الدين الاسلامى :

تكشف مراجعة الجهود التعبوية الصهيونية فى مجال الحرب الفكرية ضد مصر عن التركيز الواضح على محور المفاهيم الدينية الاسلامية التى تحافظ على حالة الكراهية والرفض للصلح مع اسرائيل .

وترى المصادر الصهيونية ان المفاهيم الاسلامية المؤثرة فى الصراع مع اسرائيل تبدو حصينة وصعبة الاختراق للاسباب التالية :

أ ـ ان التربية الاسلامية تشحن المصريين بالعداوة لليهود لأنهم خانوا النبى محمد عليه الصلاة والسلام .

ب ـ ان الوعاظ والدعاة الاسلاميين يتهمون اليهود من مطلع العصر الاسلامى وبعد وفاة النبى بمحاولة تشويه العقيدة الاسلامية عن طريق حشوها بالخرافات المسماة بالاسرائيليات .

ج ـ ان هناك قاعدة إسلامية تدعو المسلمين الى رفض الصلح مع اسرائيل على اساس ان فلسطين هى جزء من دار السلام اى جزء من ارض الاسلام والقاعدة الاسلامية تمنع الصلح على اى ارض حكمها المسلمون ثم استولى عليها غير المسلمين بعد ذلك . ولقد توجهت الجهود العلمية الاسرائيلية بعد عام ١٩٧٨ الى مهمة الفحص والرصد والتسجيل والتحليل للمفاهيم الاسلامية ثم لأفكار الاتجاهات والجماعات الاسلامية المختلفة فى مصر . ويمكننا تقديم الامثلة التالية .

بعد عام ١٩٧٨ نوقشت فى جامعة تل ابيب بقسم التاريخ الاسلامى رسالة دكتوراه حول (**أثر الفكر الاسلامى فى الصراع ضد الصهيونية**) .

ومنذ ذلك العام نشرت مراكز البحوث الاستراتيجية فى اسرائيل ابحاثا عديدة حول دور الفكر الاسلامى منها على سبيل المثال :

١ ـ **آثر الاسلام فى السياسات الافريقية فى الماضى والحاضر** (وحدة بحوث افريقيا بمعهد ترومان لابحاث السلام ـ الجامعة العبرية بالقدس) .

٢ ـ **دور الاسلام كعنصر من عناصر الصراع العربى الاسرائيلى** (وحدة الشرق الأوسط بنفس المعهد) .

٣ ـ **الثقافة فى التاريخ الاسلامى** .

٤ ـ **الاخوان المسلمون والاتجاهات الراديكالية فى مواقفهم الحالية** .

٥ ـ **النساء فى المجتمعات الاسلامية** .

٦ ـ **انتعاش الحركة الاسلامية وظهور الاتجاه العربى قبل ثورة يوليو ١٩٥٢** .

وقد صدرت البحوث الأربعة الأخيرة عن مركز شيلوح التابع لجامعة تل أبيب .

ولقد انبنى على هذه الجهود الاستطلاعية والعلمية لاكتشاف اثر المفاهيم الاسلامية فى البناء الفكرى المصرى جهد اسرائيلى ملموس فى الهجوم على المحور الاسلامى .

وقد اخذ هذا الهجوم صور شعارات مكشوفة هى صور « مجمع الأديان » « وحدة الأديان » « الحوار بين الأديان » « التقارب بين التشريع اليهودى والتشريع الاسلامى » فى محاولة لكسر عداء المسلمين لاسرائيل .

وفى المركز الاكاديمى الاسرائيلى بالقاهرة وفور تأسيسه عام ١٩٨٢ **عقدت ندوة** حول « التقارب بين الشريعتين اليهودية والاسلامية » وبالطبع حضرها مصريون من اساتذة الجامعة والصحفيين وبعض القضاة وطلاب الجامعات والاذاعيين .

وفى عام ١٩٨٤ عقد فى سانت كاترين مؤتمر (وحدة الاديان) حضره مصريون من الأقباط والمسلمين ومعهم عدد كبير من الاسرائيليين حيث جرت **محاولة لاجراء صلاة مشتركة من كل الأديان** احبطها بعض اساتذة جامعة الأزهر الذين حضروا المؤتمر . وكنوع من التغطية لهدف المؤتمر ضم بعض رجال الدين البوذيين . وفى المؤتمر طرحت فكرة استكمال الابنية الدينية التى تقع فى سانت

كاترين وهى دير مسيحى ومسجد اسلامى ليضاف اليها معبد يهودى ومعبد بوذى ودار الحوار على مدى ثلاثة أيام حول وحدة الأديان وتقاربها فى الدعوة للسلام .

ب - الهجوم على المحور القومى العربى :

يأخذ الهجوم الاسرائيلى الفكرى على هذا المحور صورة الندوات داخل المركز الاكاديمى الاسرائيلى بالقاهرة وصورة المطبوعات التى يوزعها المركز المذكور باللغة العربية كهدايا على المترددين على مبناه فى حى الدقى وبخاصة مجلة « لقاء » وهى مجلة تصدر باللغتين العربية والعبرية فى العدد الواحد لتحمل اشكال الحوار السياسى بين القومية العربية والحركة الصهيونية .

ويعتمد الهجوم الفكرى فى هذا المحور على فكرة ضرورة ايجاد التقارب بين الحركة القومية العربية والحركة الصهيونية ومن العناصر الفكرية التى يستند اليها الهجوم الاسرائيلى هنا ان الحركة القومية العربية هى حركة شعب عربى يتطلع الى الخلاص من الاستعمار والقهر الخارجى الأوربى والغربى وان الحركة الصهيونية جاءت لتخلص اليهود من الاضطهاد والقهر الأوربى والغربى فلماذا لاتتقارب الحركتان بدلا من التناحر والصراع ؟

هكذا يطرح السؤال الزائف على المستمعين المصريين من اساتذة وطلاب والغريب ان بعضهم يردد السؤال على مصريين وعرب آخرين متناسيا ان القهر الذى تعانيه الحركة القومية العربية اليوم والتشريد الذى يعانيه شعب ينتمى الى هذه الحركة انما هما نتاج مباشر للحركة الصهيونية

وسياستها ومطامعها فى أرضنا و إرادتنا وثرواتنا ولكونها أداة قمع استعمارية .

ج - الهجوم على المحور الماركســـــــــى

ويظهر الهجوم على هذا المحور فى الفكرة القديمة التى ظهرت مع الحركات الشيوعية فى الدول العربية على ايدى اليهود الصهاينة وهى فكرة وحدة الطبقات العاملة فى الدول العربية مع الطبقة العاملة اليهودية المهاجرة الى فلسطين فى مواجهة الطبقات المستغلة فى الجانبين وفى مواجهة الاستعمار الغربى .

وتتوجه المخاطبة الاسرائيلية على هذا المحور عبر الحزب الشيوعى الاسرائيلى وعناصر اليسار الاخرى الى العناصر الماركسية فى مصر عبر الاتصال فى المؤتمرات الشيوعية العالمية وغيرها من المنتديات الدولية .

د ـ الهجوم على المحور الديمقراطـــــــــى

ويظهر الهجوم على هذا المحور فى ابراز محاسن النظام الديمقراطى الحزبى فى اسرائيل وفى فكرة الوحدة التى يجب ان تجمع بين الديمقراطيين والنظم الديمقراطية فى العالم فى مواجهة الديكتاتورية والحكم الشمولى والشيوعى .
ويتوجه الاسرائيليون فى هذه المخاطبة الى العناصر الليبرالية واليمينية فى مصر بالاحتكاك المباشر .

هـ ـ الهجوم على المحور الدينى المسيحى :

ويظهر الهجوم على هذا المحور فى فكرة ان الديانة المسيحية هى امتداد طبيعى للديانة اليهودية وان اليهود اقلية مضطهدة وان المسيحيين اقلية بدورهم فى الدول العربية .

ويتوجه الخطاب الاسرائيلى على هذا المحور الى الاقباط المصريين عبر الاحتكاك الشخصى مسقطا الفروق الجوهرية بين العقائد اليهودية الخاصة والديانة المسيحية وتاريخ العداء المديد بين اتباع الديانتين فى اوربا فضلا عن اسقاط الفروق الموضوعية بين ظروف اليهود كاقلية فى اوربا قديما وبين ظروف المسيحيين فى الدول العربية كجزء عضوى من وطنهم .

ز ـ الهجوم على المحور الحضارى والمهنى :

ويظهر الهجوم على هذا المحور فى فكرة وحدة الحضارة الانسانية فى العالم المعاصر فكلنا نلبس نفس الملابس ونستخدم نفس الادوات ونشاهد نفس الفنون وخير للجميع ان يتبادلوا الخبرات لتنمية الحضارة الانسانية وتنمية مجتمعاتهم عبر الاتصال فى المهن المختلفة .

ويتوجه الخطاب الاسرائيلى على هذا المحور الى الاكاديميين والصحفيين الذين يحضرون مؤتمرات مشتركة ثنائية أو دولية .

ومن الواضح ان الهجوم الفكرى على كل تلك المحاور يستهدف اضعاف حالة العداء والرفض لاسرائيل وزرع فكرة التقارب والتقبل النفسى والتاريخى لها بين شرائح المصريين على اختلاف تركيباتهم الفكرية والعقائدية .

الجانب الدفاعى
فى الحرب الفكرية الاسرائيلية :

أتاحت لى تجربة الكتابة الصحفية عندما كنت اشرف على صفحة « كيف تفكر اسرائيل » بصحيفة الأخبار القاهرية فرصة اختبار الدفاعات والتحصينات الاسرائيلية التى تحمى ابنية ومفاهيم الفكر الصهيونى ومفاهيم ادارة الصراع مع العرب .

فى عدد صفحة « كيف تفكر اسرائيل » الصادر فى ١٩٨٠/١/٢٢ يجد القارىء مقالا موجها الى القارىء الاسرائيلى الذى يعرف اللغة العربية تحت العناوين التالية :

« رسالة الى القارىء الاسرائيلى ... الدولة الفلسطينية شرط موضوعى للسلام الشامل والدائم ... مشروعات ليكود والمعراخ مرفوضة فى مصر ويجب رفضها فى اسرائيل لاقرار السلام » .

وفى هذه المقالة ناقشت من خلال مرتكزات الموقف العربى العام وقرارات القمة العربية وقرارات المجلس الوطنى الفلسطينى كل انواع المفاهيم الصهيونية الداعية الى رفض اقامة الدولة الفلسطينية فى الضفة وغزة وطالبت القارىء الاسرائيلى بتفهم الحقيقة التى تعنى ان السلام الشامل لن يأتيه إلا إذا تخلى عن تلك المفاهيم الرافضة لمبدأ اقامة الدولة الفلسطينية التى يجمع العرب على كونها شرطهم للسلام .

أما لماذا وجهت تلك الرسالة فإنما لأن ذلك التاريخ كان محددا للبدء فى السماح لصحف مصر بدخول اسرائيل ولصحف اسرائيل بدخول مصر . ومن هنا رأيت استثمار الفرصة لكسر اشكال الدعاية الصهيونية الرافضة لاقامة الدولة الفلسطينية والهادفة الى ضم الضفة وغزة بدرجات تتفاوت بين الاحزاب الإسرائيلية فى عقول قراء العربية من الإسرائيليين .

فى العدد ١٩٨٠/٢/٢٨ من صحيفة « الانباء » الاسرائيلية الرسمية التى تصدرها وزارة الخارجية الاسرائيلية باللغة العربية جاءت اجابة على مقالى بقلم احد غلاة المتطرفين فى الخارجية الاسرائيلية وهو السفير والترايتان مؤسس معهد الدبلوماسية الصهيونية فى فلسطين قبل اقامة اسرائيل وسفير اسرائيل فى فرنسا خلال العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ .

كان العدد يباع على ارصفة القاهرة ويشتريه الناس فى ذلك الوقت

وجاء مقال السفير تحت عنوان :

« رسالة الى القارىء المصرى ... موقف اسرائيل من القضية الفلسطينية » .

وافتتح السفير مقاله بذكر مقالى ثم راح يعارض كل ماذكرته فى مقالى مرددا الحجج الصهيونية حول رفض الدولة الفلسطينية .

عندما تأملت الأمر وجدت ان الفرصة غير متكافئة فالاسرائيليون يخاطبون قراءنا باللغة العربية ويتدخلون فى عقولهم بمناقشة مقالات كتابنا بينما لانملك نحن صحيفة فى اسرائيل بالعبرية تؤدى عن طريقها نفس التأثير فى قرائهم .

ومن هنا وجهت فى الأخبار رسالة مفتوحة ادعو فيها الى نقل الحوار الذى بدأه ذلك السفير مع افكارى الواردة فى مقالى المذكور من اللغة العربية والصحف المنشورة بها الى حوار يجرى امام القارىء الاسرائيلى كذلك فى صحيفة معاريف العبرية حول ضرورة اقامة الدولة الفلسطينية وارتباط هذا بمستقبل عملية التسوية .

وقد تأكدت ان الدعوة المفتوحة قرأتها الخارجية الأسرائيلية بعد ذلك عن طريق استاذ امريكى زارنى فى مكتبى بالأخبار .

المهم ان اية اجابة تفيد قبول دعوتى للحوار لم تصدر عن الاسرائيليين رغم ولعهم بالحديث عن التطبيع ورغم ان اخرين من اساتذة العبرى وغيره من التخصصات بالجامعات المصرية سمح لهم بالحديث والكتابة فى الصحف الاسرائيلية فى موضوعات لاتمس المفاهيم الصهيونية . لقد كان المعنى واضحا ان الاسرائيليين لن يسمحوا حتى باسم « التطبيع » ان يخترق أحد حصون المفاهيم والأفكار التى يصوغون على اساسها عقول جماهيرهم .

والسؤال هو : هل يكفى هذا الشرح ليدرك القاصى والدانى من المصريين وسائر العرب ان استراتيجية الحرب الفكرية الاسرائيلية مع مصر فى زمن المعاهدة ستبقى نشطة على المستوى الهجومى وعلى المستوى الدفاعى على حد سواء ؟

وينبنى على هذا السؤال والشرح السابق له سؤال آهم وآخطر :

وهو هل نحن مستعدون حقا بكل اتجاهاتنا الفكرية فى مصر وفى سائر الدول العربية لادراك مسئولياتنا فى تحصين بناء المفاهيم والوجدان الراسخ فى مصر على مدى السنين اخذين فى ذلك بالأساليب العلمية ومتباعدين عن أساليب المزايدة بين الفرق والاتجاهات ؟

لقد وضعت هذه السلسلة كافة محاور الهجوم الفكرى الصهيونى فى الاعتبار والحسبان لتولى مهمة التصدى العلمى .

وهى مشروع تقدمت به إلى أكثر من فريق وطائفة ونقابة وحزب وهيئة علمية وصحيفة وقد كانت الاستجابات جميعها كريمة حريصة على بدء المهمة على وجهها الصحيح . ولقد اخترت ان تتبنى دار الاتحاد للصحافة بدولة الامارات هذا الجانب من المهمة المتمثل فى اصدار سلسلة من الكتب العلميةالتى تتولى واجبات التصدى الفكرى . وهناك مهام أخرى تنبثق عن التخطيط العلمى ستمتد إليها أيد مصرية وعربية أصيلة أخرى لنواصل معا المهمة والطريق الوعر طريق الجهاد العلمى . لنعرف الطريق الصحيح لإدارة صراع ناجح مع اعدائنا .

اكرر شكرى لكل من مدوا ايديهم ليعرضوا المساعدة وتبنى هذا المشروع

وأخص بالشكر الأستاذ / عبد الله النويس المدير العام لمؤسسة الاتحاد للصحافة ورئيس تحرير جريدة الاتحاد بدولة الامارات لهذه الوقفة العربية الأصيلة .

المشرف العلمى
دكتور إبراهيم البحراوى
رئيس قسم الدراسات العبرية
ووحدة الأبحاث الإسرائيلية
بجامعة عين شمس
القاهرة فى ١٠ / ٥ / ١٩٨٦

هذا الكتاب

ان الدعاية الصهيونية التى تحاول تصوير الغزو الصهيونى لفلسطين على انه امتداد لوجود بنى اسرائيل فى تلك الأرض هى دعاية ساقطة . ذلك ان الجماهير التى أتت بها الحركة الصهيونية هى من جماعات اليهود التى تتميز بوحدة الدين لا بوحدة القومية . ويكفينا ان نلاحظ الفارق بين اليهودى الأوربى واليهودى الشرقى وبين اليهودى اليمنى واليهودى الفلاشى القادم من اثيوبيا لنسجل ان اللغة مختلفة والسلالة مختلفة والحضارة مختلفة بينهم جميعا وانه لايجمعهم سوى العقيدة الدينية التى دخلوها فى عصور مختلفة .

ان هذه الفروق الجوهرية بين الجماعات اليهودية اليوم تقدم البرهان على أن الصلة مقطوعة بينهم وبين بنى اسرائيل الذين دخلوا فلسطين غزاة لأراضيها . بعد وفاة موسى عليه السلام بعد فترة عبوديتهم فى مصر ايام الفراعنة .

وان تاريخ الأرض الفلسطينية شأنه شأن تاريخ أى وطن انما هو ملك للخلاصة السلالية والحضارية التى تبقى فيه على مر الأزمان جامعة لسمات العصور المختلفة التى مرت على تلك الأرض .

هذه المقدمة تعنى ان اهتمامنا فى هذه السلسلة بدراسة المفاهيم الدينية اليهودية التى نشأت عند بنى اسرائيل فى فلسطين قبل الميلاد لايعنى اننا نعتبر الحركة الصهيونية او دولة اسرائيل الحالية امتدادا لبنى اسرائيل الأصليين سلاليا أو قوميا لكننا نبحث فى تطور العقيدة الدينية التى اعتنقها آلاف البشر فى انحاء الأرض ومن مختلف الأجناس ثم آتت الصهيونية ببعضهم لاستعمار فلسطين فجاءوا محملين بآثار هذه العقيدة الدينية وخاضعين لتأثيرات أوهامها وخرافاتها بعد ان تعرضت للتحريف على مر العصور .

ان العقيدة الدينية فى كل المجتمعات تؤدى دورا اساسيا فى تكوين مفاهيم واتجاهات الناس بالاضافة الى العناصر الفكرية الأخرى . ومن هنا نعطى لتطور العقيدة الدينية اليهودية حجما فى هذه السلسلة للكشف عن تأثيراتها فى توجيه سلوك الجماهير والصفوة من اليهود فى اسرائيل من ناحية ولنظهر للمسلمين والمسيحيين معا **الفروق الجوهرية بين عقائدهم والعقائد اليهودية الخاصة مهما بدت هناك بعض أوجه التلاقى أو الشبه** . التى يعنى الاسرائيليون بالتركيز عليها وابرازها فى اطار مخططاتهم للاختراق الفكرى . وهذا الكتاب يؤدى دورا واضحا فى مهمة التصدى العلمى على المحور الدينى الاسلامى والمسيحى معا .

أطوار مفهوم المسيح اليهودى

تمثل فكرة ظهور مسيح يهودى من نسل داود أحد الأصول الراسخة فى العقيدة الدينية اليهودية التى إنبثق عنها بناء كامل من المفاهيم العنصرية التى تزرع فى الوجدان اليهودى أفكار الاستعلاء العنصرى على سائر الشعوب .

وتعرف هذه الفكرة فى العقيدة الدينية اليهودية بمصطلح خاص بها هو مصطلح « مشيحوت » ويعنى المسيحانية او الخلاص . والخلاص فى نطاق هذا الإصطلاح يستمد دلالته الأصلية من حالة الإنكسار العسكرى والهزائم المتلاحقة التى منى بها بنو اسرائيل والتى إنتهت بهم إلى السبى الأشورى[1] عام ٧٢٢ قبل الميلاد . والسبى البابلى [2]عام ٥٨٦ قبل الميلاد وهىَ الحالة التى وصلت إلى ذروتها فى العصر الرومانى عام ٧٠ ميلادية بالشتات الكامل فى أنحاء الأرض مما فرضته عليهم الإرادة الإلهية عقابا عدلا عما إنخرطوا فيه من ضروب الفساد الأخلاقى والإنهيار الدينى والإنحراف بالعقيدة عن مسارها الصحيح إلى مسار الوثنية والشرك بالرب .

يأتى مفهوم المسيحانية إذا لتعويض مشاعر النقص وحالة الدونية التى سقط فيها بنو إسرائيل . لقد بدأ هذا المفهوم على نحو تدريجى فى نطاق الكتب المقدسة اليهودية . فظهر أول ماظهر فى نصوص العهد القديم خاصة فى أسفار الأنبياء فكان فى بداية نشأته يتحدد فى الإعتقاد بمجىء بطل يهودى بشرى يتميز بصفات القدرة القتالية التى تمكن بنىْ إسرائيل من الخروج من حالة الفشل العامة التى عاشوها بين شعوب الشرق القديم . وكان المفهوم فى فترة الأنبياء مرتبطا بدعوتهم إلى ضرورة التوبة والعودة عما هم فيه من غى وفساد فى العقيدة بإعتبار هذه التوبة عند الأنبياء شرطا أساسيا من شروط النجاة من الهزيمة والانكسار ..

غير أن هذا المفهوم مالبث ان تعرض للفساد بدوره فبدلا من ان يكون مرتبطا بالتوبة والعودة الى الطريق القويم تحول عند احبار التلمود [3] إلى صورة تباعد بينه وبين ما إستهدفه الأنبياء . لقد بلغ المفهوم قمة تطوره فى عصر التلمود واصبح يشير إلى مجىء ملك يهودى ترسله السماء بقدرات حربية خاصة ليقود بنىْ

---

١) حالة النفى التى تعرض لها بنو إسرائيل على يد الملك سلمنتصر سرجون الأشورى الذى هزم المملكة الشمالية المعروفة بمملكة اسرائيل عام ٧٢٢ ق . م . ونقل اعدادا كبيرة منهم الى مملكته فى ارض الرافدين .

٢) جاء هذا النفى على يد الملك نبوخذنصر البابلى عام ٥٨٦ ق . م الذى هزم المملكة الجنوبية المعروفة بمملكة يهوذا ونقل أعدادا اخرى منهم الى مملكته فى بابل وهى تسمية قديمة كانت تطلق على أرض الرافدين .

٣) أو مايعرف بالشريعة الشفوية وهى مجموعة فتاوى وأحكام واساطير وحكايات وخرافات وضعت لشرح وتأويل أسفار العهد القديم . وقد تناقلها أحبار اليهود شفهيا على مدى قرون طويلة إلى ان تم جمعها فى القرن الثانى الميلادى . لمزيد من الايضاح انظر مفتاح المفاهيم والمصطلحات ..

اسرائيل ويضعهم طبقا لهذا المفهوم المتطور على قمة السلم البشرى . وكما سنلاحظ تفصيلا فى فصول هذا الكتاب فإن أحبار التلمود وغيرهم من المفسرين الذين ينتمون إلى نفس الفترة يقدمون الشروط التى يتصورونها لظهور هذا الملك الذى يعرف بالمسيح . وأهم هذه الشروط وقوع حالة الدمار الشامل فى الكون وتشهد الأرض فى نطاق هذه الحالة كوارث طبيعية مدمرة تتبعها من وجهة نظرهم حالة هدوء وسلام أبدى تتميز عندهم بسيادة بنى إسرائيل على العالم فتأتى إليهم الشعوب متعبدة ومقدمة الهدايا والقرابين لتتخذ من صورة الإله التى يرسمها بنو إسرائيل فى هذا التراث محطا للعبادة . فى هذه الصورة يوحد الأحبار بين الرب وبين بنى اسرائيل وتصبح عبادة الشعوب لصورة هذا الرب خضوعا لبنى إسرائيل فى ذات الوقت .

لقد أدى تشويه المسيحانية عند أحبار التلمود إلى إفساد مفهوم الاختيار الدينى بالتالى . فلقد كان مفهوم الأختيار فى أصوله يقوم على اعتبار بنى إسرائيل حملة لرسالة السماء التى اتى بها موسى فى صورتها النقية الخالصة ليكونوا هداة للناس ، وجاء مفهوم المسيحانية فى صورته المشوهة ليطبع بصماته على فكرة الاختيار فتحولت عن اصلها ضمن هذا السياق الى اختيار يقصد به وضع بنى إسرائيل فى نقطة السيادة على العالم .

لقد أدى هذا المفهوم بعد عصر التلمود الى تراكم تراث دينى وصوفى وادبى وشعبى يعمل فى خدمة ابعاد وشروط هذا المفهوم فراح المفسرون اليهود فى العصور الوسطى فيما بين القرن التاسع الميلادى حتى القرن الثامن عشر يجتهدون فى اضافة تأويلات تؤكد الجوانب العنصرية والخرافية التى وضع اساسها أحبار التلمود . ومن هؤلاء المفسرين الذين سنلتقى بهم بين دفتى الكتاب سعديا الغيومى المعروف باسم سعديا جاءون ، وسليمان بن اسحاق المعروف براشى (١٠٤٠ ـ ١٠٩٦ م) وسليمان بن جبيرول (توفى عام ١٠٧٠ م) ويهودا اللاوى (١٠٨٠ ـ ١١٤١ م) وموسى بن ميمون (١١٣٥ ـ ١٢٠٤ م) ويوسف البو (١٣٨٠ ـ ١٤٤٠ م) وموسى بن نخمان (١١٩٤ ـ ١٢٧٠) وإسحاق أبرابانيل (١٤٣٧ ـ ١٥٠٨ م) وغيرهم .

ويصـدم القارىء لمؤلفات أولئك الكتاب فيما يتعلق بمفهومهم عن المسيح اليهودى وأوصاف العصر المسيحانى ، المغلف بالعنصرية والمشبع بعناصر خرافية وأسطورية وخاصة ان عددا كبيرا من أولئك الكتاب قد عايشوا النهضة الفكرية التى تمتعوا بها خلال العصور الوسطى فى ظل الحكم الاسلامى لأسبانيا ـ بصفة خاصة ـ وهى الفترة التى توصف حتى اليوم بالعصر الذهبى للأدب العبرى . كما لايخلو تناولهم لمفهوم المسيحانية من تلك العنصرية والاستعلاء على كافة البشر متتبعين فى ذلك احبارهم فى القرون الأولى للميلاد .

فسعديا جاءون يتحدث فى كتابه « الأمانات والاعتقادات » عن وضع اليهود فى عصر المملكة المسيحانية مدعيا ان « جميع أغنياء العالم سيقومون بنقل اليهود

الساكنين فى بلادهم ـ إلى أورشليم ـ على جياد سريعة وعربات فاخرة ، ساهرين على خدمة العائدين من بنى اسرائيل ليزودوهم بكل وسائل الراحة ... أما الفقراء فسيحملون اليهود على ظهورهم وبين أيديهم » . ثم ينتقل الى وصف وضع المقيمين فى أرض فلسطين من غير اليهود . فيجعلهم يعتنقون اليهودية . « لكنهم ، مع ذلك ، يعملون خدما فى منازل اليهود » . ويتبع هذا ـ فى مخيلة سعديا ـ « أن يتوحد العالم تحت السيادة اليهودية وتعترف كل الشعوب برب اسرائيل حاكما على الجميع ويأتون اليه حاجين طائعين مقدمين الهدايا له فى أورشليم » .

وفى مجال الشعر راحت قرائح شعراء اليهود فى نفس الفترة تنتج اشعارا تصب أبعاد المفهوم وجوانبه فى صورة منظومة وتغذى وجدان اليهود بقدوم ذلك المسيح اليهودى الذى تنتظره كل القلوب وتتطلع اليه فى شغف .

فيقول الربانى عمنوئيل بن شلوموه (توفى عام ١٣٦٠ م) فى قصيدته « أنشودة الذهب »

أسرع يامسيح الرب لماذا تتلكأ

هاهنا تنتظرك الدموع المسكوبة

المشتتين فى الوديان يسكبون الدماء

كل قلب ينتظرك وكل لسان يرغب فيك

تحرك يامسيحنا إإت إلينا

راكبا حصان يعدو بسرجه المطهم

أما الصوفية اليهودية المعروفة « بالقبالاه » [٤] والتى تبلورت فى القرن السادس عشر على يد إسحاق لوريا الملقب « بآرى » ، والتى اهتمت ايضا بمفهوم الخلاص فى مؤلفاتها وأفردت له جزءا هاما فيها ، فقد احدثت تطورا واضحا فى مفهوم الخلاص ، وهو ماسنتناوله تفصيلا فى متن هذا الكتاب ، يتمثل ذلك فى التخلص من عناصر الكارثة المدمرة التى علقت بمفهوم الخلاص منذ فترة التلمود ، فقد اعتقد القباليون بان الخلاص لايمثل الا مرحلة من مراحل التطور التاريخى التى تأتى تلقائيا دون كوارث بالضرورة ، الا ان المنحى العنصرى الذى اصبح سمة اساسية فى هذا المفهوم منذ عصر التلمود ونظرة الاستعلاء على كافة الأمم التى غلفته قد ازداد على يد أولئك المفكرين القباليين الذين ادعوا بأن « شتات بنى اسرائيل هو تعبير عن شتات الكون كله وان خلاص اسرائيل هو رمز لخلاصه واستردادها فى العصر المسيحانى هو استرداد للكون ورمز لوصوله الى مرحلة الاصلاح والكمال النهائى » .

---

(٤) مصطلح يطلق عليه مجموعة الأفكار التى تحتوى على المضامين المتعلقة بالفلسفة الدينية . اليهودية وهى فى مجملها مجموعة من الأفكار المنفصلة غير المترابطة والتى تصل فى بعض الأحيان الى حد التعارض الكامل ترجع بدايتها إلى القرن الثانى عشر الميلادى ووصلت الى أوج تطورها فى القرن السادس عشر الميلادى . انظر المصطلحات والمفاهيم .

زمن قدوم المسيح اليهودى واحصاء عدد سنوات بقاء تلك المملكة المسيحانية وقد اعتمدوا فى ذلك على عدة وسائل تناولناها على صفحات هذا الكتاب . وقد غالى القباليون ايضا فى تلك الحسابات معتمدين فى ذلك على الرموز اللغوية فقد إدعى أولئك المتصوفين أن الحروف العبرية هى أساس خلق العالم واعتقدوا بالتالى فى أهمية تلك الحروف ودلالتها الرقمية واشاراتها بالتالى الى معان تخفى على البشر . وقد أنتجت تلك الحسابات كما هائلا من التواريخ التى إدعوا قدوم المسيح اليهودى فيها والتى فشلت جميعها بالطبع وثبت زيفها .

إن هذا المفهوم والاعتقاد بمجئ المسيح اليهودى وعصر الاخلاص لم يظل قابعا فى بطون الكتب وعلى ألسنة الرواة اليهود وفى قرائح الشعراء والصوفيين ولو أنه إقتصر على ذلك لأصبح مجرد نوع من الخيالات الخرافية التى لا أثر لها فى سلوك اليهود على مر العصور ، غير أن المفهوم تجاوز ذلك النطاق الى مجال التأثير فى حركة الجماعات اليهودية فى أوربا وآسيا . فقد شهدت التجمعات اليهودية خلال العصور الوسطى رجالا ظهروا بين اليهود يدعى كل منهم فى زمنه انه ذلك الملك المسيح المقاتل المنتظر وقاد كل منهم جماعة من اليهود قاصدا التوجه الى فلسطين وكانت نهايتهم جميعا واحدة وهى التعرض للفشل الذريع ، هذا فضلا عما كانت تسببه تلك الادعاءات المسيحانية الكاذبة من اضطرابات فى المجتمعات التى عاشوا بين ظهرانيها مما كان يضطر حكومات تلك الدول الى مقابلة هذه الادعاءات بالقمع خشية ان تتسبب فى نشر الفوضى فى بلادها .

وكان من بين أولئك المسحاء الكاذبين الذين تعرضنا لادعاءاتهم . فى متن هذا الكتاب كل من داود الرائى (١١٤٧ ميلادية) وابراهام ابوالعافية (حوالى ١٢٥٠ ميلادية) وأشير لاملين (١٥٠٢ ميلادية) ... وغيرهم . إلا أن أشهر حركة مسيحانية تناولناها كانت إدعاءات شبتاى تسيفى الذى أعلن نفسه الملك المسيح عام (١٦٦٤) ميلادية وتوجه إلى فلسطين واتخذ لنفسه نبيا ومبشرا بقدومه . وهى الحركة التى تناولناها باسهاب فى الباب الأخير من هذا الكتاب لما كان لها من اثر واضح على تطور مفهوم المسيحانية فى العصر الحديث .

لقد كانت محاولات توجه هؤلاء المسحاء الكاذبين الى فلسطين مرتبطة بأحد جوانب المفهوم كما يصوره حكماء التلمود ومن تبعوهم من المفسرين وهو جانب يجعل من أورشليم مقرا لحكم العالم فى عصر السيادة الاسرائيلية الموهوم . ولقد كان لفشل هذه المحاولات اثر فى تحول الجهود اليهودية بعد ذلك فى العصر الحديث الى مايعرف بالحركة الصهيونية حيث اصبح الاعتماد فى فكرة التجمع اليهودى على الوسائل السياسية والعسكرية الحديثة . غير أن هذا المفهوم لم يفارق الفكر الدينى اليهودى حتى الآن ، فما زال متمثلا فى تيار الصهيونية الدينية التى لازالت تؤمن بمقدم هذا المسيح كما انه ترك بصماته على الصهيونية العلمانية التى تأخذ بالوسائل البشرية الحديثة وهى البصمات التى تتجلى فى مفاهيم الاستعلاء والعنصرية التى يلحظها العالم فى السلوك الاسرائيلى الحديث .

ولقد لعب هذا المفهوم دورا فى تمهيد الطريق أمام الجهود الصهيونية لتهجير

الجماعات اليهودية إلى فلسطين وذلك من خلال التأويلات التى قدمها المفسرون الدينيون المحدثون على غرار مايلاحظه القارىء فى الصفحات الأخيرة من فتاوى

الرابى يهودا القالعى (١٧٩٨ ـ ١٨٧٨ م) وهيرش كاليشر (١٧٨٥ ـ ١٨٧٤) والرابى شموئيل موهليفر (١٨٢٤ ـ ١٨٩٨) والرابى كوك (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥ م) وهى فتاوى تضع شرطا جديدا لظهور المسيح اليهودى يتمثل فى ضرورة هجرة اعداد كبيرة من اليهود إلى فلسطين لاستعمارها والاستقرار فيها .

لقد أدت هذه الفتاوى دورها فى التمهيد لظهور الحركة الصهيونية السياسية من ناحية وفى دعم جهودها البشرية لاستعمار فلسطين من ناحية أخرى . فقد إنقسمت القوى السياسية الدينية فى إطار الحركة الصهيونية الى قسمين .

قسم يؤمن بالطبيعة الدينية البحتة للمفهوم دون اى تدخل بشرى لاقامة مملكة المسيح وتمثل هذا القسم فى حزب اجودت يسرائيل وعمال أجودت يسرائيل .

وقسم آخر يستفيد من الفتاوى الداعية إلى التمهيد البشرى لمجىء المسيح مثل حزب « المفدال » الحزب الدينى القومى ، ومثل الحركات الدينية الحديثة مثل جوش امونيم وحركة كاخ وهى حركات ظهرت بعد عام ١٩٦٧ وهى تسعى الى طرد العرب واستعمار كامل للأراضى العربية باعتبار هذا الطرد والاستعمار اتصالا للجهود البشرية الضرورية للتمهيد لظهور المسيح اليهودى وعصر السيادة الاسرائيلية المطلق .

وقد اقتضت طبيعة تناولنا لمفهوم المسيح اليهودى منذ نشأته حتى أوائل القرن العشرين ان ينقسم هذا الكتاب الى أربعة أبواب ، عنينا فى كل باب منها بدراسة مفهوم الخلاص ـ المسيحانية ـ فى فترة تاريخية محددة وفقا للتسلسل التاريخى لنشأته والمؤثرات التى أدت الى تطوره .

اهتم الباب الأول بدراسة اصول مفهوم الخلاص ـ المسيحانية ـ عند بنى اسرائيل فقمنا فى الفصل الأول بتعريف المصطلح واستخداماته . ثم انتقلنا فى الفصل الثانى الى دراسة الملكية عند بنى اسرائيل حتى يمكننا التعرف عما اذا كان لتجربتهم مع النظام الملكى من أثر على مفهوم الخلاص ومملكته المسيحانية .

ولما كانت اسفار العهد القديم تمثل أقدم نصوص بين ايدينا يمكن من خلالها البحث فى أصول المفهوم ، فقد خصصنا الفصل الثالث للبحث فى نشأة مفهوم الخلاص ـ المسيحانية ـ واصوله والعناصر المكونة له فى العهد القديم متتبعين الدور الذى لعبه انبياء بنى اسرائيل فى تطويره .

وينقلنا التسلسل التاريخى للموضوع الى الباب الثالث الذى يهتم بتناول المفهوم فى العصور الوسطى ولدى المفسرين الدينيين والمتصوفة اليهود فى هذه الفترة كما عرضنا فيه للحسابات التى تهتم بوضع تاريخ محدد لقدوم المسيح اليهودى مشيرين الى ماتبع ذلك من محاولات لتجسيد هذا المفهوم والتى تمثلت فى حركات المسحاء المزيفين .

أما الباب الرابع فقد قمنا فيه بدراسة المفهوم وتطوره فيما بين القرن الثامن

عشر وأوائل القرن العشرين ـ وقد عنينا فى الفصل الأول منه بدراسة حركة المسيح المزيف شيتاى تسيڤى أشهر حركة مسيحانية فى تلك الفترة مشيرين الى ماكان لها من آثار على تطور المفهوم . وتناولنا فى الفصل الثانى تطور المفهوم عند المتصوفة اليهود فى الحركة الدينية التى نشأت فى القرن الثامن عشر والتى تعرف بالحسيدية والتطور الذى احدثته على المفهوم .

ثم عرضنا على الصفحات الأخيرة من هذا الكتاب الدور الذى لعبه هذا المفهوم فى تمهيد الطريق امام الجهود الصهيونية فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين لتهجير الجماعات اليهودية الى فلسطين . وتناولنا فكرة « الربانيون الصهيونيون » عن مفهوم الخلاص .

المصطلحات والمفاهيم

نظرا لوزود بعض المصطلحات والمفاهيم التى قد تبدو غريبة على القارىء فقد رأينا هنا أن نورد شرحا موجزا لها فى بداية هذا الكتاب على أن يلتقى القارىء بشرح مفصل لها فى متن الكتاب كل فى موضعه .

١ ـ المسيحانية : ـ

مصطلح للكلمة العبرية « مشيحوت » وتعنى الاعتقاد فى مجىء مسيح يهودى وبطل قوى يتميز بصفات القدرة القتالية تمكن بنى اسرائيل من الخروج من حالة الهزيمة العسكرية والفشل السياسى والانحلال الدينى والخلقى ، وتمنيهم بمجىء عالم مثالى تتحقق لهم فيه ـ على مايعتقدون ـ السيادة على سائر الشعوب فتأتيهم عابدة طائعة مقدمة الهدايا لربهم (يهوه) وتصبح عبادة الشعوب لهذا الرب خضوعا لبنى اسرائيل فى ذات الوقت . وتمثل المسيحانية بهذا المفهوم احد اسس الايمان باليهودية .

٢ ـ العهد القديم : ـ

هو النص الاساسى الذى يقوم عليه دين اليهود ويتضمن ثلاثة أقسام هى التوراه والأنبياء والكتب ويعرف العهد القديم ايضا بالتنخ وهو اختصار مكون من الحروف الأولى لأقسامه الثلاثة السالفة الذكر . التاء من كلمة « توراه » العبرية وتعنى التوراه ـ والنون من كلمة نفيئيم وتعنى أنبياء حرف الكاف ـ وينطق خاء ـ من كلمة كتوفيم وتعنى كتب أو مكتوبات ومجموعة اسفاره تسعة وثلاثين سفرا تتضمن الشرائع وقوانين وتاريخ وروايات شعبية ونبوءات ورؤى . وهى مكتوبة بلغة عبرية وتمثل اجزاء كثيرة منها أقدم لغة عبرية وصلت الينا .

٣ ـ المشنا : ـ

مجموعة من الشروح والتفاسير تتناول اسفار العهد القديم تناقلها أحبار اليهود شفهيا الى ان أتم جمعها عدد من الربانيين اعتبارا من القرن الأول الميلادى كالرابى هليل والرابى عقيبا والرابى مائير والرابى يهودا هناسى الذى ينسب اليه تدوينها حوالى القرن الثانى الميلادى . وتعرف ايضا بالشريعة الثانية وهى مكتوبة بلغة عبرية مشوبة بالأرامية ومتأثرة بكثير من قواعدها حتى اصبحت تتميز بسمات خاصة بها وعرفت بلغة المشنا .

٤ ـ الجماراه : ـ

كلمة آرامية الأصل تعنى التكملة وتطلق على الكتاب الذى يتضمن الشروح التى وضعها حكماء اليهود وأحبارهم فى كتاب المشنا ـ سالف الذكر ـ وتنتمى الى مركزين دينيين رئيسيين لكل منهما فروعا اخرى يقع احدهما فى العراق والثانى فى

فلسطين وهى مكتوبة بلغة آرامية يهودية قريبة من اللهجة السريانية وتتضمن شرائع وفتاوى وحكايات وأساطير وخرافات وتفرعات واستطرادات كثيرة دون ترتيب أو تخطيط .

٥ ـ التلمود : ـ

يتكون من نص المشنا والجمارا ويعتبر كتابا كاملا لنتاج الشروح وغيرها من الفتاوى والقصص على مدى قرون طويلة ونشأت شروح الجمارا فى بيئتين مختلفتين ـ على نحو ماتقدم ـ وقد أدى هذا الى ظهور تلمودين احدهما التلمود الغربى الذى يسمى بالاورشليمى نسبة الى مدينة القدس « اورشليم » وهو ينقص فى شروحه عن التلمود الآخر المعروف بالتلمود الغربى الذى يسمى بالبابلى نسبة إلى العراق التى كانت تسمى بابل وهو أكثر اكتمالا وتبحرا من التلمود الأورشليمى .

٦ ـ الأپوكريفا : ـ

تعرف ايضا « بالكتب غير القانونية » او الكتابات الخارجية وهى مجموعة من نصوص مقدسة لكنها لم تقبل عندما تم تسجيل العهد القديم كأجزاء معتمدة منه كما أنها لاتبلغ نفس درجته من القدسية عندهم . ومنها نصوص ترجع الى زمن كتابة العهد القديم ونصوص كتبت بعد انتهاء عهد الأنبياء والتى تعالج فترة تاريخية والنصوص الاسطورية الرمزية والأسفار الأدبية والحكمية والنصوص التى انفردت بروايتها طوائف منشقة علي اليهودية الرسمية وحرمها علماء الشريعة وأحبار التلمود .

٧ ـ يوم الرب : ـ

أو يوم يهوه : هو مفهوم وارد فى أسفار الأنبياء يشير إلى الأعتقاد فى مجىء يوم للرب يحل فيه عقاب الرب (يهوه) على الآثمين من بنى إسرائيل أو من تسببوا فى اضطهادهم من الأمم الأخرى وهو اليوم الذى ينتصرون فيه على أعدائهم وتنتشر فيه نوع من السعادة بين الشعوب . ويعبر عن هذا المفهوم أيضا بتعبيرات أخرى كاليوم الآخر أو هذا اليوم أو ذلك اليوم . أو تلك الأيام ... وغيرها ..

٨ ـ الاسكاتولوچى : ـ

مصطلح يطلق على مجموعة من المفاهيم حول زمن النهاية كما يتضمن اعتقادا ثنائيا عن مسار التاريخ ويعنى ان نظام العالم سينتهى فجأة ثم يتلو ذلك عالم آخر ذو طبيعة مختلفة ويظهر بعد ذلك عالم جديد يتميز بكمال كل شىء ، وبقاء هذا الكمال الى الأبد .

٩ - الثنويه :-

، عقيدة ترجع الى الديانة الفارسية القديمة (الزداشتيه) تقول بالاعتقاد بان الوجود يتكون من عالمين : العالم الحاضر ويحكمه إله الشر والظلام والموت وهو عالم شرير مصيره الى الزوال . والعالم القادم ويحكمه إله الخير والنور وهو عالم خير تنتشر فيه السعادة الأبدية ويأتى بعد انتصار إله النور على إله الظلام .

١٠ - الأپوكاليپس :-

كلمة يونانية تعنى الكشف أو الاظهار . ويطلق مصطلح أدب الأبوكاليپس على المؤلفات التى تهتم بالكشف عن الأشياء الغامضة التى تقع فيما وراء الطبيعة والخافية عن العين البشرية . وقد تبلور أدب الأبوكاليپس فى القرن الأول الميلادى وكانت رسالته تهدف إلى حث بنى إسرائيل على التمسك بالشريعة حتى يأتى العصر الذى يتحقق فيه خلاص إسرائيل وجمعت تلك الكتابات فيما عرف بأسفار الايوكريفا أو الأسفار غير القانونية أو الخارجة .

١١ - القبالاة :-

مصطلح يطلق على مجموعة الأفكار التى تحتوى على المضامين المتعلقة بالفلسفة الدينية والتصوف فى اليهودية . وهى فى مجملها مجموعة من الأفكار المنفصلة غير المترابطة والتى تصل فى بعض الأحيان الى حد التعارض الكامل . ويعد ابراهام بن داود - فى القرن الثانى عشر الميلادى - من أوائل مؤسسيها الا ان الفضل فى انتشار افكارها يرجع الى اسحق الأعمى فى القرن الثالث عشر الميلادى وقد وصلت الى أوج تطورها فى القرن السادس عشر على يد اسحق لوريا الملقب بأرى . وتعتمد فى تناولها لتفسيرات العهد القديم على اتجاهين : احدهما نظرى وازدهر فى أسبانيا وجنوب فرنسا والآخر عملى وازدهر فى الغرب وفى ألمانيا بصفة خاصة . ويعتبر كتاب « الزوهر » هو الكتاب الاساسى المتضمن لأفكار القبالاه وهو كتاب مجهول المؤلف يرجع بداية ظهوره الى القرن الثالث عشر الميلادى .

١٢ - الحاسيدية :-

حركة دينية يهودية معتمدة فى أساسها على أفكار القبالاة وتؤمن بالتصوف والاعتقاد بالتمائم والتعاويذ وإدعاء الخوارق والمعجزات والاطلاع على الغيب وتتميز صلواتها بكثرة الايحاءات والمرح الصاخب .

١٣ - الصهيونية الدينية : -

تيار دينى ظهر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر الميلادى ودعا إلى

استيطان فلسطين لاقامة الشريعة اليهودية وقال بان العمل بالوصايا والممارسات الدينية تمثل شرطا اساسيا لتحقيق مملكة الكهنة والأمة المقدسة على أراضيها » وكان موهليفر من أقوى دعاتها . وقد ايد عددا من أولئك الربانيين جهود هرتسل الدبلوماسيين - او ماعرف بالصهيونية السياسية - الرامية لاقامة « الدولة اليهودية » لكنهم سرعان ما انشقوا عن المنظمة الصهيونية بقيادة الرابى راينس وكونوا عدة احزاب خاصة بهم مثل « المزراحى » وهبوعيل همزراحى و« أجودت يسرائيل » بعد الخلافات التى نشبت فى المؤتمر الصهيونى الخامس عام ١٩٠١ حول العلاقة بين الدين والثقافة . إلا أن الصهيونية الدينية عادت إلى تأييد مساعى الحركة الصهيونية نحو اقامة الدولة مرة أخرى واهتمت باستيطان دينى على أرض فلسطين رافعة شعار « التوراة والعمل » .

١٣ - الصهيونية السياسية : -

ارتبطت الصهيونية السياسية باسم هرتسل الذى كان مقتنعا بضرورة توافر شروط وضمانات سياسية وذلك بالحصول على اعتراف علنى من احدى الدول الكبرى المعنية بفلسطين بالموافقة على هجرة اليهود واحقيتهم فى تأسيس الدولة اليهودية على أراضيها وبعد ذلك فقط تبدأ عمليات تهجير اليهود .

وتحت تأثير هذا الاقتناع ركز هرتسل جهوده على الاتصال بالدول الكبرى فى محاولة لاقناعهم بتبنى مشروعه والحصول على نوع من الشرعية الدولية للجهود الصهيونية . وقد أيد هذا التيار داخل المنظمة الصهيونية كل من توردا و ولفسوهن ومارمورك وغيرهم .

الباب الأول

المفهوم فى العيد القديم
(منذ نشأتها حتى القرن الخامس قبل الميلاد)

الفصل الأول
المصطلح واستخداماته

تعريف بمعنى مصطلح « مشيحوت » ومخلص « ماشيح »

إصطلحت العبرية على استخدام لفظ مشيحوت [١] للتعبير عن مبدأ الايمان بخلاص شامل يتحقق على يد الملك المسيح هما شيح الذى يعتبر قدومه مؤشرا لبداية مستقبل مثالى بكل مافيه .

ويتضمن اللفظ مشيحوت المسيحانية أو تعبير « هارعيون همشيحى » العقيدة المسيحانية أو عقيدة الخلاص - كما سنرى - نفس المعانى المتضمنة فى مترادفات أخرى فى اللغة مثل :

« يشوعاه » بمعنى إنقاذ - خلاص وهى كلمة مشتقة من الفعل « ياشع » بمعنى أنقذ أو خلص ، وكذلك « جؤلاه » بمعنى خلاص وهى كلمة مشتقة من الفعل « جاءل » بمعنى خلص أو أنقذ .

ومع ذلك فاننا لانجد فعلا عبريا بمعنى خلص أو أنقذ مشتقا من الجذر العبرى « م . ش . ح » الذى اشتق منه لفظ « مشيحوت » الدال على الخلاص والانقاذ .

لذلك فقد رأينا أنه يتحتم علينا فى بداية هذا البحث ان نعرض لبدايات استخدام اللفظ ماشيح ومدلوله فى العهد القديم مشيرين الى التطور الذى طرأ على دلالة اللفظ بعد ذلك فى محاولة لاكتشاف العلاقفة بين اللفظ ماشيح ومعنى الخلاص اوالانقاذ .

---

(١) عرب الاستاذ الدكتور حسن ظاظا هذا المصطلح بـ « المسيحانية » وذلك فى كتابه « الفكر الدينى الاسرائيلى : اطواره ومذاهبه معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة ١٩٧١ ص ١٢٨ وقد رأينا أن نتبعه فى هذا الاستخدام لان ذلك يجعل من اليسير علينا ان نفرق بين ماسوف ندرسه هنا وبين المسيحية التى يقصد بها تعاليم السيد المسيح « عيسى بن مريم » وقد نضطر احيانا الى وضع كلمة النصرانية عند الاشارة للمسيحية لمزيد من الأيضاح والتفرقة .

يعنى الفعل ماشح [٢] فى عبرية العهد القديم : ان يمسح بالزيت المقدس . وقد شاع استخدام هذا الفعل فى كتاب العهد القديم للتعبير عن مسح الكهنة [٣] ، والانبياء [٤] والملوك والأمراء [٥] ، وبعض الأدوات والاشياء ، وكان هذا التقليد يهدف الى اضفاء نوع من القداسة عليها بعد مسحها بالزيت المقدس المسمى بـ شمن بمعنى زيت او شمن هميشيحاه أى زيت المسح [٦] .

لكن هل كانت عادة المسح بالزيت تقليدا قاصرا على بنى اسرائيل فى فترة العهد القديم .

كان المسح بالزيت تقليدا منتشرا فى الشرق القديم ، فكان الناس يمسحون اجسادهم بزيت ذى رائحة طيبة بهدف تعطير الجسد او العلاج ، او الطهارة ، وكان يستخدم ايضا لاضفاء نوع من القدسية على الشخص الممسوح ، كما استخدم الزيت ايضا لمسح الأصنام والأوثان وأوانى المعابد وأدواتها وأعمدتها ، والسيوف والدروع . وغيرها من الأشياء والأدوات للاشارة الى قدسيتها وطهارتها .

وتدلنا الوثائق المكتشفة فى أرض العراق القديمة ـ او مايعرف بما بين النهرين ـ وكذلك النقوش المحفورة على جدران قصورها ان عادة صب الزيت كانت منتشرة انتشارا واسعا منذ عصور قديمة ، وأن سكان تلك المنطقة كانوا يسكبون الزيت على الأصنام كتقليد يومى فى الطقوس الدينية[٧] .

ويؤكد بيرثولت Bertholet أن هذا التقليد كان شائعا ايضا بين الحيثيين وقدماء المصريين ، وأنهم كانوا يستخدمون فى ذلك زيوتا من أنواع جيدة وثمينة ومعطرة ومنتقية بعناية[٨] .

---

(٢) يقابل هذا الفعل « مشيح » فى الآرامية وكذلك فى اللهجة السريانية ويحمل نفس المعنى فى العبرية . انظر ايضا الفصل الثالث من الباب الثانى .

(٣) اللاويين ٣/٤ و٣٦/٧٥ و١٢/٨ و٣٢/١٦ وعدد ٢٥/٣٥ و٣/٣ وخروج ٤١/٢٨ و٧/٢٩ و٣٠/٣١ و١٣/٤٠ و١٥ وغيرها .

(٤) الملوك الأول ١٦/١٩ واشعياء ١/٦١ وغيرها .

(٥) صموئيل الأول ٣/١٦ ، ١٢ ، ١٣ والملوك الأول ٣٩/١ والملوك الثانى ١٢/١١ و٣٠/٢٣ وارميا ١٥/٩ واخبار الأيام الاول ٣/١١ و٢٢/٢٩ . وغيرها .

(٦) سفر الخروج ٣٦/٢٩ و٢٦/٣٠ و٣/٤٠ ، ١٠ ، ١١
واللاويين ١٠/٨ .
والعدد ١٠/٧ و٨٤ و٨٨ وغيرها .
الخروج ٦/٢٥ و٢٥/٣٠ و٢٩و ٧ و ٢١ و ٨/٣٥ و٥ و ٢٨ .
واللاويين ٧/١٠ و١٢/٢١ و٣٥/٧ وغيرها .

(٧) دائرة المعارف المقرائية الجزء الخامس صفحة ٥٢٨ .

(8) Bertholet : Ahistory of Hebrew Civilization , London , 1925 , P , 63

ويحدثنا نقش سومرى عن أهمية الزيت واستخدامه فى علاج بعض الأمراض بعد خلطه بمواد ونباتات أخرى ، كما تؤكد قوانين حمورابى على شيوع استخدام الزيت كعلاج من الكسور(٩) .

ويشير كل من جرسمان Gressmann وهمپل Hample ومونكل Mowinckel الى استخدام البابليين للزيت فى مسح اجزاء عديدة من بناء المعابد واعمدتها كما كانوا يمسحون الأوانى والأدوات المقدسة المستخدمة فيها(١٠) .

وتشير أيضا الوثائق الأكادية القديمة ان الزيت كان يصب على وجه العبد بعد أعتاقه كدليل على تحرره من العبودية ، كما تخبرنا القوانين الأشورية ووثائق تل العمارنه (١١) أنهم كانوا يمسحون به رأس الفتاة البكر دليلا على انها قد أصبحت عروسا (١٢) .

وتشير الوثائق الأوجاريتية الخاصة بالقضاء الى صب الزيت كتعبير عن التحرر من الالتزامات القضائية وتبرئة المتهم .

وكان المسح بالزيت ايضا يستخدم فى الطقوس التطهيرية كالطهارة من المرض والدنس ، وكان هذا العمل يتم فى شكل طقسى كما كان له أهمية مقدسة ، فتخبرنا النقوش الاوجاريتيه ان الكنعانيين كانوا يصبون الزيت الثمين على الالهة عناث Anath لتطهيرها من دم الأضحية (١٣) . كما استخدمه بنو اسرائيل ايضا فى حفل تطهير من يشفى من مرض الجذام كدليل على تطهره من النجاسة التى علقت به (١٤) .

وقد استخدمت انواع من الزيوت الجيدة المعطرة للتجميل والتزين (١٥) ، كما كانوا يصبونها علي رءوسهم أثناء الولائم الكبرى وفى أوقات المرح والسرور (١٦) .

---

(٩) رينيه لابات : محاضرة فى الطب البابلى والأشورى ترجمة دوليد الجاد مجلة سومر العراق بغداد ـ الجزء الأول والثانى المجلد رقم ٢٤ لسنة ١٩٦٨ .

(10) Hemp re : Von Irrenden Glauden , 1929
G essmann : Der Messias , Gottingen 1929 .
نقلا عن Mowinckel : He that Cometh , Translated by Aderson , Abingdon Press , N . Y . 1951 , P . 7 - 8

(١١) مراسلات من أمراء كنعان الى ملكهم ـ ملك مصر ـ يرجع تاريخها الى القرن الخامس والرابع قبل الميلاد .

(١٢) رسائل تل العمارنة . رسالة رقم ٢٩ سطر ٣٩ ورسالة رقم ٣١ سطر ١٤ عن دائرة المعارف المقرائية الجزء الخامس صفحة ٥٢٢ .

(١٣) المرجع السابق ص ٥٢٧ .

(١٤) لاويين ١٤/١٠ .

(١٥) استير ٢/١٢ .

(١٦) عاموسى ٦/١ ومرمور ٢٣/٥ وسفر الجامعة ٩/٨ .

وتشير ملحمة جلجاميش [١٧] الى انهم كانوا يمنعون سكب الزيت فى اوقات الحداد كما يخبرنا العهد القديم عن اتباع نفس التقليد ايضا فى اسرائيل[١٨] .

وكانوا فى العراق القديمة يستخدمونه ايضا لمسح الموتى [١٩] ، وربما استخدم هذا التقليد فى اسرائيل ايضا ، فيحدثنا سفر اخبار الأيام [٢٠] عن اتباع شىء من هذا القبيل عند دفن الملك آسا ملك يهوذا .[٢١] .

ومما لاشك فيه ان الفكرة الأصلية لهذه الاستخدامات هى الاعتقاد بأن للزيت قوة مقدسة ، أو تكمن فيه قوة خارقة ، وأن تلك القوى تنتقل الى الشخص او الشىء الممسوح ، او ان القوى الخارقة الممنوحة له بالفعل تتجدد وتزداد بعد مسحه ، وربما كان لفوائد الزيت ، واستعمالاته العادية كاستخدامه طعاما او دواء مثلا ، يمكن ان يفسر لنا هذا الاعتقاد فى قدسيته وتجسيده للقوى الفوق طبيعية .

ويجمع كل من بيير [٢٢] Beer وأولبريت Albright[٢٣] وكندتزون Kindtzon[٢٤] هوك Hook[٢٥] وبرتوليت [٢٦] Bertholet وسميث [٢٧] Smith وفرانكفورت [٢٨] Frankfort ـ على أن بنى اسرائيل قد أخذو اعادة المسح بالزيت عن الكنعانيين وأنهم كانوا .

---

(١٧) ملحمة جلجاجيش لوحة رقم ١٢ سطر رقم ١٦ نقلا عن دائرة المعارف المقرائية الجزء الخامس ص ٥٢٧ .

(١٨) صموئيل الثانى ١٢/٢ واشعياء ٦١/٣ و٥٤/٣ ، ١٠ .

(١٩) تخبرنا نقوش ارض العراق القديمة (مابين النهرين) أن الملك نيونابد مسح امه الملكة قبل دفنها راجع : محاضرة رينيه لابات السالفة الذكر .

(٢٠) اخبار الايام الثانى ١٦/١٤ وقد ورد ذلك ايضاً فى العهد الجديد فى يوحنا ٣٩/١٠ ومرقص ١٦/٧ .

(٢١) حكم مملكة يهوذا فيما بين ٩٥٥ ـ ٩١٥ ق . م .

(22) Mowinckel , S : He that cometh Trans . By Aderson Abingdon Press , N . Y . 1954 , P . 4 .

(23) Albright , W . F : Archaeology and the religion of Israel , Baltimor , 1942 , P . 42 , 78 .

(٢٤) نقلا عن مرجع Mowinckel السابق ص ٧ .

(25) Hook , S . H : The Religious of Ancient Palastine in the light of Archaeology , London , 1933 , P . 80 .

(26) Bertholt , L Œ A : History of Hebrew civilization , London , 1926 , P Œ 633 .

(27) Smith , W . : Lectures on the Religion of the Semites , London 1927 , P . 203 .

(28) Frank Fort , H : Kingship and Ancient Lsrael , Chicago , 1948 , P 247

يمسحون حجر « متسيباه » ، وكانوا يعبدون الاله الذى يسكنه او يمثله هذا الوثن والذى كان يرمز الى وجود الاله فى موضع الطقوس ، وربما كان هذا مرتبطا بعبادة الأوثان قديما ، وكانوا يعتقدون ان مسح هذا الحجر بالزيت طقس يضفى عليه نوعا من القوة ويجعله حجرا مقدسا(٢٩) .

أما كلمة "ماشيح"مسيح فقد وردت فى العهد القديم للدلالة على الملوك والكهنة الذين يتم الاحتفال بتنصيبهم بالمسح بالزيت ، ويؤكد كل من موتكل ويعقوب ليفر (٣٠) على ان بنى اسرائيل قد نقلوا ايضا تقليد مسح الكهنة والملوك كدليل على تنصيبهم واعتلائهم مكانة مقدسة ، من سكان بابل وان ذلك قد جاء بطريق غير مباشر اى عن طريق الكنعانيين ، سكان ارض كنعان قبل مجىء بنى اسرائيل اليها .

وتشير اجزاء عديدة من العهد القديم الى قيام الكاهن الأكبر بمسح الملك بالزيت كدليل على تنصيبه بطريقة شرعية ، وعلى أنه أصبح ملكا مقدسا كما انه قد اصبح يتخذ دورا حيويا بارزا فى الطقوس واصبح يمثل شعبه امام الرب ..

وكثيرا مانجد كلمة ماشيح فى العهد القديم مضافة الى كلمة يهوه (الرب) ، او الى ضمير يشير اليه كلقب للملك الحاكم على انه مسيح يهوه ماشيح يهوه (٣١) أى الممسوح بالزيت من الرب .

كما استخدم اللفظ ايضا للدلالة على الكهنة ، وان الرب قد اختارهم خدما متخصصين ، فكان يطلق على الكاهن ايضا هاكوهين هاما شيح اى الكاهن الممسوح بالزيت ، دليلا على قدسيته وشرعيته .(٣٢) .

واستخدم ايضا التعبير ماشيح للدلالة على آباء الأمة القدامى (٣٣) حينما اطلق الرب عليهم تعبير مشيحاى اى مسحائى (٣٤) .

---

(٢٩) حجر متسيباه حجر مقدس يكون جزء من المحراب عند الكنعانيين والاسرائيليين القدامى وكانوا يمسحونه بالزيت لاضفاء القدسية عليه :
راجع سفر التكوين ١٨/٢٨ و٢٢ و ١٣/٣١ و٤٥ و٥٠ و٥٢ و١٤/٣٥ و٢٠ وخروج ٤/٢٤ و٢٤/٢٣ والملوك الثانى ١٠/١٢ وحزقيال ١١/٢٦ ... وغيرها ..
(٣٠) دائرة المعارف المقرائية الجزء الخامس ص ٥٢٩ .

(٣١) صموئيل ١ ١٠/٢١ ، ٣٥ ، ١/١٠ ، ٣/١٢ ، ٥ ، ١/١٥ ، ١٧ ، ٦/١٦ ، ١٦/١٩ ، ٦/٢٤ ، ١٠ ، ٩/٢٦ وغيرها وصموئيل ب ١٤/١٠ ، ١٦ ، ٣/٥ ، ١٧ ، ٢١/١٩ ، ١/٢٣ وغيرها ، واخبار الايام ١ ١٦/ ٢٢ وغيرها وارمياء ٩/ ١٥ ومزمور ١/٨٤ وغيرها وامثال ٢٠/٤ وغيرها كثير .
(٣٢) لاويين ٣/٤ ، ٣٠/٨ ، ٩ ، ١٣ ، ٣٢/١٦ ، ٣٥/٧ وعدد ٣/٣ ، ٢٩/٢٦ وغيرها .
(٣٣) تسمى تلك الفترة بعصر البطاركة .
(٣٤) مزمور ١٥/١٠٥ وأخبار الأيام الاول ٢٢/١٦ .

وكان الأنبياء أيضا يمسحون بالزيت ، فيخبرنا سفر الملوك الأول [٣٥] من مسح النبى الياشع نبيا على اسرائيل كما مسح اشعياء نفسه نَبِياً أيضا على بنى قومه [٣٦] .

ولم يستخدم تعبير المسح بالزيت فقط بل استخدم لوصف اشياء محسوسة فكان المعبد وأوانيه [٣٧] يمسحون بالزيت ، كما كان يتم مسح الدروع وخاصة المصنوع من الجلد او الخشب ، وربما كان الهدف من ذلك هو الحفاظ على ليونه مادتة وصقله حتى لاتخترقه السيوف ، وكان هذا يتم قبل الاستعداد للحرب حتى

أصبحت الدعوة إلى مسح الدروع بمثابة دعوة للحرب[٣٨] كما كان الدرع الممسوح بالزيت تعبيرا يرمز إلى الشخص الذى لا يهزم والمحارب القوى[٣٩]

ولم يقتصر استخدام تعبير ماشيح يهوه فى العهد القديم على ملوك اسرائيل فقط ، فقد اطلق النبى اشعياء [٤٠] نفس اللقب على الملك الفارسى كورش ، بالرغم من أنه كان ملكا وثنيا لايعرف يهوه[٤١] .

وكان بنو اسرائيل ـ كغيرهم من شعوب الشرق القديم ـ ينظرون الى طقس المسح بالزيت بوصفه عملا مقدسا يهدف الى رفع مرتبة الملك باعتباره مختارا من يهوه ، ويعد طقسا اساسيا فى تنصيب الملك ويجعله على علاقة حميمة معه كما يضفى عليه القدسية وكثير من الصفات الخارقة . وكان هذا الاحتفال يتم عادة فى المعبد فى أورشليم [٤٢] ، حيث كان احد ابناء الملك وغالبا مايكون الابن الأكبر ـ الذى يختاره يهوه ليصبح ملكا ، كان يحمل الى المكان المقدس حيث يقام الاحتفال بيهوه ، وكان ذلك الرجل المختار يمتطى جوادا ويحاط بالحراس السائرين على

---

(٣٥) الملوك الأول ١٦/١٩ .
(٣٦) اشعياء ١/٦١ .
(٣٧) خروج ٢٦/٢٩ و ٢٦/٣٠ و ٣/٤٠ و ١٠ واللاويين ١٠/٨ وغيرها .

(٣٨) اشعياء ٥/٢١ .
(٣٩) صموئيل ب ٢١/١ .
(٤٠) اشعياء ١/٤٥
(٤١) انظر الفصل الرابع من نفس الباب .
(٤٢) ربما كانت بداية اتباع هذا التقليد يجرى الاحتفال به عند الينبوع المقدس فى جيحون ـ الموجود الآن فى وادى كترون وكان هذا المكان يعتبر موقع المسح والتنصيب فى القدس (راجع ملوك ٣١/١) ويبدو ان الاحتفال كان يتضمن ايضا شعيرة التطهر فى هذا الينبوع وشرب مائه المقدس الذى كان مشبعا بالقوى وقادرا على منح مزيدا منها (مزمور ٧/١١) .

الأقدام أو فى عرباتهم الحربية[٤٣] ، وكانوا يقفون بين المذبح والمعبد[٤٤] . ثم يصعد الكاهن مع ابن مالك الى النصب الملكى[٤٥] على مشهد من

الجميع ، وهنا غالبا مايقوم الابن المختار بتلاوة الرؤيا المتعلقة باختيار يهوه له واعتماده للملك ، ثم يضع الكاهن الاكليل فوق رأسه ويسلمه الشهادة [٤٦] ، التى تحتوى على تنصيبه ملكا ، ثم يمسحه بالزيت المقدس ، وهكذا يصبح ملكا شرعيا على بنى قومه [٤٧] وبعد ذلك يتقدم الملك الجميع لتقديم فروض الولاء المقدس ، وتدق الطبول ويصفق له الحاضرون [٤٨] كما تقدم الاضحية ويحتفلون بعيد الضحية ويفرحون ويبتهجون[٤٩] .

ثم يأتى الجزءالثانى من الاحتفال ، وهو الذهاب الى المعبد والى القصر الملكى القريب منه ، فيتبوأ الملك الجديد عرشه فى احتفال عظيم[٥٠] ، وفى القصر يتخذ مقعده وراء العرش الذى يرمز الى جبل صهيون . وهكذا يتبوا الملك مكانته على يد يهوه [٥١] ، ثم يتلقى تهانى حراسه وشعبه ، ويشير المزمور الثانى [٥٢] الى انه فى هذه المرحلة يصدر اعلانا بان الملك قد حصل على قرار يهوه مشيرا الى شرعية تعيينه ملكا .

وهكذا تكون عملية المسح بالزيت طقسا مقدسا يجرى فى احتفال دينى ، ويتم من خلاله التأكيد على ان الرجل الذى اختاره يهوه قد نصب ملكا بالفعل وتم تسليحه بالقوى السماوية .

(٤٣) ملوك أ ٣٣/١ و ٣٤ و ٣٨ وملوك ب ٨/١١
(٤٤) ملوك ب ١١/١١ .
(٤٥) ملوك ب ١٤/١١ واخبار الأيام ب ٣١/٣٤ .
(٤٦) الملوك ب ١٢/١١
(٤٧) الملوك الثانى ١٢/١١ و ٩/١ و ١٩ .
(٤٨) صموئيل الأول ٢٤/١٠ والملوك الأول ٣٩/١ و ٤٠ .
(٤٩) صموئيل الثانى ١٥/١١ والملوك الأول ٤٥/١ والملوك الثانى ٢٠/١١
(٥٠) الملوك الأول ٤٠/١٠ .
(٥١) مزمور ٧/١١٠ .
(٥٢) المزمور الثانى ٩/٦

ولما كان المسح بالزيت يضع الشخص الممسوح فى مكانه اعلى من جميع اخوانه لكى يكون فى خدمة الرب [٥٣] ، فان ذلك يجعله اكثر قربا من يهوه ، كما يجعله مختارا منه ، يقوم بالحكم نيابة عنه ويمنح بنى اسرائيل البركة باسم يهوه ، وينفذ شريعته وخططه وكل مايريد على الأرض[٥٤] ، كما يجعل منه ملكا مقدسا لاتنتهك حرمته[٥٥] .

ومن خلال مسح الملك وتسلحه بالروح السماوية ، فانه يتلقى حكمة خارقة ، ولأنه قد أصبح ملاك يهوه ، فهو ينفذ كل رغباته على الأرض[٥٦] ، وهو يعرف المستقبل [٥٧] ويتمتع بحياة اطول من كل البشر [٥٨] كما ان خبراته عظيمة ويمكنه تحقيق مايعجز عنه الآخرين[٥٩] .

بينما نجد فى النصوص التى ترجع الى عصر التلمود [٦٠] دلالته تختلف عما كانت عليه فى فترة العهد القديم .

وقد اوضحت لنا نصوص التلمود والمؤلفات الأخرى التى تنتمى إلى نفس

الفترة ان مدلول اللفظ ماشيح « مسيح » فى تلك الفترة آصبح يستخدم فقط للدلالة على ملك يأتى فى المستقبل ، مزودا بقوى من الرب الذى اختاره لينفذ مهمة تخليص بنى اسرائيل من الاعداء ويحكمهم كملك عظيم ويخضع باقى الأمم الاخرى لسيطرته الدينية والسياسية[٦١] .

ويقول كلوزنر [٦٢] ان استخدام لفظ « ماشيح » مسيح للدلالة على المخلص والمنقذ المأمول منه ، وملك المستقبل الذى اختاره يهوه ، هى معانى لم تستخدم الا فى الآداب التى ترجع الى عصر التلمود .

---

(٥٣) لاوبين ١٢/٨ و١٠/٢١ و ١٢ .
(٥٤) صموئيل الثانى ٨/٧ و ١١ و ١٤ واشعياء ٤/٥٥ ومزمور ١/٧٢ و ٦/٤٥ و ٧ .
(٥٥) صموئيل الأول ٩/٢٦ .
(٥٦) صموئيل الثانى ١٧/١٥ .
(٥٧) مزمور ٧/٢ .
(٥٨) الملوك الاول ٣١/١ .
(٥٩) صموئيل الأول ١١/١٠ .

(٦٠) أنظر الباب الثانى « الفصل الأول » .
(٦١) تناولنا ذلك باسهاب فى الفصل الأول من الباب الثانى .
(٦٢) يوسف كلوزنر : العقيدة المسيحانية فى أرض اسرائيل تل ابيب ١٩٥٤ صفحة ٦ ويؤيده جينزبرج فى هذا الرأى . راجع دائرة المعارف اليهودية المجلد الخامس صفحة ١٤٠٨

كما يؤكد يعقوب ليڤر ان الاعتقاد فى كرم مسيح مخلص يأتى فى نهاية الزمان[٦٣] لينقذ اسرائيل هو أحد الأمور المتضمنة فى الايمان بيوم الآخرة ، وهى عقيدة لم تدخل اليهودية إلا فى فترة مابعد السبى البابلى[٦٤]

وبناء على ماسبق يتضح ان تعبيرات « ماشيح » مسيح ، « هما شيح » المسيح أو « ماشيح يهوه » مسيح يهوه أو « هميلخ هما شيح » الملك المسيح أصبحت تطلق فى أداب عصر التلمود والعصور الأخرى التى تلت ذلك على مخلص يأتى من بنى إسرائيل ومبعوث من يهوه ليخلص شعبه من الأعداء ، وملك المستقبل الذى سيحكم المملكة المحررة فى عصر الخلاص .

ومن هنا فقد رأينا ان نبدأ ببحث مفهوم الملك والملكية منذ نشاتها فى اسرائيل لنتعرف على الكيفية التى صاغ بها بنو اسرائيل فكرتهم عن مملكة عصر الخلاص والعوامل التى آثرت على تلك الفكرة . وما إذا كانت هناك ثمة علاقة بين تجربتهم التى عاشوها فى الواقع ، وعلى مدى حوالى خمسة قرون[٦٥] وبين مفهومهم عن المملكة المنتظرة فى عصر الخلاص والملك الذى سيحكم هذه المملكة ، أى المسيح اليهودى .

(٦٣) يعقوب ليڤر . دائرة المعارف المقرائية الجزء الخامس صفحة ٢١٠ .
(٦٤) انظر عقيدة الثنوية ـ الفصل الثانى من الباب الثانى .

(٦٥) منذ نصب شاءون ملكا على بنى اسرائيل عام ١٠٩٠ ق . م حتى انهيار مملكة يهودا على يد نبوخذ نصر البابلى عام ٥٨٦ ق . م .

الفصــل الثــانـى

الملـك عنـد بنـى إسـرائيـل

النظام الملكى فى الشرق القديم :

يوضح البحث الدقيق لتاريخ منطقة الشرق القديم أن التفاعل كان دقيقا بين الحضارات المختلفة التى نشأت فيها كما كانت هناك تيارات من التأثير المتبادل المستمر للافكار والطقوس وغيرها من المظاهر الحضارية ، حتى أصبحت تلك المنطقة تشكل نمطا حضاريا متشابها فى خطوطه وعناصره الرئيسية فلا يمكننا مثلا أن نتحدث عن الحضارات التى نشأت فى منطقة سوريا وفلسطين ـ وهو الجزء الذى نهتم به فى هذا الفصل ـ حديثا مستقلا عن التأثيرات الأجنبية التى أحدثتها الحضارات المجاورة الأخرى . فقد كانت الحضارة الكاملة للاقليم السورى طوال فتراتها معرضة لتأثيرات قوية من مصر الفرعونية ومن أرض العراق القديمة (أو مابين النهرين) وأسيا الصغرى ، ولهذا فقد كان الاطار العام لحضارة ذلك الاقليم خليطا مركبا سوريا فى أساسه لكنه خاضع لتأثيرات قومه من الحضارات التى نشأت فى المناطق المجاورة له[1] .

لذلك فان تناول حضارة أى جزء من هذه المنطقة يجب بالضرورة أن يتضمن حديثا عن حضارة شرقية عامة كما نتحدث فى العصور الوسطى عن ثقافة أوروبية مسيحية عامة وفى العصور الحديثة عن ثقافة غربية متشابهة فى ملامحها .

يقول هوك Hook فى كتابه مصادر الطقوس والملكية[2] بأن عبادات وحضارات جميع الديانات الشرقية غير الفرعونية[3] كان يسودها مجموعة مترابطة من الأفكار التى يعود موطنها الأصلى الى بابل ، كما أن معظم الطقوس والعبادات البابلية والكنعانية والاسرائيلية وباقى الأنظمة ماهى الا انماط فرعية عن ذلك النمط البابلى الأصل .

---

at Cometh, Abingdon Press· N·Y 1954, P·3·

2) Hook, S · H : Myth and Ritual, London, 1933, P· 47·.

٣) نود أن نلفت انتباه القارىء أننا نخصص الحديث هنا عن منطقتى سوريا وفلسطين وماجاورهما وفى مواجهة ذلك نستبعد الحديث عن مظاهر الحضارة التى كانت سائدة فى مصر الفرعونية ذلك لان مظاهر الحضارة التى سادت فى مصر الفرعونية تختلف عن تلك التى سادت فى العراق القديمة وسوريا وفلسطين اختلافا جوهريا وخاصة فيما يتعلق بفكرة الملكية وهو موضوع حديثنا فى هذا الفصل .

واعتمادا على هذه الأسس وعلى البحث فى الأعمال التى تناولت الديانات القديمة وعلم دراسة الأعراق البشرية (الانثربولوجيا) والدراسات التى اهتمت بفكرة الملكية فقد أجمع عدد كبير من الباحثين مثل هوك Hook وجاسترو **Jastro و ج . فريز Frazer وفرانكفورت Frankfort على أن الملكية وما نشأ عنها من أفكار أخرى هى من أهم المظاهر الحضارية التى سادت فى الشرق القديم والتى كانت متشابهة ومتجانسة فى جوهرها وعناصرها الرئيسية .**

كانت الملكية نظاما سائدا على أرض العراق القديمة منذ عصور سحيقة ، وقد استمد الكنعانيون ذلك النظام المتطور من البابليين والأشوريين ، وبناء على ذلك فقد كان هذا النظام ، مثله مثل باقى مظاهر الحضارة والمعتقدات والأفكار الآخرى واقعا تحت تأثيرات قوية من حضارات أرض العراق القديمة .

وعندما جاء بنواسرائيل من الصحراء الى أرض كنعان وبعد ان استوعبوا الثقافة ومظاهر الحياة التى كانت موجودة على تلك الأرض بعد مرور فترة طويلة من استقرارهم فيها ، اتبعوا نظام الملكية على نفس النمط الكنعانى .

وبالطبع فإن بنى اسرائيل لم يأخذوا الملكية المرتبطة بالمعتقدات الكنعانية بلا تغيير ، بل من الطبيعى أن تحدث لتلك الفكرة الملكية تغييرات تتطابق مع أفكارهم الدينية الخاصة[٤] .

وعلى هذا فاننا سنحاول هنا توضيح مفهوم اسرائيل عن الملك والملكية على ضوء الملكية التى كانت سائدة فى العراق القديمة وفى أرض كنعان ثم الانتقال الى التطورات الخاصة التى أصبحت تتميز بها الملكية فى إسرائيل عنها فى الحضارات الأخرى .

مفهوم الملكية عند بنى اسرائيل :

نشأت الملكية فى العراق القديمة فى فترة مبكرة جدا من عصر السومارييين القدامى ، ويبدو أن الموقع الجغرافى والظواهر الطبيعية التى سادت هناك كانت من أهم العوامل التى أثرت على تشكيل فكرتهم عن الاله وعن الملك . فأرض مابين النهرين لاتتمتع بحدود محصنة قوية ، بل هى أرض مفتوحة أمام القبائل البدوية التى تعيش فى الصحراء والجبال فى شمالها وشرقها ، وكانوا يعتمدون غالبا على الأمطار ، ولم يكن دجلة والفرات مصدرين مستمرين للخير ، بل كانا يشكلان قوة همجية ومدمرة ، ولهذا فقد كانت الحياة فى نظر الناس تحمل الكثير من التوتر والخوف ، وكانت القوى الشريرة تهدد فى أى لحظة بتدمير العالم من خلال أعوانها ، كالقحط والفيضانات المدمرة والأعداء الغزاة .

٤) وقد أثبت كل من جنكل Gunkel وجرسمان Gressmann وغيرهما (راجع مونكل فى Hc) . Cometh P. من باحثى العهد القديم أن الأفكار الدينية والأساطير وكثيرا من الصيغ الأدبية لم تكن ترجع الى بنى اسرائيل فى الأصل وغالبا ماكانت من أصل بابلي ذلك لأنها تفهم بسهولة عند تفسيرها على ضوء الأفكار والمعتقدات والطقوس البابلية .

وقد أثرت هذه الظواهر الطبيعية على الأفكار التى نشأت فى تلك المنطقة منذ القدم فقد كانت الأفكار العامة فى تلك الفترة تهتم بانتصار الخير وانتصار الرب والملك على القوى المدمرة الشريرة ، وكانت الأفكار تنصب على كيفية حماية واعادة خلق الحياة الممتدة فى العالم والطبيعة على الأرض حتى ان الانسان فى العراق القديمة لم يكن له أى نصيب فى حياة مابعد الموت ، بل عندما كانت الآلهة تخلق الانسان كانت تجعل من الموت نهاية له ، وكان الناس يتمسكون بالحياة أما العقيدة التى كانت سائدة هناك فهى ان الآلهة تخلق البشر لتقوم على خدمتها ورعايتها ، وكانت تنصب عليهم ملكا هو فى الواقع انسان مثل باقى البشر ، **لكنه رجل عظيم ، يتمتع بصفات سماوية خارقة ويستمد قوة وحكمة من الآلهة ويمثله فى الحكم والشعائر والطقوس** ، وخاصة فى احتفالات رأس السنة عندما كان يعاد خلق العالم من جديد ، وكان الملك يقوم فيها بأداء دور الاله فى جميع اعماله ومعاناته وخضوعه لمظاهر الطبيعة وموته ثم اعادة بعثه وانتصاراته ، واخيرا زواجه المقدس من ربة الخصوبة ، وهكذا يعاد خلق العالم مرة اخرى بخصوبته وحيويته ويضمن رخاءه للسنة الجديدة .

وكانت الملكية فى المدن السومارية فى بداية نشأتها تقوم على نظام بدائى يتمثل فى حكم شيخ القبيلة أو رئيس المدينة الذى كان يعتبر المالك الحقيقى للأرض وكان يتم اختياره زعيما وقائدا لهم فى أوقات الشدة التى تتمثل عادة فى تهديدات من قوى خارجية ، وكان من المعتاد ان تبقى سلطاته لفترة محددة وتنتهى بزوال هذه المهمة ، وكان الكهنة والشعب يقفون وراء القائد أو شيخ القبيلة ، وعلى رأس هذه المجموعة كلها نجد إله القبيلة (او المدينة) الذى يقوم الملك امامه **بتأدية واجبه فى الدفاع عن الأرض والمعبد وكهنته . وبناء على ذلك فإننا نجد انه حتى بعد ظهور حكم ملكى ثابت فى شخص محدد فان هؤلاء القادة والحكام لم يعتبروا انفسهم ملوكا حقيقيين بل نوابا ممثلين وكهنة للاله الذى يعتبر فى الحقيقة المالك الفعلى لكل شىء فى القبيلة(٥)** .

وقد حدث تطور تدريجى فى هذا النظام فكثيرا ماكانت إحدى المدن أو القبائل تتسع لتمتد الى مدن أو قبائل أخرى وتضمها اليها ، فكان الملك يقوم بتعيين قائد عليها لينوب عنه ، وعندئذ كان وضع الملك يكتسب مركزا وصفات سياسية وعسكرية معتمدا على قوته وسيطرة جيشه ، ومن هنا ظهر تحديد فى الممارسة بين الملك وبين نوابه من القادة ، **وقد احتفظ الملك بدوره كرابطة بين الاله وبين افراد الشعب وظل يحتفظ بشخصية مقدسة بين ابناء قومه**

وقد ساد هذا النظام فى اسرائيل ايضا قبل الانتقال الى نظام الملكية فيخبرنا سفر القضاة ان نظام حكم شيوخ القبائل كان سائدا فى إسرائيل بعد الاستقرار

---

٥) موسكاتى تاريخ الحضارات السامية القديمة ترجمة د . يعقوب بكر ـ دار الكتاب العربى للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٧٠ (ص ١٠٢ : ص ١٠٣) .

مباشرة فى أرض كنعان وان ذلك النظام كان يعتمد اساسا ـ كما هو الحال عند الأمم الأخرى ـ على مايتمتع به شيخ القبيلة من صفات شخصية كالشجاعة والعدل والقدرة على القيادة (٦) وإبداء النصيحة والمساعدة وفض المنازعات بين ابناء قومه أو بين قبيلته وعدة قبائل أخرى ، كما كانت مهمته الأساسية تتحدد فى جمع شتات القبيلة أو عدة قبائل لهزيمة الأعداء .(٧)

ونجد التعبير الشامل لكل تلك الصفات التى يجب أن يتمتع بها شيخ القبيلة فى كلمة قاضى « شوفيط » وهى تعنى الحاكم والقائد والقاضى والمخلص من الأعداء ، كما نجد أحيانا ما يتقهقر هذا اللفظ ليحل لفظ آخر بدلا منه وهو موشيع

أى منقذ وذلك لأن مهمته كانت تتحدد ـ كما قلنا ـ فى الخلاص وانقاذ قومه من الأعداء[٨] ، وهى نفس المهام التى ألقتها الآلهة على حمورابى (سادس ملك لمملكة بابل عاش حوالى ١٧٠٠ق.م.) حيث توكل اليه مهمة نشر العدل فى الأرض والدفاع عن الفقير ضد الغنى وعن النقى ضد الآثمين[٩] .

وكان القاضى معتمدا فى أعماله على رحمة الرب ويؤكد سفر القضاة على انهم كانوا مسئولين عن مهمة التحرر من قوى الغزو بوحى من يهوه نفسه ، وانهم قاموا بالأعمال البطولية لأن روح يهوه حلت عليهم ومنحتهم قوة بصرية خارقة .[١٠] ولم يكن منح هذه القوى من الروح الالهية يتم فى عملية مستمرة بل كان يأتى من وقت لآخر .

وكانت سلطة القاضى محدودة فى حكم ابناء قبيلته وكانت احيانا قليلة تتعدى ذلك لتشمل قبيلة اخرى مجاورة[١١] وفى العادة كانت هذه السلطة تنتهى بانتهاء سببها ، لكن يخبرنا سفر القضاة ان بعض شيوخ القبائل قد احتفظوا بالسلطة فى أيديهم فى وقت السلم ، وان هذه السلطة كانت تنتقل احيانا الى الأبناء الذين يجب ان تكون لديهم القدرة على الاحتفاظ بأمجاد ابائهم[١٢] . وكان ذلك بمثابة مؤشرات للبدايات الاولى لاتباع النظام الملكى ، حيث قامت محاولات مبكرة لاتباع ذلك النظام بين بعض قضاة اسرائيل بقيادة جدعون وأبيمالك[١٣] .

---

٦) مثل جدعون الذى اختاره الرب بشجاعته وباسه بالرغم من انه كان من عشيرة صغيرة وانه كان اصغر ابناء بيت ابيه (قضاه ٦/١١ ـ ١٦) .

٧) راجع قضاه ٢/١٦ ، ١٩ و ٣/٩ و١٠و١٥و٢١و٤/٤و١٠/٢ ، ٣و٢و١٢/٧ ـ ١١ و١٣ و١٤ و١٥/٨ ٢٠ و١٦/٢٢ .

٨) راجع قضاة ٣/١٨ ، و١٠/١و١٢/٥ و١٢/٢٠

٩) موسكاتى ، سبيتنو : تاريخ الحضارات السامية القديمة . ص ٩٥ .

١٠) مثل قصة جدعون فى قضاه اصحاحات ٦ : ٨و٦/٢٤ وكذلك دبيوره ٤/١٤ و٢٥/١ وقصه شمشون اصحاح ١٤ وصموئيل الأول ١٠/١ ـ ٧ .

١١) قضاه ٣/٩ و١٥ .

١٢) والاصحاحات من السادس الى التاسع تروى قصتهما . انظر بصوره خاصه ٨/٢٢ ـ ٢٣ و ٩/٧

١٣) منح ابيمالك ملكا فى شكيم كما يشير سفر القضاه فى ٩ / ٦ ـ ٢٠ .

أما شاؤل فكان يمثل محاولة نشطة لخلق مملكة شاملة تضم كل القبائل ، ومن ناحية اخرى تمثل مملكة داود وسليمان اتحادا بين شتى أسباط بنى اسرائيل ، وكان المركز القوى لاسرة داود يعتمد على الأشكال المأخوذة عن نظام وتقاليد المدينة الكنعانية فى أورشليم ، كما ان تقسيم سليمان الادارى للمملكة قد أدى الى اندماج كامل للاسرائيليين مع المواطنين الاصليين(١٤)

تطوير النظام الملكى عند بنى اسرائيل :

ويجد ربنا هنا ان نتلمس التعديل الذى أحدثته اسرائيل فى مفهوم الملكية التى أخذتها عن كنعان ـ والتى يرجع أصلها الى أرض مابين النهرين ـ بحيث أصبحت تبدو لنا كما لو كانت نمطا جديدا كلية .

فقد كانت الملكية فى العراق القديمة شريعة مقدسة وكانوا يعتقدون ان فكرتها موجودة فى ذهن الآلهة منذ بداية خلق العالم ، كما كان الملك يحتل موقعا مقدسا فى مملكته . فبالرغم من أنه كان إنسانا مثل باقى البشر الا أنه كائن سماوى يتمتع بصفات آلهية ، وان كان لا يعتبر إلها فى حد ذاته الا انه كان مقدسا الى الحد الذى يمكن التحدث عن الوهيتة(١٥) ، وهو يكتسب الصفات والقوى السماوية

عن طريق الالهام السماوى وهذه الصفات تضعه فى بعض النواحى فى مستوى الملائكة فهو يتمتع بصفات سماوية لايشاركه فيها باقى البشر .(١٦)

أما فى إسرائيل فإن الصراع بين الملكيه من ناحية وبين حكم فترة البداوه من ناحية أخرى كان موجودا بصورة دائمة

وقد حاول بنو اسرائيل ملاءمة النظام الملكى الماخوذ من الممالك المجاورة لها مع مفهومهم عن يهوه ربهم الخاص ويتضح ذلك من معارضة الأنبياء للحكم المستبد فى الملكية وتأكيدهم دائما على أن يهوه هو ملكهم الوحيد كما يتضح منذ البداية من ادراكهم الكامل بأن الملكية بدعة كنعانية(١٨) وحتى إذا ما إنتقلت المهام الطقسية الى الملك ودخل نواب الملك

فى خدمته إرتفع صوت بين الأنبياء للحفاظ على تقاليد العصور البدوية وقد كانت معارضة الأنبياء تقوم اساسا على التأكيد بأن **الملك لا يتمتع بعد تنصيبه بأى مميزات اكثر من ذى قبل ، بل أنه شخص خاضع ليهوه وأن مهمته هى المحافظة على عدالته وتنفيذ حكمه على الارض(١٩) وليس من حقه ان يحكم طبقا لافكاره أو هواه الشخصى المتعارض مع شرائع يهوه(٢٠) .**

14) Mowinckel : He that Cometh, P. 60

15) *Lobat, R. : Le caractere Religieux Assyro — Baby — lonienne Paris 1939 P.40.*

16 Frankfort : Kingship and the Gods, Chicago 1948, P . 286 .

١٨ صموئيل الاول ٨/٥ ـ ٢٠ و ١٠/١٧ ـ ١٩ و١٢/١٢ .

١٩ كما يرى كل من نيسترون Nystron وبودن Budden وكذلك De Frain فى كتابه L.. aspect Religieux de la Royaute, Israelite, Rome, 1954, P . 13 — 15 .

٢٠ مزمور ٢/٧ و ١١/٤٥

وطبقا للطريقة البدائية العامة للتفكير التى سادت الشرق القديم فى ذلك الوقت والتى شارك فيها بنو اسُرائيل بالطبع . فقد كانت الفكرة المنتشرة هى آن الرئيس او الخليفه أو الملك كانوا جميعا تجسيدا للقوى والمجتمع وهو نفس ما نجده فى

أسفار العهد القديم عن الملك عند بنى اسرائيل(٢١) .

وبصفة الملك ممثلا لبنى شعبه ، وانه مختار يهوه وبنوته منسوبة إليه فإن ملك بنى اسرائيل كان الواسطة بين الرب وبينهم (٢٢) ، والملك هو آيضا الكاهن الآكبر
وكان هو وأبناؤه هم الكهنه الشرعيون والمسئولون عن ممارسة الطقوس (٢٣) ، فنجده يظهر كرئيس للطقوس فى المناسبات الدينية والاحتفالات الكبرى ، أما فى الأيام العادية ، فإنه يترك أعماله الكهنوتية والطقسية للكهنة المتخصصين .
ويتضح الدور الرئيس الذى يلعبه الملك فى الطقوس الرسمية فى تقليد نقل تابوت العهد إلى القدس ، وفى التقليد عن تقديس سليمان للمعبد . فكان يتقدم الصلوات ويقدم القرابين ، ويعلن بنفسه بركاته على الشعب ، كما قام الملك احاز بالاعداد لتفاصيل المعبد والطقوس وقدم الشعائر الطقسية بطريقة خاصة (٢٤) .
وبصفة الملك كاهنا مسلحا بالقوى السماوية فهو القناة التى تتدفق فيها البركة

وشروط حسن الحظ هى : الخضوع للرب والفضيلة والاحتفاظ مع الرب بعلاقة طيبة .

وإذا قارنا مفهوم الملكية فى الشرق القديم ـ بصورة عامة ـ بنفس المفهوم عند بنى إسرائيل نجد آن الملكية فى إسرائيل تتميز لا باستبعاد التجسيد العضوى للأله فى الملك .
ففى الطقوس كان الملك يمثل بنى اسرائيل أمام يهوه كما كان آيضا ممثلا ليهوه أمامهم ، وبهذا يكون الملك بمثابة الرابطة بين يهوة وبينهم ، ولكن بنى إسرائيل مع ذلك لم ينبذوا فكرة أن الملك كان حقيقة ممثلا ليهوه فى الطقوس والحياة الاجتماعية والسياسية للأمة أو حتى الفكرة القديمة عن الملك ككائن خارق مزودا بقوى خارقة أو قوى إلهية (٣٦) ويقف فى علاقة وثيقة تشبه بوجه خاص علاقة

---

٢١ مزمور ٢/٧ . مراثى ارميا ٢٠/٤ هوشع ٤/٣ . قضاه ٢٢/٩ . الملوك الاول ١١/٢ و٣٢
٢٢ ارميا ٣٠/٢١

٣٢ صموئيل الاول ٩/١٣ وصموئيل الثانى ١٧/٦و١٨ .
٢٣ صموئيل الاول الاصحاح السادس وملوك الاول الاصحاح الثامن .
٢٤ مزمور ٢٠/٧ ـ ٩ وهوشع ١٠/٢ .
٣٥ يرى مونكل ويؤيده أخرون أن فكره التجسيد العضوى للاله فى الملك كانت منتشره بين الكنعانيين وانهم قد اخذوها عن قدماء المصريين . راجع
MowinCkel : He that Cometh. P . 73 — 76 .
٣٦ مزمور ٢/٨٣ .

البنوة ليهوه[٣٧] فقد إستمروا فى استخدام هذه التعبيرات والافكار التى نبعت من مفهوم الشرق عن الملكية - والتى عكست آفكارا آسطورية كثيرة [٣٨] .

وقليلا ما نجد فى هذه الصورة الاسطورية أى إشارة لاستخدام الفاظ تدل على وجود علاقة طبيعية أو عضوية بين يهوه وابنه - الملك - فالملك هو إنسان مختار من بين أفراد الشعب[٣٩] خاضع تماما ليهوه ويعتمد عليه فى كل شىء .

وبالاضافة إلى المعارضة لاعتبار آن الملك فى إسرائيل ندا ليهوه آو يتساوى معه فى الطقوس ، فقد كان ذروة هذا الهجوم موجها إلى الملوك لمجرد .آنهم قد جعلوا القصور الملكية بجوار المعبد آو لآنهم قد وضعوا القبور الملكية فى هذه القصور [٥٠] . وبالرغم من كثرة هجوم الأنبياء وانتقاداتهم لسياسة وسلوك ملوك بنى اسرائيل وتركهم طرق الرب وطغيانهم على الشعب ، إلا آن آسفار الانبياء لا تحتوى على اتهام الملوك بادعاء الألوهية [٥١] آو اغتصاب حق من حقوق يهوه آو أنهم لعبوا دور الرب وطالبوا بعبادتهم فى الطقوس .

وكثيرا ماتشير المزامير إلى أن الملك كان يمثل يهوه أمام الشعب ، ولكن لا يحمل هذا التمثيل - كما ذكرنا من قبل - اى نوع من التجسيد له[٥٢] ، بل يتحدد فقط فى أنه كان يتلقى القوى الالهية منه وينقل بركاته ، وكان ذلك يتم من خلال الأعمال الطقسية وخاصة احتفالات التتويج حيث يمنحه الرب قوى خاصة تجعله اداة البركة فى وقت السلم واداة للخلاص فى وقت المحن والكوارث وعلى ذلك .

---

٣٧ مزمور ٢/٥ - ٧ .
٣٨ انظر الفصل الرابع من هذا الباب تحت عنوان اسطورة ميلاد طفل .
٣٩ مزمور ٨/٩ ومزمور ٨/٢٠ .

٤٧ صموئيل الاول ١٠/١ - ١٩ والقضاه ٦/٢٤ .
٤٨ صموئيل الاول ١٠/١ - ١٩ .
٤٩ اشعياء ٧/١ - ٤ .
٥٠ فنجد حزقيال يصور أن قمه انتهاك إسم الرب المقدس تمثلت فى وضع جثث الموتى بجوار تابوت عهد الرب .

٥١ يعد الاصحاح الثامن من سفر حزقيال نموذجا على ذلك فبالرغم من انه يعطى وضعا تفصيليا لانتهاكات المعبد إلا أنه لا يشير إلى ادعاءات اى ملك للألوهيه او المساواه مع يهوه .
٥٢ يشير صموئيل ٦١/٥ ومزمور ٤٢/٥ و ١٣٢ على ان داود كان يمثل دور الملك وليس دور الرب وهناك حقيقة هامة تؤكد على أن الملك لم يعتبر مطلقا تجسيدا ليهوه هى حقيقة انهم منذ عصور مبكرة اعتقدوا فى قدسيه تابوت عهد الرب باعتباره رمزا لوجود يهوه او انه عرشه الخالى .

يجب تجديد القوى الممنوحة للملك ، لهذا فإننا نجد العديد من الاشارات تؤكد أنهم في إسرائيل ـ كما كان الحال في بابل ـ كانوا يقومون بإعادة تتويج الملك في احتفال سنوى ، وربما كان ذلك مرتبطا بالاحتفال الذى يقام كل عام بالخريف والسنة الجديدة والذى كان في نفس الوقت الاحتفال بتتويج يهوه الذى كانوا يحتفلون به كرمز لاعادة الخلق ، وتأسيس لخصوبة كل شيء وبركة الشعب ، والغنم .. وبعد ذلك يعاد خلق الأرض والطبيعة وكل الأشياء من جديد ، أما الملك فكان يحصل في هذا الاحتفال على تجديد وتأكيد للعهد بينه وبين يهوه على إختياره ملكا على بنى قومه ومن ثم تزويده بالقوى الالهية الخاصة التى تعينه على الاستمرار في الحكم على مدى عام كامل . أما في وقت الحرب والنكبات ، فكان الملك والكهنة والأنبياء والشعب يتوجهون إلى المعبد لاقامة الصلوات امام يهوه ليمحو الخطر عنهم وكان الملك هو الذى يتلقى بركات الرب ليوصلها بدوره الى جميع الحاضرين [٥٤]

يمكننا إذا أن نلخص ما يميز مفهوم بنى اسرائيل عن صفات الملك المثالى ومهامه فيما يلى :

ان الملك ليس شخصا يتجسد فيه الرب على الرغم من العلاقة الوثيقة بينهما . وهو الزعيم والرئيس الرسمى للطقوس والاحتفالات العامة وفى كل صلواته ، يصلى من أجلهم ويتلقى البركات من يهوه نيابه عنهم ويقدم اليه القرابين باسمهم ايضا .

فمهمة الملك الرئيسية ، فى اوقات السلم هى أن يصبح اداة ليهوه ويتبع وصاياه والعمل على رخاء بلاده وسعادة مواطنيه والقضاء بينهم بالعدل .

أما فى وقت الحروب والمحن ، فهو قائدهم وتلقى عليه مهمة تحريرهم وخلاصهم من الأعداء والمضطهدين ، فقد إختاره الرب وزوده بقوى عظيمة خارقة جعلته يتميز عن باقى البشر ليكون اداة للرب لتحقيق خططه على الارض وتخليص أبناء شعبه من الأعداء وتنفيذ شريعته على الأرض ..

5 - Pederson : I srael Its Life and Culture, Copenhagen. 1962, P. 79 .

٥٤ مزمور ١٣٢ .

الفصل الثالث

الوضع التاريخى

وأصول مفهوم الخلاص عند بنى إسرائيل

كان الهدف من الفصل السابق هو الوقوف على العناصر الأساسية التى أثرت على مفهوم بنى إسرائيل عن الملكية ، حتى نتمكن ـ على ضوء ذلك ـ من معرفة ما اذا كانت الملكية التى قامت بالفعل فى إسرائيل قد أثرت بدورها على مفهومهم عن مملكة المستقبل التى سيحكمها المسيح المخلص فى عصر الخلاص وذلك ما سنقوم ببحثه فى هذا الفصل على ضوءالظروف السياسية التى مر بها بنو إسرائيل ، موضحين ما لتلك الظروف من آثار على تشكيل وصياغة مفهوم الخلاص ـ المسيحانيه ـ فى فترة العهد القديم .

انهيار الملكية :

إرتبطت الملكية منذ نشأتها فى إسرائيل بأمل ما فى تحقيق وضع أفضل ، وفى مستقبل يحمل معه وجودا سياسيا واقتصاديا مستقرا فى مواجهة عداء سكان أرض فلسطين لهم فقد كانت رغبة بنى إسرائيل ملحة فى إتباع النظام الملكى ، وعندما طالبوا صموئيل بتعيين ملك لهم حددوا هدفهم من ذلك بوضوح ، فقالوا لصموئيل : فنكون نحن أيضا مثل سائر الشعوب ، ويقضى لنا ملكا ويخرج بيننا ويحارب حروبنا[1] .

وأختار الرب شاءول ملكا على بنى اسرائيل ، لكن سرعان ما ندم الرب [٢] على هذا الاختيار ، ذلك لان شاءول ـ كما يروى سفر صموئيل [٣] ـ خالف وصية الرب ولم يحرق ـ أى يدمر ـ مدينة عماليق وملكها .. وأنتهى أمره فى إحدى المعارك الفاشلة ..

---

(١) صموئيل الاول ٨/ ٢٠ .

٢ ـ صموئيل الأول ١٥/١١ وما بعدها
٣ ـ صموئيل الأول الاصحاح ٣١

ثم جاء دور الملك دواد [٤] وحقق ما لم يستطع سابقه تحقيقه ، واسس الأسرة الملكية التى حكمت أسباط بنى إسرائيل مجتمعة لأول مرة تحت إمرته [٥] ، إلا أن سلالة ذلك الملك لم تنهج نهجه ، ولم تستطع المحافظة على تلك المملكة الموحدة ، ووضع التدهور الأقتصادى والدينى والأجتماعى جذوره مع الملك سليمان ، أول وريث لعرش دواد ، فبالرغم مما تميز به عصره من استقلال سياسى وازدهار اقتصادى عن ذى قبل ، فإنه كان ملكا تميز بالبذخ وتعدد الزوجات ، كما تقبل وجود عبادات آله أخرى الى جانب عبادة يهوه [٦] ، وسار على نهجه الكم الأعظم من سلالة داود وكانت السمة العامة بين أولئك الملوك هى الانصراف عن تحقيق تلك الآمال فى الاستقرار الشامل والوحدة وهى الآمال التى كانت أساسا فى تحولهم الى النظام الملكى واتسم وضع المملكتين بالانهيار السياسى والأقتصادى والانحلال الدينى والاجتماعى .

لكن الأمل فى الخلاص من ذلك الفشل والتدهور العام كان يتجدد مع كل ملك جديد يتم مسحه وتنصيبه ، وكان العامل الأساسى الذى اثر على سرعة إستجابة بنى إسرائيل لهذا الامل هو الدور الهام الذى قام به الأنبياء ـ حملة راية الاصلاح فى ذلك الوقت ـ فى إحياء فكرة الخلاص مع كل ملك جديد يتقلد الحكم ، فكانوا يشيعون الرجاء فى ذلك الملك الجديد الذى ربما يحقق تلك الآمال التى وضعها فى الملكية والذى ربما يتصف بتلك الأوصاف المثالية التى تخيلوا أن الملك يتحلى بها[٧] .

وهكذا كان الأنبياء ، يتطلعون دائما إلى اليوم الذى يأتى فيه ملك ، يحكم بالعدل وينهى حالة الفشل والانحطاط الشامل ويحقق الآمال التى وضعوها فى الملكية ، لكن فكرة الملك عند بنى إسرائيل كانت تتميز ـ كما رأينا [٨] ـ باعتقادهم بأن يهوه هو الحاكم الفعلى لهم وأن الملك المعين هو مجرد أداة يهوه لينفذ مشيئته على الأرض ، ومن هنا ربط الأنبياء بين الخلاص وبين حكم يهوه كملك وحاكم فعلى لبنى اسرائيل ، حين يكشف عن نفسه للجميع ويظهر يوما ما كملك منتصر يجمع شعبه المشتت ، ويدمر أعداءه ويقيم نظاما جديدا مثاليا بكل ما فيه ، ذلك اليوم الذى

---

٤ ـ صموئيل الأول الاصحاحات من ١٦ : ٣٠ تشتمل على تعيين الملك داود واختيار يهوه له
٥ ـ يتضمن سفر صموئيل الثانى حروب الملك داود وتأسيس المملكة .
٦ ـ سفر الملوك الأول الاصحاحات ١١ ـ ١٣ .

٧ ـ راجع الفصل السابق
٨ ـ انظر الفصل الثانى

يظهر فيه هو ما يعرف عند الانبياء باسم يوم يهوه أى يوم الرب والذى على ضوئه يكمن فيهم الغموض الذى يحيط بمفهوم الخلاص عند بنى اسرائيل .

يوم يهوه أو « يوم الرب » [٩] :

يحدثنا أنبياء بنى إسرائيل عن مجيء يوم يهوه ، أى يوم الرب ، وهو اليوم الذى يحل فيه عقاب يهوه على الآثمين من بنى إسرائيل أو ممن تسببوا فى اضطهادهم من الوثنيين ، وهو أيضا اليوم الذى ينتصرون فيه على أعدائه ، وتنتشر فيه السعادة ثم يسود السلام بين الشعوب .

على أعدائه ، وتنتشر فيه السعادة ثم يسود السلام بين الشعوب .

وعلى ضوء قراءتنا لأسفار الأنبياء يمكن تحديد العناصر الرئيسية المكونة ليوم الرب فيما يلى :

١) عقاب يحل على بنى اسرائيل بسبب خطيئتهم فى حق يهوه ، وعبادتهم لآلهة غيره ، وهو عقاب يشمل الأثمين والقضاة والظالمين الذين لم ينصفوا الأرامل واليتامى [١٠] حتى الملوك والكهنة يحل عليهم عقاب الرب أيضا لأنهم لم يراعوا حقوق الرب [١١] .

٢) عقاب ينزله الرب على الشعوب الأخرى من عابدى الأوثان فيمن إضطهدوا إسرائيل وتسببوا فى سبيهم وشتاتهم [١٢] .

---

٩ ـ ورد فى العهد القديم تعبيرات اخرى للدلالة على يوم الرب (يوم يهوه) وهى تحمل نفس المعانى المتضمنه فى يوم يهوه ، وهى : ذلك اليوم كما ورد فى عاموس ١١/٩ و ٩/٨ و ١٣ وغيرها وهو شع ١٦/٢ ، ١٨ واشعياء ٢٠/٢ و ١٨/٣ و ٢/٤ و١٨/٧ و ١٢/١ ، ٤ وارمياء ٩/٤ و ٧/٣٠ وصفينيا ٩/١ و ١١/٣ وعوقديا ٩/١ و ١٥ وزكريا ١١/٢ و ١٠٠/١٢ وغيرها كثير . او ايام تاتى ارمياء ٥/٢٣ ٣/٣٠ و ٢٧/٣١ و ٠٠٠٣٨ ، واشعياء ١١/٤ وملاخى ١١/٤ ... وغيرها .

ـ او اخرة الأيام كما ورد فى هوشع ٥/٣ وارميا ٢٤/٣٠ وحزقيال ٦/٣١ وميخا ١/٤ واشعياء ٢/٢ .. وغيرها .

أما تعبير يوم يهوه او يوم الرب فهو التعبير الاكثر شيوعا بين اسفار العهد القديم نذكر على سبيل المثال : عاموس ١٨/٥ واشعياء ١٢/٢ و ٦/١١ و ٩ و ٦/٨ وحزقيال ٣/٣٠ ويوئيل ١٥/١ و ٣/٣ و ١/٢ و ١٤/٤ وصفينيا ٧/١ و ٨ و ٢٤ و ٢/٢ و ٤/١٠ ، وعوقديا ١٥/١ .. وغيرها كثير .

١٠ ـ ارمياء ٧/٣٠ وعاموس ١٠/٨ و ١٤ واشعياء ٢٣/٥ .. وغيرها كثير .

١١ ـ هوشع ٧/٩ ـ ٠٩ ارمياء ٩/٤ وميخا ٣/٣ ـ ٤ وصفينيا ٩/١ و ١٥ .. وغيرها وعقاب على كل اسرائيل ميخا ٤/٢ و ١٢/٧ وزكريا ١١/١٢ و ١٤/١٤ ويوئيل ١٥/١ وغيرها .

١٢ ـ ارمياء ١/٥٠ ـ ٤ و ٧ ـ ٩ واشعياء ٢٦/٣ و ١٧/٧ و ١٨ و٥/١٠ وميخا ١٠/٥ وصفينيا ١٨/١ وحزقيال ١٠/٣٠ ـ ١٩ وزكريا ١٤/١٢ ويوئيل٢/٢ وغيرها .

٣) خلاص اسرائيل من أعدائها ومضطهديها [١٣] ، والعودة من السبى واستعادة مملكة داود ، واعتراف كل الأمم بمجد أورشليم [١٥] .

٤) إنتشار نوع من السعادة والرخاء على الأرض كلها التى يسودها السلام وتزداد ثمارها وينعم الجميع بالسعادة[١٦] .

وكان لاحتواء « يوم يهوه » يوم الرب على الأفكار السابقة سببا دعا بعض العلماء للربط بين مجيء عصر الخلاص وبين ذلك اليوم ، كما حاولت مجموعة أخرى منهم ـ كما سنرى ـ الربط بين ما يعرف بالاسكاتولوچى Eschatology ويعنى الآخرة أو عصر النهاية أو فلسفة الحشر والنشر[١٧] ، وبين نبوءات يوم الرب عند الأنبياء ، وتلمس وجوده فى أجزاء أخرى من العهد القديم . وهو ما سنقوم بتوضيحه هنا محددين علاقة يوم الرب بفكرة الخلاص فى العهد القديم .

---

١٣) ـ عاموس ١٤/٩ وزكريا ١٦/٩ واشعياء ٢٧/١٠ و ٢٥/١٤ وارمياء ٨/٣٠ و ٨/٣١ وحزقيال ٢٧/٣٤ و ٤٢/٢٠ و ٢٥/٢٨ و ٢٨/٣٦ و ١٣٧ و ٢٥ و ٢١ وميخا ١٩/٧ .

١٤) ارمياء ٨/٣٠ ـ ١٠ عاموس ٢/٩ و ١٤،١١ و ١٥ اشعياء ٢١/١ وزكريا ١٠/١٠ هوشع ٥/٣ وحزقيال ٢٣/٢٤ و ٢٣/٢٧

١٥) اشعياء ١٦/٥٩ ـ ١٩ و ١٣/٤١ و ١٢/٥٨ و ١٠/٦٠ ويوئيل ١٩/٣ و ٢٠ وميخا ١/٤ ـ ٤ وغيرها وحزقيال ٢١/٣٩ وزكريا ٨/٨ و ١٣/١٢ و ٩/١٤ و ١٦ و ١٧ و ٢٠ وغيرها .

١٦) زكريا ١٠/٣ يوئيل ١٨/٣و ١٩ واشعياء ٤/٢ و ٦/١١ ـ ٩ ، وهوشع ٢٢/٢ و ١٠/٩ ـ وحزقيال ٢٥/٢٤ وغيرها .

١٧) إختلف الباحثون على مر العصور حول تعريف لفظ اسكاتولوچى Eschatology وتحديد الأفكار المتضمنة فيه ، واصطلحوا أخيرا ـ كما يقول مونكل فى كتابة He That Gometh ص ١٣٠ ـ ١٢٥ على أنه لفظ يطلق على مجموعة من الأفكار حول زمن النهاية كما تتضمن أيضا اعتقادا ثنائيا عن مسار التاريخ ، وهذا يعنى أن نظام العالم الحالى سينتهى فجاة ، ثم يتلو ذلك عالم أخر ، ذو طبيعة مختلفة تماما ، فالأرض ، والسماء ، والكون كله سيلقى فى بوتقة ليصهر كله ويتم تطهيره ، ثم يظهر عالم جديد يتميز بكمال كل شيء فيه ، وبقاء هذا الكمال إلى الأبد دون أى فساد يطرأ عليه بعد ذلك مطلقا . وبكل تأكيد ، لن يتم هذا من خلال قوة بشرية ، أو فى مسار التطور التاريخى التدريجي للوجود ، أو حتى من خلال عمل عقلانى ممكن تصوره ، بل أن أساس ذلك التغيير هو وجود كارثة مدمرة فى طبيعتها ، تحدثها قوة الهية خارقة ويتضمن الاسكاتولوچى أيضا أفكارا أخرى عن البعث والقضاء الأخير والثواب والعقاب والجنه والنار (راجع دائرة المعارف البريطانية المجلد الثامن مادة Eschatology

ويعتقد عدد كبير من الباحثين ـ راجع — He that Gometh P . 125 — 13O ان بعض العناصر المكونة للاسكاتولوچى كانت منتشرة عند جميع الشعوب فى العصور البدائية ، كما أنها تظهر بوضوح فى ديانات شعوب الشرق القديم ، وأن هذه الأفكار والمبادىء الأولية قد تطورت تحت تأثير الديانة الفارسية التى كانت تتضمن منذ البداية فكرة الثنوية (انظر الباب الثانى الفصل الأول) اى أن الوجود يتكون من عالمين : العالم الحاضر ويحكمه الشيطان . والعالم القادم ويحكمه الرب . وقد ظهرت هذه الأفكار عند بنى إسرائيل فى الآداب التى تنتمى إلى فترة ما بعد العهد القديم ، او ما يعرف باسم آداب عصر التلمود ، وتضمنت هذه الأفكار فى أدب الأبوكالبيس وهو ما سنتناوله فى الباب الثانى من هذا البحث .

أما فى العربية فيترجم هذا اللفظ الى الأيمان بالبعث أو فلسفة الحشر والنشر . ولكننا نفضل هنا استخدام لفظ اسكاتولوچى حتى لا يخلط القارىء بين الفكر الاسلامى عن البعث ويوم الآخرة وما قد يتضمنه لفظ اسكاتولوچى أو ما يحتويه من الأفكار المتضمنة فى آدب الأبوكالبيس (أى الأدب الرؤوى) من عناصر وثنية .. انظر أيضا الباب الثانى الفصل الأول الذى تناولنا فيه أدب الأبوكالبيس بإسهاب .

، فيتفق كل من حاييم زئيف هيرشيج [١٨] وآجلين Aglen ويوسف كلوزنر على أن أصل فكرة يوم الرب إلى آباء الامة القدامى ، وأن ذلك يتأكد ويعتمد على وعد

يهوه لهم بأن يكونوا شعبه المختار ، وما يحتويه هذا الوعد من خصوصية فريدة بين الرب وشعبه .

ويعتقد سلين Sellin بوجود علاقة قوية بين مفهوم الخلاص ويوم الرب ولكنه يرى أن تلك الأفكار تظهر عند بنى إسرائيل منذ تجلى الرب لموسى وظهوره له فى جبل سيناء [٢١] .

ويعارض فريق آخر من الباحثين ـ نذكر منهم هولشر Holsher وجينزبرج Ginzeberg٢٢ ـ وجهة النظر السالفة التى تربط بين الخلاص مع الأسكاتولوچى واعتباره مفهوماً نشأ منذ عصور الأباء ، ويتمسكون بأن مفهوم الخلاص المسيحانية ، لم يظهر بين بنى إسرائيل قبل قيام الملكية ، كما أنه لم يصبح مفهوما مؤثراً إلا بعد انهيار الملكية وبعد أن فقدت مملكتا إسرائيل ويهوذا استقلالهما أى منذ عام ٥٨٦ ق . م .

ويعتمد أصحاب هذا الرأى على أن معظم أسفار الأنبياء لاتحتوى على أى رسائل تتضمن معانى الاسكاتولوجى ، بل هى أقوال تتعلق بالوضع التاريخى المعاصر ولا تتحدث عن مجىء الخلاص فى مستقبل بعيد يشير الى نهاية الوجود كله .

لكن يقف فى مقابل الرأى السابق عدد كبير من الباحثين مثل جرسمان [٢٤] . وحاييم زئيف وستارك وجارمياس واوستورلى [٢٥] ، وجون برايت ٢٦ . فيعتقدون أن أنبياء القضاء كانوا على معرفة بالاسكاتولوجى

---

١٨) دائرة المعارف المقرائية الجزء الأول صفحة ٢٣٢ .

19) Aglen.A.S Escatology : The Enc .Britanica,London 1898 — 1899 . Vol . 8 P . I7I

٢٠) نفس المرجع السابق

21) Klausner : Eschatology Articlein the Enc . Judica Vol 6 p . 873 .

22) ginzberg : Jewish Enc . Vol . i p . 627 .

24) Gressman : The sources of Israel, s Messiah american Journal· 1973, P· 175·

25) Mowinckel : Hethat Gometh, P . 129 — 131 .

26) Bright, J . : A History of Israel Pheladelphia U . S . A . 1952 P . 482 .

وأنهم قد أخذوا منه نقطة بداية لنبوءاتهم بعد تعديله ، ثم قاموا بتطبيقه على المواقف والأحداث المعاصرة .

ويتلخص رأى جرسمان فى أن كثيرا من شعوب العالم القديم قد عرفت نوعا من الاسكاتولوجى ، حيث كانت تتعرض فى تاريخها لكوارث مدمرة تسببها الزلازل والعواصف ، والحرائق الهائلة والفيضانات وسنوات القحط ... ، وفى نفس الوقت كانت فى قلوب كافة الشعوب روح طيبة ، فيتنبئون بانتهاء هذه الحالة ، وبسقوط الأمطار فى المستقبل وعودة الحياة الهادئة وأن الخير والبركة سيسود كل أعمال البشر ، وكان هذا الاسكاتولوجى سائداً منذ زمن قديم ، وتنتشر فيه نبوءات كثيرة تعلن إعادة ميلاد للكون كله ، وهو الميلاد الذى سيسبق بكارثة مروعة عالمية ، يتبعها العصر الذهبى ، وكانت إعادة ميلاد الكون شيئا مؤكدا لهم ، كتأكدهم من عودة الربيع بعد الشتاء وعلى ذلك فإن هذه الأفكار كانت موجودة بين بنى إسرائيل منذ زمن طويل ، قبل القرن الثامن قبل الميلاد ، ثم أضيف اليها عنصران آخران هما الكارثة ، ويشير إليها الأنبياء [٢٧] بدمار العالم ، والخلاص ويقصدون به عصر السعادة [٢٨] .

لكن هناك حقائق هامة تقف فى مواجهة هذه النظرية :

اولا : لم يتضح حتى الآن أى أثر لاسكاتولوجى شرقى عام الذى تفترض هذه النظرية وجوده فى بابل وآشور أو حتى فى مصر . وقد عارض جرسمان نفسه وجود اسكاتولوجى فى مصر ، كما ينكر كل من ڤون جال Vongal وجيرمياس وستارك وسيلين [٢٩] وديور [٣٠] وجود اسكاتولوجى فى مصر أوبابل .

ثانيا : يعارض نظرية جرسمان أيضا أن كثيرا من أنبياء السبى قد ربطوا بين المصير السيىء ومفهوم الخلاص فى وحدة عضوية واحدة ظهرت فى فكرتهم عن صورة عالم المستقبل المتضمن فى يوم الرب .

ويرى ازادور ابستين أنه بالرغم من الأوصاف المثالية التى وصف بها الأنبياء عالم المستقبل ، فإنهم لم يجعلوا منه شيئا مثاليا خارقا ، كما أنه لا يتضمن أى معانى للاسكاتولوجى فالأشارات الواردة فى العهد القديم تهتم بصورة أساسية بالمستقبل الذى سيتحقق على هذه الأرض [٣١] .

---

٢٧) كارمياء واشعياء وميخا وصفينيا . راجع العناصر الرئيسية المكونة ليوم الرب .

28) Lords, A . : Israel From its Begining to the Middle Of the 18 th Century, London, 1962, P . 473

29) Sarachek : The Doctrne of the Messiah in Medieval Jewish literture, Herman Press, n . Y , 1968 P . 4 .

30) Mowinckel : He thah Cometh . P . 127

31) Epstein, I : Judaism, A· Histiry of prescntaion Benguinc Book, 1974, P· 62·

مما لاشك فيه ان البحث فى وجود جذور « للاسكاتولوجى » عند بنى اسرائيل يواجه بمشكلة يصعب ـ بل يستحيل ـ حسمها فى الوقت الحالى ، ذلك لأننا لا نملك أى دليل قاطع الآن يثبت ما إذا كانت التنبوءات عن الكارثة أو الخير المتضمن فى المستقبل المثالى هى أقوال جاءت حقا على لسان عاموس ، وهوشع ، واشعياء ... وغيرهم ، أم أنها صدرت عن حوارييهم فى فترة متأخرة عنهم بسنوات طويلة ـ أى فى مرحلة النقل ـ وربما أضيف إليها أثناء ذلك بعض الأفكار الجديدة أو على الأقل أنها حورت بطريقة ما لتتناسب مع أفكار زمن تدوينها .

واعتمادا على ذلك نقول أنه بالرغم من أننا لانملك إجابة محددة وقاطعة عما إذا كانت كل الوعود التى صدرت عن أولئك الأنبياء وحوارييهم قد وصلت إلينا بطريقة

صحيحة ، فإن أسفار العهد القديم توضح لنا أن أولئك الأنبياء قد استخدموا نمطا للتنبؤ بالمصير الحسن والمستقبل المشرق الذى سيحققه حكم ملك جديد هو فى الواقع أداة لتحقيق مشيئة وهدف يهوه لخلاص شعبه من المصير السيىء الذى وقع فيه .

وبناء على ذلك نوضح هنا أن دراسة الأفكار الواردة فى نبوءات الخير والمصير الحسن فى أسفار الأنبياء يجب أن تتم فى كل سفر بناء على دراسة خاصة إعتمادا على زمن كتابتها وخلفيتها التاريخية ، لا أن تجمع كلها فى وحدة واحدة ، وتوضع تحت عنوان واحد على أنها نبوءات تشير الى أمل المستقبل الاسكاتولوجى ، وهو ما قام به كل من كلوزنر (٣٢) وحاييم زئيف [٣٣] وهيرشبرج [٣٤] ..

يقول مونكل : أصبح مؤكدا الآن لدى جميع العلماء المحدثين ، وبعد دراسة نقدية لأسفار العهد القديم من الجيل السابق من الدارسين ، أن عقيدة بنى إسرائيل فى صورتها العامة لا تحتوى على أى اسكاتولوجى ، كما أننا لم نجد بين أقوال الأنبياء ما يعتبر دعوة للاسكاتولوجى ـ بمعناه المتكامل ـ فاسفارهم لا تتضمن أكثر من معلومات عن الاسكاتولوجى الشعبى العام الدارج على الألسنة ، كما لم يكن دينهم إلا دينا للحياة فى هذا العالم وعلى هذه الأرض لا علاقة له بمثل هذه الأفكار عن يوم الآخرة. [٣٥] .

وهنا نتساءل : ما هو ذلك العالم المثالى المستقبلى الذى أشار إليه الأنبياء على أنه سيجلب معه عصر الخلاص والمملكة المسيحانية ؟

---

٣٢) العقيدة المسيحانية فى أرض اسرائيل صفحة ٢١ .
حيث يرى كلوزنران جميع أنبياء إسرائيل يشيرون إلى الاسكاتولوجى .

٣٣) دائرة المعارف المقرائية : آخرة الأيام الجزء الرابع ص ٢٣٢ .

٣٤) نفس المرجع السابق ص ٢٣١ .

35) Mowinckel : He that Cometh, P . 273 .

لقد أثبت لنا البحث فى أسفار العهد القديم أن أنبياء بنى إسرائيل كانوا يشيرون فى نبوءاتهم الى الوضع التاريخى الذى يعيشون فيه ، ويصبون اهتماماتهم على الوضع السياسى المعاصر لهم ، وإنهم قد تنبئوا أيضا بالمستقبل ، لكنه المستقبل القريب الذى ينبع من داخل الواقع الموجود .

وكانوا يفسرون كل ما يحدث حولهم على أنه من إدارة الرب للعالم ، وأنه قد أرسلهم للتبشير بما سيفعله بعد ذلك .

فقد تحدث الأنبياء عن الدمار والكارثة كما تحدثوا عن عودة بنى إسرائيل واستعادة المملكة المنهارة ، وأصدروا نبوءات تتضمن هذه والتوقعات لكنها لا تنتمى للاسكاتولوجى بمعناه المتكامل ، أى بما يتضمنه من معان عن يوم الآخره أو فلسفة الحشر والنشر التى عرفت فيما بعد كما سنرى [٣٦] .

فالكوارث التى تحدث عنها الأنبياء ليست شاملة للعالم بأثره ، بل أنهم كانوا دائما يؤكدون على أن هذه الكارثة تتحدد بصورة خاصة فى غزو الاشوريين والبابليين لبلادهم ، وكان هذا بالنسبة لهم الكارثة الكبرى التى ستنتهى عالمهم الخاص .

كما تحدث الأنبياء عن الدمار القريب لمملكة اسرائيل على يد الأشوريين والبابليين بتوجيه من يهوه نتيجة لآثامهم وأشرارهم ، لكنهم لم يؤكدوا دائما على دمار العالم بأثره ، فأسفارهم تشير إلى أن الأشوريين والبابليين مستمران فى الوجود بعد دمار إسرائيل [٣٨] .

ومن ناحية أخرى تؤكد النبوءات على أن الدمار سيحدث فى هذا العالم ، وأن الخلاص أيضا سيكون فى هذا العالم [٣٩] ، وهذا كله لا يتضمن فكرة نهاية العالم الحاضر .

---

٣٦) انظر الفصل الاول من الباب الثانى

٣٧) يشير اشعياء (٢٥/٦ ـ ٨) الى حدوث كارثة عالمية يفنى فيها العالم كله ، ويؤكد جمهور من باحثى العهد القديم على أن هذه الفكرة انما جاءت تحت تأثير الديانة الفارسية ، وهو ما سنشير اليه بوضوح فى الباب الثانى .

٣٨) ارمياء ٢٥/١١ ـ ١٤ و ٢٩/١٤ واشعياء ٢٣/١٥ .

٣٩) اشعياء ٢٢/٢٠ ـ ٢٥ و ٤/٢ ـ ٦ و ٧/٢١ و ١٠/٢٠ و ١١/١١ و ١٦ واصحاح ١٢ و ٢٠/٦ و ٢٣/١٥ و ٢٧/١٣ ـ وهوشع ٣/٤ ، ٥ .

فعاموس وارمياء ينصان صراحة على أن الرب سيبيد المملكة الخاطئة عن وجه الأرض غير أنه لن يبيد بيت يعقوب تماما [٤٠] .
واشعياء يتحدث عن البقية الباقية من بنى إسرائيل التى ستعيش فى التاريخ [٤١] .

أما ارمياء فيفصح عن إستمرار حياتهم بعد السبى وذلك فى التاريخ القادم[٤٢] .

وهى ـ كما نرى ـ عناصر تبتعد عن الاسكاتولوجى الذى يرجع كل شىء إلى العالم الآخر ونهاية الأشياء كما تتأكد فيه شمولية الكارثة لكل العالم .
ويتضح منها أيضا أن أفكار الأنبياء عن النهاية إنما ترجع إلى الأفكار البدائية التى كانت منتشرة بين كافة الشعوب القديمة عن انتشار الكوارث المدمرة . ثم عودة الحياة إلى كل مظاهر الطبيعة مرة أخرى .
وقد أكد سراشك sorachek أن أسفار العهد القديم بصورة عامة لا تتضمن إسكاتولوچى « ذلك لأن أجزاء كثيرة منها تشير إلى مستقبل غير محدد ، كما تتحدث عنه بابهام وغموض . أما أسفار الأنبياء خاصة ، فبالرغم من أن عديدا من النبوءات الواردة فيها توصف بصورة مثالية وفوق طبيعية أحيانا وذلك عندما تشير إلى « يوم الرب » فإن هذا المستقبل يتحدد فى دائرة الرائى والمستمع العادى والواقع الذى يعيشان فيه وأن الفاظ « النهاية » و « آخرة الأيام » وما تتضمنه من أفكار إنما تعود إلى آداب عصر التلمود » [٤٣] .

وقد أكد سراشك Sarachek أن أسفار العهد القديم بصورة عامة لاتتضمن إسكاتولوچى ذلك لأن أجزاء كثيرة منها تشير الى مستقبل غير محدد كما تتحدث عنه بابهام وغموض . أما أسفار الأنبياء خاصة فبالرغم من أن عديدا من النبوءات الواردة فيها توصف بصورة مثالية وفوق طبيعية أحيانا وذلك عندما تشير إلى « يوم الرب » الا ان هذا المستقبل يتحدد فى دائرة الرائى والمستمع العادى والواقع الذى يعيشان فيه وأن الفاظ « النهاية » و« آخرة الأيام » وما تتضمنه من أفكار إنما تعود إلى آداب عصر التلمود[٣] .

---

٤٠) عاموس ٩/٨ وارمياء ٣٠/٧ .
٤١) اشعياء ٤/١ ـ ٤ و ١١/١١ و ١٦ . وارمياء ٣٠/٧ و ٣٢/١٥ و ٢٤/٢٩٠ وميخا ٧/٧ وصفينيا ٢/٩ و ٥/٢ ـ ١٥ .
٤٢) ارمياء ٢٤/١٠ ٠/

43) Sarachek : The Doctrine of the Messiah in Medieval Jewish Liteature · Herman Press · N · Y 1968 · P · 18

ويبدو أن الأساس الذى يعتمد عليه من يؤكدون على وجود الاسكاتولوچى عند الأنبياء هى الأشارة الواردة فى عاموس [٤٤] عن اولئك الذين ينتظرون يوم يهوه .

وقد أوضح هولشر وأيده عدد كبير من الباحثين أن يوم يهوه الوارد فى عاموس يرتبط ارتباطا وثيقا بيوم تجلى يهوه فى الاحتفال برأس السنة الجديدة وهو ماتوضحه الآيات التالية لنبوءات عاموس عن يوم يهوه فى نفس الأصحاح [٤٦] .

ومن المحتمل أن أساس هذا الارتباط الدينى الذى حدث على مر العصور بين تعبير يوم يهوه ـ أى اليوم الذى يتجلى فيه يهوه فى الأحتفال برأس السنة ـ وبين انتظار حظ أفضل ومستقبل أحسن ، يعود إلى ما كان يمر به كل عام بنو إسرائيل أثناء الاحتفال بيوم تجلى يهوه فى رأس السنة ، حيث كان الناس يحتفلون بحضور يهوه وانتصاره على الأعداء ونهاية الازمات وتحقيق السلام ، وهو احتفال كان يتكرر فى كل عام ، وحينما كانوا يقعون فى محنة ، فإنهم كانوا يتطلعون إلى مجىء يوم من أيام يهوه القادمة التى ستحمل معها النصر وتحقيق السلام وتغيير المصير السيىء إلى مصير أحسن .

ومع كثرة تعرض بنى إسرائيل لمثل هذه الهزائم المتكررة ، وكثرة انتظارهم وتطلعهم إلى قدوم يوم يهوه ، وتكرار هذا الانتظار ، ومع تكرار الحوادث الجسام ، فقد بدأ الفصل بين « يوم يهوه » بمعناه السياسى ، أى الانتصار على الأعداء وهم الاشوريون والبابليون بصفة خاصة ، وهكذا تحول هذا الأمل إلى إنتظار وتوقع يوم يهوه الذى ينتصر فيه على المغيرين أويخلصهم من إضطهاداتهم ، ويحقق لهم النصر .

---

٤٤) عاموس ٥/١٨ .

٤٥) نذكر منهم على سبيل المثال

Black, A . ch : Eschatology . Ency . Britanica Vol . 8, P . 536 .

Sarachek : The Doctrine of the Messiah in Medieval Jewish Literature . P . 18 — 19 .

Mowinckel : He that Gometh . P . 280 .

٤٦) عاموس ٥/٢١ ـ ٢٢ .

مفهوم أمل الخلاص في العهد القديم وعلاقته بيوم يهوه

أثبتنا على الصفحات السابقة أن أسفار الأنبياء لا تحتوى على عناصر الاسكاتولوچى بمعناه المتكامل الذى عرف فيما بعد بعصر النهاية الذى ينتمى إلى العالم الآخر ، والذى لم تدرج عناصره فى اليهودية إلا فى فترة أدب التلمود كما سنرى [٤٧] وأن مجموعة العناصر المتضمنة فى يوم يهوه عند الأنبياء لا تتعدى تلك المبادىء البسيطة الأولية عن الاسكاتولوچى المنتشرة عند بقية الشعوب الأخرى عن عودة الحياة إلى مسارها الطبيعى وعطائها السخى مرة أخرى بعد فترات الدمار والكوارث الطبيعية ، وأن فكرتهم عن ذلك كانت تتحدد بمجىء ذلك اليوم فى المسار الطبيعى للتاريخ ، ووقفنا على أن المستقبل الذى أشار اليه الأنبياء إنما كان ذلك المستقبل الذى يقع في دائرة كل من النبي وبنى إسرائيل .

وكانت الفكرة الشائعة عند الأنبياء هي أن دمار مملكتي إسرائيل ويهوذا وهزيمتهما على يد الأشوريين والبابليين نتيجة لعصيان بنى اسرائيل للرب وتركه طرقه وشرائعه .

وكان عاموس من بنى إسرائيل أول من أعلن أن هذا الدمار شديد القسوة وأنه دمار غير مشروط ولايرتبط بالتوبة [٤٨] .

بينما نجد فى اشعياء فكرة جديدة هى أن البقية الباقية منهم ستتحول مرة أخرى للأيمان وسيتم إنقاذها .

وكان الأيمان بالعهد بين بنى إسرائيل وبين يهوه ، واختياره لهم اشعياء الى الأبد ، هو العنصر الذى تأسس عليه هذا المبدأ الجديد عند اشعياء الذى كان يؤمن بأن الرب لن يترك شعبه يفنى بل سيمنحه مستقبلا أفضل .

وكان هذا الأيمان بالأختيار يصور بطريقة ساذجة ، حتى أنهم كانوا يعتقدون أن يهوه مرتبط بشعبه لدرجة لا يستطيع معها أن يتخلى عنهم . ثم تطورت هذه الفكرة إلى صورة أكثر تهذيبا عند اشعياء الذى كان يعلم أن لدى يهوه القوة والأرادة فى تنظيم الأحداث لتأكيد اختياره لشعبه[٤٩] ، وأن كثيرا من بني إسرائيل قد تخلوا عنه بعباداتهم لآلهة شعوب أخرى ، ثم يجاهد اشعياء ليعيد بعضهم لعبادة يهوه واتباع طرقه مرة أخرى ، حتى تصبح البقية الصالحة شاملة على عدد كبير[٥٠] .

---

٤٧) انظر الباب الثانى الفصل الأول الثنوية

٤٨) عاموس الاصحاح التاسع .

٤٩) اشعياء ١٣/٢٨ ، ١٧

٥٠) اشعياء ٩/١ ، ١٦ - ١٦/٢٨،١٩

ولم يتخل الأنبياء الذين تنبئوا بعد اشعياء عن هذا الأيمان ، فنجده مرة أخرى فى كتابات ميخا [٥١] وصفينيا [٥٢] وناحوم [٥٣] وحيقوق [٥٤] .

كما عاشت فكرة الخلاص أيضا حتى بين أولئك الذين أعلنوا الدمار غير المشروط ، فقد أعلن أرمياء ـ بعد أن رجحت كافة الحروب لصالح البابليين ـ أن أورشليم ستخلص بمجرد أن تغسل قلبها من الشر[٥٥] ، كما أعلن أن الناس سيشترون البيوت والحقول والكروم فى هذه الأرض مرة أخرى ، ثم ربط هذه الفكرة باولئك الذين ذهبوا إلى بابل وأنهم سيكونون البقية الصالحة التى سيخرج الرب منها التائبين والصالحين من بنى إسرائيل .

ومنذ كارثة دمار المعبد الأول على يد البابليين عام ٥٨٦ ق . م . والتى كان لها اثار عميقة فى تاريخهم أصبحت فكرة الخلاص عنصرا ثابتا فى رسالة الأنبياء الذين تطلعوا إلى أى مظهر فى التاريخ المعاصر لهم من شأنه أن يغير من الحظ السيىء والمصير المظلم حتى وهم لا يزالون تحت سيطرة البابليين .

فأكد اشعياء (٥٨) أن الرب سيخلص شعبه على يد الميديين الفرس .

كما أكد حجى (٥٩) وزكريا (٦٠) آساسا على إستعادة مملكة داود .

ويؤكد لنا ذلك أن فكرة الأنبياء عن الخلاص وتطلع بنى إسرائيل لهذا الخلاص ، قد نبعت نتيجة للظروف السياسية التى شهدتها المملكتان .

فقد رأى الأنبياء أن نبوءاتهم بالدمار والسبى قد تحققت بالفعل نتيجة لأثامهم وتركهم شرائع يهوه ، وذلك بعقابهم على يد الغزاه ، وأصبحت مهمتهم بعد ذلك تهدف إلى القيام بعمل إيجابى .

فكان هدف نبوءات الخلاص ـ الذى سيسبق بتدمير قاس ـ هو استخدام التجارب العملية لتحقيق توبة شاملة ولكى يعود بنو إسرائيل إلى إيمانهم الصحيح ويتخلصوا من الوثنية .

---

٥١) ميخا ٧/٧ ، ٨/٤ ـ ١٣ .
٥٢) صفينيا ٩/٣ ـ ١١ ، ١٣/٢ ـ ١٥ .
٥٣)ناحوم ٢/٢ .
٥٤) حيقوق ١٣/٣ .
٥٥) ارمياء ١٤/٤ .

٥٦) ارمياء ١٥/٣٢ .
٥٧) ارمياء ٤/٢٤ ، ٧ و ٢٩ / ١٠ ـ ١٤ .
٥٨) اشعياء ١/٤٤ و ١٤٣/ ١ ، ٨ واصحاح ٤٥ .
٥٩) حجى ٩/٣ .
٦٠) زكريا ١٠/٦ ـ ١٣ و ٦/٤ و ٦ و ٨ و ١٣ و ١٥/٢

وبناء على ذلك يمكن أن نحدد هدف نبوءات الخلاص في عنصرين رئيسيين : أولا : تحقيق توبه بني إسرائيل ، وهو هدف يميز رسالة حزقيال واشعياء وملاخي ، وقد أكد هؤلاء الأنبياء بصورة أساسية على الدمار والعقاب . ثانيا : الحيلولة دون سقوط بني إسرائيل في مزيد من الوثنية والإنحطاط واليأس ، وهي فكرة شائعة عند جميع الأنبياء .

لكن مفهوم الخلاص بهذه الصورة يبدو لنا على أنه مجرد فكرة بسيطة تتحدد في كونها أملا في الخلاص من الأعداد والانتصار عليهم وما يتبع هذا الانتصار من حياة سعيدة بكل معانيها ، وهو أمل وجد من قبل بين بقية الشعوب الأخرى ولايزال موجودا بالطبع .

وحتى إذا حصرنا حديثنا عن حضارات الشرق القديم فيحدثنا تاريخ تلك الحضارات أيضا أنه كان لكل شعب منها دين قومي ورب قومي خاص ، وكان رضاء هذا الرب أو غضبه يجلب الحظ الحسن أو السيء على عابديه . وقد فقد العديد من تلك الشعوب أوطانهم ومرت عليهم عصور تميزت بالفشل أو المحن السياسية والاقتصادية وقد تطلعوا أيضا للخلاص من تلك الأوضاع وعلقوا على أبطالهم القوميين[٦١] . مثل ذلك النوع من الأمل الذى وجدناه عند بني إسرائيل ، لكن مفهوم الخلاص لم يستمر في أى حضارة منها لفترة تلك السنين الطويلة حتى أصبحت ترتبط إرتباطا وثيقا بالدين كما حدث عند بني إسرائيل .

وهنا نأتي الى دور الأنبياء في المحافظة على هذا المفهوم حيا في الأذهان ، فهم الذين ربطوا فكرة وعد يهوه لبني إسرائيل بأن يكونوا شعبه المختار بمفهوم الخلاص وأن الرب (يهوه) كفيل بخلاص شعبه من اعدائه ومضطهديه .

يقول جنيبير Guignebert يبدو أن اليهود في عصر النبي عاموس قد خلطوا بكثير من الدهاء قضيتهم بقضية الله ، فهم ينتظرون يوم الرب ليحمل لهم إنتصار شعب الله المختار على الأمم الأخرى التى ستكون قد دانت لهم بالخضوع .

ومن ناحية فقد رأينا أن الملكية منذ نشأتها كانت مرتبطة بتحقيق وضع أفضل

---

٦١) راجع كتاب سبتيتو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة الذى يحدثنا عن اساطير الأبطال وقصصهم في ارض الرافدين في ممالك بابل واشور وفي سوريا القديمة حيث قامت حضارة الكنعانيين والآراميين وغيرها من الحضارات السامية القديمة ترجمة د . السيد يعقوب بكر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر .

Guigneber, ch : Le Monde Juife ver to temps de Jesus
P . 162 Œ

* نقلا عن د . حسن ظاظا . الفكر الديني الاسرائيلي اطواره ومذاهبه ص ١١٠ ـ ١١١ .

وكان هدف بنى إسرائيل من اتباع ذلك النظام هو تحقيق الوحدة بين القبائل على يد ذلك الملك الذى أملوا أن يقضى بينهم بالعدل ويخلصهم من الاعداء .

لقد كان لتجربة بنى إسرائيل مع الملكية أثر واضح على صياغة مفهوم عن الخلاص والمملكة المسيحانية فقد كان داود صاحب التجربة الأولى . بل تكاد ان تكون الوحيدة الناجحة فى تاريخهم فقد جمع أسباطهم التى كانت متناثرة على بعض أجزاء من أرض كنعان وأسسوا مملكة موحده لأول مرة فى تاريخهم ، وبالرغم من كونها لا تتمتع بنفس قوة وتنظيم واتساع مثيلاتها من ممالك الشرق القديم الأخرى المجاورة لها كبابل وأشور ومصر وبالتالى تواضعها الشديد وضآلتها بالنسبة لغيرها . إلا أن ذلك الوضع الجديد كان أفضل ، بصورة أو بأخرى عما كان عليه بنو إسرائيل قبل اتباع النظام الملكى .

كما كان لارتباط إسم داود بالملكية أثر آخر على مفهوم الخلاص ومملكته المسيحانية ـ ذلك لان الملكية منذ البداية ارتبطت بأسرة داود على أساس أنها الأسرة الوحيدة صاحبة الحق فى التعيين فى منصب الملك وهو الحق الكامن فيما يعتقد بنو إسرائيل من أن يهوه قد قطع عهداً مع داود وأسرته ببقاء المملكة من بعده [٦٣] وكان مجرد إفتراض سقوط هذه الأسرة بمثابة نقض لعهد يهوه ببقاء

الملكية . وهنا نجد انفسنا أمام وعد آخر من يهوه لهم ، ثم نجدهم يخلطون مرة أخرى بين قضيتهم ووجودهم بوجود يهوه وربهم الخاص . وهكذا نظر الأنبياء الى وعد يهوه لداود على أنه تأكيد آخر من يهوه لبنى إسرائيل على إختيارهم شعبا له وان يكون لهم ربا أبديا[٦٤] .

ومرة أخرى قام الأنبياء بتفسير كافة الظواهر السياسية والعسكرية المحيطة بهم وبشعبهم بناء على هذا الوعد ، فبالرغم من أننا نجد أولئك الأنبياء يصدرون نبوءات قاسية بدمار بنى إسرائيل والمصير السيىء الذى ينتظرهم نتيجة لأثامهم وتركهم الرب بعد إختيارهم شعبا له .. نجدهم يؤكدون انه قرر إنقاذهم فى المستقبل لأنهم شعبه المفضل المختار ، وهى فكرة تمسك بها جميع الأنبياء ويؤكد لنا هذا إلى أى مدى كانت العلاقة وثيقة بين مفهوم الأختيار ومفهوم الخلاص كما يوضح كيف حافظت النبوءة على مفهوم الخلاص بين بنى إسرائيل وبذلك أصبح الخلاص يتضمن جانبا دينيا ومرتبطاً به ارتباطا وثيقا .

---

٦٣) صموئيل الثانى ٢٣/٥٠
٦٤) اشعياء ٨١٤١ ـ ٠١٥

أما المضمون الدنيوى والمرتبط بالقوى الأخرى المحيطة بهم فيظهر بوضوح عند النبى إشعيا(٦٥) الذى رأى فى صراع كورش الفارسى مع البابليين ـ الذين سبوهم

من قبل ـ ثم انتصارات كورش عليهم ، هو انتصار ليهوه على اعدائه من مضطهدى إسرائيل .

فقد أصدر أشعيا أقواله فى مرحلة تميزت بهزائهم عسكرية متتالية لبنى إسرائيل وكان يعتقد أن نهاية المواجهة بين يهوه واعدائه الذين هم فى الواقع اعداء شعبه ، هى بمثابة تمجيد لمختاريه ، وبالتالى فإن انتصار من سينصرون شعبه المختار هو بمثابة انتصار ليهوه نفسه . لذلك نجد أشعيا يطلق على كورش الفارسى « ممسوح يهوه » بالرغم من أنه كان ملكا وثنيا لا يعرف يهوه .

لكن لايجب أن نهمل مطلقا ما أسلفناه ، من أن السبب فى تأكيد أن بدايات هذا المفهوم فى الأذهان إنما يعود إلى العصور المبكرة حيث كانوا يحتفلون كل عام بغيد تتويج يهوه(٦٦) حينما يظهر منتصرا على الأعداء ، وما كانت تحمله التجربة ، التى تتكرر كل عام ، من تأكيد على أن يهوه لن يتخلى عن شعبه المختار .

---

٦٥) لم يكن يهوه هو الاله الوحيد الذى مجد كورش لانه سمح لشعبه المختار بالعودة ، فقد اكتشف الأثريون فى ايران عمودا من الطين يحمل بيان كورش إلى البابليين للسماح لهم بالحرية الدينية وعبادة آلهتهم الخاصة وقد اسمى كورش نفسه فى هذا البيان بخادم مردوك إله البابليين العظيم وانه قد أختاره لحكم العالم كله وطلبه بالاسم .

راجع كتاب : تاريخ ايران القديم من البداية حتى نهاية العصر الساسانى : تاليف حسن بيرينا ترجمة د . محمد نور الدين عبد المنعم ود . السباعى محمد السباعى مراجع د . يحيى الخشاب مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٩ ص ٧٣ .

٦٦) يرجع أصل الاحتفال بظهور يهوه وتتويجه إلى الاحتفال ببداية سقوط المطر ـ فى فصل الخريف . بعد الانتهاء من جمع المحاصيل ومايتبع ذلك من ذبول للزرع وجفاف للتربة .. ونهاية لكل خيرات السنة بكل ما فيها .. وهنا يظهر يهوه باعماله الخارقة ، فيهزم قوى الفوضى .. ويعيد خلق العالم ، فيسقط المطر بعد موسم الجفاف وتنتصر الحياة على القحط .. وربما كانت تلك التجربة

المتكررة سنويا كافية لاعطائهم توقعات و اما لا فى مستقبل افضل ، وذلك من خلال ظهور يهوه ، فقد كانت شعائر وطقوس هذا الاحتفال تتميز بكثرة الوعود بالمجد الذى سيجلبه يهوه فى المستقبل (راجع مزمور ٨١ ، ٨٢ ، ١٣٢ و ١١٠) ، وكان آساس هذه الفكرة يعتمد على العهد بين يهوه واسرائيل .. وهو ما كان يؤكد ايضا على ان يهوه لن يتخلى عن شعبه ولهذا نجد انه منذ العصور المبكرة التى بدأ يظهر فيها تدهور المملكة ، وعندما حل الحظ السيىء بهم كان الأمل مرتبطا بيوم يهوه الذى سياتى ويحتفلون به ويجلب معه كل الخير (كما يظهر من عاموس ١٨/٥) ، ولم تكن هذه الفكرة خاصة بإسرائيل ، ففى كنعان كانوا يعتبرون انتصار ربة الخصوبة والحياة هو صراع الملك مع اعدائه لاستعادة مملكته ، حيث ان الملك ـ فى فكر كنعان ـ كان إلهاً فوق المملكة وهو الذى يعيد خلقها ـ راجع Frank F ort : Kingship and the Gods P . 250 وربما نقلت إسرائيل هذه الفكرة من كنعان بعد أن إستقرت فيها وطبقتها على يهوه .

كما لايجب إهمال إرتباط الخلاص بالملك القادم عند مسحه وتتويجه فى الاحتفال الذى يحضره والذى كان يقوم فيه كل من الأنبياء والكهنة بالقاء الوعود على الملك بأن يكون عصره أعظم من عصور سابقيه ، كما كانوا يعدونه بكل الحظ والثروة الملكية والبركة والقوة والشرف اللائق بابن يهوه [٦٧] . كما كان الملك الجديد بدوره يقوم بالقاء الوعود على أبناء شعبه وبأملهم فى أن يكون عصره عصرا للخلاص من الأعداء ونهاية لكل الآلام والكوارث السابقة .

وهكذا تمسك الأنبياء بهذا المفهوم لما يتضمنه معانى الخلاص من الفشل العام والهزائم العسكرية ولجأوا إليه فى محاولة منهم لتبشيرهم بمجىء الخلاص القريب إذا ماتابوا وعادوا إلى طرقه الصحيحة ونبذوا عبادة الأوثان .. وكانت هذه الوعود بالخلاص تتجدد على ألسنة الملول والكهنة والأنبياء مع كل ملك جديد يتم تنصيبه من أسرة داود حاملة عهد الرب (يهوه) بحفظ المملكة إلى الأبد .

وهكذا كان الاعتقاد بمجىء هذا الخلاص يتجدد فى الأذهان فى أيام المحن والهزائم وهو الفكرة المتضمنة فى الاعتقاد بمجىء يوم أخير ليهوه ليس ضروريا أن يأتى هذا العام ، بل ربما يأتى فى الأعوام المقبلة ، فهو سيأتى بعد عقاب بنى إسرائيل مباشرة على آثامهم وفسادهم فى الأرض ، أو ربما يأتى بدون عقاب .

ففى مقابل تلك الهزائم التى فسرها الأنبياء على أنها عقاب يهوه لبنى إسرائيل ، وبعد أن توعدوهم بالعقاب ، عادوا فوعدوهم ايضا بمجىء عصر الخلاص الذى يحمل معه حياة مثالية هى على النقيض تماما من تلك الكوارث والهزائم العسكرية وقد تبلورت صورة تلك الحياة المثالية التى سيحملها عصر الخلاص معه فى

المملكة المسيحانية والتى صاغوا فكرتهم عنها تحت تأثير تجربتهم مع مملكة داود مع إضفاء مزيد من المثالية عليها . فسوف يحمل معه ذلك العصر خلاص اسرائيل من اعدائها وعودة السبايا [٧٠] ، واستعادة أورشليم لمجدها واعتراف كل الأمم

---

٦٧ ٢ و ١١٠ و ٢١/٨٩ وصموئيل الثانى الاصحاح السابع .

٦٨) هوشع ١/٣ ـ ٥ راجع يوم الرب .
٦٩) اشعياء الاصحاحات ٤٠/٦٦ لا تتحدث عن عقاب مطلقا .
٧٠) ارمياء ٨/٣ ـ ١٠ عاموس ١١/٩ و ١٤ و ١٥ اشعياء ٢١/١٠ راجع يوم الرب .

بذلك حيث سيحكم الرب (يهوه) من هناك ، وقيام مملكة داود الموحدة (٧١). ودمار القوى الوثنية ، والخلاص الدينى والروحى لكل بنى اسرائيل (٧٢) ، كما نص الأنبياء .

صراحة على أن مملكة عصر الخلاص ستكون بصورة عامة شبيهة بمملكة داود- وهى فكرة شائعة عند جميع الأنبياء وتؤكد الأثر الذى أحدثته تجربتهم الواقعية مع الملكية على مفهومهم عن عصر الخلاص .

ولكن إذا سلمنا بأن فكرتهم عن المملكة وعصر الخلاص قد تأثرت بالواقع ، فماذا عن مسيح يهوه حاكم مملكة عصر الخلاص .

« المسيح اليهودى » : ملك عصر الخلاص :

رأينا فيما سبق كيف أثرت نظرة اسرائيل الدينية ومفهومهم عن يهوه على صياغة تجربتهم الواقعية مع النظام الملكى ومع الملك أيضا ـ فقد كان يهوه هو ملك بنى إسرائيل الوحيد ، وحاكم المملكة ، أما الملك ، فهو منفذ شريعته على الأرض ، وهو القناة التى تعبر منها بركات يهوه لشعبه ، كما أنه كان يمثلهم أمامه فى الطقوس .

وقد كان لذلك أثره الواضح على تشكيل فكرتهم عن المسيح اليهودى المخلص ، حاكم مملكة عصر الخلاص فالفكرة الشائعة والوحيدة عند الأنبياء هى أن يهوه هو ملك المملكة المحررة . وأنهم سيحتفلون بتتويجه ملكا فى مملكة الخلاص.

لكن لايجب أن ننسى أنه من وجهة النظر العملية ، فإن الملوك من أسرة داود هم الذين سيحكمون مرة أخرى فى المستقبل تحت رعاية يهوه ، تماما كما حدث فى مملكة الماضى .

ومن هنا كان الأنبياء دائما يتحدثون عن الملك المثالى من نسل داود ، الذى سيحكم المملكة المحررة كجزء أساسى من مفهوم الخلاص .

---

٧١) اشعياء ٦/١١و ٩/٧ ٧و٣/٤و٥/ ١٣و ٦ ١٢/٣ و ٦/٤١ وزكريا ٢١/١٤ راجع يوم الرب

٧٢) ارمياء ١٤/٢٩ و٠ ٣/٣ ، ١٨ و ٢٣/٣/١و ٤٤/٣٢و ٧/٣٣و ٢ و ٢٦ وحزقيال ٥٣/١٦ و ١٤/٣٩ و ٢٥/١٤٩ وهوشع ٢١ ويوئيل ١/٤ وعاموس ١٤/٩ وصفينيا ٧/٢ و ٢٠/٣ ومزمور ٧/١٤و ٥٣/ ٧و ٤٠/٢٦/٨٥ راجع يوم الرب .

٧٣) عاموس ١٨/٥ واشعياء ١٢/٢ وصفينيا ٨/١ و ١٤ و ٢/٢ واشعياء ٦/١٣ وحزقيال ٣/٣٠ ويوئيل ١٥/٢ و ٣/ ٣و١٤/٤ .

٧٤) اشعياء ٩/١١ وارمياء ٢٤/٣١ . راجع يوم الرب

وكان كل من الواقع التاريخى الذى عاشوا فيه ، وأسلوب حياتهم اليومية من أهم العوامل التى أكدت على هذا . فكان الاحتفال السنوى بتجلى يهوه ، إحتفالا يتم كل عام وكان بنو إسرائيل يتوقعون أن يؤدى يهوه عمله إزاءهم باعتبارهم ـ فيما يعتقدون ـ الشعب الذى اختاره من بين جميع الشعوب ، وأن يجعلهم فى ظروف أفضل .. لكن هذا الاحتفال كان يتكرر دون تحقيق لذلك التغيير المأمول فيه . ومن ناحية أخرى إرتبط هذا العيد بالاحتفال بتتويج الملك الجديد ، أو بتجديد العهد ، وكان الملك يؤكد فى هذا الاحتفال على أنه سيحقق مستقبلاً أفضل لهم . **لكن ذلك أيضا لم يتحقق أبدا ، وفشلت التجربة بعد الآخرى ، فكانت هذه التوقعات تؤجل دائما للمستقبل حينما يأتى ملك آخر أكثر صلاحية ، وأكثر استقامة يحقق ما لم يستطع أسلافه تحقيقه .**

وقد أدرك بنو إسرائيل وانبياؤهم أن هناك فرقا كبيرا بين ملوكهم وحكامهم الحقيقيين وبين ما كانوا يتوقعونه من الملك الذى كانوا يأملون فى أن يتصف بصفات الشرف والقوة والأستقامة والقدرة على النصح والقتال والحكم والقضاء العادل . وكان هناك فرق كبير بين كل تلك التوقعات ، وبين المواقف المتواضعة التى كانت تحدث بالفعل من ملوك إسرائيل ويهوذا إذاء الأحداث المحيطة بهم . كما كان هناك فرق أعظم بين وضع مملكتهم . وبين الممالك العظيمة المجاورة الأخرى .. فى الشرق القديم وهكذا كان ملوك أسرة داود يظهرون دائما بصورة أقل كثيرا مما كان بنو إسرائيل يأملون فيها وكانت أفعالهم مخيبة لامال بنى جنسهم لدرجة تستحيل معها ربط مفهوم الخلاص بخلافتهم العادية ، وهكذا تحول الأمل فى الخلاص الى المستقبل على يد الأحداث الجسام كسقوط الملكية والهزائم والانكسارات العسكرية المتكررة التى أدت فى النهاية إلى سيطرة الدول الأخرى على مملكتى يهوذا واسرائيل .

لكن لماذا كان تأكيد الأنبياء على أن يكون ذلك الحاكم من أسرة داود ؟ وبالتالى لماذا ربطوا الامل فى الخلاص مع وجود حاكم من تلك الاسرة ؟

كان داود أول ملك يختاره يهوه ـ كما يعتقدون ـ ليحكم بنى إسرائيل ، ومنذ بداية حكمه قطع يهوه عهدا أبديا معه ، وأعطاه وعدا بدوام ملك أسرته على بنى اسرائيل[٧٦] كما ذكرنا بايجاز من قبل وكان هذا الوعد يتكرر فى كل عام فى عيد تتويج الملوك ، وقد اعتبروا أن تجديد العهد مع الملك هو بمثابة تجديد يهوه لعهده معهم .

ومنذ ذلك الحين أصبح داود واسرته يمثلون بنى أسرائيل أمام الرب ، وأصبح ..

---

٧٥) كان شاؤل هو اول ملك يختاره الرب لبنى إسرائيل لكى يخبرنا صمويل الأول (راجع ايه ١٥/٢) بأن الرب قد ندم لأنه ملك شاؤل .

٧٦) صمؤئيل الثانى ٧/٢ - ١٧ ومزمور ١١/١٣٢ .

وجود تلك الأسرة هو التعبير الحقيقى عن وجود المملكة وحماية يهوه لها .

وتشير فقرات عديدة من العهد القديم إلى أن مفهوم الخلاص يعنى إستعادة مملكة داود ، كما تؤكد على أن حاكم مملكة الخلاص رجل ينتمى إلى هذا العالم ، وملك من نسل داود [٧٧] ، كما تحدث الأنبياء دائما عن استمرار تلك الأسرة وعن خروج فروع صالحة منها دائما لتحكم شعب يهوه المحرر[٧٨] .

لقد أضفت التجربة الواقعية مع النظام الملكى العديد من الملامح على مفهومهم عن حاكم مملكة عصر الخلاص المسيحانية . فهناك حقائق تاريخية تشير إلى تمسك بنى إسرائيل وإصرارهم على تعيين ملوك من أسرة داود حتى بعد أى إنقلاب أو ثورة ضدهم . ذلك لأن مجرد وجود تلك الاسرة فى منصب الملكية كان يمثل - بالنسبة لهم - ضماناً لظهور الرب (يهوه) لهم وذلك لانها الاسرة صاحبة الوعد معه بدوام الملكية . وبناء على ذلك فإن وجود أعضاء تلك الاسرة فى منصب الملك منذ البداية لم يسمح بوجود . أى توقع في المستقبل عن أى ملك مثالى آخر خارج نطاق تلك الأسرة .

وينطبق هذا على التوقعات التى سبقت سقوط مملكة اسرائيل فى يد الاشوريين بصورة نهائية ، كما ينطبق أيضا على التوقعات التى صدرت عن الأنبياء بعد الانهيار التام لمملكتى يهودا واسرائيل فقد تنبأ حجى وزكريا بأن يكون زروبابل هو الملك المخلص ، وأملوا العائدين من السبىء بأنه سيحقق مملكة الخلاص ، وكان سبب اختيارهما له يعتمد أساسا على أنه من نسل داود .

وقد رأى موور Moor - ويؤيده كل من سكارك وشميديت - فى تأكيد الأنبياء أن يكون الحاكم من نسل داود أو أنهم كانوا يطلقون عليه أحيانا إسم « داود » دليلاً على أن الأنبياء كانوا يفكرون فى بعث داود أو تناسخ روحه بطريقة إعجازية ليحكم مملكة عصر الخلاص ، مملكة المستقبل فى آخرة الأيام .

لكننا لا نجد بين نصوص العهد القديم دليلا على فكرة البعث أو على أن من مات بطريقة عادية سيعود للحياة مرة أخرى ، بل أن الاعتقاد الشائع كان

---

٧٧) ارمياء ٢٥/١٧ و ٥/٣٣ وعاموس ٧/٩ وميخا ٨/٤.
٧٨) اشعياء ٦/١١ وارمياء ٥/٢٣ و ١٥/٣٣ وزكريا ١٢/٦

٧٩) هو الرجل الذى عينه الامبراطور الفارسى ليكون حاكما على العائدين من السبى ويرجع نسله الى اسرة دواد وقد تناولنا نبوءة زكريا عنه بالتفصيل فيما بعد .

81) Moor, G . F . : Judaism In the First Centurles of the Christian Era the Age of the Tannaim, Cambridage 1930 P . 326

ربما كانت الفكرة التى دعت مور إلى هذا الاعتقاد هو ماجاء فى ملاخى ٢٠/٧ بأن الياهو سيعود فى آخر الزمان إلا أن الفرق كبير بين الياهو وداود ذلك لان العهد القديم ينص على أن الياهو لم يمت ، بل انه يعيش فى السماء (ملوك ب ١٥/٩) اما داود فقد مات ودفن بالفعل (الملوك الثانى ١٠/٢) انظر ايضا الباب الثانى الفصل الأول .

أن الانسان عندما يموت تنتهى حياته فى التراب وينزل الى مملكة الظلام السفلى [٨٣] كانت معجزة البعث التى تحدث عنها اشعياء فى الأصحاح الثالث والخمسين عقيدة جديدة فى الفكر اليهودى ، كما أكد أشعياء أنها كانت شيئا لم يسمع به بنو اسرائيل من قبل [٨٤].

بل ربما من الممكن أن نرجع ذلك الى الاعتقاد الذى كان سائدا فى الشرق ،

بأن القديم يعيش فى الجديد ، وأن الأب يعيش فى الأبن ، فربما كانت الفكرة السائدة عندهم هى أن بركات داود وروحه الملكية وشرفه وحظه الحسن كانت تورث لأبنائه ، ولهذا فقد كان أى حاكم آخر فى أى عصر ينوب عن أسرة داود ربما كان يطلق عليه إسم داود ، ونجد تأكيدا على هذا من أسفار الأنبياء والمزامير التى نجدها كثيرا ما تستخدم لفظ داود بدلا من كلمة ملك [٨٥].

ولكن بالرغم من تلك الأشارات السالفة بأن يكون الحاكم من نسل داود وتمسك الأنبياء وبأن يأتى الخلاص على يد ملك من أسرة داود وهى الأسرة صاحبة الحق الشرعى الوحيد بتنصيبهم ملوكا على بنى اسرائيل فإن تلك الفقرات والتنبؤات السالفة تؤكد فى نفس الوقت .

أن الحاكم من أسرة داود لن يكون إلا مجرد أداة يهوه لتدمير الأعداء ، وتحقيق الخلاص ، ثم تأسيس المملكة[٨٦] ، فيظهر لنا دائما أن نصوص العهد القديم تعطى كل الأهتمام ليهوه ، وتؤكد أنه سيقوم بالدور الأساسى فى تحرير بنى إسرائيل وخلاصهم كما أنه سيكون المؤسس الفعلى لتلك المملكة المتوقعة ، مملكة عصر الخلاص المسيحانية .

---

٨٢) انظر الباب الثانى الفصل اللأول .

٨٣) وردت هذه الفكرة فى ايوب ٧/٧و٢١ و ٢١/١٠ و ١٤/ ١٢ و ١٤ وخروج وارمياء ١٠/٢٢

٨٤) اثبتت الابحاث اللغوية والدينية والتاريخية ان اصحاحات ٤٥ : ٦٦ من أشعياء قد الفت حوالى القرن الرابع قبل الميلاد أى بعد العودة من السبى وينسبها العلماء الى احد حواريى اشعياء ويطلقون عليه اشعياء الثانى انظر .
Gray, John : A History of Jerusalem, London, 1969, P. 438

٨٥) ارمياء ٩/٣٠ وحزقيال ٢٣/٢٤و٢٤/٣٧ وهوشع ٥/٣

٨٦) اشعياء ٥/٨ و٧/٩ .

فاشعياء يشير الى أن الرب سيتدخل مباشرة ضد الأعداء وأن عمله الذى سيؤديه من أجلهم سيبشر به فى صورة ميلاد طفل (٨٧) ويشير هوشع الى أن بنى اسرائيل لا يعرفون مخلصا إلا يهوه (٨٨) .
ويذكر ارمياء أن يهوه سيجمع كل بنى اسرائيل الذين يرمز لهم بكلمة قطيع (٨٩) .
أما زكريا فانه يعتقد أن زرو بابل سيكون حاكما خالدا فى المملكة المحررة ويؤكد على أن الرب هو الذى سيحقق وجود هذه المملكة (٩٠)
وهناك فقرات عديدة من اشعياء (٩١) وارمياء (٩٢) وحزقيال (٩٣) وزكريا (٩٤) تشير إلى أن الملك هو فقط حاكم المملكة المحررة التى تم تأسيسها بالفعل ، فضلا عن ذلك فاننا نجد أن هناك فقرات كثيرة عند الأنبياء تتحدث عن مملكة المستقبل دون أن تشير الى حاكم تلك المملكة ، وربما كان وجود الممكلة ضمنا يعنى وجود ملك .

ومع كل هذا لا تدل تلك النصوص على وجود أى تعارض فى العهد القديم بين الحكم الملكى ليهوه وحكم المخلص فى مملكة الخلاص ، فقد لمسنا هذا أيضا فى مملكة الواقع ولم يكن هناك أى تعارض بين حكم يهوه وبين حكم ممسوح يهوه أى الملك الحقيقى .

ويشيع فى سفر المزامير اوصاف الملك « حاكم مملكة الخلاص » ، وتتميز هذه الأوصاف عن تلك الواردة فى اسفار الانبياء ، ففيها يظهر مسيح يهوه المخلص على أنه أكثر من انسان عادى ، يتمتع بطبيعة الهيه ، ويمكن أن يسمى البطل الالهى ، كما أن مقدرته كمستشار ، أى حاكم ، هى مقدرة قوية (٩٥) ، وكما حدث فى الواقع مع الملوك الذين ظهروا فى التاريخ يمكن اعتبار ملك المستقبل أيضا تجسيدا للأسرة كلها .

من اشعياء نعرف أن الرب قد وعد الملك المخلص المأمول فيه بحمل اللقب النبيل رئيس السلام ، وهو الملك الذى سيحكم بنى اسرائيل الى الأبد باعتباره أبا لهم .

---

٨٧) اشعيا ٩/٩
٨٨) هوشع ٤/١٣
٨٩) ارمياء ١/٢٣ - ٣و٦ يستخدم هذا التعبير بكثرة فى العهد القديم وعند كثير من ممالك الشرق انظر Mowinckel: He that Cometh: P. 141-15
٩٠) زكريا ١٦/٩ و ٥/١٠
٩١) اشعياء ٥/٨ و ٠٧/٩
٩٢) ارمياء ١/٢٣ - ٦ .
٩٣) حزقيال ٢٢/١٧ - ٢٤و ٣٤/ ٢٣ و ٢٧/ ٢٢ .
٩٤) زكريا ٩/٩ .

٩٥) اشعياء ٥/٩ - ٧

ولكن تلك الطبيعة الألهية والحكم الأبدى لا تعنى أن الملك شخصية تنتمى الى عالم الآلهة ، بل تشير فقط إلى أنه سيحكم بقوة وعظمة يهوه[٩٦] .

وباعتبار الملك بطلا له قوة إلهية خارقة فهو يحقق السلام لشعبه ويضمن له استمراره [٩٧] .

وكثيرا ما يكرر الأنبياء وصف الرخاء الداخلى والخارجى ويربطونه بعودة فرع يس للظهور [٩٨] . فالخلاص لا يتضمن هنا التحرر والانتصار فى الحرب فقط ، بل كل انواع حسن الحظ والظروف والأحوال المثالية فى مظاهر الحياة المختلفة .

كما يتكرر فى أسفار الأنبياء ايضا الحديث عن صلاح واستقامة ملوك المستقبل مقارنة بفساد حكم ملوك الماضى [٩٩] ، وأن حكم « مسيح يهوه » سيتميز باتباع الوصايا والشرائع [١٠٠] ، كما أنه سيحكم بعقل وحكمه [١٠١]

ولكن ، هل يعنى هذا أن نفهم مما سبق أنه لا يوجد أى عناصر أسطورية فى فكرة المخلص عند بنى اسرائيل فى فترة العهد القديم .

يرى مونكل أن العهد القديم يتضمن تعبيرات وأفكاراً أسطورية ، مؤكدا أن فكرة الملك والملكة فى منطقة الشرق القديم هى فكرة أسطورية أو قريبة من الأسطورة بمقدار ما ، وبالطبع فإننا نتوقع أن تظهر العناصر الأسطورية عند الحديث عن الملك المسيح اليهودى وذلك عند التعبير عن قوته ومقدرته الألهية[١٠٢] .

ومن ناحية اخرى ، كانت فكرة الأنبياء عن مملكة عصر الخلاص تتميز بكثير من الأوصاف المثالية ، وكان الحديث عنها لا يخلو من التعبيرات الأسطورية وهى فكرة أساسية نتوقع معها أن ينسحب نفس التفكير واللغة والصور المثالية والأسطورية على حاكم تلك المملكة ، فالمملكة الاسطورية لابد أن يحكمها ملك أسطورى .

واعتمادا على ذلك يمكن أن نتقبل بسهولة تلك التعبيرات الشائعة فى العهد القديم لوصف الملك ببعض الصفات الأسطورية والمثالية ، والتى وجدناها بصورة خاصة فى المزامير التى تصف الملك بأنه ابن يهوه [١٠٣] ، الكاهن الأبدى [١٠٤] :

---

٩٦) ميخا ٥/٣ واشعياء ٤/١١ .
٩٧) يشير اشعياء الى ذلك فى ٦/١١ .
٩٨) زكريا ٩/٩ - ١٠ واشعياء ١/١١ وما بعدها وارمياء ٥/٢٣ وما بعدها .
٩٩) ارمياء ٤/٢٣ وغيرها
١٠٠) ارمياء ٤/٢٣ .
١٠١) اشعياء ٧/٣٢ و ٣/٣٣ وارمياء ٥/٢٣ .
١٠٢) فى كتابة He that Cometh, P. 175
١٠٣) مزمور ٢و ١٥/٨٠ .
١٠٤) مزمور ٤/١١٠ .

الذى يحفظ شريعة الرب الى الأبد [١٠٥] وهو مختار من بينهم تميزه تقواه عن الأخرين [١٠٦] قاض عادل ، يقضى للمساكين بالحق والعدل ويخلص البائسين . ويسحق الظالمين [١٠٧] يتوكل على الرب فى كل أعماله [١٠٨] . كما تصفه أيضا بأنه محارب جبار يبيد الأعداء [١٠٩] أما ملكه فهو أبدى [١١٠] .

كما يصفه اشعياء بأنه رمز السلام وأنه الأب الأبدى الدائم [١١١] ويطلب الحق ويبادر بالعدل [١١٢] .

ويؤكد ارمياء بأنه سيقيم العدل على الأرض [١١٣] . كما يشير ميخا الى تسلحه بقوى الرب واعتماده عليه فى كل أعماله [١١٤] والتى يتضح لنا معها مدى التأثير الذى أحدثته فكرة الملكية فى الشرق القديم على مفهوم الملكية فى اسرائيل ، ثم فى كيفية صياغة مفهوهم عن مملكة عصر الخلاص ، كما توضح أيضا تأثر فكرة الخلاص فى فترة العهد القديم بنوع من الأفكار الاسطورية الشائعة فى تلك المنطقة فى ذلك الوقت [١١٥] .

واذا كنا نجد صعوبة الآن فى تحديد دقيق لتلك الأفكار الأسطورية الواردة فى أسفار الأنبياء ، **فإن لغة العهد القديم تشير إلى وجود تلك الاسطورية فى مفهوم « المسيح اليهودى » ملك عصر المملكة الاسطورية فى شخصية المخلص الواردة فى العهد القديم كما فعلت التفاسير . أو أن ترجع فكرة الخلاص وارتباطها بالاسكاتولوجى كما فعل كثيرون من مفسرى العهد القديم محاولين تطويع تلك العناصر الاسطورية الواردة فى مفهوم الخلاص وتفسيرها على ضوء من العناصر الواردة فى الأسكاتولوجى .**

ولذلك فسوف نتناول فى الجزء الأخير من هذا الباب تلك النصوص الواردة فى العهد القديم والتى ذاع تفسيرها على أنها تشير الى مبدأ الخلاص ..

---

١٠٥) ٤١/١١٩ - ٤٧ .
١٠٦) ٢٠/٨٩ .
١٠٧) مزمور ٧٢ .
١٠٨) ٦/٢١ .
١٠٩) ٨/٢١ و٠ ٣/٨ و ٦/١١٠ .
١١٠) ١٧/٧٢ .
١١١) ٦/٩ - ١١ و ١/١١ - ٦و ٥/٢١ .
١١٢) ٥/١٦ .
١١٣) ٥/٢٣ ارمياء .
١١٤) ميخاه/ ٤ واشعياء ٦/٢١ .
١١٥) تخبرنا الوثائق البابلية القديمة عن شيوع تلك الاوصاف بين ادباء ارض الرافدين وخاصة فى أساطير الأبطال . راجع الحضارات السامية موسكاتى ص ٨٧ .

ثانيا مفهوم الخلاص فى نصوص العهد القديم :

كان من نتائج الانهيار السياسى وزوال مملكتى إسرائيل ويهوذا على يد ملوك آشور وبابل أن تحول بنو إسرائيل سواء من عادوا من السبى وعاشوا فى ولاية يهوذا تحت الحكم الفارسى أو من أقاموا فى غيرها من المدن والبلدان الأخرى ، إلى مجرد جماعات دينية تهتم أساساً بالشريعة ونصوص العهد القديم الذى تناولوه بالشرح والتفسير على مدى قرون طويلة إلا أن تلك التفاسير لم تكن تتناول النصوص بالشرح بما يتفق مع زمن كتابتها أو ما نشير إليه من معتقدات تنتمى إلى العصر الذى رويت فيه بل كان تناولها لايخلو من إضفاء أفكار جديدة لاعلاقة لها بأصولها . كما اتصف ذلك التناول أيضا بنوع من التأويل الذى لاتحتمله الآيات والمعتقدات الواردة فيها .

وكانت النصوص التى تتضمن افكارا عن «ممسوح يهوه» وملك بنى إسرائيل من بين تلك النصوص التى اسهب المفسرون فى تناولها وشرحها كما كانت تلك الشروح والتفاسير عاملا آخر ـ يضاف إلى غيره من العوامل الأخرى التى سنتناولها بالتفصيل فى الباب القادم ـ ساعد على بقاء فكرة الخلاص حيه فى أذهان بنى إسرائيل بعد إنهيار الوجود السياسى للمملكتين .

ومن هنا رأينا أن نخصص الجزء الأخير من هذا الباب لدراسة نصوص العهد القديم التى تناولت فكرة الخلاص محاولين توضيح حقيقة ماتشير إليه تلك النصوص من أفكار .

وسيكون تناولنا لهذه النصوص فى قسمين رئسيين :

(أ) يتناول القسم الأول منها نصوصا واردة فى جزءى التوراه والمكتوبات

(ب) ويتناول القسم الثانى نصوصا واردة فى أسفار الأنبياء .

أ : نصوص واردة فى أسفار التوراة :

تناول ربانيو التلمود (١١٦) عددا من آيات التوراة على أنها تشير إلى فكرة قدوم الملك المخلص الذى يحقق الخلاص لبنى إسرائيل وتسلطهم على أعدائهم وعلى جميع الأمم مفسرين ذلك على أنه دليل مؤكد لوجود فكرة الخلاص ـ بمعناه الاسكاتولوجى المتضمن فى عقيدة يوم الأخرة الذى تناولناه فى الصفحات السابقة فى أسفار التوراه . وسوف نتناول فى هذا الجزء عرضاً لتلك الآيات موضحين حقيقة ماتشير إليه .

---

١١٦ ـ وذلك كما ورد فى ترجوم يوناتان بن عوزئيل والترجوم الاورشليمى ومدراش هتنائى سفرا راجع يوسف كلوزنر فى كتاب «العقيدة المسيحانية فى أرض اسرائيل» ص ١٨

سفر التكوين ٩/٢٥ ـ ٢٦ وتحتوى على بركات نوح لأبناء سام وقسمه بأن

سفر التكوين ١٢/٢ ـ ٤ وتتحدث عن مباركة الرب لشعب إبراهيم ووعده له بأن

سفر التكوين ٢٦/٤ وتشير إلى وعد الرب لاسحق بأن يكثر نسله كنجوم

سفر التكوين ٢٨/١٤ وتتحدث عن وعد الرب ليعقوب بأن يكثر نسله كتراب

سفر الخروج ١٩/٥ ـ ٦ وفيها يعد الرب موسى بأن يكون بيت يعقوب شعبه

سفر اللاويين ٢٦/٣ ـ ٤٥ وتتحدث عن وعد الرب لبنى إسرائيل بأن تحل

بركاتة عليهم إذا اتبعوا وصاياه .

وربما كانت الوحدة الموضوعية التى تجمع بين تلك الآيات ، والتى كما رأينا تتحدث عن مباركة الرب لبنى إسرائيل واختياره لهم ليصبحوا شعبه المختار ، ووعده لهم بأن يصبحوا أمه عظيمة ، هى ماجعلت ربانى التلمود يشيرون إلى أنها دليل على مجىء الملك المخلص وعصر مملكة الخلاص فى آخرة الأيام .

لكن تلك التفاسير الواردة فى التلمود لم تحظ بتأييد مفسرى التوراه فى العصور الوسطى ، كما رفضها أيضا باحثو التوراه فى العصر الحديث .

فالمفسر اليهودى المعروف الربانى سليمان اسحق المعروف براشى (١١٧) ـ والذى يعتبره اليهود من أشهر مفسرى التوراه فى العصور الوسطى ـ يرفض تفسير التلمود لتلك المجموعة من الآيات على أنها تشير الى عصر الخلاص ، مشيرا الى أن كل آيه منها تحمل بركات الرب لآباء الأمة ودعوة لبنى إسرائيل بأن يصبحوا أمة عظيمة (١١٨) .

كما يعترض يوسف كلوزنر أيضا ـ وهو أكثر أدباء اليهود المحدثين تعصبا لتلمس فكرة الخلاص فى أسفار العهد القديم ـ على تفسير تلك الآيات واتخاذها دليلا على وجود فكرة الخلاص فى التوراة أو أنها تشير إلى مجىء الملك المخلص

---

١١٧ ـ هو الرابى شلومة بن يتسحاق : ١٠٤٠ ـ ١٠٩٦ م وهو معروف ب ٦ أختصارا لاسمه باتخاذ الحرف الأول من بداية كل اسم وهو اسلوب كان متبعاً فى العصور الوسطى . وقد تناولنا فى الباب الثالث من هذا البحث آراءة المختلفة عن فكرة الخلاص .

١١٨ ـ كتاب اسفار التوراه الخمسة مع تفاسير راشى وترجوم اونكيلوس طبعة موخير سفاريم اسرائيل صفحة ٤٢٥

مؤكدا على أن تلك الآيات قد اكتسبت معنى فكرة الخلاص على يد التفاسير التى أشاعها حكماء التلمود بين عامة الشعب على مدى عصور طويلة فيقول : «إذا كنا نعترف أن تلك الآيات قد أثرت تأثيرا كبيرا على أبناء الشعب عبر الأجيال وجعلتهم يأملون فى مجيء عصر الخلاص ، الا أنها لاتتضمن أى معانى لفكرة الخلاص كما أنها لم تكن تهدف إلى أى إشارات لمعنى مجيء المخلص عند تأليفها (١١٩) .

٢) سفر التكون ٣ / ١٥ (١٢٠)

وهى تشير إلى عداوة بين نسل المرأة ونسل الافعى وانتصار نسل المرأة فى النهاية .

ورد فى التلمود الأورشليمى (١٢١) أن كلمات تلك الآية وخاصة «يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه» تشير إلى إنتصار شعب إسرائيل على الأمم الشريرة فى أيام الملك المسيح المخلص .

إلا أن هذا التأويل التلمودى لم يصادف أى تأييد من مفسرى العصور الوسطى وباحثى العهد القديم فى العصور الحديثة أيضا .

فقد فسرها كل من رأشى (١٢٢) وجوردون (١٢٣) وكلوزنر (١٢٤) تفسيرا مباشرا أى أنها تشير إلى صراع إنسان مع الحية .

كما يعارض كل من جنكلGunkel وبروكشProcksch وMowinckelومونكل (١٢٥) ادعاءات التلمود بوجود أى أشارات الى الملك المسيح واجمعوا على أنها تتضمن حديثا عاما عن البشرية والثعابين والصراع القائم بينهما والذى سيستمر طوال بقاء الحياة على الأرض .

يقول مونكل : تُفسر هذه الآية ببساطة بأنها تشير إلى الثعابين التى ستضرب قدم الانسان سيىء الحظ إذا أتى قريبا منها ودائما سيحاول الانسان أن يسحق

---

١١٩ ـ يوسف كلوزنر العقيدة المسيحاينة فى ارض اسرائيل ص ٢٥

١٢٠ ـ نص الآيه : وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق راسك وأنت تسحقين عقبه .

١٢١ ـ التلمود الأورشليمى جزء براخوت . ويرجع هذا التفسير إلى الرابى ناثان بن عوزئيل . المرجع السابق ص ١٨

١٢٢ ـ كتاب اسفار التوراه الخمسة سالف الذكره صفحة ٢٨

١٢٣ ـ جوردون . التناخ . الكتاب الاول التوراه ، تل أبيب ١٩٤٥ صفحة ١٤٥

١٢٤ ـ كلوزنر : العقيدة المسيحاينة فى أرض أسرائيل ص ٢٣

125 — Mowinckel: He thet comeh p. 11

رأسها فى كل مرة يستطيع فيها تحقيق ذلك (١٢٦) .

٣) سفر التكوين ٤٩ / ١٠

حظيت الآية العاشرة من الاصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين على إهتمام علماء ومفسرى التوراة على مر العصور .

وتنص الآية على «لايزول القضيب من يهوذا وينتزع من بين رجليه حتى يأتى «شيلوه» وله يكون خضوع شعوب .»

وقد حاول باحثو التوراه القدامى والمحدثون تفسير هذه الآية على أنها تشير إلى الملك المسيح المخلص وخاصة جملة «حتى يأتى شيلوه» فوردت لنا تفسيرات مختلفة ، غامضة أو متناقضة أحيانا ، حتى أننا لانعرف لها تفسيرا محددا حتى الآن ، ولانجد إتفاقا بين الباحثين على تفسير معين لها . وسنعرض هنا لتلك الآراء المختلفة .

ورد فى التلمود (١٢٧) أن هذه الآية تحتوى على إشارات مسيحانية ، فالصولجان هنا يدل على المسيح بن داود المقدر له أن يحكم الامبراطورية المسيحانية بصولجانه أما عبارة «حتى يأتى شيلوة» فتشير إلى مصير كل الأمم حينما تخضع لاسرائيل فى عصر المملكة المسيحانية وتأتى لتقدم الهدايا للملك المسيح .

ويفسر راشى (١٢٨) جملة حتى يأتى شيلوه بأنها تعنى حتى يأتى المسيح .

ويتبع موسى بن نحمان (١٢٩) رأى راشى مؤكدا على أن لفظ «شيلوه» يرمز إلى المسيح فيقول :

أن يعقوب هنا يتنبأ بأن قبيلة يهوذا سوف تسمو فوق كل شىء وتزدهر باعتلاء الملك داود .. وبعد ذلك لفترة طويلة سيظهر سليل داود كمسيح ـ وهو ماترمز له الآية بلفظ شيلوه ـ وستخضع له كل الأمم (١٣٠) .

ولايخرج رأى أبرابانيل Abraba.el (١٣١) عما وجدناه فى رأى ابن نحمان ويضيف «إن إسرائيل المشتتة تنتمى بصورة أساسية إلى قبيلة يهوذا وعلى هذا فان الوعد الخاص بشيلوه يعنى أن قبيلة يهوذا ستحتفظ بسموها إلى الأبد حتى بعد قدوم المسيح (١٣٢) .

---

١٢٦ ـ المرجع السابق ص ١٢

١٢٧ ـ التلمود الاورشليمى جزء تعنيت ٨٤ نقلا عن : كتاب أسفار التوراه الخمسة السابق صفحة ٥٧

١٢٨ ـ المرجع السابق ص ٥٨

١٢٩ ـ من أدباء ومفسرى اليهود فى العصور الوسطى : انظر الباب الثانى الفصل الثانى

130 — Sarachek: the Doctrine of the Messiah in Medieval Jewish Literature P. 155

١٣١ ـ من أدباء يهود أسبانيا فى القرن الخامس عشر انظر الباب الثالث الفصل الثانى

١٣٢ ـ نفس المرجع السابق ص ٢٣٢ .

ويبدو أن القائلين باحتواء تلك الآية على إشارات للخلاص قد إعتمدوا فى تفسيرهم للفظ شيلوه على ترجمة أونكيلوس (١٣٣) والتلمود الأورشليمى (١٣٤) اللذين ورد فيهما اللفظ شيلوه فى العبرية بدون ياء اى شلوه مع إبدال الهاء إلى واو وتصبح الكلمة شلو وقالوا أنها تعنى (خاصيه الذى له) وبهذا يكون معنى الآية فى رأيهما «حتى يأتى من له القدرة على إخضاع الشعوب» (١٣٥).

وقد فعل ذلك أيضا المفسر سعديا الفيومى فنعرف من خلال ترجمته العربية للنص أنه قرأ شيلوه على أنها تعنى الذى له أو الذى ينتمى إليه أو خاصة وبهذا يكون نص ترجمته للآية «لايزول القضيب من يهوذا والراسم من تحت أمره إلى أن يجىء (الذى هوله) وإليه تجمع الشعوب (١٣٦).

كانت تلك هى آراء المفسرين الذين يحاولون التأكيد على ان تلك الآية تحمل إشارات إلى مجىء المخلص المسيح ، وهى كما تبدو لنا فانها إفتراضات غير صحيحة تعتمد على تأويلات لنص الآية ، وتعتمد فقط على تأكيد صدقها على تحريف للنص أو تعديل أو تصحيح للكلمة لايستند إلى أى مصدر صحيح ، وحتى بعد هذه التحريفات والتعديلات فان النص لايشير بوضوح إلى المخلص أو حتى إلى عصر الخلاص.

لكن بعد أن تطورت الدراسات النقدية لنص العهد القديم فى العصور الحديثة أثبت جمهور من باحثى العهد القديم جرسيمانGresmann وأيسلرEisler وولف Wollf وسيلين Sellin ونوتشر Notscher ولوسيان جوتيه ودريفرDriver ودالمان Dalman وغيرهم (١٤٠) أن الاصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين الذى يحمل بركات يعقوب لاسباط بنى إسرائيل قد تم تأليفه فى بداية عصر الملكية أى فى زمن متأخر عما تشير إليه تلك البركات وأنها تتحدث عن سبط يهوذا الذى ينتمى إليه داود وسليمان وأسرتهما الملكية التى كان لها السلطة وحق التشريع فى ذلك الوقت وهو ماتشير إليه الآية موضع البحث.

---

١٣٣ ـ كتاب أسفار التوراه الخمسة صفحة ٥٨

١٣٤ ـ المرجع السابق ص ٥٨

١٣٥ ـ نفس المرجع السابق ص ٥٩.

١٣٦ ـ سعديا بن يوسف الفيومى : تفسير التوراه بالعربية اخرجه وفسره وبين حواشيه يوسف (بتورج باريس ١٨٩٣ ص ٧٧ نقلا عن د. حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى اسراره ومذاهبه. وحسن ظاظا القاهرة ١٩٧٠ ص ١١٤.

137 — Mowinckel: He that Cometh P. 13

١٣٨ ـ نقلا عن د. حسن ظاظا ، الفكر الدينى الاسرائيلى اطواره ومذاهبة ص ١١٣.

139 — Driver: AnIntroduction to the Literature of the Old Testament, Edinbrugh 1929, P. 111.

140 — Dalmar, G: The words of Pords of Jesus Considered in the Ligth of Post-Biblical Jewish Writings and the Aramaic. Edinbrgh, 1902, P..28.

ومع ذلك فقد قام جرسمان ـ (١٤١) ويتفق فى ذلك مع وولف بتشوية نص الآية فاستبدل بكلمة شيلوه كلمة أخرى قريبة منها هى موشيلوه وتعنى حاكمة ولهذا يصبح نص الآية «حتى يأتى حاكمة» وذلك لكى يثبت أنها تعبر عن إنتشار الأيمان بمجىء المسيح المخلص ومملكته التى ستأتى على نفس صورة مملكة سليمان .

إلا أن عددا هائلا من باحثى العهد القديم رفضوا رفضا قاطعا محاولات جرسمان فى تشويه النص لأنها لاتعتمد على أى أساس صحيح(١٤٢) .

كما لاحظنا ، فان كل الآراء السالفة تقول بأن ٤٩ / ١٠ من سفر التكوين تشير إلى مجىء «المسيح المخلص» .

ويرى ابن عزرا (١٤٣) أن لفظ شيلوه يشير إلى المذبح الموجود فى مدينة شيلوه ويفسر الآية قائلا :

«إن الفكرة الكامنة هى أن قوى قبيلة يهوذا ستزداد وتصل إلى ذروتها بهزيمة مدينة شيلوه وصعودها إلى أروشليم حيث تحكم من هناك (١٤٥) وقد تحقق ذلك فى بداية عصر الملكية .

أما ابراهام برحيا (١٤٦) فلا يرى أى آثار مسيحانية فى نص الآية فيقول : «لايمكن بأى حال أن نتقبل لماذا يتنبأ يعقوب بحدث بعيد جدا مثل ظهور المسيح ،

---

141 — Gressmann: The Source of Lsrael's Messiah P. 178

١٤٢ ـ كسيلين ومونكل وسراخك ودالمان ودريفر وايسلر راجع اشار رقم **١٢٩** فى الصفحة السالفة ..

١٤٣ ـ من أدباء ومفسرى اليهود فى العصور الوسطى ـ أنظر الباب الثالث الفصل الثالث .

144) Sarachek : The octrine of the

Messiah in Medieval Gewish LiteratureP. 160.

١٤٥ ـ مدينة قديمة كانت تقع شمال بيت إيل وشرق بيت شكيم في جنوب لبنان (قضاه) ٢٠ / ١٩ وكانت شيلوه عاصمة إسرائيل فى عصر القضاه وظلت تتمتع بشهرة واسعة فيما بين القرنين ١٢ ـ ١٠ق . م . وقد أثبت باحثو الآثار انها قد تأسست حوالى القرن ١٩ او ١٨ ق . م . ومع ذلك لم يرد ذكر هذه المدينة فى اى نصوص قبل المصادر التوراة وقد اعيد تأسيسها تحت حكم الملك يوشيا بن آمون ملك يهوذا فيما بين عام (٦٤١ ـ ٦١٠ ق . م) وكان الاحتفال بعيد المظال يتم حول المذبح القائم فيها (يوشع ١٨ / ١ و ٢١ / ٢ و ١٩ و ٢٢/ ١٢ و ١٩ كما كانت شيلوة مركزا للعبادة وكان تابوت عهد الرب موجودا فيها قبل أن يتم نقلة إلى اروشليم «انظر صموئيل الأول ١/٣ و ١٤/٢ و ٤/٣ ، ٤) ، وقد كشفت الحفريات أن المعبد القائم هناك قد تهدم وهو ماورد أيضا فى العهد القديم (انظرا رمياء ١٢/٧ و ١٤ و ٥/٢١ و ٦/٢٦ ـ ٩ ومزمور ٦٠/٧٨) .

أما الآن فان شيلوه هى المدينة التى تعرف باسم تل شيلون Tell se'lun على بعد ٤٨ كم من مدينة اورشليم .

١٤٦ ـ من مفسرى وأدباء اليهود فى العصور الوسطى انظر الباب الثالث الفصل الثالث

ولايتنبأ مثلا بالانجاز العظيم الذى قام به موسى (١٤٧) أو لايتنبأ بحكم الملك داود «ويتفق مع ابن عزرا فى أنها تشير إلى تدمير محراب مدينة شيلوه (١٤٨) .

ويرفض يعقوب ليڤر المحاولات السابقة لتفسير تلك الآية على أنها تشير إلى الملك المخلص إعتمادا على اللفظ الغامض شيلوه (١٤٩)

وقد وافق كل من دريڤر وايسلر على الرأى الذى ذكره كل من نوتشر وسليين بأن شيلوة لاتتطلب أى تصحيح فى النص ، كما أنها لاتعنى أى شىء يتعلق بمدينة شيلوه كما كان مفترضا من قبل (١٥٠) .

يقول دريڤر بأن الملابسات التاريخية والجغرافية التى تسود الاصحاح التاسع والاربعين من سفر التكوين هى نفس الملابسات فى عصر القضاه وصمويل وداود ، وهو العصر الذى أخذت فيه عادة بركة شيوخ القبيلة شكلها الشعرى الذى نراه وأن الآيه العاشرة من هذا الاصحاح تتحدث عن حكم قبيلة يهوذا وتشير إلى حكم داود وسليمان (١٥١) .

٤) الآية الواردة فى سفر العدد ٢٤ / ١٧ :

نص الآيه : «أراه ولكن ليس الآن أبصره ولكن ليس قريبا . يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طرفى مؤاب ويهلك كل بنى البغى.»

فسرت تلك الآيه فى عصر التلمود على أنها تشير الى المسيح الآن فى المستقبل فقد ورد فى التلمود الأورشليمى (١٥٢) أنها تشير إلى ظهور الملك المخلص «مسح يهوه» وقد جاء هذا التفسير على إيدى بعض حكماء التلمود لتشير إلى ثورة مسيحانية بقيادة أحد المسحاء الكاذبين وهو المسيح الكاذب شمعون بن ليڤى الذى لقب نفسه ببركوخيا أى ابن الكوكب ، مدعيا بذلك أنه المسيح المنتظر ابن الكوكب الذى سيبزغ من نسل يعقوب ليخلص إسرائيل ويهلك آعداءها .

وقد آمن به عدد كبير منهم كما آمن به أيضا التنائى الربى عقيبا وهو من أعظم علماء التلمود وأحدثت دعوته ثورة بين اليهود (١٥٣) .

---

١٤٧ ـ يشير هنا إلى حادثة الخروج من مصر والتى تمت تحت قيادة النبى موسى .

١٤٨ ـ المرجع السابق ص ٣١٩

١٤٩ ـ دائرة المعارف المقرائية : مادة ماشيح : بقلم يعقوف ليڤر . الجزء الخامس ص ٥١٧

150 — Mowinckel: He that Cometh P. 11.

151 — Driver: An Introduction the Literature of the old Testament, P. 111.

١٥٢ ـ التلمود الاورشليمى جزء تعنيت ٥ ـ ٥ و ٦٨ ـ ٧٢ نقلا عن كتاب كلوزنر «العقيدة المسيحانية فى أرض إسرائيل صفحة ٢٧

١٥٣ ـ انظر الباب الثانى

ومن الواضح إذن أن تفسير تلك الآية قد جاء لتأكيد حالة خاصة هى إثبات مسيحانية بركوخيا والواقع أننا لانجد بين أراء العلماء مايؤيد أنها تشير إلى المسيح .

كما أثبتت الدراسات اللغوية لنصوص العهد القديم أن زمن تأليف تلك الآية يعود إلى مابعد قيام الملكية فى اسرائيل وهو الرأى الشائع عند جمهور من العلماء .

يقول كلوزنر «لاتشير آيات سفر العدد ٢٤/١٧ ـ ١٩ الى أى نبوءات مسيحانية بل أنها تدور حول الملك داود (١٥٤) .

ويؤكد يعقوب ليفر على أن القول بإحتواء هذه الآيات على نبوءات مسيحانية ليس إلا من قبيل الشرح والتأويل «إن هذا النص يتحدث بوضح عن داود وانتصاراته فى حروبه ضد أعداء إسرائيل وحتى إذا اعتبرناها وصفا مبالغا للفترة التاريخية التى كتبت فيها فمن الخطأ أن نربط بينها وبين التوقعات المسيحانية (١٥٥) .

وأخيرا يؤكد مونكل (١٥٦) على أن هذه الآيات تحتوى على أشعار لتمجيد إسرائيل وتتضمن قصصا شعبية كانت تروى على فم الحكماء القدامى فى صورة بركات تسرد بعضاً من تاريخهم . وقد ورت هذه الأشعار فى قالب نبوءات تنسب للعصور القديمة لكنها فى الواقع وصف لعصر الشاعر أو للماضى القريب منه وهى ، كما أشار معظم العلماء أنشودة تشير إلى داود وعصره وأن بركات الرب وآباء الأمة ستحل عليه وعلى بنى إسرائيل جميعا اذا .ما أتبعوا وصاياه

٥) أشعار المزامير : (١٥٧)

تتضمن المزامير . بعض أشعار تتحدث عن الملك من نسل داود ـ كما تتضمن أدعية وتضرعات من الملك إلى يهوه ليمد له يد العون لكى يخلص الشعب من

---

١٥٤ ـ المرجع السابق ص ٢٨

١٥٥ ـ دائرة المعارف المقرائية الجزء الخامس صفحة ٥١٧

156 — Mowinckel: He that Cometh. p. 13,

١٥٧ ـ أثيرت مناقشات كثيرة حول سفر المزامير ، واختلفت حوله آراء العلماء على مر العصور فيما يتعلق بشخصية المؤلف وزمن التأليف وماتشير إليه هذه المزامير من شخصيات او رموز التراث التقليدى ينسبها الى الملك . داود وسليمان . لكن بعد تطور النقد اللغوى والأدبى للعهد القديم ظهر ذلك الخلاف الحاديين الباحثين . فالبعض يرى أن مزمور واحد فقط تم تاليفه قبل السبى البابى وان معظمها ينتمي إلى فترة المعبد يوسف الثانى أنظر كلوزنر «العقيبة المسيحاينة فى أرض اسرائيل ص ١٢٨ ـ ١٣٠ وينسب بنيامين جرين Benjamin Green ثلاثة وسبعين منها إلي داود والباقى منهم الى مؤلفين مختلفين فى عصور مختلفة وذلك فى كتابه Resume Chronoloigque de L'ancien Testament, Geneve 1909.

بنقلا عن الفكر الدينى الاسرائيلى اسراره ومذاهبة ص ٥٧ ـ ٥٨ على أى حال فلسنا هنا فى مجال لبحث تلك المشكلة ، ولكننا سنشير فقط إلى المزاميز السالفة الذكر التى تتحدث عن الملك وأوصافه .

الأعداء ويمنح اسرئيل الخلاص .
وقد تمسك بعض من باحثى العهد القديم مثل كلوزنر وجرسمان بآن تلك الأشعار تنطوى على دليل واضح لوجود نبوءات بمجىء الخلاص فى قسم المكتوبات من العهد القديم وإن كانت فى صورة أشعار وتسابيح للرب .
والمزامير التى يشيران اليها هى :
مزمور رقم ٢ الذى يتحدث عن وحى بمستقبل الملك الممسوح وأنه سيحطم أعداءه .

مزمور رقم ١٨ وهو عبارة عن تسابيح وشكر للرب ودعاء للتخلص من الأعداء .
مزمور رقم ٢٠ , ٢١ ويتحدثان عن تقديم الملك للأضحية وتلقية البركات نيابة عن الشعب

مزمور رقم ٦٣,٢٨ حيث نجد الملك يصلى طلبا للعون .

مزمور رقم ١٠٦,١٠٥ اللذان يتضمنان صفات الملك الحاكم .

مزمور رقم ١١٠ ويتحدث عن الملك الذى اعتلى العرش ومساندة الرب له . ولمملكته ضد الاعداء .
وبالرغم من أن كلوزنر (١٥٨) يؤكد أن المزامير تتميز بقلة الاشارات إلى مجىء المملكة المسيحانية لكنه يتمسك بأن مجموعة المزامير السالفة الذكر تتضمن توقعات واضحة بقدوم المخلص وإن لم تكن قد وردت فى صيغة نبوءات بل فى أشعار وتسابيح للرب وهى تتضمن إشارات لقدوم المخلص الآتى فى نهاية الأيام وأن هذا دليل على احتواء المزامير على فكرة قدوم المسيح بمعناة الاسكاتولوچى أى فى يوم الآخرة (١٥٩) .
أما جرسمان (١٦٠) فبالرغم من أنه يعتقد أن المزامير تتحدث عن الملوك الحقيقيين من أسرة داود ، وأنها تشير إلى الملوك المعاصرين لزمن تآليفها ، وبالرغم من أنه أكد على ضرورة تفسير تلك الأشعار على ضوء الخلفية التاريخية لزمن تأليفها ، فإنه يرى أنها تتضمن فى نفس الوقت نبوءات بقدوم الملك المخلص المنتمى إلى آخرة الأيام .
لكننا نعتقد أن رأى جرسمان ينطوى على كثير من التناقض ، فكيف يمكن آن نفسر المزامير على أنها تشير إلى ملوك حقيقيين من أسرة داود حكموا بالفعل ،

---

١٥٨ ـ مرجع كلوزنر السابق صفحة ١٢٠

١٥٩ ـ راجع الفصل الثالث من نفس الباب .

160 — Mowinckel: He that Cometh. p. 13.

وفى نفس الوقت يفترض أنها تشير الى الملك المخلص الآتى فى اخره الأيام .

لكن يبدو ان جرسمان قد أعتمد فى رأية هذا على أن بعض المزامير تصف الملك من أسرة داود بصور وتعبيرات أسطورية تبدو كما لو كانت مستحيلة التحقيق ولهذا رأى فيها إشارات الى ملك نهاية الأيام الذى تصفه كتابات عصر فى التلمود (١٦١) بصور واوصاف اسطورية .

لكن مقارنة ماورد فى المزامير عن ملوك بنى أسرائيل مع الاوصاف التى كانت تطلق على ملوك الممالك الأخرى فى الشرق القديم تجعلنا نتصور أن شعراء المزامير لم يستعيروا هذه الأوصاف من أى شخصيات اسطورية بل ، انها تنتمى إلى المعتقدات الشرقية عن الملك حيث أنهم كانوا يعتقدون أن الملك شخص يتصف بصفات سماوية خارقة وأنه مخلوق فوق البشر (١٦٢) .

فيؤكد انجنل Engnell[١٦٣] أن الملامح والصفات الأسطورية التى تضفى على الملك مستمرة من المملكة السماوية التى ينتمى إليها الملك ـ حيث كانوا يعتقدون أن للملك قدرات ومواهب سماوية خارقة لم يكن فى مقدرة إنسان العصور القديمة التعبير عنها إلا بأفكار والفاظ اسطورية .

ويعارض كل من هولشر (١٦٤) ومونكل جرسمان السابق .

يقول مونكل : حتى إذا كانت الشخصية التى يتحدث عنها شاعر المزامير هى شخصية لها من الأثر مايستدعى وصفها بصفات مستعارة من شخصية أسطورية أو بعض الصفات الالهية ، فليس من الضرورى أن يكون المقصود بهذه الشخصية شخصية المسيح بمعناه الاسكاتولوچى ، ومن ناحية أخرى فإن الصيغه الاسطورية التى تسمو على البشر ليست دليلا على وجود شخصيات حقيقية أخذت منها صفات شخصية الملك التى تتحدث عنها المزامير ، بل أننا نجد أن هذه اللغة الشعرية المتطرفة مستخدمة عند البابليين والمصريين القدامى فى الأشعار التى تصف ملوكهم وأنها بالتالى لم تستمد فكرها أو أوصَافها من أى شخصية أسطورية أو من أى مبدأ عن مجىء مخلص أسطورى ، فقد كان الأسلوب الشائع فى الشرق القديم هو إضفاء نوع من الأسطورية والألوهية على الملك (١٦٥) .

---

١٦١ ـ انظر الباب الثانى ـ الفصل الاول .

١٦٢ ـ موسكاتى ، سينيو : تاريخ الحضارات السامية القديمة ص ٨٠ .

163 — Engnell: Studies in Divine Kingship in Ancient near East, 1943, P. 155.

164 — Black, a. ch: Eschatology, Artical in the Ency. Britanica Vol in P. 212.

165 — Mowinckel: He that Cometh P. 13.

بل أن اعظم دليل على ذلك ماتثبته وثائق مملكة بابل القديمة التى تشير إلى أن أرض الرافدين قد تغنو بمزامير وترانيم وأشعار غنائية كما الفوا أساطير لابطالهم وملوكهم تقوم على نفس الفكرة لتمجيدهم بإعتبارهم ملوكا عظاما وهى جميعا لاتخرج عن التعبيرات واللغة الأسطورية التى كانت السمة العامة عند وصف ملوك الشرق القدامى .

فتحدثنا أسطورة البطل جلجاميش عن أنه «رجل رأى كل شيء وعرف الأسرار واكتشف الحكمة «كما تصفه الالهة عشتر قائلة» تنحنى أمامك الملوك والحكام والأمراء وياتون اليك بنتاج الجبال والسهول جزية (١٦٧) .

كما تحدثنا وثيقة اخرى عن دعوات الملك سرجون الثانى التى يتوجه بها للاله تنيجيكو Ninigiku قائلا : «لتنبثق ينابيعك لسرجون ، ملك العالم وملك أشور ، وحاكم مدينة بابل .. لتأت ينابيعك بماء الرخاء والوفرة ولترو أرضه إجعل الخبرة العريضة والفهم الواسع نصيبه المكتوب له وحقق لعمله التمام واجعله يبلغ مايرمى إليه .(١٦٨) .

وهى الوثائق التى تؤكد أن شعراء المزامير العهد القديم قد استمدوا نفس الأفكار والتعبيرات الأسطورية من ممالك الشرق العظيمة التى كانت تحيط بهم .

وبناء على ماسبق يمكن أن نخلص إلى أن المزامير التى ذكرناها سلفا تتحدث عن الملك المعاصر ـ من ـ نسل داود (١٦٩) الذى اعتلى العرش والذى يأمل الشعب فى أن يكون مخلصا لهم من الأعداء (١٧٠) المحيطين بهم أو تحمل دعوات الملك متوجها للرب بمعاونته على أعدائه (١٧١) ، أو إعلان الملك يوحى يهوه إليه بمستقبلة الملكى (١٧٢) أو تتحدث عن الملك الموجود فى المعبد

---

١٦٦ ـ كالوثائق المكشفة فى قصور مارى ـ فى اى الرافدين او مابين النهرين ـ وغيرها راجع موسكاتى . الحضارات السامية القديمة . ص ٦١ ـ ٦٥ . ويرجع زمن تلك الوثائق الى مابين ٢٣٥٠ ـ ٢١٥٠ ق . م .

١٦٧ ـ ملحمه جلجا ميش اللوحة السادسة . نقلا عن المرجع السابق .

١٦٨ ـ المرجع السابق ص ٩١ .

١٦٩ ـ يؤكد عدد كبير من باحثى العهد القديم على أن الانبياء وسفراء المزامير كانوا يطلقون لفظ داود على الملك باعتباره من نسل أسرة داود . انظر الفصل السابق ص .

١٧٠ ـ مزمور ١١٠ .

١٧١ ـ مزمور ٢٨ و ٦٣ .

١٧٢ ـ مزمور ٢٠ .

١٧٣ ـ مزمور ٢٠ .

ويشترك فى أعمال الطقوس ويقدم الأضحية (١٧٣) أو يتلقى الصلوات والبركات كوسيط بين الرب وبين بنى إسرائيل (١٧٤) ، أو تسجل وعد يهوه له وصفاته الملكية (١٧٥) وكلها تصف أحداثا معاصرة بصورة شعرية وتضفى على الملوك نوعا من الصفات الأسطورية كعادة شعراء الشرق القديم .

ب - أسفار الأنبياء :

تعد أسفار الانبياء المصدر الحقيقى للاصول الأولى لفكرة الخلاص فى العهد القديم ، ويمكننا الكشف عن تلك النبوءات التى تتحدث عن الخلاص أو تبشر بمجىء الملك المخلص «مسيح يهوه» من خلال الوقوف على حقيقة ماتشير إليه تلك النصوص من أفكار .

ونقول إبتداء أن تقرير ما إذا كانت أى من تلك الفقرات الواردة فى أسفار الانبياء تنتمى إلى فترة العهد القديم هو أساس هام لبناء دراستنا النقدية للأمل فى مجىء مخلص ، ولان ذلك من شأنة أن يجعلنا قادرين على تحديد الأطوار التى مرت بها فكرة الخلاص عند بنى إسرائيل فى العصور المتعاقبة .

والواقع أننا لسنا هنا فى مجال يسمح لنا باجراء بحوث دقيقة لتلك النصوص لتاريخ كل فقرة منها ، لكننا سنبدأ من حيث انتهى ناقدو العهد القديم المحدثين ، وما أعلنوه من حقيقة أن أسفار الأنبياء تتكون من مجموعة من الأقوال والنبوءات وانتقلت خلال فترات طويلة عبر دوائر حواريى هؤلاء الأنبياء حتى تمت كتابتها اخيرا ، ووصلت بين ايدينا بالصورة التى عليها الآن ، كما أنها قد تعرضت لبعض الاضافات خلال الفترات التى سبقت تدوينها . وكانت خلاصة تلك الأبحاث أيضا أن كثيرا من أسفار الأنبياء تتضمن اقوالا متأخرة عن النبى الذى تحمل أسمه (١٧٦) ، ولكنها مع ذلك تكون فى مجملها مجموعة من الأقوال النبوية منسوبة لأنبياء عاشوا قبل تقلص الدولة او بعد تدمير المملكة بصورة نهائية عام ٥٨٦ ق . م بفترة وجيزة :

أما منهجنا فى تناول هذا الجزء فسوف يكون على النحو التالى :

١) قصر الدراسة فى هذا الجزء على الفقرات التى ينتمى زمن كتابتها إلى فترة

---

١٧٤ - مزمور ٢٠/٦ - ٧.

١٧٥ - مزمور ١٠١.

١٧٦ من أوضح الأمثلة على ذلك الاصحاحات ٤٥/٦٦ من سفر الاشعياء والتى يطلق عليها اشعياء الثانى وتنسب الى حوارى من تلاميذ اشعياء عاش بعده بماشتى سنة ، وكذلك الاصحاحات ٩ : ١٤ من سفر زكريا التى تنسب الى كاتب آخر مجهول عاش بعد زكريا بمائة وخمسين سنة .

العهد القديم ، وبناء على ذلك فاننا سوف نستبعد من الدراسة هنا بعض الفقرات التى تناولت أيضا فكرة الخلاص ولكنها لاتنتمى فى زمن كتابتها إلى آداب فترة العهد القديم بل إلى فترات زمنية أخرى متأخرة وسوف نرجىء ذلك إلى الباب الثانى فى موضعه . (١٧٧)

٢) تحديد الفقرات التى تشير إلى نبوءات بقدوم الخلاص ودراستها إعتمادا على الخلفية التاريخية لزمن كتابتها وتوضيح حقيقة ماتشير إليه مع الربط بينها وبين الفقرات المتشابهة معها فى اجزاء أخرى .

٣) لن يكون تناولنا لتلك الفقرات وفقا لترتيب الأسفار فى العهد القديم ، بل وفقا لأهميتها كنبوءات تشير إلى الفكرة المسيحانية وتطابقها مع الواقع التاريخى الذى تشير اليه .

(أ) نبوءة عمنوئيل الواردة فى سفر اشعياء ٧/١٠ ـ ١٦

تتعلق نبوءة عمنوئيل الواردة فى الاصحاح السابع من سفر أشعياء بحادثة ميلاد طفل من سيدة تطلق عليه إسم «عمنوئيل» يتغذى على اللبن والعسل ، ويرتبط ميلاد هذا الطفل بمجىء الخلاص ، فالآية الخامسة عشرة تخبرنا بأنه قبل نضوج الطفل سيكون الرب قد كتب للملك الخلاص من مؤامرة حيكت ضده .

والنبوءة بهذه الصورة تبدو لنا غامضة كلية لكن من الممكن فهمها على ضوء دراسة الظروف التاريخية والسياسية التى دعت النبى اليها . فقد تحالف كل من ملك سوريا وملك اسرائيل لعزل الملك آحاز ملك يهوذا وتعيين آخر بدلا منه هو بن تابيلBentabeel ، وكان من المتوقع أن تتعرض المملكة لمذبحة عظيمة فى حالة وقوع هذه الأحداث .

ويبدو وأن الملك لم يكن واثقا فى مساندة يهوه له وكان يفكر فى طلب العون من ملك آشور . لكن اشعياء كان يرفض هذا فقد كان يعتقد أن ملك آشور رجل متعجرف وثنى ويضع قوة الانسان فوق قوة الآله . ولم يفقد اشعياء الأمل فى عودة آحاز إلى طريق يهوه فأخبره بنبؤة تحمل دليلا على الانتصار وبهذا لن يضطر إلى اللجوء لمعاونة خارجية ، إن يهوه نفسه سيجعل للملك علامة على الانتصار وسيتقبل آحاز هذه العلامة ويعود إلى طريق يهوه وبالتالى يتحقق النصر على الملكين المتآمرين . تلك العلامة هى أن المرأة التى ظهرت ستلد طفلا وتسميه عمنوئيل غذاؤه اللبن والعسل وقبل أن ينضج هذا الطفل بدرجة كافية تمكنه من تمييز الشر عن الخير سيحقق الرب للملك أنتصاره ويمكنه من القضاء على الملكين المتآمرين ضده .

---

١٧٧ ـ أنظر الفصل الاول من الباب الثانى «الابوكالپس اى الادب الرؤوى» .

وبالرغم من وضوح هدف اشعياء من نبوءته الإ إنهاتنطوى على كثير من الغموض المرتبط بشخصية الطفل المولود وشخصية امه فالنبى يروى لنا النبوءة بتلك الصورة الغامضة ويتركنا فى حيرة دون الاجابة عن عديد من الاسئلة .

فمن هى تلك المرأة ؟ هل هى زوجة الملك ؟ ام هى زوجة النبى نفسه ؟ أم أنها إحدى النسوة تصادف وجودها أمام النبى ؟ أو هى مجرد إمرأة كانت على وشك الوضع يعرفها النبى ويعرفها الملك أيضا ؟

إن النبوءة لاتوضح لنا شيئا عن هذا ولاتعطينا أى معلومات عن أم الطفل .

وينطبق نفس الشىء على الطفل المولود ، فالنبى لايوضح لنا أى شىء عن شخصية الطفل نفسه أو أى صورة عن مستقبله ، وما إذا كان سيحكم إسرائيل كملك أم أنه سيحتل مركزا آخر عظيما فى المملكة ، أم سيقوم بتخليص شعبه من محنته ؟ بل على العكس من كل ذلك فان الآيات تذكر أن يهوه سيدمر الأعداء قبل أن ينضج الطفل ويصبح قادرا على التمييز بين الخير والشر .

يبدو لنا هنا أن أساس النبوءة هى وضع علامة وثيقة الصلة بين ميلاد الطفل ومجىء الخلاص كما تركز النبوءة أيضا على إسم الطفل الذى سيطلق عليه عند مولده مباشرة .

وبناء على هذا الهدف الذى أكد عليه النبى ، فإننا سنحاول هنا تحديد هدف اشعياء من نبوءته وماتؤكد عليه بشىء من التفصيل :

١)تشير الآيات إلى أن هدف العلامة التى تتركز على ميلاد الطفل واسمه : هو حث أحاز على العودة السريعة لايمانه بيهوه والاعتماد عليه وطاعته الكاملة ، فبهذا فقط يكون قادرا على تقرير الاتجاه الصحيح فيما يواجهه من أحداث تقع فى نفس زمن النبوءة فالآيات تشير بوضوح إلى أن العلامة ستأتى سريعا وقبل وقوع الآحداث (١٧٨) وإتمام المؤامرة .

٢) إن اشعياء يتنبأ بأنه إذا لم يكن لدى أحاز الشجاعة الكافية ومخافة يهوه ليطلب علامة منه تؤكد على إنتصاره ضد الأعداء ، فان يهوه نفسه سيعطيها له بدون تأخير أو تردد ، إن المرأة الحامل ستلدولدا وتطلق عليه إسما يعبر عن الثقة المطلقة فى أن يهوه سيحمى شعبه من المتآمرين ، وهذا الاسم هو عمنوئيل أى «الرب معنا» ومن المعروف أن عبارة عمنوئيل كانت صيحة ونداء مألوفا فى طقوس المحراب (١٧٩) . فاشعياء يرى أن تلك المرأة سترحب بوليدها باطلاق هذا النداء عليه

---

١٧٨ ـ وليس بعد الاحداث كما ورد فى سفر الخروج ١٢/٣ عندما وعد الرب موسى بأن يظهر له علامة بعد إتمام الخروج من مصر .

١٧٩ ـ كان هذا الهتاف ايضا تكلفة الجماهير كتحية للملوك القادمين فى أى احتفال وخاصة احتفالات الحصاد والتتويج كما يستدل على ذلك من مرمور ٠٤٦ راجع
Mowinckel: He that cometh; p. 112

عند مولده معبرة عن تأكيدها لصدق العلامة . (١٨٠)

٣) ذكرنا أن اشعياء لم يمدنا بأى معلومات عن الطفل أو عن دورة فى الخلاص ، ومن هنا يتضح أن قيمة العلامة تكمن فى ميلاد الطفل والاسم الذى أطلق عليه . إن ميلاد الطفل تعبير عن أنه منذ ذلك الحين فإن «الله معنا» ومجرد ميلاد الطفل هو فى حد ذاته البشارة بالخلاص والدليل على ذلك هو نص الآيه الصريح فنعرف أنه قبل أن ينضج الطفل ويصل إلى سن تسمح له بالتمييز بين الخير والشر سيتحقق الخلاص ويقضى يهوه على خطة الملكين المتآمرين .

٤) لكن ماذكر عن طعام الطفل يوضح لنا أن المقصود به ليس طفلا عاديا . بل ينتمى بدرجة ما إلى عالم الالوهية (١٨١) ، فالآيه توضح أنه سيأكل اللبن والعسل . وقد أثبت اوسنر (١٨٢) ووافقه عديد من الباحثين أنهم كانوا قديما يعتقدون أن اللبن والعسل هو طعام الآلهة كما كان هذا التعبير يستخدم لوصف خصوبة الأرض (١٨٣) .

وهكذا يمكن أن نستنتج أن هذا الاهتمام بالاشارة إلى طعام الطفل وإهمال الاشارة إلى أمور أخرى أكثر أهمية تتعلق بشخصية الطفل ومستقبله وشخصية أمه ، توضح أن اشعياء كان يشير هنا إلى مبادىء أقاصيص كانت مألوفه لدى السامعين كما أنهم يعرفون تفاصيلها التى لاتعلم التى لاتعلم عنها شيئا والتى جعلت النبى لايرى حاجة إلى الاشاره اليها .

---

١٨٠ ـ كان من المألوف فى هذ العصر أن أول هتاف او نداء ينطلق بعد مولد الطفل كان يعتبر نذرا بمصيره وصفاته كما تدلنا الآيات ٢١/٢٩ و ١٦/٣٥ من سفر التكوين و ١٩/٤ ـ ٢٢ من صموئيل الأول وتدلنا ايضا آيات اشعياء ٣/٨ وهوشع ٤/١ أن الاسماء التى تطلق على المولود تشير إلى حادثة معينةلا يتصادف وقوعها مع ميلاد الطفل .

١٨١ ـ أشار موسكاتى إلى ان اللبن والعسل والزيت والنبيذ والجعة كانت من أكثر السوائل تقدم القرابين لآلهة أهل الرافدين أنظر الحضارات السامية القديمة ... ص ٨١ .

١٨٢ ـ ذلك فى كتابه Reheinisches Museum Fur Phelogie نقلا عن He hat Cometh . 112 وبناء على هذا التفسير اعتقد اوسنر أن عمنوئيل طفل ينتمى لعالم الآلهة ، ويرى مونكل ان هذا التفسير يتضمن جزءا من الصواب فقد كان العسل واللبن (او الزبد) يستخدم فى الطقوس فى الشرق القديم ويتضح من النصوص الأوجاريتيه أن نفس الشىء كان عند الكنعانيين ايضا ، كما تقص الأساطير اليونانية أن طفل الآلهة كان يتغذى باللبن والعسل كما كان هذا الطعام يعتبر الطعام الذى يسعد كل من الآلهة والبشر ومع كل هذا يعترض مونكل على إعتقاد اوسنر بأن هذا دليل على ان اشعياء يشير إلى طفل الهى لان الآيه لاتحتوى على أى شىء يؤيد هذا .
Mowinckel: He that Cometh P. 113

١٨٣ ـ يرمز سفر الخروج إلى خصوبة أرض كنعان بانها الارض التى تفيض لبنا وعسلا .

٥) ان النبى لايلقى أى ضوء على شخصية أم الطفل ، والوقع آن باحثى العهد القديم لم يتوصلوا حتى الآن إلى رأى قاطع حول شخصية تلك المرأة أو للمعنى المحدد للفظ ها علماه الذى يطلقة عليها والذى ترجم بمعنى المرآة آو العذراء (١٨٤) ، لكن إستخدام النبى لأداه التعريف (الهاء فى العبرية) دليل على أنه يشير إلى شخصية معينة يعرفها الملك تماما ، ويبدو أن النبى قد عمد إلى ذلك لأنه كان يخشى رفض الملك آحاز لنبوءته فتنصرف عنها باعتبارها آوهاما .

وربما يمكن أن نكشف عن هذا الغموض إذا إفترضنا أن أشعياء كان يشير إلى إعتقاد معروف ومنتشر فى ذلك الوقت عن أسطورة ميلاد طفل ملكى يكون بشارة (١٨٥) لتغيرات عظيمة ونذيرا بتجديد مظاهر الحياة على الأرض وهى أسطورة كانت منتشرة بين الكنعانيين . (١٨٦)

فقد ورد بين نصوص المصادر الاوجاريتية (١٨٧) أسطورة تقول بأن المرأة الصغيرة التى تنتمى إلى عالم الآلهة ستلد طفلا إليها يصبح فيما بعد بطلا ملكيا . وكان يطلق على هذا المرأة لفظ Galmato «جالماتو» وهو لفظ كان يطلق أيضا على إلهة لها نفس صفات الالهة عنات Anath ربه الخصوبة الكنعانية التى كانت تدعى أحيانا بالعذراء عنات . (١٨٨)

ويبدو أن اشعياء هنا كان متأثرا بقدر ما بتلك الأسطورة عند صياغة نبوءته .

٦) ولكن مقارنة ماورد فى النبوءة بالظروف التاريخية التى كانت تحيط بالملك آحاز ملك يهوذا والمؤامرة التى حيكت حوله لخلعه وتولية ملك آخر وهو بن تابيل وهو ملك آرامي ، فإن هذا يوضح أن شعور النبى كان ينم عن تخوف من نهاية أسرة داود وعدم استمرارها فى الحكم .

---

١٨٤ ـ وليس بعد الأحداث كما ورد فى سفر الخروج ٣/١٢ عندما وعد الرب موسى بأن يظهر له علامة بعد اتمام الخروج من مصر .

١٨٥ ـ يشير العهد القديم أيضا إلى أن ميلاد طفل ملكى كان يوصف بأساليب أسطورية ، فقد كان مؤلف المزامير يعتقد بأن الملك سيولد من نسل يهوه وأن الهه نور الصباح هى التى ستلده (مزمور ٢/٧و ١١٠/١) لكن يجب أن نضع فى الاعتبار أن هذه الأوصاف كانت مجرد لغة شعرية ولاتدل على إنهم كانوا يؤمنون بالوهية الملك راجع الفصل الثانى من نفس الباب .

١٨٦ أنظر ملحوظة رقم (١٨٢) فى الصفحة السالفة .

١٨٧ ـ هى مجموعة الواح مكتوبة بخط مسمارى بعدة لغات : الأكرية والمصرية والحيثية وتحتوى على وثائق أدبية عظيمة ووثائق أخرى لها طابع دينى أو إدارى أو دبلوماسى وقد تم الكشف عنها بمحض الصدفة عام ١٩٢٨ وكانت هذه الوثائق موجودة ضمن آثار مدينة قديمة نذكرها وثائق مصر وأرض الرافدين والاسم العربى الحديث للتل الذى أكتشفت تحته هو رأس الشمرة وتقع بالقرب من ميناء «مينة البيضاء» فى الجزء الشمالى من الساحل السورى ، أنظر كتاب موسكاتى الحضارات السامية القديمة ص ١٤٧

١٨٨ كان شائعا فى عصر اشعياء الايمان بوجود مخلوقات خارقة ويبدو أنه كان يؤمن بها ، راجع اشعياء ٣٠ / ٦ .

وهنا يتأكد لنا أن نبوءة اشعياء ليست مجرد تفكير أسطورى محض ، عن سيدة تلد طفلا إلهيا .. بل ربما كان النبى يشير إلى زوجة الملك وبأنها ستلد ولدا ، فاذا رجع آحاز إلى طريق الرب ، فإن يهوه سيحقق له الخلاص من هذه المؤامرة التى تهدف إلى الاطاحة بحكمه وبالتالى يحفظ له عرش مملكة يهوذا ولابنه من بعده باعتبارهما من نسل داود . (١٨٩)

ولكن الملك آحاز لم يصغ لاشعياء واستمر فى طريقه ولم يتبع وصايا الرب ولم يكف عن آثامه .

ومن هنا فإننا نرى أن هذه الآيات ، وإن كانت تستمد بعض عناصرها من أصول أسطورية قديمة إلا أنها تحتوى على اشارات اشعياء لنبوءة بمجىء خلاص قريب وهى نبوءة متعلقة بأحداث يتوقعها النبى فى عصره وهى تعد من البدايات الأولى للنبوءات التى تبشر بالخلاص القريب فى العهد القديم .

وربماتتشابه هذه النبوءة مع نبوءة أخرى فى نفس السفر وهى نبوءه ميلاد طفل الوارده فى الاصحاح التاسع .

٢) ميلاد طفل اشعياء ٩/١ - ١,١ .

تصف هذه الآيات الليل القائم وسوء الحظ الذى يعيش فيه الشعب ، ثم تخبرنا بحدوث الخلاص المفاجىء الذى يشبهه النبى ببزوغ النور من الظلام على أبناء الشعب الجالسين فى أرض ظلام الموت ، ثم يصف فرحتهم بالخلاص العظيم ويشبهها بفرحتهم فى يوم الحصاد .

وإن كان النبى لايعلن لنا هنا ماهو سوء الحظ الذى يعيش فيه الشعب الا أننا نفهم من الآيات التالية أنه ظلم الحكم الاجنبى الذى تعكسه الآيه الرابعة التى توحى بأصوات المراكب الحربية وتشير الى الأصوات التى تحدثها ، كما تشير إلى آثار بقع الدماء التى تحدثها الجيوش المحتلة . ويخبرنا النبى بانتهاء كل تلك الالام فجاة ، عندما أشرق عليهم نور عظيم ، واندلع من ظلمة أرض ظلام الموت . أما الشعب الذى يعيش فى ذلك الظلام فيقابل النور العظيم بفرح هائل كفرح يوم الحصاد . ثم يفسر النبى المقصود بمعنى مجىء النور هنا ، وهو إنكسار نير الحكم الأجنبى ومملكته الظالمة . وأخيرا يصل بنا النبى إلى هدف نبوءته فيقول فى الآيه السادسة «يولد ولد بيننا ونوهب إبنا» فالنور الذى يبزغ من الظلام جاء مع ميلاد هذا الطفل الذى سيكون حاكم المستقبل وإداة إلهيه وسيجلس على العرش العظيم لمملكة داود كسليل له ويجعل السلام والعدل والفضيلة تسود المملكة إلى الابد .. وباختصار فإنه سيوفر لهم ظروف الحياة السعيدة بكل معانيها .

---

١٨٩ - يرى جوردون ان النبى كان يشير الى زوجة الملك التى كانت النبى يعرف انها ستلد بعد عدة اشهر راجع تفسير جوردن لاشعيا صفحة ٧١ كما يؤكد مونكل ذلك ايضا .

Mowinckel: He that cometh, P. 114.

.ثم يؤكد النبى فى آخر النبوءة على أن كل هذا سيتحقق على يدرب الجنود وآن الملك ماهو الا أداة ينفذ بها الرب مهمته لتحقيق تلك الحياه المثالية على الأرض .

كان ذلك شرحا لنص نبوءة أشعياء وسنحاول هنا الوقوف على بعض التعبيرات الواردة فيها لنتعرف على المعانى المتضمنة لها .

(١) يصف النبى صورة الظلام المخيم على أبناء الشعب بظلام مملكة الموت ثم يشبه مجىء المخلص الذى سيقضى على هذه الحالة بإشراق النور على الشعب الذى يعيش فى مملكة ظلام الموت .

وربما تدلنا الاستعارات لوصف ظلم الحكم الاجنبى آن النبى قد استمدها من أساطير قديمة كانت منتشرة بين آبناء الشعب .

فيرى مونكل (١٩٠) أن النبى كان يشير بصورة خاصة إلى أسطورة كنعانية تتحدث عن إله الشمس وإله الحياة وهو يغزو العالم السفلى لينقذ الموتى ويعيد النور والحياة للعالم مرة أخرى .

أو ربما يشير الى اسطورة أخرى متشابهة وهى آسطورة تصور نزول الاله بعل إلى عالم الموت وصراعة مع إله هذا العالم الذى يسمى «موت» وتنتهى هذه الأسطورة بانتصار بعل وعودته إلى الأرض وهى العودة التى تآتى معها الخصوبة والخير لكل الأرض . (١٩١)

ويبدو مما سبق أن النبى قد إستعار هذه الصور من عقيده الكنعانيين التى كانت تنتشر فيها مثل هذه الأساطير ، وقد أراد النبى من ذلك وصف حالة بنى إسرائيل تحت الحكم الاجنبى ثم ظهور الخلاص المفاجىء .

(٢) شبه اشعياء فرحة الناس بالخلاص كفرحتهم يوم الحصاد ، وربط مجىء هذا الخلاص مع ميلاد طفل .

وربما نجد تلك التشبيهات أيضا تأكيدات أخرى على إستعاره النبى لهذه التشبيهات من أساطير كانت منتشرة فى أرض كنعان قبل مجىء بنى إسرائيل إليها .

إن هذا الربط بين ميلاد طفل ، بشير الخلاص وفرحة الحصاد الذى قام به النبى هنا ليس من قبيل المصادفة . فقد كان من الشائع فى الشرق القديم (١٩٢)

---

190 — Mowinckel: He that Cometh; P. 102.

١٩١ ـ يبدو أن هذه الأسطورة تشير إلى دورة المفضول ، فقد كان الاله بعل اله المطر واله الشمس أيضا والخصوبة . وكان يحكم الأرض من سبتمبر إلى مايو ، أما الاله موت فهو إله الجدب والموت ويحكم الأرض فى فصول الصيف وفى كل عام ينتهى الصراع بينهما ويعود بعل ليحكم الأرض مرة أخرى فى فصل الخريف والشتاء حيث تهطل الامطار وتعم الخصوبة كل الأرض : انظر موسكاتى قصة الحضارات السامية ص ١٣٠ : ١٣١ .

١٩٢ ـ يظهر هذا بصورة مباشرة من المصادر القديمة أنظر Frankfort: Kingship and Ancient Israel, p. 193 كما نجده أيضا عند البابليين والاساطير الكنعانية انظر موسكاتى الحضارات السامية القديمة ص . ١٣٠ ومابعدها .

أن يوصف الملك على أنه ابن الشمس وإله الخصوبة وبمقارنه الفرحة التى تحدث عند مولد الطفل بالصياح فى عيد الحصاد نجد صدى فكرة الارتباط بين الملك وإله الخصوبة .

(٣) يؤكد اشعياء على حدوث الخلاص وانتصارهم على الأعداء مرة أخرى وهو الانتصار الذى سيتبعه فرحة وبهجة بتقسيم غنائم الحرب وأنهم سيكسرون نير الاعداء مشيرا إلى تجربة أخرى ماضية وهى انتصارهم على الميدين . (١٩٣)

(٤) رأينا أن النبوءة تربط بين ميلاد طفل ملكى وبين إنهاء حالة الظلام .

ويبدو واضحا من تلك النبوءة أن الفكرة التى كانت سائدة فى الشرق القديم للتعبير عن الوعود بالانتصار من خلال ميلاد طفل ملكى كانت منتشرة ايضا بين انبياء بنى اسرائيل فميلاد الطفل فى اشعياء هو بمثابة أمل للناس بتجديد الحياة وحدوث الخلاص .

أما الطفل فى حد ذاته فالنبوءة لاتهتم به إهتماما خاصا .

(٥) يعبر النبى عن الارتباط بين ميلاد الطفل وبين نهاية المظالم ومجىء الخلاص الأبدى ، ويؤكد هذا باطلاق أسماء عديدة على هذا الطفل وهى فى مجملها عبارة عن صفات له حينما يصير ملكا ، فهو كما يعتقد النبى حاكم قدير ، ومشير وناصح ورئيس للسلام .

ويبدو أن النبى هنا أيضا يتحدث عن عادة شرقية قديمة حينما كان من المعتاد أن تتضمن إحتفالات التتويج منح الملك الجديد أسماء ملكية تعبر عن طبيعة وصفاته وصلته بالآلهة . (١٩٤)

فيؤكد فون جال أن هذه العادة كانت تشكل ايضا جزءا من طقوس التتويج عند بنى إسرائيل وهذا مايشير إليه النبى فى الآيه السادسة «فهو حاكم عظيم ومستشار قدير وبطل الهى ذو قوه وبأس .. وكل تلك الصفات كانت من المهام التى يجب أن يقوم بها ملوك بنى إسرائيل القدامى . (١٩٥)

وهنا يبرز العنصر المثالى الذى لايمكن تحقيقه فى تلك النبوءة .

فالنبى يتنبأ بتحقيق الخلاص بمجرد ميلاد الطفل ، يضع فيه صفات خارقة مثاليه عندما يصير رئيسا وحاكما لشعبه ، ولكن فى نفس الوقت ، يؤكد النبى على عنصر هام جدا وهو أن الملك لن يقوم بتأسيس تلك المملكة القوية المرجوة بل أن

---

١٩٣ ـ يشير النبى هنا إلى إنتصار بنى إسرائيل على الميديين تحت قيادة جدعون انظر قضاه الاصحاح السابع .

١٩٤ ـ كما يقول Engnell فى كتابه Divine Kingsnhip p. 147.

195 Von Rade: Frankfort: Kingshio and Ancient I

غيرة وحماسة رب الجنود هى التى ستحقق هذا ، والطفل الذى سيصير ملكا مجرد أداة فقط لتحقيق مشيئة الرب .

نستنتج مما سبق أن نبوءة اشعياء بمجيء الانتصار والخلاص من الأعداء مع ميلاد طفل ملكي جديد ، ثم سرد النبى لاوصاف هذا الملك الذى سيحكم في المستقبل - وهى جميعا أوصاف مثالية - أنها نبوءات تتضمن أمل النبى فى مجيء الخلاص فى المستقبل على يد الحاكم الجديد الذى سيتم تنصيبه قريبا وهو ما يجعلنا نصنفها مع النبوءات بمجيء مخلص المستقبل المثالى ومع ذلك تؤكد أن توقعات النبى تشير إلى مجيء المخلص فى المستقبل القريب كما انها تجدد تلك الأمال فى شخص موجود أو معروف للنبي والناس ويبدو أن النبى كان يشير هنا إلى الملك حزقيا آحاز ملك يهودا[١٩٦] الذى حكم فى ٧٢٦ - ٦٩٨ ق . م وكان النبى يأمل أن يحقق هذا الملك الجديد خلاص شعبه من الأعداء وأن يتحلى بالصفات المرجوه من ملك المستقبل المثالى ، أى أن يكون مستشارا قديرا وأبا أبديا ورئيسا للسلام وأن يحكم بالعدل والصدق .

ولكن حزقيا كان شخصا محدود القدرات ولم يحقق أيا من تلك الآمال التى وضعها فيه النبى .

(٣) نبوءات زروبابل :

رأينا فيما سبق أن نبوءات اشعياء التى تحتوى نبوءات بمجيء مخلص قد جاءت قبل إنهيار المملكة نهائيا ، وبالتالى فهى تنتمى إلى فترة كان فيها بيت داود لايزال فى قوته بصفته الأسرة الحاكمة فى أورشليم .

وكانت النتيجة التى أستخلصناها هى أنها نبوءات تعكس أملا فى مجيء ملك صالح ينهى حالة الفوضى والدمار التى تعانى منها المملكة المنهارة ، وأنها تفترض حدوث الخلاص فى المستقبل القريب .

اما أقوال النبيان حجي وزكريا عن أمل الخلاص فهي تختلف عن تلك النبوءات السالفة ذلك لأنها تاتى بعد إنهيار المملكة وبالتالى ملكية أسرة داود نهائيا من عرش يهوذا أو اسرائيل .

وهنا يمكن أن نقول أن هذه النبوءات والآمال التى وضعها حجى وزكريا فى زروبابل حاكم مقاطعة يهودا تمثل مرحلة انتقالية هامة من مراحل تطور النبوءات عن الملك المخلص إلا أنها - كما سنرى تمثل امالا متواضعة جدا ومحدودة للغاية .

---

١٩٦ - اكد جمهور كبير من الباحثين على ذلك مثل جوردون وكلوزنر ومونكل وكاستيلى راجع كلوزنر العقيدة المسيحانية فى ارض اسرائيل صفحة ١٣٥

وربما يتضح لنا ذلك على ضوء الخلفية التاريخية لموقف بنى إسرائيل من العودة من السبى تحت حكم الامبراطورية الفارسية .

أصدر كورش تصريحا لليهود بالعودة الى مقاطعة يهودا ، ولم يكن تصريح كورش خاصًا ببنى اسرائيل ولكنه سمع بعودة جميع الشعوب التى سبيت على يد البابليين إلى أوطانها . لكن العودة إلى الأوطان لم تكن تسمح لليهود أو غيرهم من الشعوب الاخرى بالاستقلال الكامل عن الامبراطورية الفارسية ، فقد ظلوا تابعين لها سياسيا ويدفعون الجزية المقررة .

إلا أن أعدادا كبيرة من بنى إسرائيل رفضت نداءات العودة من السبى ، فقد كانوا مستقرين فى بابل ينعمون بخيراتها ويعيشون فى حرية دينية مع غيرهم من المواطنين الأصليين ولم يستجب لتلك العودة إلا قلة ضئيلة وفقيرة وقد أدت العودة بتلك الصورة إلى انتشار خيبة الأمل بين تلك القلة العائدة لفشل ما صوروه فى مخيلتهم عن مملكة الخلاص التى وصفها الانبياء بأوصاف أسطورية ومثالية .

فضلا عن ذلك فقد كان العائدون منصرفين عن إعادة بناء المعبد وانغمسوا فى البحث عن مصادر الرزق وتكوين الثروات فى الأرض التى عادوا اليها(١٩٧)

وانصرفت مجموعات أخرى من السبايا عن تلك العودة رافضين التخلى عما كونوه من ثروات فى البلاد التى استوطنوا فيها والعودة الى أرض لاخير فيها ولااستقرار(١٩٨) .

وقد عمل كل من النبى حجى وزكريا فى تلك الفترة ، على تشجيع الشعب وحثه على الاهتمام ببناء المعبد وسرعة الانتهاء من هذا العمل العظيم بالجهد والمال وخاصة بعد الاضطرابات العنيفة التى شهدتها الامبراطورية الفارسية بعد موت قمبيرا بن كورش ، واعتلاء داريوس عرش الامبراطورية بطريقة غير شرعية(١٩٩) ، مما ادى ببعض المقاطعات التابعة للامبراطورية الفارسية إلى محاولة الاستقلال .

---

198 Osterely and Robenson: A History of Israel Oxford 1951 Vol II. P. 305.

199 — Plummer, A.: International Comentery on the Holy Scripture of the Old and the New Testament London 1971, P. 9.

١٩٩ - ويعرف ايضا بدارا الاول وقد حكم البلاد بعد قمبير وتولى العرش بطريقة غير شرعية (حوالى ٥٢٢ - ٤٨٦ ق . م) فلم يكن من الأسرة المالكة بل كان قائدا عسكريا راجع ويل ديورنت قصة الحضارة الفارسية ترجمة . أمين الشواربى مطبعة الخارندار ١٩٤٧ م وكذلك كتاب تاريخ ايران القديم من البداية حتى نهاية العصر الساسانى تأليف حسن بيوينا ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم . السباعى محمد السباعى - مراجعة . يحيى الخشاب مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٩ ص ٩٥ .

وقد رأى النبى زكريا فى تلك الاضطرابات العنيفة علامة مميزة تشير إلى قرب حدوث الخلاص ومجىء الملك المسيح ، ولهذا فقد دعا الشعب إلى سرعة الانتهاء من بناء المعبد ليكون مهيئا لاستقبال المسيح ، ملك المستقبل .

وهنا يشير العهد القديم لاول مرة الى شخصية مسيح يهوه الملك المخلص لشخص معروف وحاكم موجود بالفعل .

فقد رأى حجى وزكريا أن زرو بابل حاكم مقاطعة يهوذا هو ذلك الملك المنتظر ـ وأعلنا انه من خلال هذا الرجل ستستعيد أسرة داود مجدها القديم ، وسيحكم إسرائيل مرة أخرى ملك يحقق لها المثالية القديمة .

ولهذا تعتبر التوقعات الخاصة بزروبابل مرحلة متطورة أساسية فى العقيدة المسيحانية فى بداية عصر المعبد الثانى .

فالتوقعات المثالية التى ربطها الانبياء قبل السبى بملوك معينين أحيانا ، أو الآمال التى علقوها على حاكم ماغير معروف والتى تنتمى إلى مستقبل قريب ، قد أصبحت الآن فى متناول اليد .

كما اكتفى حجى وزكريا بتحقيق نبوءات متواضعة للمثالية الملكية التى سبق أن تحدث عنها الانبياء بصورة مزدهرة ومثالية

فكانت التطلعات السياسية التى وضعها هذان النبيّان فى زروبابل ضئيلة جدا وربما يعود ذلك إلى ماسبق ذكره من أن الامبراطورية الفارسية لم تكن تسمح للمقاطعات بالاستقلال عنها .

وربما يفسر هذا أيضا سبب إتجاه زكريا بوضوح أكثر من حجى إلى التأكيد على الأمال الروحية أكثر من التطلعات السياسية .

أما « مسيح يهوه » ، أى الملك الذى سيحكم تلك المملكة ، فيظهر أمامنا فى هذه النبوءات كرجل معاصر ، موجود بالفعل بين العائدين من السبى حقا أنه رجل يحمل الجلالة ويجلس ويتسلط على كرسيه ويبنى المعبد لكنه ليس رجلا عظيما بنفس الصورة الشائعة فى أسفار الانبياء ، كما أنه لا يعد شعبه بآمال عظام ، بل ربما يمكن أن نقول أن الأساس الذى يعتمد عليه اختياره حاكما على يهودا هو أنه فقط من نسل داود(٢٠١) .

وهكذا نرى ان الافكار والآمال التى تحدث عنها الأنبياء بصورة مثالية ومبالغ فيها ، يتم الآن تطبيقها على شخص حقيقى يعرفة الأنبياء والشعب ويجلس بينهم .

---

٢٠٠ ـ زكريا ٦/١٢ ، ١٣
٢٠١ ـ ملوك ٣/١٨ .

وبناء على ذلك فإننا نعتقد أن فى إشارة كل من النبى حجى والنبى زكريا الى زروبابل على أنه الملك والمسيح المخلص ، دليلا واضحا يؤكد لنا مرة أخرى على أن المثالية الملكية تتخذ طبيعة محددة فى شخصية معينة .

ويتفق هذا مع ماسبق ذكره عند تفسير نبوءات اشعياء ٩ / ١ ـ ٦ و ١٠/٧ ـ ١٦ على أن المثالية الملكية كانت تنتمى ـ فى وقت ما ـ إلى الحاضر أو أنها تشير إلى مستقبل قريب ، كما يمكن تطبيقها على شخصية تاريخية محددة والفارق الذى تراه بين ماهو موجود فى نبوءتى اشعياء ونبوءة حجى وزكريا هو أن الملكية فى الحالة الأولى كانت لاتزال قائمة ، أما فى الحالة الثانية فكانت قد دمرت بالفعل ، وأن النبيين قد اعتبرا أن الموقف التاريخى الجديد بعد تصريح كورش بالعودة هو استعادة للمملكة بواسطة يهوه وأن زروبابل هو الملك المثالى الجديد حاكم تلك المملكة .

لكن ، من هو زروبابل ؟

هو الرجل الذى عينة الامبراطور الفارسى داريوس واختاره من بين بنى إسرائيل ليكون حاكما على مقاطعة يهوذا ، كما كان قائدا للسبايا العائدين من بابل إلى يهوذا فى الدفعة الثانية(٢٠٢) .

ويرجع نسل زروبابل إلى أسرة داود فيخبرنا سفر الملوك الاول بأنه حفيد الملك لهوياكين الحاكم بيهوذا حوالى عام ٥٩٨ ق . م .

وقد وضع كل من حجى وزكريا آمالهما فى هذا الحاكم لتحقيق وعود الأنبياء للشعب بمجىء المملكة المثالية .

فنجد حجى يدعو زروبابل وجميع العائدين والكهنة بالجدية فى جمع الذهب والفضة لبناء المعبد ، لان يهوه سيزلزل السماء والأرض ويبدد ممالك كل الأمم وسيجعل مجد المعبد الذى سيبنى فى عصر زروبابل أعظم من مجد المعبد الاول(٢٠٣) لأن الرب قد اختار زروبابل بنفسه حاكما على شعبه(٢٠٤) .

---

٢٠٢ ـ يجمع الباحثون على أن اليهود العائدين من السبى كانوا على ثلاث دفعات . الاولى عام ٥٣٨ ق .م بقيادة سيشازرا والثانية عام ٥٢٠ بقيادة زروبابل ، والثالثة عام ٤٠٠ ق . م فى عصر عزرا

٢٠٣ ـ حجى ٢/٢ ـ ٩ .

٢٠٤ ـ حجى ٢/٢١ ـ ٢٣ .

أما زكريا فقد قال عنه أنه خادم يهوه ومن سوف يتأسس المعبد على يديه ومن سيقوم بانجاز بنائة أيضا(٢٠٥)

كما يشير زكريا إلى زروبابل بأن «أبن الزيت»(٢٠٦.) أى كتابة عن أنه الملك الممسوح بالزيت وترمز الآيه الثامنة من الاصحاح الثالث من سفر زكريا وكذلك الآيه الثانية عشرة من الاصحاح الرابع الى زروبابل باسم الغصن .

ولم يكن زكريا سباقا فى إستخدام هذا التعبير للاشارة الى الملوك من أسرة داود فى أسفار العهد القديم .

فقد ورد هذا التعبير فى سفر اشعياء(٢٠٧) .

كما استخدمه ارمياء(٢٠٨) ايضا للاشارة الى الملوك من أسرة داود .

ولم يكن هذا التعبير خاصا بأنبياء بنى إسرائيل ، بل أنه كان إستخداما شائعا فى الشرق القديم وخاصة فى أرض كنعان للدلالة على شرعية الملك فى تولى العرش .

فقد استخدمت النصوص الكنعانية تعبير «الغصن الصالح» للدلالة على الملك الذى تختاره الالهة وريثا شرعيا للعرش(٢٠٩) .

وينقلنا هذا التعبير الى نبوءة أخرى فى سفر اشعياء تشير إلى توقع مجيء ملك شرعى يحكم بالعدل والسلام ، وتعبر عن هذا الملك بـ «قضيب من جذع يسّى» .

٤) قضيب من جذع يس :

هى نبوءة واردة فى سفر اشعياء (١١ / ١ ـ ٩) تتحدث عن خروج قضيب من جذع يس وينبت غصن من أصوله ، تحل عليه روح الرب ومخافته ، والحكمة والفهم والمشورة ويحكم بالعدل للمساكين ويميت المنافقين وينصف البائسين .

---

٢٠٥ ـ زكريا و ١٢/٦، ١٢ .

٢٠٦ ـ زكريا ١٤/٤ .

٢٠٧ ـ اشعياء ١/٤ (٢ فى النص العربى) .

٢٠٨ ـ ارميا ٥/٢٣ و ١٥/٢٣ .

٢٠٩ ـ نجد ذلك فى المخطوطات الارامية عن ملوك سوريا الشمالية انظر :

Frankfort: Ringship and Ancient Israel P. 130

وهى كما نرى ـ لاتخرج عن المضمون العام للنبوءات الشائعة فى اسفار الانبياء عن الأمل فى مجىء حاكم عادل قوى ينشر العدل بين الناس . والنبى هنا يؤكد أيضا على أن يكون هذا الملك من أسرة داود(٢١٠) .

وقد أجمع عدد كبير من الباحثين ـ مثل كلوزنر(٢١١) ومونكل(٢١٢) وكاستيلى(٢١٣) ، على أن تلك الفقرة من سفر اشعياء لاتعبر عن نبوءات تشير الى الملك المخلص مفهوم الخلاص ، فهى لاتشير إلى توقعات مستقبلية فى وجود حاكم ولاترتبط ذلك بمجىء الخلاص . بل أنها تصف الملك حزقيا ابن آحاز ويشير اليه النبى متمنيا أن يتصف بتلك الصفات .

يقول كاستيلى : يشير اشعياء هنا إلى ملك معاصر له وهو حزقيا ابن آحاز وهو مايوضح أن الانبياء فى تلك الفترة لم يذهبوا بعيدا نبوءاتهم بل أنهم كانوا ينتظرون خلاصاً قريباً .

إن مايمكن أن يقال عن تلك الفقرة من اشعياء ايضا ماسبق قوله فى أنها تنتمى الى الفترة التمهيدية لمفهوم المسيح اليهودى .

والواقع أن اهمية هذه الفقرة تكمن فى استخدام النبى لتعبير « جذع من نسل يس وغصن من أصولة » ليصف به الملك الذى يأمل فيه أن يتم تنصيبه وذلك للتأكيد على شرعية فى تولى الحكم وعلى أنه من نسل داود .

وهو مايؤكد ماسبق ذكره عن شيوع التعبير عن شرعية الملك فى تولى الحكم بالغصن أو الجذع أو الفرع الذى ينبث من شجرة العائلة الأصلية(٢١٤) . ومن المحتمل ايضا أن بعض الانبياء قد لجئوا إلى مثل هذه التعبيرات كمحاولة فهم للاشارة بهذه الالفاظ الغامضة الى الحكام الشرعيين من نسل داود بدلا من الأعلان عن الملوك باسمائهم الحقيقية وهو ماكانت تحتمة الظروف السياسية أحيانا .

---

٢١٠ ـ انظر الفصل الثالث من هذا الباب لمعرفة سبب التأكيد على ان يكون الملك من نسل داود .

٢١١ ـ كلوزنر «العقيدة المسيحانية فى ارض اسرائيل ص ٣٦

212 — He that Cometh, p. 19 — 20

٢١٣ ـ مرجع كلوزنر السابق ص ٣٦

٢١٤ ـ ربما نجد صدى لهذا التعبير المستخدم حتى يومنا هذا ، فكثيرا مانجد البعض يتحدث عن شجرة العائلة بادئا بالجذع الأصلى وهو جد العائلة ومنتهيا بما تفرع منه من ابناء يحملون نفس اللقب .

الباب الثانى

المفهوم فى عصر التلمود
منذ القرن الخامس قبل الميلاد حتى القرن الثانى الميلادى

الفصل الاول
المؤثرات التاريخية فى تطور المفهوم

عرفنا من الباب الاول أيضا كيف ربط الأنبياء تلك الوعود بالخلاص بملوك حقيقيين من أسرة داود ـ حملة الوعد الالهى بحفظ المملكة إلى الأبد ـ كأحاز وحزقيا ، كما تعلقت أيضا بشخصية زروبابل أول ملك مسيحانى بعد أنهيار المملكة ورأينا كيف كانت تلك الوعود المسيحانية فى الخلاص التى حققها تعتبر انجازا متواضعا لايليق بمفهوم الخلاص الذى تحدث عنه الانبياء .

والواقع أن الامبراطورية الفارسية لم تكن لتسمح لرعاياها بالاستقلال السياسى عن حكم الفرس ، فقد تركت لكل ولاية حرية التصرف فى الشئون الداخلية كما سمحت بالحريات الدينية للولايات التابعة لها الا أنها ظلت جميعا تابعة لها من الوجهة السياسية وقد ظلت ولاية يهوذا ، كبقية الولايات الاخرى ، على هذا الوضع حتى قرب نهاية القرن الرابع قبل الميلاد الذى شهدت السنوات الأخيرة منه صعود الامبراطورية اليونانية على أنقاض الامبراطورية الفارسية ومقاطعاتها بعد فترة طويلة من الحروب الى أن أستقرت الأوضاع بصورة نهائية على يد الاسكندر المقدونى (المعروف بالاسكندر الاكبر) عام ٣٣٣ م .

بعد أن أستقرت الاوضاع للجيوش اليونانية فى الشرق ، عمل الاسكندر المقدونى على صبغ تلك المناطق الشاسعة التى تتكون منها إمبراطورية بالصبغة الهلينية ، فسعى إلى نشر التعاليم الثقافية والدينية الهلينية كما عمل على بناء المدن على نفس الطراز الاغريقى وقد إتخذ فى ذلك أسلوبا يتميز بالهدوء تاركا لمواطنى المناطق التى آلت إليه حرية العبادة .

ثم تلا وفاة الاسكندر المقدونى ، إنقسام الامبراطورية اليونانية بين قواده[١] ، وكانت فلسطين تابعة لحكم البطالمة فى مصر[٢] وقد شهدت تلك المنطقة فترات سياسية هادئة وكان ذلك نتيجة للاعتدال الذى تميز به حكم البطالمة للولايات التابعة لهم .

---

(١) انقسمت الامبراطورية إلى أربعة اقسام حكم بطليموس مصر ، وحكم سلوقيس بابل ، وآلت منطقة آسيا الصغرى إلى انتوخوس ، أما مقدونيا فكانت تحت حكم انتهانز .

(٢) منذ عام ٣٠١ ق . م .

وكانت ولاية يهوذا تنعم بذلك الهدوء العام حيث ترك لهم البطالمة حرية الممارسات الدينية وإدارة أمورهم الداخلية . ومن ناحية أخرى فقد كان حكام اليونان المتعاقبون مستمرين فى نشر الثقافة الهلينية ، وقد اجتذبت تلك الثقافة الجديدة عددا كبيرا من اليهود وخاصة الشباب منهم الذين أخذوا كثيرا من مظاهرها وكان هناك مجموعة أخرى تميزت بالمحافظة على الشريعة ورفضت ذلك التيار الهيلينى وحرموا كل مظاهرة .

وقد انعكس ذلك الهدوء الذى نعمت به مقاطعة يهوذا بصورة عامة على فكرة الخلاص حيث انصرف اليهود عن ذلك الأمل الذى لم يجد أى احداث تثيره فى تلك الفترة ، إلا مانسب للنبى زكريا من نبوءات تشتمل على الاصحاحات من التاسع حتى الرابع عشر والتى تتحدث عن يوم الرب الذى سيشهد صراعا عظيما وكوارث شاملة مدمرة ، وينتهى بسمو أورشليم فوق كل المدن وتصبح مزارا للمؤمنين بإله إسرائيل ، وهى الاصحاحات التى يرى جمهور من العلماء المحدثين أنها تشير إلى فترة النزاع الذى حدث بين القادة اليونان بسبب تقسيم الامبراطورية فيما بينهم بعد موت الاسكندر المقدونى(٣) .

الا أن الوضع السياسى الذى شهدته ولاية يهودا كان باعثا هاما لعودة ذلك الأمل للظهور على مسرح الأحداث مرة أخرى .

فقد استطاع انتيوخوس الثالث انتزاع حكم منطقه فلسطين من أيدى البطالمة فى مصر وضمها الى حكم السلوقيين فى سوريا وان كان حكمه قد تميز بفترات أخرى من الهدوء إلا أن هذا الاتجاه قد تغير بآخر يتميز بالجبر والعنف لنشر الثقافة الهلينية فى المناطق التابعة للسلوقيين والذى جاء على يد انتيوخوس أبيفانس الذى تولى عام ١٧٥ ق . م .

تميز حكم ذلك الامبراطور اليونانى بالقهر والعنف مع جميع الولايات التابعة له وفضلا عن اتباعه تلك السياسة ، كان يتدخل فى الشئون الداخلية لرعاياه حتى لايحاولوا الانفصال عن حكمه ، وحتى يكون على معرفة تامة بكل تفاصيل حياتهم

وبناء على تلك السياسة ، تدخل انتيوخوس ابيفانس فى تعيين الكاهن الأكبر اليهودى فعين احد الرجال المؤيدين للتيار الهيلينى ، ويدعى ياسون بدلا من أخيه اويناس الثالث الذى له الحق الشرعى فى هذا المنصب . ثم مالبث أن عاد وعين كاهنا آخر يدعى مينلوس بعد أن قدم له رشوة أكبر من سابقه(٤) وهنا عارض اليهود هذا التدخل فى شئونهم الدينية(٥) وزادت ثورتهم عندما عرفوا أن مينلوس قد سرق بعض أوانى المعبد وباعها(٦) كما سرق أنتيوخوس جزءا آخر من تلك

---

(٣) انظر الفصل الثانى من نفس الباب .

(٤) سفر الحشمونيين (المكابيين) الاول ٢٤/٤ .

(٥) سفر الحشمونيين الثانى ٣٢/٤ .

(٦) سفر الحشمونيين (المكابيين) الاول ٢١/١ .

الأوانى وباعها هو الآخر ، وقد أدى هذا إلى إثارة مشاعر اليهود الدينية فثاروا على ذلك الكاهن والحاكم اليونانى .

وأثناء تواجد انتيوخوس أبيفانس خارج فلسطين فى معاركه مع مصر (١٧٠ ـ ١٦٩ ق .م) إنتشرت شائعات فى يهوذا بموته ، وقامت ثورة بين اليهود فى ذلك الوقت قادها ياسون الكاهن السابق على مينلوس لاستعادة منصبه . وعند عودة انتيوخوس ومعرفته بتلك الاحداث صب جام غضبه على اليهود وانتقم منهم إنتقاما شرسا فجمع جنوده ودخلوا القدس وأشاعوا فيها الدمار والهلاك انتهى ذلك إلى إصداره أمرا يقضى بتخلى الشعوب التابعة له عن عقائدهم وشرائعهم الخاصة وتحريم ممارسة أى ديانات أخرى واتباع الشرائع والمعتقدات والعبادات الاغريقية ، وبناء على ذلك أقام مذبحا للالهة زيوس فى معبد القدس ، وغيرها من قرى ومدن يهودا .

وقد امتنع عدد كبير من اليهود عن تأدية شرائعهم وخاصة أولئك الذين كانوا معارضين منذ البداية للتيارات الهلينية . ثم تبعهم عدد أخر بعد تلك الاجراءات العنيفة التى اتخذها انتيوخوس ، وكان من أهم اولئك المعارضين أسرة الكاهن الاكبر لقرية «مودين» الذى يدعى متيا والذين عرفوا بالحشمونيين أو المكابيين ، وآثار ذلك حماسة القوى اليونانية فأجهزوا بجيش عليهم إلا أن النصر كان حليف الحشمونيين (المكابيين) واتباعهم وتم لهم الاستقلال بمقاطعة يهودا على مدى مايزيد على مائة عام[(٧)] .

كانت تلك الأحداث السياسية المضطربة بمثابة عودة أخرى لاحياء فكرة الخلاص فقد كان اولئك الثوار الحشمونيون واتباعهم ـ وخاصة فى فترات الحروب المباشرة مع القوى اليونانية ـ يخشون بطش اليونان بهم وانتشر بينهم الخوف والفزع من الهزيمة والفشل ، وهنا يظهر دور أدباء الاپوكاليپس[٨] الذى يذكرنا هنا بدور أنبياء العهد القديم فى فترة السبى الاشورى والبابلى فى تلك الفترة وهم الذين حاولوا تجسيد شخصية المسيح فى أعضاء الأسرة المكابية مؤكدين لهم مجىء الانتصار على الاعداء ، وان تلك الثورة تحمل لهم الخلاص على يد المسيح المخلص الممثل فى أعضاء تلك الأسرة . وهنا يظهر مايعرف بأدب الاپوكاليپس والاسفار الكثيرة التى تحمل فكرة الخلاص بعناصرها ومحتواها الجديد عما عهدناه .

---

(٧) أى الأدب الرؤوى . انظر الفصل الثانى من نفس الباب

(٨) يتميز سفرى الحشمونيين بأنهما سفران تاريخيان أكثر من أنتمائها لادب الابوكاليس .

فى عصر الأنبياء وظهرت كتب ومؤلفات كثيرة تحمل تلك الأفكار الجديدة عن الخلاص مثل سفر دانيال وباروخ وسفرى الحشمونيين الاول والثانى والتى[٩] تعكس لنا تصور اليهود عن مملكة الخلاص وعصره وهو ماسنتناوله فى الفصل الثانى من هذا الباب .

لكن حكم أسرة الحشمونيين لـم يتسم بالهدوء ولم يحقق لهم تلك الآمال التى حملتها لهم نبوءات العهد القديم . فلم يكن أعضاء تلك الأسرة بافضل حال من غيرهم من ملوك بنى إسرائيل فى عصر الأنبياء ، حيث لم ينهجوا نهج أبيهم متيا ولا أخويهم يهودا ويوناثان اللذين أعتبرا حكاما وأبطالا مناضلين فى نظر بنى إسرائيل ، حتى إعتبر يهودا ملكا مسيحا فى نظر أدباء الأپوكاليپس ، فقد بدأت الانقسامات بين أعضاء تلك الأسرة وبين مؤيديهم وظهر ذلك بصورة واضحة فى عصر يوحنا هيركانوس (حرقان) ، كما شهدت تلك الفترة ظهور طوائف وفرق دينية عديدة فى مقاطعة يهوذا ، كالصدوقيين والفريسيين والاسينيين واشتد الصراع الداخلى والانقسام فى عهد الملك ينائى الكسندر الذى تعاون مع ملوك سوريا من السلوقيين لتثبيت حكمه فى يهوذا ، وعاد أمل الخلاص يداعب خيال اليهود مرة أخرى وحمل لنا أدب الاپوكاليپس مزيدا من الآمال فى مجىء المخلص وعصر الخلاص وهى أسفار باروخ(١٠) وسفر حنوخ(١١) وعزرا الرابع(١٢) أو المعروف بأبوكاليپس عزرا ، وسفر يوقلوت(١٣) ورؤيا سبقلوت(١٤) وصايا الآباء الاثنى عشر(١٥) .

وتحمل السنوات القليلة قبل الميلاد فترة تاريخية جديدة فى تاريخ مقاطعة يهوذا ، وهو تاريخ لايميزها عن غيرها من المقاطعات الاخرى فى الشرق فى تلك الفترة ، حيث آلت مقاطعات الشرق كلها تحت حكم الامبراطورية الرومانية لجميع الولايات التابعة لها بالصرامة والعنف ولم تشهد ولايه يهوذا وضعا متميزا ، فقد تولى عليها عدد كبير من الولاة والحكام ساروا على نهج واحد من الصرامة والعنف منذ عهد هيرود (٦ق . م) وحتى عصر تيتوس الذى تم فى عهده دمار المعبد الثانى عام ٦٨ م والتى انتهت بشتاتهم نهائيا عام ٧٠ م .

---

(٩) هناك أجماع بين الباحثين المحدثين للعهد القديم على أن رؤى سفر دانيال تشير إلى يهودا المكابى أول قائد للثورة الحشمونية بعد أبيه ـ على انه المسيح المخلص راجع كتاب كلوزنر السابق ص ١٤٢ كما أشار الى ذلك ايضا يوسفوس فى Antiqueties x 4 — 10

(١٠) تم تأليفه فيما بين ١٢٠ ـ ٩٠ ق. م .

(١١) تم تأليفه فيما بين ١١٠ ـ ٧٠ ق . م .

(١٢) تم تأليفه فيما بين ٩٠ ق . م .

(١٣) تم تأليفه فيما بين ١٠٠ ـ ٩٠ ق . م .

(١٤) تم تأليفه فيما بين ١٠٠ ـ ٥٠ ق . م .

(١٥) تم تأليفه فيما بين ١٠٠ ـ ٧٠ ق . م .

ونتوقف هنا قليلا عند حادثة هدم المعبد الثانى لنعرف نبذة تاريخية عن الأسباب التى أدت اليها .

كان حكام يكثرون من التدخل فى الشئون الداخلية للمقاطعات وكانوا يهدفون من ذلك إلى معرفة الاحداث الداخلية لكل مقاطعة للقضاء على أى محاولة تبدر للاستقلال ، وكان أولئك الحكام فى يهودا يتدخلون فى تعيين منصب الكاهن الأكبر وكانوا يختارون رجالا من اليهود ممن يؤيدون سياستهم فى يهوذا وليكونوا عيونا لهم داخل المجتمع . وقد عارض اليهود ذلك التدخل وكانت هذه تظهر أحيانا فى صورة معارضة مسلحة(١٦) حول المعبد فى القدس . وفى عام ٦٣ م . استولى الحاكم الرومانى على بعض أوان ذهبية من المعبد ، وقد قوبل هذا باستنكار شديد من اليهود فقاموا بتظاهرات القدس حول المعبد ضد ذلك الحاكم الرومانى فاستدعى قائده العسكرى الذى يدعى بومبى Pompy جيشا لقمع الثورة ، وقد أدى ذلك الى تحطيم جزء من المعبد عام ٦٣ م . وكان ذلك بمثابة سبب آخر لاشعال ثورة فى عهد الحاكم نيرو Nero انتهت بهزيمة اليهود هزيمة أخرى أشد قسوة انتهت بتدمير المعبد نهائيا عام ٦٨ م . على يد القائد تيتوس(١٧) .

كان انهيار المعبد الثانى على يد الرومان حادثا فاصلا فى تاريخ بنى إسرائيل واليهودية ، فقد تسبب ذلك فى هجرة أعداد كبيرة من ولاية يهوذا وتحولت البقية الضيئلة منهم إلى مجتمع انحصرت حياته داخل الدين مرة أخرى ، وتبع ذلك أن أصبح الاهتمام الاكبر بالتوراة والشرائع اليهودية ، وشهد القرن الاول الميلادى أول جهد لتجميع مجموعة الشروح الشفوية على العهد القديم ، وهو الجهد الذى جاء على يد الربى هليل رئيس المجلس الدينى(١٨) فى عصر هيرود وتبعه فى ذلك كثيرون امثال الربى عقيبا والربى مائير والربى يهودا هناسى الذى ينسب إليه تدوينها مكتوبة فى كتاب يسمى المشنا(١٩) وهو عندهم يمثل التوراة الشفوية .

---

16 Learsi, R: Israel: Ahistory of the Jewish, Meridan Book. N.Y., 1960, P. 156.

(١٧) Cray, J: AHistory of Jerusalem, London, 1969, P. 213

(١٨) يسمى سنهدرين

(١٩) ينقسم كتاب المشنا الى ستة أقسام يتضمن كل منها ابوابا فرعية والاقسام الرئيسية هى ١) بذور ٢) مواسم ٣) ناء ٤) اضرار ٥) مقدسات ٦) طهاره .

وبعد أن تم تدوين نص المشنا إتجه اليهود إلى شرح الأحكام الواردة فيه ، وهى الشروح التي جاءت من مركزين دينيين رئيسيين لكل منهما فروع أخرى يقع احدهما فى العراق والثانى فى فلسطين ، ومن خلالهما بدأ أحبار اليهود تشرح نص المشنا شرحا مستفيضا ، تودع فى خلاله كل ما أرادت الاحتفاظ به وأشاعته بين اليهود من شرائح وفتاوى وحكايات واساطير وخرافات وتضرعات واستطرادات فى كل علم وفن دون ترتيب أو تخطيط . وكانت هذه الشروح بلهجة أرامية يهودية قريبة من اللغة السريانية وكان شرحها يسمى جماراه أى التكملة ومن نص المشنا والجماراة يتكون الكتاب الذى عرف بالتلمود والذى يعتبر كتابا كاملا لنتاج الشروح والتفاسير وغيرها من الفتاوى والقصص على مدى قرون طويلة[٢٠] وهى شروح لاتخلو من التأويل لآيات العهد القديم تبعد فى معظمهما عما تحمله تلك الآيات من معان او ما تتضمنه من احداث تعكس الزمن الذى يشير اليها . وكان لأهمية ذلك التلمود فى حياة اليهود وانحصار إهتمامهم فى تلك الفترة بشروحه وتدوينه ان عرفت تلك الفترة بين مؤرخيهم بعصر التلمود كما عرفت المؤلفات التى تم تأليفها فى تلك الفترة باسم آداب المشنا بصورة عامة او الآداب المنتمية الى عصر التلمود .

وكانت فكرة الخلاص فى العهد القديم إحدى الأفكار التى شوهت على أيدى احبار التلمود ومعاصريهم من أدباء الاپوكالپس .

قبدلا من التمسك بدعوة الأنبياء بأن يكوّن مجىء الخلاص مرتبطا بعودة بنى إسرائيل إلى الطريق القويم فى عبادة الرب ونبذ عبادة الاوثان وكافة الموبقات الاخرى من انحلال خلقى وفساد إجتماعى نحى أحبار التلمود ومعاصروهم من الكهنة وادباء الابوكاليس بمفهوم الخلاص منحى عنصريا حيث أصبح يشير إلى الايمان بمجىء ملك يهودى ترسله السماء يتميز بقدرات قتالية خاصة ، يقود بنى إسرائيل ويضعهم طبقا لهذا المفهوم المتطور على قمة السلم البشرى .

وتحت تأثير قبول عقائد وثنية أخرى تبعد عن شريعة موسى ، وتحت تأثير العنصرية والدونية التى يتحدث منها أولئك الاحبار نتيجة لتلك الهزائم العسكرية المتكررة وضع احبار التلمود شروطا أخرى لمجىء هذا الملك المسيح عرفت باسم مخاض ولادة المسيح هى فى مجملها حالة الكوارث المدمرة الشاملة للعالم أجمع تتبعها حالة سلام وهدوء ابدى يتميزون فيها كما يعتقدون ـ بوضع السيادة على كافة الأمم وتأتيهم الشعوب من كافة أنحاء المعمورة متعبدة طائعة مقدمة القرابيين لتتخذ من صورة الاله التى يرسمها بنو إسرائيل فى هذا التراث محطا للعبادة وتصبح عبادة الشعوب لصورة هذا الرب خضوعا لبنى اسرائيل فى ذات الوقت .

---

٢٠ ـ د . حسن ظاظا الفكر الدينى الاسرائيلى . صفحة ١٨

وفى مجموعة أخرى عرفت بمعجزات المسيح (اوتوت هما شيح) يتحدث فيها أحبار اليهود عن تصورهم لوضع غيرهم من الأمم الأخرى فى عصر المملكة المسيحانية يقول الرابى يوسى :

«سيجلس الرب المبارك ويسحق الأغيار[٢١] شيئا فشيئا ولايقدرون على البقاء أمامه لأن التوراه تكون عليهم نيرا عظيما يحاولون التخلص منها .

ويشير قول اخر[٢٣] إلى نفس النظرة العنصرية ، وهو ما يتحدث عن اعتناق كافة شعوب الأرض لليهودية ، كما يسعون للسكنى بجوار أرض إسرائيل حتى ينعموا من تلك المكانة العظيمة وذلك الوضع السيادى الذى ستكون عليه إسرائيل فى مملكة عصر الخلاص[٢٣] متبعين فى ذلك نفس طقوس وعبادات بنى إسرائيل ليهوه « فيضعون التفلين [٢٤] على رؤوسهم والشال[٢٥] على اكتافهم والمزوزاه [٢٦] على جباههم .

ويضيف الرابى يوسى والرابى شمعون بن جمليئيل أن جميع البشر ستجتمع فى أورشليم لعبادة يهوه «فى عصر الخلاص ستجتمع كل الأمم والممالك فى أورشليم ، بل فى اسرائيل كلها» .

ويؤيد الرابى اليعازر بن هيركانوس والربى يوسى مسكيت هذا القول :

« ستصبح إسرائيل أعظم وأوسع من الأمم المجاورة لها كشجرة التين جذورها قصيرة لكنها مرتفعة إلى أعلى أما أبواب أورشليم فستصل الى دمشق كما قال أشعيا النبى ، وتذهب شعوبا كثيرة قائلة لنذهب ونصعد إلى جبل الرب « يهوه » والى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقة ونسلك فى سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب » .

وعن عودة إسرائيل يشير جزء آخر من التلمود « سوف تكون عودة إسرائيل من الشتات فى حملة انتصار حقيقية وبلا خوف أو فزع وتتحرك قدما معسكرات المخلصين من بنى إسرائيل - يظلهم سحاب الجلال والفجر » .

---

(٢١) الأغيار : ترجمة للفظ العبرى جوييم وهو لفظ يطلق على كافة الاجناس والأمم الأخرى من غير اليهود .

(٢٢)(٢٣) عقوداه زاراه ٣ - ٧٢ و ٢٤ - ٧١ راجع كلونزر : المرجع السابق صفحة ٢٨٨ .

(٢٥) شال أبيض مستطيل أو مربع وفيه زوايا تسمى تسيتسيت وهى عبارة عن ثمانية خيوط زرقاء واربعة

(٢٦) قطعة من رق الغزال مكتوب عليها صلوات وتراتيل دينية .

لقد أدى تشويه مفهوم المسيحانية عند أحبار التلمود إلى أفساد مفهوم الاختيار الدينى بالتالى . فبدلا من أن يظل فى معناه الخالص الذى يقوم على إعتبار بنى إسرائيل هم حملة لرسالة السماء فى صورتها النقية الخالصة . ليكونوا هداة للناس ، جاء مفهوم المسيحانية بكل تلك المعانى المتضمنة فيه ليطبع بصماته على فكرة الاختيار فتحولت من أصلها ضمن هذا السياق الى أختيار يقصد به وضع إسرائيل فى نقطة السيادة على العالم .

وفى هذا الصدد يقول الاستاذ الدكتور محمد القصاص فى حديثه عن أحبار اليهود وكهنتهم «لقد راحوا يلقون فى أوهام شعبهم أن الرب لم يخترهم من بين سائر الشعوب «ليكونوا شعب الله المختار من أجل الزعامة الروحية ونشر الدعوة الدينية فحسب ، بل اولا وقبل كل شىء من أجل الاستيلاء المادى على العالم بعد تحطيم شعوبه كلها والانتهاء بها إلى الفناء أو العبودية . وزعموالهم الاسبيل للوصول إلى هذه الغاية التى إصطفاهم لها الههم ورشحهم لها إمتيازهم العنصرى الا بالخضوع لوصاياهم واضاعة نصائحهم[٢٧] .

لقد أدى هذا التحريف لمفهوم الاختيار وربطه بمفهوم الخلاص وتطور هذين المفهومين معا على يد أحبار التلمود فى تلك الفترة إلى أن أصبح مفهوم الخلاص وانتظار مجىء المسيح يمثل قمة العنصرية والشعور بالتمييز .

يعبر الرابى شمعون بن يوحنان عن وصول هذين المفهومين معا الى قمة العنصرية قائلا : «تعال وأنظر كم هو محب شعب إسرائيل إلى وجه الرب المقدس ، ففى كل مكان تم سبيهم فيه تصحبهم الشكيناه ـ أى الروح القدس ـ لقد سبوا فى مصر وكانت الشكيناة معهم وسبوا فى بابل وكانت الشكيناة معهم ايضا وحينما يتم خلاصهم ستكون الشكيناه معهم فى كل مكان سبيهم[٢٨] .

ويؤكد قول آخر هذا المفهوم أيضا وان كان يتميز بمزيد من العنصرية «يقول **الرب لقد كنت معكم أيام العبودية وسأكون معكم عند استعبادكم للشعوب والأمم[٢٩] »**

نعود إلى تتبع المؤثرات التاريخية على مفهوم الخلاص فى تلك الفترة التى تميزت بالاضطرابات السياسية ضد حكام الرومان ، والتى شهدت ظهور المسحاء الكاذبين الذين ادعوا قدرتهم على تجسيد عصر الخلاص وتحقيق الخلاص السياسى من السيطرة الرومانية وهم المسحاء الذين لم يجلبوا على أتباعهم إلا الدمار والهلاك بدلا من ذلك العصر المسيحانى الذى إدعوا قدرتهم على الاتيان به .

---

(٢٧) د . محمد القصاص . مقالة الاسرائيليون وروح العدوان : مجموعة مقالات من كتاب العدوان

(٢٨) مجلاه ٢٩ ـ ٧١ . معتمدا على تأويل أيات صموئيل الاول ٢٧/٢ واشعياء ١٤/٤٣ وتثنية ٣/٣٠ . راجع كلوزنر ص ٢٨٠ .

(٢٩) براخوت ٩ ـ ٧٢ راجع المرجع السابق .

يحدثنا يوسفوس عن تلك الادعاءات قائلا : هناك ناس كثيرون خدعوا وأضلوا الشعب تحت إدعاء الوحى الالهى ولكنهم كانوا يدعون ويطالبون بتغيرات سياسية .

وأول من يصادفنا من اولئك المسحاء فرايوزس وكان أخا لهيرود الحاكم

الرومانى لمقاطعة يهودا فى ذلك الوقت ثم حزقيا وهو يهودى كان يتولى شئون منطقة الجليل أثناء حكم هيرود وقد أطلق عليه يوسفوس «زعيم اللصوص» .
وتبعة فى إدعاءاته يهودا ثم أبنه مناحيم وكان ذلك عام ٦ م .
ويحدثنا يوسفوس أيضا عن ظهور مسيح مزيف آخر أثناء فترة حكم كوسياس فادوسCuspuis Fadus ويدعى ثيودسTheudas أغرى عددا من اليهود بأنه المسيح المخلص وأمرهم باتباعه إلى نهر الأردن مدعيا أنه سيشقه ليعطيهم طريقا سهلا للعبور ، ولم يسمح الحاكم الرومانى بتلك المحاولة فارسل فرقة من الفرسان ، فاغارت عليهم وقتلت اعدادا كبيرة منهم وقطعوا رأس ذلك المسيح الكذاب[٢٩] .

ومالبثت تلك الحركات المسيحانية الكاذبة أن خمدت بعد ذلك ، وقد علمنا أن الفترة التى تلت ذلك شهدت دمار المعبد الثانى ٦٨ م . ومانتج عنه من تحول الباقين منهم فى يهودا عن تلك الآمال فى الخلاص السياسى ، وقد استمر ذلك الوضع حتى الثلث الأول من القرن الثانى الذى حمل لنا حركة مسيحانية أخرى كانت آخر حركة مسيحانية على مدى تلك القرون الخمسة الأولى من الميلاد ، وهى الحركة التى جاءت نتيجة لادعاءات كاهن يهودى يدعى شمعون ـ بإنه المسيح المخلص ابن النجم بركوخفا الذى بزغ من يعقوب ليعيد مجد إسرائيل ويخلصها من سيطرة روما .
بدأ شمعون عصيانه المسلح ضد السلطات الرومانية فى فترة الحاكم العسكرى تيندنس روفوسTindeuis Rufus على شكل حرب عصابات مع جماعة من مؤيديه عام ١١٧ م . وكانوا يتجمعون فى الكهوف والممرات الأرضية خارج أورشليم ليشنوا هجماتهم على الجنود الرومان من هناك ، ولم يكن القائد العسكرى الرومانى مهتمًا بأمر تلك الجماعات معتبرا أنهم يشكلون جماعات صغيرة لاتشكل خطرا على السلطات الرومانية فى ذلك الوقت ، وقد كان ذلك فرصة لشمعون واتباعه لزيادة هجماتهم وكسبوا مؤيدين لهم ، ثم علم الحاكم الرومانى هدريانHaderian بأخبار عن أولئك الثوار فعزل القائد السابق تيندس روفوس واستدعى قائدا آخر لتلك المهمة يدعى سيفروس .

Josephus: Anti. xx8,6 Silver: A

٢٨ مقلدا موسى عندما شق البحر فى حادثة الخروج من مصر .

٢٩ يوسفوس ١٠/٢٠/١٠ نقلا عن المرجع السابق .

(٣٠) راجع الباب الاول الفصل الرابع

إستمر وضع أولئك الاتباع مع زعيمهم فى هذه الحرب غير المعلنة حتى عام ١٣٢ م حيث أعلن شمعون نفسه مسيحا على إسرائيل ، مدعيا أنه يحمل لها الخلاص من سيطرة روما ، وأنه جاء ليؤسس مملكة الخلاص على الأرض ، فآمنت به اعداد كبيرة من اليهود وجذبتهم دعوته للخلاص وخاصة أن ذلك المسيح الكذاب كان مؤيدا من بعض افراد السلطة الدينية من الربانيين وعلى رأسهم الربى عقيبا[٣١] الذى أعلن أن شمعون هو ابن النجم الذى خرج من يعقوب لتحقيق مملكة الرب على الأرض مملكة عصر الخلاص التى بشر بها الأنبياء ومن هنا اطلق لى ذلك لقب بركوخفا وقد اعتمد فى ذلك على الايه ٢٤/١٧ من سفر العدد الذى يتحدث عن صعود آخر لنجم اسرائيل ، والتى سبق لنا ان تناولنا تفسيرا لها[٣٢] .

وبعد انتشار تلك الادعاءات الكاذبة وكسب مزيد من المؤيدين لها ، أعلن شمعون بركوخفا الحرب العلنية ضد الوجود الرومانى فى القدس وتمكن من دخول المدينة فى ربيع ١٣٤ م . لكن مالبثت الجنود الرومان بقيادة سيرفس آن حطموا تلك الثورة بصورة نهائية فى شتاء ١٣٥ م . كما آبادوا مدينة القدس وغيروا معالمها كلية .

وهكذا جلبت تلك الثورة التى اتخذت من فكرة الخلاص أساسا لها ، جلبت الدمار على اليهود الباقين فى أورشليم والذين سرعان ما اكتشفوا زيف ذلك المسيح فاطلقوا عليه بركوزيفا أى ابن الكذب بدلا من بركوخفا ابن النجم .

وفيما يتعلق بفكرة الخلاص ، كان لادعاءات شمعون بركوخفا المسيحانية الكاذبة أثر واضح على فكرة الخلاص جاء فى إتجاهين منعكسين ففى بداية تلك الادعاءات فترة الاعداد للثورة التى تميزت بالتغلب النسبى على جنود الرومان حتى تمكنوا من دخول اروشليم ، تميز مفهوم الخلاص بتغليب العنصر السياسى المحتوى فيه كما تميزت شخصية المسيح المخلص فى تلك الفترة باتصافها بأوصاف عسكرية سياسية وهو ماسنعرض له فى هذا الباب .

دخول اروشليم تميز مفهوم الخلاص بتغليب العنصر السياسى المحتوى فيه كما تميزت شخصية المسيح المخلص فى تلك الفترة باتصافها بأوصاف عسكرية سياسية وهو ما سنعرض له فى هذا الباب .

ثم أدت الهزيمة القاسية الشاملة فى تحقيق ذلك الخلاص إلى ردة أخرى الى خلاص دينى اخلاقى الذى أصبح يغلب على المفهوم ويميزو منذ تلك الفترة كما انعكس ذلك بدوره على صفات المسيح المخلص فتقهقرت الصفات العسكرية والحربية لتفسح مجالها إلى الصفات الاخلاقية الدينية واصبح المخلص المطلوب هنا رجلا يتميز بالتقوى والورع والاستقامة ، وقاضيا عادلا يحقق الكمال الاخلاقى .

---

(٣٢) انظر الباب الاول الفصل الرابع .

(٣١) من أشهر ربانى التلمود فى القرن الثانى الميلادى .

فضلا عن ذلك فقد أدت تلك الادعاءات الكاذبة أيضا إلى تراجع واضح عن تلك التوقعات المسيحانية فى مجىء قريب لمخلص يحقق عصر الخلاص والمملكة المسيحانية .

ولم تشهد مؤلفات تلك الفترة تطورات أخرى على مفهوم الخلاص طوال فترة حكم روما وانحصرت الفكرة داخل شروح التلمود وهى الشروح التى تناولت بعض آيات من العهد القديم على أنها تشير إلى المخلص أو عصر الخلاص ، وكانت الأقوال الصادرة عن الربانيين تعكس وضع اليهود الدينى والاجتماعى والخلقى فى تلك الفترة التى كانت تتصف بالانحلال والفساد العام والتى عبر عنها الربانيون بمخاض ولادة المسيح وما عبروا عنها ايضا باسم معجزات او علامات المسيح وهما العنصران اللذان وجد فيهما أحبار التلمود أرضا خصبة لزرع جذور العنصرية والسيادة فى اليهود والنحو بكثير مما ورد فى مضامين العهد القديم منحى عنصرى يبعد كل البعد عن المعنى المباشر له على نحو ما رأينا .

وأخيرا فقد علمتهم تلك التجربة المسيحانية الفاشلة أن عصر الخلاص بعيد ، وأدى ذلك بهم إلى مراجعة حساباتهم وتوقعاتهم بمجىء المخلص حتى أصبحت تنتمى إلى زمن بعيد جدا عن الذى يعيشون فيه ، وتراجعت كثير من اقوال التلمود عن تلك الآمال واكتفى اليهود بالمعيشة فى المنفى يجمعون المال أو ينكبون على دراسة شرائعهم ورواية تعاليمهم الشفوية أو الحياة فى ظل الفقر والتشرد ولم يشعروا بشىء من العدالة والحرية الا بعد ظهور الاسلام[٣٣] .

---

(٣٣) د . حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى اطواره ومذاهبه ص ١٣٤ .

الفصل الثـانى
الصورة المتطورة فى المفهوم

شهدت القرون الأربعة الأخيرة قبل الميلاد والقرون الأربعة الأولى منه تطورا هاما فى مفهوم الخلاص فى اليهودية حتى أصبحت تتضمن عناصر وأفكارا جديدة تختلف فى جوهرها عن أصل مفهوم الخلاص فى فترة العهد القديم ، وقد جاء ذلك التطور نتيجة لعدة أسباب ، فكانت الظروف التاريخية التى عاشتها مقاطعة يهودا إحدى تلك الأسباب الهامة ، وهو ماتناولناه فى الفصل الأول من هذا الباب .

فضلا عن ذلك ، فقد كان اليهود العائدون من بابل إلى مقاطعة يهوذا ، يحملون معهم أفكارا جديدة لم تعرفها اليهودية من قبل ، وكانت عقيدة الثنوية إحدى تلك العقائد التى تم إدراجها فى اليهودية والتى تم التعبير عنها فيما يعرف بأدب الابوكاليبس أو الأدب الرؤوى ، فكان لقبول عقيدة الثنوية فى اليهودية وظهور أدب الابوكاليبس فى تلك الفترة أثره العظيم على تطور مفهوم المسيحانيه ـ الخلاص ـ فى عصر التلمود عنها فى فترة العهد القديم .

من ناحية أخرى ، أدى ذلك أيضا إلى ظهور عناصر أخرى جديدة تضمنها المفهوم فى عصر التلمود وتختلف فى جوهرها عن عناصر الفكرة فى أسفار العهد القديم ، كارتباط مجيء عصر الخلاص بظهور كارثة تشمل العالم بأثره ، ثم مايتبعها من دمار شامل أيضا ، ووضع شروط وعلامات لقدوم المسيح المخلص وتحديد سنوات معينه لتوقع ذلك القدوم ، وظهور فكرة العصور الألفيه ... وغيرها من العناصر والأفكار الأخرى التى سنتناولها هنا موضحين أثرها على فكرة الخلاص فى عصر التلمود .

أولا : عقيدة الثنويه : Dualism

تعنى عقيدة الثنوية الإيمان بوجود عالمين ، ينتمى أحدهما إلى الوقت الحاضر ويشمل على ما يحدث فى العالم الحاضر ، والآخر هو العالم القادم ويتضمن جميع الأحداث التى ستحدث فى عالم المستقبل .

وتشير الاداب المتنميه الى فترة التلمود الى العالم الحاضر ب «هاعولام هاذيه» أى هذا العالم ، وهو العصر الذى شهد صراعا بين الرب والشيطان ، ثم انسحب الرب وترك هذا العالم للشيطان وأعوانه المعادين للرب والممثلين فى قوى العالم الوثنية ، وكان الرب قد حدد القوى الملائكية لتحكم الأمم كمندوبين له ، الا أنهم دخلوا تدريجيا إلى الغرور والأثم وحكموا بظلم وقسوة وأصبحوا خدماً للشيطان

ومعاونين له لذلك فقد انتشر الظلم وساد الشر والآثام فى هذا العالم وهو الشر الذى سيصل إلى ذروته قبل مجىء المسيح وعصر الخلاص (١) .

أما العالم القادم «هاعولام هابا» فهو على النقيض تماما ، هو عالم المستقبل الذى يأتى بعد أن يهزم الرب مملكة الشيطان ويدمر أعوانه ويبيد كل الآثمين وينهى قوى الشر والمعاناة ويؤسس خكمه الملكى[٢] ، إنه العالم الذى ينعم فيه كل الأتقياء وإسرائيل بصورة خاصة بالسعادة والبركة على الأرض المخلوقه من جديد وفى الجنه حيث يعيشون حياة أبدية[٣] ، أما الشيطان وأعوانه والكفار الأثمين فمصيرهم جهنم حيث يعانون العذاب الأبدى[٤] .

لكن هل تمثل الأفكار الواردة فى الآداب التى تنتمى الى عصر التلمود تطورا داخليا بالايمان بصراع الحياة المستمر بين الخير والشر دون أى تأثير من ديانات أو عقائد أخرى فى الشرق القديم ؟

يجمع الباحثون المهتمون بدراسة تلك الآداب على أن فكرة الثنويه لم تكن معروفة فى إسرائيل إلا فى بداية الفترة الهلينية[٥] تحت تأثير المعتقدات

---

(١) كما ورد فى اخنوخ الأول ٢/٨ و ٩/١٠ ـ ١٢ و٦/١٤ و٨/١٥ و١/١٦ ـ ٤ و١٠/٢١ و٩/٤١ و٥/٥٥ و٥/٥٤
وكذلك الاصحاحات ٦٤ و٦٨ و٨٨ و٩٠ و٦١ و٢٤ و٤/٩٩ ، و٢/١١٠ وابوكاليبس عزرا ٥١/٤ و١٢/٥ و١٢/٥
و٥٠ و١٨/٦ و٦٣/٨ و٦/٩ و١٦/٦ و١٢ و٢٤ و٢/٨ ومابعدها و٣/٩ و٤/١٣ ومابعدها .
ورؤيا سفيلوت السفر الثانى ١٥٤ و١٦٤ والثالث ٥٣٨ و٦٣٣ و٧٩٦ ـ ٨٠٦ .
وسفر يوفيلوت ١٨/٢٨ و١٩ و٢٥ و٢٢/٢٣ .
ودانيال ٢٣/٨ ـ ٢٤ و ٢٦/٩ و ١١ ، ٤٠ ومابعدها
وسفر صعود موسى الاصحاح الثامن .
كما عبر التلمود عن ذلك أيضا فى اجزاء يابا باترا ومشنا براحوت ومخيلتا "أ" وبسحا "أ" وغيرها مما أورده يوسف كلوزنر فى كتابه العقيدة المسيحانيه فى أرض إسرائيل صفحة ٢٤٦ .

(٢) حنوخ الأول ٣/١ ـ ٩ و٢٠/٩٠ ـ ٢٩ و١٥/٩١ و٦/١٠ ـ ١٢ و٤/٥٥ و٤/٢٣ و٦/٥٤ و٦/٦٠ و٤/٨٤ ...
وحنوخ الثانى ٨/٣٩ و٢/٤٦ و٩/٤٨ و٦/٥٨ و٦/٦٥ و٧/٦٦ .. وغيرها وابوكاليپس عزرا ٥/٤ و١٤ ٢٣/٧ و٥٠
و٤٢/٥ و١٢/٧ و٢/٦ و٢٧ و٣٢ و٧٧ ـ ١٠١ وصعود موسى ١٠ و١٣/١٢ .
وسفر يوفيلوت ١٣/٥ وعهود الاباء ـ عهد لاوى ١٨/٥ وعهد يهودا ٢٥ وزيبولون ١٠ وبنيامين ١٠ .
ورؤيا سفيلوت الكتاب الثالث ٧٣ و٦٨٩ و٦٩٢ والكتاب الرابع ٤٠ و١٨٠ و١٨٣
وسفر المكابيين (الحشمونيين) الثانى ٢٦/٦ و٩/٧ و١٤ و٣٦ و٤٣ و٤٦/١٤ .
(٣) حنوخ الأول ٤/٣٧ و٢/٤٢ و٥ و١٠ و٣/٤٨ و٤ وحنوخ الثانى ٦/٤٢ وحكمة سليمان ١٢/٣ .. عهود الأباء وعهد آشير ٢٠/٦ وابوكاليپس عزرا ٥/٧ و١٢ و٢٧ و٤٨ و ٤٧ و١١٢ و١ و١/٨ ومابعدها .. وعهد لاوى ١٨
ورؤيا سفيلوت الكتاب الثانى ٣٥ الثالث ١/٥٨ و٦٢٠ و٦٥٩ و٧٧٤ ..
(٤) حنوخ الأول ١/٩٤ و٤ و١٠ و٦٩٥ و٦/٩٦ و٨ ، وغيرها من ابوكاليبس عزرا ٢٨/٨ و٤٨/٧ والمكابيين الثانى ١٤/٧ و١٦ ويوفليوت ٢٩/٧ .. وغيرها .

(٥) تطلق هذه التسمية على القرنين الثانى والثالث قبل الميلاد وهى الفترة التى شهدت سيطرة الامبراطورية اليونانية على ممالك الشرق القديم وحاول حكام المقاطعات نشر المبادىء والتعاليم الدينية الخاصة بهم والمعروفه باسم الهلينية بين سكان تلك المستعمرات وخاصة بعد موت الاسكندر المقدونى . انظر الفصل الأول من نفس الباب .

الفارسية[٦] التى كان يسود فيها منذ البداية الاعتقاد بوجود الهين يسيطران على العالم :

إله الشر والظلام والموت ويحكم هذا العالم .

وإله الخير والنور وهو الإله الذى سيتصارع مع إله الشر ، وينتصر عليه ويحكم العالم القادم الذى تنتشر فيه السعادة الابدية .

يقول الأستاذ الدكتور حسن ظاظا : عقيدة الثنوية من الفرس الذين كانوا يسوون فى المنزلة بين إله الشر والظلمة ، وإله الخير والنور ، وهو أمر يختلف إختلافا تاما عن فكرة التوحيد التى جاء بها موسى[٧] .

ويقول مونكل : جاءت فكرة الثنويه إلى اليهودية تحت تأثير الأفكار الفارسية ، وإن كان هذا لم يحدث بصورة مباشرة ، بل جاء من خلال الحضارة والنظرة البابلية للعالم[٨] ، وقد إرتبطت الثنوية فى اليهودية بدمار العالم بعد عدة عصور ، ثم عودة أخرى لكل الأشياء الى حالتها الأولى[٩] .

وبالرغم من أن عقيدة الثنوية باحتوائها على الاعتقاد بوجود الهين ، إله الشر والظلام وإله الخير والنور ، تبعد كل البعد عن عقيدة موسى ، كما أنها تبعد عن فكرة بنى إسرائيل عن يهوه كما تصورها لنا توراة موسى ، الموجودة بين أيدينا الآن ، بأنه حاكم كل شىء ويسمو على كل المخلوقات ، ولا يقارن أبدا بالشيطان ، إلا أن اليهودية قبلت بدخول فكرة الثنويه اليها . وربما كانت فكرة أمل الخلاص واشاراتها إلى المستقبل على أنه حالة تتضمن وضعا أفضل من الحاضر ، قد ساعدت على قبول عقيدة الثنوية الفارسية الأصل إلى اليهودية .

---

(٦) تعرف العقيدة التى سادت فارس فى العصور القديمة لفتره طويلة باسم الزرداشتيه وهى تعتمد على الثنائية الالهية ، وتتلخص تلك العقيدة فى الايمان بوجود الهين يحكمان العالم ويسيطران عليه . هما آهورا مازدا Akorainzda أو أورمازدا Ormuzda هو الاله القادر ومصدر كل خير واله النور ويرجع اليه الفضل فى خلق الأرض وماعليها ، كما انه خلق عددا من الكائنات الروحيه قاموا على خدمته وعملوا كمستشارين له . وعلى النقيض من هذا نجد الاله آهيرمن Ahirman ، وهو مصدر كل خير والمحرض لجميع الأخطار والمآسى وهو اله الكلام والموت وتعاونه مجموعة من القوى الشريرة تعمل على تحريض الناس على الشر واتباع الاثم وقد قام صراع بين تلك القوتين وهو الصراع الذى أدى إلى إنسحاب اله الخير من العالم الحاضر وتركه لإله الشر وأعوانه ليحكموه ، ولم يكن هذا هو الصراع الأخير بينهما ، ففى نهاية الأيام سيحدث صراع آخر أقوى ويشمل العالم كله ، وينتهى بانتصار إله الخير اهورا مزدا على تلك القوى الشريرة المعادية الممثلة فى أهيرمن وينتهى معها كل الشر والاثم من هذا العالم ويحل بدلا منه عالم آخر جديد تنتشر فيه السعادة وينتهى الشر والموت منه إلى الأبد .

(٧) د . حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى أطواره ومذاهبه ، ص ٥٦ .

(٨) تتحدد اهمية ديانة الكلدانيين المنتشرة فى بابل وماحولها فى الدور الهام الذى لعبه عبر العصور المختلفة إذ انه كان يستوعب كثيرا من الأفكار الدينية المختلفة المنتشرة بين شعوب المنطقة ويوفق بين افكارها المتعارضه "موسكاتى . تاريخ الحضارات الساميه ترجمة د . يعقوب بكر ص ٧٠ .

(٩) Mowinckel:he that Cometh, p· 284·

ومن ناحية أخرى فقد كان لقبول الأفكار المتضمنة فى الثنوية أثره على مفهوم المسيحانيه والخلاص فى عصر التلمود ، وتمييز موقع عصر الخلاص بين عالم الحاضر وعالم المستقبل وهو التطور الذى تحدد بصورة نهاية بعد فترة طويلة إلى أن أصبح عصر المسيح يموت هماشيح - أى العصر الذى سيأتى فيه المسيح اليهودى يحتل موقعا وسطا بين العالم الحاضر هاعولام هازيه والعالم القادم هاعولام هابا وأصبح بذلك ترتيب الأحداث كالتالى :

العالم الحاضر : وهو عالم شرير ، ملىء بالآثام والأثمين ، يسوده الظلم والاضطهاد ، وهو حالة مؤقته ومصيره النهايه[١٠] .

حكم المسيح اليهودى : هو العصر الذى يأتى فيه مخلص من بنى اسرائيل ينقذ شعبه من اضطهادات الأمم الاخرى ويخلصهم من الأعداء ثم يحقق لهم السيادة المطلقة علىٰ كافة البشر والأمم ويؤسس مملكه .

عالم المستقبل : وهى فكرة إتضحت أخيرا بعد أن تم فصلها عن مفهوم الخلاص ، وهو عالم يأتى بعد حكم المسيح لمملكة الخلاص ، وهو عالم أبدى يذهب الأشرار فيه إلى الجحيم ، ويعيش الصالحون فى سعادة أبدية إنه العالم الذى يختلف بكل مافيه عن العالم الذى تعرفه اليوم ، عالم سامى فى خصائصه ، يجلب الحياة والنور والسعادة والسلام لن يحتاج فيه الإنسان إلى طعام أو شراب ، وينتهى فيه الألم والموت إلى الأبد[١٣] عالم بلا حقد ولا منازعات بل يجلس فيه الأتقياء يتمتعون فيه بالحضور الالهى الساطع[١٤] .

إلا أن دخول عقيدة الثنوية إلى اليهودية كان له دور آخر فى تطوير فكرة الخلاص فى عصر التلمود وهو ماينعكس فى الأدب الذى نشأ فى تلك الفترة والمعروف باسم الأدب الرؤى ، أو أدب الايوكاليبي ، وهو الاطار الذى صاغ فيه أدباء تلك الفترة الافكار والعناصر المكونة لفكرة الخلاص ، وهو ماسنتناوله بإسهاب فى النقطة التالية .

---

(١٠) حنوخ الثانى ٦٦/٦ وعزرا الرابع ٥٤ و٦/٢ و٢٦ و٣٦ و٥/٥٠ و٢٠/٦ و٢١/٧ و٣١ و٤٤/١١ وباروخ الثانى ١٢/٤٤ و٢١/٥٤ وصعود موسى ١٨/١ و٤/١٢ .
(١١) انظر علامات وشروط قدوم المسيح من نفس الفصل .
(١٢) حنوخ ٥/٥٨ و٢/٦١ و٧/٦٥ - ١٠ و٦/٦٦ و٨/٥١ وباروخ الثانى ٢/٢٤ .
(١٣) دانيال ٢/٢٢ و٢/١٢ وباروخ الثانى ١٣/٤٤ و٢/٥٧ و١٠/٨٥ وحنوخ الاول اصحاح ١٤ و١٧ و٥/١٨ و٣/٣٨ ، ٤و٤/٣٧ و٢/٤٢ و٥ و١٠ وحنوخ الثانى اصحاح ٢٠ و٢/٣١ و٦/٤٢ وعهود الاباء ١٨ ووصية أشير ٦ و٤ ورؤيا سفيلون الثانى ٣٥ وطوبيت ٢/١٣ وعزرا الرابع ٤٨/٧ .
(١٤) باروخ الثانى ٥٠/٦٥ .

ثانيا : أدب الأبوكاليبس :

كلمة أبوكاليبس Apochalyps يونانية الأصل وتعنى الكشف أو الاظهار . ويطلق مصطلح أدب الابوكاليبس على الكتابات التى تهتم بالكشف عن الأشياء الغامضة التى تقع فى ما وراء الطبيعة والخافية عن العين البشرية وتجعلها أكثر معرفه ووضوحا للناس(١٥) .

وقد إصطلحت العربيه على تسمية هذه الآداب ب "الأدب الرؤى" وذلك لاعتماها على الرؤى فى سرد الأحداث وشرح الأفكار المتضمنة فيه . لكن ذلك المصطلح العربى يغفل جانب التنبؤ فى هذا الآدب ، ولهذا فاننا نفضل هنا استخدام لفظ أبوكاليبس لشيوع استخدامها لدى المتمين بآداب عصر التلمود .

ظهرت الأسفار التى تحتوى على أبوكاليبس متكامل بعد أن توقفت النبوة فى إسرائيل وبصورة خاصة عندما وقعت اسرائيل تحت الحكم اليونانى والرومانى الذى تميز بالشدة والقسوة . وكانت رسالة تلك الآداب تهدف إلى بنى إسرائيل للتمسك بالشريعة حتى يأتى العصر الذى يتحقق فيه خلاص اسرائيل (١٦)

فقد رأينا كيف تحدث أنبياء إسرائيل عن مجىء ذلك العصر على مدى قرون طويلة ، ووقفنا على أهمية الدور الذى لعبه اولئك الانبياء فى البقاء على ذلك الامل حيًا بين بنى إسرائيل ، ولكن بعد ذلك الانهيار السياسى المتعاقب الذى حل بهم ، فقد أصبحت اعداداكبيرة منهم تعتقد أن وعود الانبياء السالفة ، وتلك الآمال المؤجلة فى الخلاص لايمكن أن تتحقق على يد بشر بل لابد من تدخل إعجازى نهائى من يهوه ليؤكد على تحقيق هذا الخلاص ، وهى الأفكار التى تطورت فى اليهودية ـ كما رأينا تحت تأثير الثنوية . وأصبح تدخل يهوه هنا بمثابة التدخل النهائى الذى سيتم فيه دمار العالم بكارثة شاملة ، ويحل بدلا منه ـ فى مخيلتهم عالم آخر يختلف كلية عن العالم الحاضر ، ويقيم الرب فيه مملكته الأبدية ، ويتخذ من القدس عاصمة له ، ويحكم العالم من جبل صهيون .

وقد إتخذ الأبواكاليبسيون من الرؤى الرمزية والصور الخيالية قالبا لهم يصوغون فيه نبؤاتهم عن المستقبل ، كما كانوا يصوغون هذه النبؤات على لسان بطل تاريخى قديم(١٧) مات منذ زمن بعيد ، ويدعى أنه يرى أحداث ذلك التاريخ

---

(15) David, S·: Apocalyps: Article in The Ency Britanica,
(16) Mowinckel: He that Cometh, p· 170 p· 277

(١٧) كدانيال : فى سفر دانيال وموسى فى سفر صعود موسى وحنوخ فى سفرى حنوخ الأول والثانى وباروخ أيضا .

كله فى تلك الصور الرمزية منذ بدايته وحتى تأتى تلك النهاية الأخيرة المتوقعة(١٨) ، وكان هدفه أولئك المؤلفين يتجه بصورة أساسية إلى المستقبل وزمن النهاية ، ولهذا نجدهم يشيرون إشارات بسيطة وسريعة إلى الماضى ، وهى الفترة التى إدعوا أنهم يعيشون فيها ، ثم يسهبون كثيرا فى الحديث عن المستقبل والنهاية .

وكان هذا الاتجاه إلى السرية والغموض الذى يغلف معظم رؤى الأبوكاليبس موضع جدال طويل لدى المهتمين بتلك الآداب .

فلماذا يخفى أديب الأبوكاليبس رؤياه بدلا من الإعلان عنه بوضوح ؟ لماذا يلجأ إلى الرمزية ويضع مفهومه عن الخلاص وعن النهاية فى إطار من الغموض ؟ لماذا يضع رؤياه فى إطار تاريخى سابق عن الزمن الذى يعيش فيه ؟

وأخيرا ، لماذا يخفى أديب الأبوكاليبس شخصيته الحقيقية ، ولايعلن عن نفسه بوضوح ؟

ولماذا يضع مسئولية هذه الرؤى على أبطال قدامى بدلا من أن يواجه بها القوى المعادية كما فعل الأنبياء من قبل ؟

تعدد آراء العلماء فيما يتعلق بالأسباب والدوافع التى تفسر تلك التساؤلات فيحدثنا ادرسون Aderson(١٩) عن تفسير بعض الباحثين لذلك على أنه يرجه إلى خو أدباء الأبوكاليبس من الطموح الأدبى ومن هنا لم يكن لديهم أى حرص على نسبة تلك المؤلفات اليهم .

---

(١٨) راى بوسفوس المخلوق الأول على هيئة نبى تمتد رؤياه لتشمل العالم كله منذ طوفان نوح حتى نهاية الأيام كما تتحدث فقرة تلمودية عن أن الرب قد اوضح لآدم كل رؤى العالم منذ الماضى الى المستقبل راجع

Scholem. G: The Messianic Idea in judaism, p.5.

وفي سفر صعود موسى عليات موشيه يسرد موسى لتلميذه يشوع ماوقع من احداث قبل موته على أنها نبؤات تشير للمستقبل ويشتمل حديثه على تاريخ بنى إسرائيل حتى تهدم المعبد الأول ثم يشير إلى قيام مخلص لاسرائيل ويسرد سفر خفوخ (٨٥ ـ ٩٠) أحداث العالم منذ نشأته حتى العصر الذى ألف فيه (منتصف القرن الثانى قبل الميلاد) .

(١٩) ربما اعتمد **Aderson: Pcaks Comentary on the Bible london 1954.P.431** أصحاب هذا الرأى على ما رآه علماء التاريخ من ان فكرة الملكية الأدبية لم تكن معروفة فى الشرق القديم يقول موسكاتى : "كانت فكرة الملكية الادبية غريبة كل الغرابة على عقلية الشرق الأدنى القديم ومن بينها أرض الرافدين ، فإسم المؤلف لم يكن امرا ذابال . لهذا كان الإنتاج الأدبى فى الغالب مجهول الصاحب" موسكاتى : تاريخ الحضارات السامية القديمة . ص ٨٢ .

ويعتقد تشارلز Charles(٢٠) أن ذلك إنما يعود إلى زمن إنتشار هذا النوع من الأدب فقد تم ذلك حوالى القرن الثالث قبل الميلاد وكانت الشريعة قد تأسست وأغلقت بصورة شبه نهائية أمام أى مؤلفات أخرى جديدة ، لذلك إعتمد أدباء الابوكاليبس على الاستعانه بأسماء قديمة من الأبطال لضمان وقع كلماتها على الناس والتأثر بها .

بينما يؤكد كرافيتز Kravitz(٢١) أن سبب إخفاء هؤلاء الأدباء لشخصياتهم الحقيقية هو الخوف من الاضطهاد الذى ربما توقعة عليهم القوى الحاكمة لأن كتاباتهم كانت تتحدث بصورة أساسية عن تدمير تلك القوى المضطهدة . ويضيف إلى ذلك أن أدباء الابوكاليبس إنما كانوا يخافون على مؤلفاتهم من أن توأد - على يد اولئك المضطهدين - وهى فى مهدها فلا تصل لبنى أمتهم ولا تحدث الهدف من تأليفها ، لذلك لجأوا إلى الرمزية .

على أى حال فقد أدى استخدام الصور الخيالية والاستعارات والرموز إلى إثراء تلك الكتابات بكثير من الصور الخيالية ، إلا أن المغالاة فى تلك الرمزية جعل أسفار الابوكاليبس تبدو غامضة فى معظم الأحيان وهو ما تتميز به أسفار الابوكريفا(٢٢) وبعض أقوال التلمود .

ويمكن حصر الأسفار التى تحتوى على ابوكاليبس متكامل فى : دانيال(٢٣) وابوكاليبس عزرا أو مايعرف بعزرا الرابع ويوفيلوات صعود موسى رؤيا سفليوت وباروخ وحنوخ .

ولكن هل يعنى إنتشار أدب الأبوكاليبس بين أسفار الابوكريفا واقوال التلمود أن ذلك الأدب كان بدعة مستحدثه فى الآداب المنتمية الى عصر التلمود .

فالاصحاح الثانى من سفر يوئيل(٢٤) يشتمل على رؤى ابوكاليبس يصف فيها النبى صورة العالم عند مجىء يوم الرب ، ذلك اليوم الذى تسود فيه كوارث طبيعية كتحول القمر إلى دماء وظهور أعمدة الدخان والدم والنار والظلام الذى يسود العالم كله .

وكذلك فى زكريا عندما يروى النبى رؤياه للملاك فيفسرها له كرؤياه لأربعة قرون تتحطم(٢٥) يفسرها الملاك بأنها تشير إلى تحطيم الأمم التى أزلت إسرائيل ، كما

---

(٢٠) المرجع السابق ص ٤٣٢ .

(٢١) Kravitz: 300 Years Hebrew Literature, p. 137.

(٢٢) الأسفار الخارجية التى لم تدرج فى العهد القديم .

(٢٣) سفر دانيال من أسفار العهد القديم : قسم الكتب أو المكتوبات أما الأسفار الأخرى فهى من أسفار الأبوكريفا .

(٢٤) يوئيل فى الاصحاح الثانى .

(٢٥) زكريا ١٨/١ و١٢ ١ - ٥ .

يشير النبى أيضا تطهير إسرائيل من دنسها فى رؤياه لهوشع (الكاهن الأكبر). بخلع ملابسه القذرة(٢٦) ، وكذلك فى رؤيا المرأة والأيفة(٢٧) .

لكن بالرغم من وجود تلك الرؤى عند الأنبياء إلا أن الشائع بين العلماء(٢٨) هو أن تلك الاجزاء لا تنتمى إلى الابوكاليبس لأن الأنبياء هنا لا يعتمدون على الرؤى الرمزية إعتمادا كاملا ، كما أن الأنبياء هنا يتحدثون بشخصياتهم الحقيقية الواضحة أمام الشعب دون إخفائها كما يفعل أدباء الابوكاليبس ، كما أن يوم الرب عند الانبياء يختلف فى مفهومه ومحتواه عن يوم الرب فى أدب الابوكاليبس وهو ماسنتحدث عنه فيما بعد .

أما الاصحاحات الثامن والثلاثون والتاسع والثلاثون من سفر حزقيال وكذلك الاصحاحات من التاسع إلى الرابع عشر من سفر زكريا فقد أجمع باحثو العهد القديم . كما سنرى - على أنها تتضمن أفكارا تنتمى إلى الأبوكاليبس ذلك لأنها تتناول الحديث عن يوم الرب (يوم يهوه) فى إطار من الرؤى الرمزيه لذلك نرى أن نتناولها هنا بشىء من التفصيل .

يحدثنا الاصحاحات ٣٨ و٣٩ عن نشوب حرب عظيمة شاملة فى الأيام الأخيرة(٣٠) ، وهى حرب مدمرة بين شعبين أسطوريين رمز إليهما باسمين خياليين هما شعب يأجوج ومأجوج ، كما يشير النبى إلى هجوم عظيم يشنه بأجوج على أرض إسرائيل التى تستحيل إلى خراب(٣١) ، وينشب صراع عظيم بينهما ، ولكن الرب لا يترك شعبة وحيدا فى تلك المعركة ، فيتدخل ، وينقض على الأمم المثنية(٣٢) ، ويكون له النصر النهائى(٣٤) وينقذ شعبه الذى يعيش على أرضه فى سلام أبدى(٣٥) .

كانت تلك نبوءة حزقيال كما وردت فى سفره . لكن ما هى حقيقتها وماهو أساسها التاريخى .

هناك إجماع بين الباحثين المدثين(٣٦) على أن تلك النبوءات تشير إلى الأحداث

---

(٢٦) زكريا ٣/٤ .

(٢٧) زكريا ٤/ ٢ - ٦ .

(٢٨) راجع كلوزنر العقيدة المسيحانية فى أرض إسرائيل ص ١٨ وموتكل He that Cometh, p. 279. واندرسون المرجع السابق .

(٢٩) استخدم حزقيال الرموز بكثرة فى سفره إلا أن حديثنا هنا ينصب على النبوءات التى تتحدث عن الصراع الأخير بين الأمم الوثنية وشعب اسرائيل والذى سيحدث فى آخر الأيام أو يوم الرب لأنه يدخل فى نطاق بحثنا عن أمل الخلاص .

(٣٠) حزقيال ١٩/٣٨ .

(٣١) ١٨/٣٨ - ٢٣ .

(٣٢) ٢٠/٣٨ .

(٣٣) ٦/٣٩ .

(٣٤) ٣٩/ ٢١ .

(٣٥) ٢٥/٣٩ - ٢٨ .

(٣٦) مثل كلوزنر وموبنكل He that Cometh; p. 225. وهولمان Holmann وچون

السياسية والحروب التى شهدتها الأمم المحيطة ببنى إسرائيل على مدى مايقرب من قرن ونصف (من حوالى ٧٢٠ ـ ٥٨٥ ق . م) وهى الأحداث التى تتحدد فى الصراع الداخلى فى الامبراطورية البابلية ، ونشوب حركات استقلال عنها من الولايات الأخرى ، كما دخل ملوكها فى حروب طويلة مع الامبراطوريات الاخرى فى اليونان وايران ومصر والحبشه ، مما جعل ملوك بابل ينشغلون فى مهاجمة مملكة يهودا وإخضاع بقية فلسطين إلى حين . وقد رأى النبى حزقيال أن تلك الأحداث بمثابة إشارات للصراع الأخير بين قوى الشر الممثلة فى الأمم الوثنية المحيطة بهم ، وهو الصراع الذى سينتهى ، كما يعتقد بتدخل الرب إلى جانب إسرائيل ، ويجلب لهم النصر ويقودهم إلى الاستقلال والحرية الأبدية .

أما مؤلف الاصحاحات الاخيره من سفر زكريا (١٩ ١٤)(٣٧) ، فيتحدث عن يوم الرب فى رؤى ابوكاليبس ، مشيرا إلى الكارثة التى تسود العالم كله فى جميع مظاهر الحياة الاقتصادية والدينية ، فضلا عن الكوارث التى تشمل جميع مظاهر الطبيعة ، إنه اليوم الذى سيشهد تجمع الوثنيين لمحاربة اسرائيل والهجوم على أورشليم ، والاساءة إلى أبناء شعبها ، ثم يعتقد أن الرب يتدخل بطريقة إعجازية فيرسل نارا حاصدة تدمر قوى الوثنيين من مضطهدى إسرائيل ، ويسحقهم الرب ويطردهم وينقذ المدينة من أيديهم ... وتصبح أورشليم مركزا دينيا لكل أنحاء العالم يحج إليها المؤمنون بالرب إله إسرائيل .

كان ماسبق يشير إلى خلاصة ما إدعاه زكريا فى رؤيا لبنى إسرئيل .

من الواضح أن تلك الاصحاحات من سفر زكريا تعكس تطورا ملحوظا فى فكرة يوم الرب عند الانبياء ، وتوضح تأثر المؤلف بالاكالييس الذى بدأ ينتشر فى عصره وربما كان هذا سببا رئيسيا دعى كثيرا من العلماء إلى نسبة تلك الأسفار إلى مؤلف آخر مجهول غير زكريا عاش بعده بحوالى قرن من الزمان ، وألف تلك الأسفار التى نسبت خطأ إلى ذلك النبى والتى تعتبر انعكاسا حقيقيا لزمن تأليفها .

A History of israel p — 263 ى كتابه Bright

يقول مونكل : يجمع كثير من باحثى نبوءات حزقيال أن الأجزاء الأخيرة من السفر الذى يحمل اسمه ليست من تاليفه ، بل تمثل نقاط تجميع النشاط النبوى للاحداث التى جاءت قبل عصر النبى وبعده ، وأنها حدثت على مدى فترات طويلة ، وقد قام تلاميذ النبى بتجميع تلك الأحداث فى صورة نبوءات تمت كتابتها بعد العودة من البى وهكذا تنسب اجزاء كبيرة من نبوءاته إلى حوارييه .

(٣٧) تنسب الاصحاحات ١ : ٨ للنبى زكريا ويرجع تاليفها إلى (٥٢٠ ـ ٤٨٠ ق . م) أما الاصحاحات ٩ : ١٤ فتنسب إلى مؤلف آخر مجهول عاش فى الفترة مابين (٣٢٠ ـ ٢٨٠ ق . م) .

فيؤكد كل من ڤيڤر Phiver(٣٨) ، وأدرسون(٣٩) Aderson وجوردن(٤٠) على أن الظروف المتغيرة التى شهدتها فلسطين فى القرن الثالث قبل الميلاد ، بعد موت الاسكندر المقدونى(٤١) وتنازع القاده فيما بينهم على ضم فلسطين كل إلى منطقة نفوذه تلك الظروف القاسية قد أثارت أمل اليهود فى الخلاص من ذلك الوضع القلق مما دعا إلى تأليف تلك النبوءات التى تنسب لزكريا .

كانت تلك الرؤى السابقة التى جاءت فى إطار من الاپوكاليپس ، تمثل بدايات لوجود ذلك الادب فى بعض أسفار الأنبياء ، وهى كما رأينا ـ لا تحتل الا أجزاء متفرقه من آداب الأنبياء وأسفارهم ، وهى تؤكد لنا ، من ناحية أخرى ، على أن الظروف التاريخية التى تعرضت لها منطقة فلسطين كانت من أهم العوامل التى ساعدت على إثراء وتطور الاپوكاليپس ، وأدت إلى ظهور بصورة مضطردة فى الأسفار التى تم تأليفها فيما بين القرن الثانى قبل الميلاد والقرن الأول الميلادى ، والتى تمثل نماذج متكاملة للأپوكاليپس فى الآداب المنتمية إلى عصر التلمود .

ويمثل كل من سفر دانيال وحنوخ نموذجا متكاملا لرؤى الاپوكاليپس فى تلك الفترة . فيعكس كل سفر منهما تصويرا كاملا فى رؤى رمزية للوضع الذى كانت عليه مقاطعة يهوذا فى نهاية القرن الثانى قبل الميلاد . وهى الفترة التى تميزت بالاضطهادات الدينية التى قام بها حكام اليونان فى محاولاتهم لنشر المعتقدات الهلينية بالقوة والتى وصلت إلى أوجها فى عصر أنيتوخوس ابيفاس(٤٢) ، الأمر الذى أدى إلى إنتشار حركات مقاومة عنيفة بين شعوب تلك المناطق كرد فعل طبيعى على تلك الإضطهادات .

سياسيا وحرية دينية لليهود مرة أخرى منذ أكثر من خمسمائة سنة ، وقام فيها حكما ذاتيا فى إطار السيادة اليونانية ، وكان هذا بالنسبة للبعض منهم بمثابة علامة كبرى تشير إلى أن عصر الخلاص قد بدأ بالفعل .

---

38) Phiver: Introduction to the O. T. N. Y. 1941, P. 605.

39) Aderson: Peak's Commentary on the Bible, P. 433.

(٤٠) جوردون : «نڤيئم أحرونيم» كتاب "الأنبياء المتأخرون" صفحة ١٣ .

(٤١) سيطر الاسكندر المقدونى على ممالك الشرق بصورة نهائية عام ٣٣٣ ق . م . وعاشت تلك المنطقة فى هدوء ، لكنه إنتهى بموت الاسكندر . ٣٢ ق . م فقد تنازع القادة العسكريون على تقسيم مناطق نفوذ الأمبراطوريه فيما بينهم وقد شهدت منطقة فلسطين ومقاطعة يهوذا بصورة خاصة ، صراعا بين البطالمه ملوك مصر ، والسلوقيين ـ ملوك سوريا وحاول كل فريق منهما ضم المقاطعة إلى نفوذه ولجأ كل فريق إلى الحصول على تأييد اليهود واستمالتهم إلى جانبه .

(٤٢) حكم مابين ١٧٥ ـ ١٦٤ ق . م .

(٤٣) راجع الفصل الأول من نفس الباب .

وقد لجأ كل من مؤلف سفر دانيال وسفر حنوخ إلى الرمزية فى تصوير تلك الأحداث فيصور دانيال الممالك الأربعة التى حكمت إسرائيل(٤٤) بتمثال ذى أربعة رؤوس مخيفة كلما تحطمت رأس منها تعود للظهور مرة أخرى . ثم يصور مجىء الخلاص بحجر عظيم يسقط على هذا التمثال ويحطمه ، ثم تأتى بعد ذلك مملكة الرب التى لا تنقرض أبدا(٤٥) .

أما الاصحاح السابع فيرمز إلى تلك الممالك مرة أخرى على أنها حيوانات مفترسة ويرمز للمملكة الرابعة - أى الامبراطورية اليونانية - بحيوان خرافى وحشى ذى عشرة قرون متسلط وجبار . ثم يرى أن نهاية الاضطهادات ستأتى عندما يقتل ذلك الحيوان ويدفع لوقيد النار(٤٦) حينئذ يتحقق الخلاص مع مجىء شبيه ابن الانسان(٤٧) الآت مع سحب السماء ويتسلط على جميع الشعوب ويستمر حكمه إلى الأبد(٤٨) .

ولا يخرج مضمون الرؤى فى سفر حنوخ عما وجدناه فى دانيال ، فيشير مؤلف السفر أيضا إلى الأمم التى حكمت اسرائيل بحيوانات وطيور مفترسه(٤٩) تضطهد شعب الرب ثم يشير إلى قيام معركة حاسمة بين الأشرار والصالحين ، تقف فيها السماء وجنودها بجوار الصالحين(٥٠) ثم يأتى راعى الغنم فى يوم القضاء ويضرب

الأرض بروح شريرة(٥١) فتبتلع الحيوانات المفترسة ، ويبنى ذلك الراعى بيتا للرب

---

(٤٤) الاصحاح الثانى .
(٤٥) دانيال ٢/٤٤ .

(٤٦) ٧/٧ - ١٢ .
(٤٧) ٧/١٣ - ١٤ من الواضح أن شبيه إبن الانسان هنا يشير إلى يهودا المكابى أول قائد للثورة الذى كان النبى يأمل أن تعود له السيادة وحكم الأمم بعد مقتل الحيوان المفترس أى الامبراطورية اليونانية . ومن الواضح أن النبى قد أشار للمخلص برمز "شبيه ابن الانسان" فى مقابل إشارته إلى الأمم الأخرى بحيوانات مفترسة . وربما نجد فى كلمات الكاتب نفسه دليلا أخر على ذلك فقد ورد فى نفس الاصحاح ايه ١٨ مايشير إلى حكم قديسو المملكة إلى أبد الآبدين . وهو مايتفق مع الظروف التاريخية لنشأة السفر فقد كانت أسرة الحشمونيين قائدة الثورة المكابية أسرة كهنة من اللاويين . راجع الخلفية التاريخية .
(٤٨) دانيال ٧/١٨ .
(٤٩) حنوخ اصحاحات ٨٣ - ٩٠ .
(٥٠) يشير المؤلف هنا الى الحرب التى دارت بين الجنود اليونان (الطيور المفترسة) وبين أسرة الحشمونيين ومؤيديهم (جنود السماء) .

(٥١) من الواضح أن الاشارة هنا إلى مجىء راعى تشير الى الأمل فى مجىء حاكم من أسرة الحشمونيين ليعيد الشريعة للناس ويحكم شعبة الذى يشير إليه بالغنم ... ومن الملاحظ أن إستخدام الغنم كرمز للشعب كان إستخداما شائعا فى العهد القديم .

تدخله جميع الاغنام ، ثم يأتى المسيح[٥٢] ويحاكم الأمم الشريرة ، وبعد فترة من الاضطرابات والحروب الطويلة ، يسود السلام إلى الأبد وينتهى الشر من العالم[٥٣] .

والواقع أن مضمون بقية الأسفار الأخرى التى تشتمل على اپوكاليپس لا يخرج عن المضمون السابق الذى وجدناه فى دانيال وحنوخ أعظم نماذج الاپوكاليپس فى تلك الفترة . وقد تأكد لنا بعد دراستها على شيوع الرمزية بكثرة فى تلك الآداب عند الاشارة إلى يوم الرب ومجىء الخلاص .

كما تأكد لنا من ناحية أخرى أن الظروف السياسية كانت عاملا هاما فى إثراء الآداب المنتميه الى عصر التلمود بمزيد من مؤلفات الاپوكاليپس .

فالبحث فى تاريخ تلك المؤلفات ومضاهاتها بالأحداث التى تشير إليها يؤكد بما لا يدع شكا على أن مفهوم الخلاص كان لا يطفو على مسرح الأحداث إلا عندما دعت الحاجه الى ذلك .

فقد رأينا أن مفهوم الخلاص قد تأكد على يد الأحداث الجسيمة التى شهدتها تلك المنطقة فى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد[٥٤] .

ثم تلاشت إلى أن عادت للظهور مرة أخرى فى عصر اضطهادات انيوخوس ابيفاس[٥٥]

تم اختفت مرة ثالثة أثناء حكم أسرة الحشمونيين (المكابين) التى شهدت شبه استقلال عن الامبراطورية اليونانية وبأنتشار الهدوء النسبى فى تلك المنطقة ،

كما أنها لم تكن منتشرة أيضا فى فترة قبل فترة المعبد الثانى ، وأن أعظم دليل على هذا هو أن المؤلفات التى تنسب إلى تلك الفترة لا تتحدث عن فكرة الخلاص ولا يظهر فيها المسيح المخلص[٥٦] . وهى أسفار ابن سيراخ[٥٧] وطوبيت[٥٨] ويهوديت[٥٩] وحكمة سليمان[٦٠]

---

(٥٢) يرمز حنوخ الى المسيح هنا بعدة أسماء هى «بن آدم» ابن الانسان هتساديق هنقار العادل المختار وابن البشر وذلك فى ٦٢/٧ و٩ و١٤ و٦٣/١١ و٦٩/٢٦ و٧٥/١ و٧١/١٧ . انظر شخصية المسيح .

(٥٣) ٩٠/٥ ـ ١٦ من سفر حنوخ .

(٥٤) وهو مايظهر فى الاصحاحات ٩ : ١٤ من سفر زكريا .

(٥٥) وهو مايعكسه سفرى دانيال وحنوخ .

56) Zeitlin, S·: Studuies in the Early History of Judaism, Vol· II· Ktav· Publish House, N· Y· 1974, P· 405·

(٥٧) يرجع زمن تأليفه الى ١٩٠ ـ ٧١ ق . م

(٥٨) يرجع زمن تأليفه الى حوالى ١٣٠ ـ ١١٠ ق . م .

(٥٩) يرجع زمن تأليفه الى حوالى ١٣٠ ـ ١١٠ ق . م .

(٦٠) يرجع زمن تأليفه الى ٧٠ ـ ٥٠ ق . م .

ثم يعود مفهوم الخلاص فى الظهور مرة أخرى فى القرن الأول الميلادى ، جاء ذلك بعد أن تم للامبراطورية الرومانية السيطرة على كثير من مناطق الشرق القديم ، بما فى ذلك مقاطعة يهودا ، ثم قام الحاكم العسكرى پومپى Pompey وجيشه بتحطيم اورشليم وبعض أجزاء من المعبد عام ٦٣ م . مما دعا اليهود إلى القيام بثورة أخرى إنتهت بهزيمة اليهود مرة أخرى وتدمير المعبد بصورة نهائية عام ٦٨ م على يد تيتوس .

ونجد فى أسفار : صعود موسى وباروخ وعزرا الرابع (اپوكاليپس عزرا) ورؤيا سڤيلوت مايشير إلى تلك الأحداث فى رؤى الاپوكاليپس ، وذلك بالاضافه إلى بعض اقوال الربانيين الواردة فى التلمود وخاصة تلك الاقوال التى تعتمد على الرمز فى تصوير الخلاص .

أثر عقيدة الثنويه وآداب الاپوكاليپس على المفهوم

يتضح لنا ومما سبق عرضه ، أن أسفار الاپوكاليپس لا تخرج عن الحديث عن يوم الرب وعصر الخلاص عند الأنبياء الا أن الاستخدامات والرموز التى لجأ اليها الاپوكاليپسون تحت ظروف معروفة سبق الاشارة إليها ـ قد جعلت الأفكار عن الخلاص ويوم الرب فى أدب الاپوكاليپس تختلف عما ورد فى أسفار الأنبياء ، بالرغم من أن الاپوكاليپسون كانوا يعتمدون فى رؤياهم على كثير من العناصر المستمدة من نفس الفكرة عند الأنبياء ، إلا أن قبول عقيدة الثنوية فى اليهودية قد أدى بدوره إلى تطور الأفكار المتضمنه فى يوم الرب عند الأنبياء على النحو التالى :

١) كان الإفتراض العام السائد فى أسفار الأنبياء هو أن الخلاص حدث ينتمى إلى هذا العالم ، كما نجد قوى الشر تتجسد فى القوى الوثنية المحيطه بهم والقوى السياسية التى حكمتهم وقضت على مملكتهم ، كما تحدثت أسفار الأنبياء أيضا عن تدمير الرب لتلك القوى ، وأن ذلك يشمل أيضا الخارجين عن الرب من اليهود أنفسهم[٦١] وبينما نجد أن الفكرة فى الاپوكاليپس تؤكد بصورة خاصة على أن تصفية ذلك الحساب مع الوثنيين سيكون فى كارثه تصيب العالم كله ، ومع تأكيد على العناصر الواردة عند الانبياء وإبرازها . كما نجد فى الاپوكاليپس يحدد العالم الحاضر بأنه عالم شرير بكل ما فيه ، وهو عالم

---

(٦١) راجع "يوم الرب" الباب الأول الفصل الثالث

مؤقت مصيره النهاية[٦٢] مع تأكيد خاص على أن العالم القادم هو عالم أبدى يتميز بصفات سامية ويجلب معه الحياة المثالية[٦٣] . وقد سبق أن ذكرنا رأى العلماء فيما يتعلق بتلك الأفكار وأنها تظهر فى الآداب المنتميه إلى عصر التلمود تحت تأثير عقيدة الثنوية التى تم قبولها فى اليهودية فى تلك الفترة .

٢) تحدث الأنبياء عن قوى الشر ، وحددوها فى قوى العالم الوثنى المحيطة التى جعل منها الرب أداة للانتقام من شعبه الذى ترك طرق الرب وشرائعة[٦٤] وبينما نجد أن أدباء الاپوكاليپس يذكرون تلك القوى الوثنية ، إلا أنهم تحدثوا بصورة أساسيه عن الشيطان وجيشه ، وأنه يحكم هذا العالم ، وهو القوى الأساسية المحرضه للشر ، كما تناولت مؤلفاتهم مقاومة الشيطان الأخيرة البائسة ضد الرب ، وتحدثت عن ذلك الصراع الذى سينتهى بانتصار الرب . وأنه سيقوم بنفسه بتقرير مصير الشيطان[٦٥] .

٣) تؤكد آداب الأپوكاليپس على أن زمن النهاية سيسبق بكارثة عالمية تشمل الكون كله ، وتصور ذلك بصور عديدة مختلفة ، كحدوث كوارث طبيعية واقتصادية وانتاج محاصيل رديئة . وحدوث علامات تنذر بالشؤم والدمار بعلامات فى الشمس والقمر ، وقيام ثورات عظيمة بين كل الأمم وكل البشر ، كما تظهر أيضا فى صورة أوبئة تصيب العالم[٦٦] . ويسود إنحطاط دينى واخلاقى[٦٧] ، وتحدث حرائق شاملة فى صورة طوفان من النار ، ويلغى الليل والنهار والمواسم والأعياد[٦٨] .

ويرى جيرشوم شولم Gershom Scholem تأكيدا هاما فى التلمود علّى إرتباط الخلاص بالكارثة ، وذلك عندما حدد التلمود ميلاد المسيح فى نفس اللحظة التى بدأت فيها أعظم كارثة وهى تدمير المعبد الثانى[٦٩] .

---

(٦٢) انظر الاشارات الواردة عن نفس الفكرة فى عقيدة الثنوية التى تتحدث عن العالم الحاضر على أنه عالم مؤقت شرير .

(٦٣) انظر الإشارات الواردة عن نفس الفكرة فى عقيدة الثنوية الاشارة التى تتحدث عن العالم القادم وتصفه بصفات مثالية .

(٦٤) راجع يوم الرب الباب الأول الفصل الثالث .

(٦٥) انظر الاشارات الواردة على نفس الفكرة فى عقيدة الثنوية التى تتحدث عن مصير الشيطان واعوانه .

(٦٦) ابوكاليپس عزرا ٤/٥ ـ ٦ و٨ و١٦/٨ و٥٠ و١٦/٦ و١٢ و٢٤ وحنوخ الأول ٢/٨ و٥/٩٩ و٢/٣٠ ويوفيلوت ٢٨/٨ و٢٥ ورؤيا سفيلوت الكتاب الأول ١٥٤ و١٦٤ والثالث ٥٢٨ و٦٣٣ انظر ايضا الاشارات الوارده فى نفس الفصل عن عقيدة الثنوية .

(٦٧) بابا بترا ومشناه براخوت ومخلتا «أ» ومدراش تهليم .

(٦٨) حنوخ ٤/٩٩ . ويوفيلوت ٢٢/٢٣ وابوكاليپس عزرا ٤/٥١ ـ ١٢/٥ .
وراجع أيضا اشارات الثنويه(١) .

69) Scholem, G: The Messianic Idea in Gudaism,P. 12.

إلا أننا نرى أن التلمود إنما كان يقصد هنا إحلال حالة من التفاؤل بدلا من اليأس والفشل وذلك بمواجهة بين نقيضين ، فيؤكد علماء التلمود على أنه فى لحظة أعظم كارثه بالنسبه لهم ، فقد وُلد الخلاص مع مولد المسيح اليهودى .

وهوماينسحب على قول آخر فى التلمود(٧٠) يحدد موضع ميلاد المسيح المخلص اليهودى فى روما أى فى عاصمة الامبراطورية التى تم على يد قوادها

هذا التدمير ، فهنا يعبر التلمود أيضا عن ميلاد الخلاص فى عقر دار المضطهدين وهو مايشير ايضا الى محاولات احبار التلمود للتأكيد على مجىء المسيح لخلاص بنى اسرائيل من هذه الهزائم العسكريه على يد روما .

٤) كان مفهوم الخلاص فى العهد القديم أملا ينتمى إلى هذا العالم ، ويحدث على هذه الأرض وبالرغم من أنه كان يوصف أحيانا ببعض الصفات السامية الا أن العنصر السياسى والدينى كان بارزا فيه بوضوح ، ومن ناحية أخرى كان مفهوم الخلاص يرتبط دائما بشخصية تاريخية محددة(٧١) ، وكان يعنى الخلاص من وضع سياسى معين ، وكانت الاشارات إلى المستقبل الواردة فيه تتحدد فى المستقبل القريب من السامعين أو تشير إلى الحاضر الذى يعيشون فيه .

بينما نجد آداب عصر التلمود عن الحاضر ، فيظهر مفهوم الخلاص فيها بوصفة عملا سماويا وخارجا عن مسار التاريخ ، وبعيدا عن القوى البشرية ، كما أصبح ينتمى بصورة أوضح إلى العالم الآخر ، "فهو أعظم من كل المثاليات الأرضية وهو تجسيد لكل التطلعات والآمال ، إنه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ومالم يخطر على قلب بشر(٧٢) . وكان ذلك عاملا هاما ساعد على ظهور عناصر الاسكاتولوچى بوضوح وتأكيد فى آداب تلك الفترة .

٥) لم يقتصر تأثير الاپوكاليپس ـ بما يتضمنه من أفكار مستمدة من عقيدة الثنوية ، ومايتجلى فيه بوضوح من بروز لعناصر الاسكاتولوچى ، على أمل الخلاص فى آداب عصر التلمود ، بل نقول ـ إذا صح هذا التعبير ـ أن ذلك التأثير قد زحف إلى الوراء حتى امتد إلى فكرة الخلاص كما تصورها أسفار العهد القديم .

فقد كان أدباء تلك الفترة ، وحكماؤها وربانيو التلمود ، ينظرون إلى وحى العهد القديم على أنه يمثل وحدة متكاملة ، وتعاليم مستمرة لهذا فانهم لم يروا غبنا سى

---

(٧٠) سنهدرين ٦٧ ـ ٢ .

(٧١) راجع الباب الأول الفصل الثالث ص ٤٤ والفصل الرابع ٨٩ و٩٤ و٩٩ .

72) Mowinckel: He that Cometh, P. 264.

استخدام فقرات مبكرة على أنها نبؤات تشير إلى المخلص الذى ينتمى إلى العالم القادم ، وعالم المستقبل ، معتقدين أنها إشارات وشواهد تؤكد على وجود الاسكاتولوچى فى العهد القديم ، وقد سبق لنا الاشارة إلى أن كثيرا من فقرات العهد القديم قد أضفى عليها نوعا من الاسكاتولوجى بناء على تفسير التلمود لها ، فكانت معرفة الربانيين للاسكاتولوچى والاپوكاليپس بما يتضمنه من عقيدة الثنوية ، عاملا هاما أثر على تفسيرات الربانيين للفقرات التى تتناول مفهوم الخلاص ويوم الرب عند الأنبياء ، حيث قرأوها وفسروها على ضوء تلك الأفكار التى أثبت البحث الحديث قبولها فى اليهودية بعد إنتهاء فترة النبوة .

٦) أخيرا ، نجد تأكيدا هاما فى الاپوكاليپس على الإنتقال الحاد إلى المملكة المسيحانية وعصر الخلاص وهو ماجاء تحت تأثير عقيدة الثنوية التى أدت إلى تحديد صفات العالم القادم المتناقض تماما مع العالم الحاضر وهى فكرة جديدة لا نجدها فى أسفار الأنبياء . فالأنبياء يصورون عقاب اسرائيل على أنه نتيجة لآثامهم وتركهم طرق الرب وإتباع الوثنيين ، كما يؤكدون على أن الخلاص يتوقف على تحول حالة الشعب وعودتهم إلى الرب ، وأن التوبة عامل أساسى يترتب عليه مجىء الخلاص(٧٣) .

أما الاپوكاليپس فيظهر على النقيض تماما من تلك الفكرة . ذلك لان أدباء الاپوكاليپس ليس لهم أى علاقة بالتقدم التدريجى للتاريخ "بل أن علاقتهم الوحيدة بالحاضر المعاصر لهم هو أنه يجب أن يزول ، فكانوا ينظرون إلى العالم الحاضر .

نظرة تشاؤمية ، وكان تفاؤلهم وأملهم ليس موجها إلى ماسيحققه هذا الحاضر ، بل إلى مايظهر من خلال حطامه ، فبعد هذا الدمار ، وبعد تلك الكارثة الفجائية ، سيظهر عالم آخر جديد كلية ، حر ونقى(٧٤) .

لكن ، مع كل ذلك أيضا ، تكشف لنا تلك الآداب عن حقيقة هامة وهى أن عنصر المفاجأة الحاد لم يكن واضحا فى جميع فقراتها ، وهو مايظهر بوضوح فى أقوال التلمود(٧٥) .

فبينما نجد أن القدوم المفاجىء للخلاص ، بلا أى إعلان مسبق ، أو تحديد زمن مؤكد - هى الحقيقة المؤكدة والشائعة بين الربانيين ، وكثير من فقرات أخرى من الابوكريفا - وبينما نجد أقوال التلمود تؤكد على أن قدوم المسيح هو من الأشياء الخافية عن العالم ، نجد إلى جانب ذلك أقوالا تؤكد على أن الخلاص يتوقف على

---

(٧٣) انظر الباب الأول الفصل الثالث "يوم الرب" .

74) Scholem C.: The Messianic Idea in Judaism, P. 9.

(٧٥) مدارش تهليم عن مزمور ٤٥/٣ .

حيث يشير التلمود الى أن مجىء المسيح المخلص سيكون فى وقت من أقل الأوقات توقعا له وعندما يخلو الأمل من مجىء الخلاص لفترة طويلة

عدة مراحل تمهد له وتكون بمثابة علامات وأحداث تشير إلى مجىء المسيح اليهودى وعصر الخلاص ، وهو ماسنتحدث عنه على الصفحات التالية .

ثالثا : علامات وشروط قدوم المسيح :

عرفنا مما سبق أن الفكرة السائدة فى آداب تلك الفترة هى مجىء الخلاص فجأة وبعد ظهور عدد من الكوارث العظيمة ، تشمل العالم كله وتمتد إلى جميع مظاهر الحياة ، وقد عرفت تلك المجموعة من الكوارث المتلاحقة "بمخاض ولادة المسيح" حڤلى هماشيح وهو اصطلاح يطلق على مجموعة العلامات والمظاهر الخاصة بالكوارث . التى ستسبق مجىء المسيح والتى تعتبر من علامات إقتراب عصر الخلاص كما تعتبر مقدمة لتدهور العالم كله فى كل مظاهره الإقتصادية والإجتماعية والدينية والاخلاقية كما سيحدث كوارث طبيعية فى كل أنحاء العالم .

فتعدد أسفار ابوكاليپس عزرا[٧٦] وباروخ[٧٧] وحنوخ[٧٨] ويوفيلوت[٧٩] وسفيلوت[٨٠] والحشمونيين[٨١] (المكابيين) فى رؤى الابوكاليپس مظاهر الكارثة الاقتصاية فتسود العالم فصول زراعية سيئة وتنتج الأرض محاصيل رديئة ، فتنتشر المجاعات وتعم الفوضى كل انحاء العالم [٨٢] وذلك فضلا عن حدوث كوارث طبيعية ، تنذر بالشؤم ككسوف الشمس وخسوف القمر[٨٣] .

ويتحدث سفر حنوخ[٨٤] عن نشوب حروب طويلة مدمرة بين الشعوب فيصور قيام حرب بين الأشرار والصالحين .. الذين تؤيدهم السماء بجنودها ويكتب لهم النصر النهائى .

---

(٧٦) ابوكاليپس عزرا ٤/٤٠ ـ ٦ ، ٨ و٥٠ و٦/٦ و٢١ و٢٤ .
(٧٧) باروخ الثانى اصحاح ٢٨ كاملا و١/٣٢ و١/٧٠ و٢/٧١ .
(٧٨) حنوخ الأول ٢/٨ و٥/٩٩ و٢/١٠٠ .
(٧٩) يوفيلوت ١٨/٢٣ .
(٨٠) رؤيا سفيلوت ١٦٤/٢ و٣٨/٣ و٥ و٦٣٣ و٧٩٦ ـ ٨٠٦ .
(٨١) سفر المكابيين (الحشمونيين) الثانى ٢/٤ .
(٨٢) يرى مونكل أن أدباء الابوكاليپس قد استقوا الصور المستخدمة هنا من التجارب السابقة وأفكارهم القديمة عن الفوضى التى تحدث كل عام فى مظاهر الطبيعة كمجىء فصل الصيف فتمتنع الامطار عن السقوط وتجف الأرض .. ثم مجىء فصل الخريف فيذبل الزرع وتتساقط الأوراق وتهب فيه الرياح والعواصف .. ثم يظهر يهوه ويعيد الحياه لكل مظاهر الطبيعة ويجسد نفسه فى احتفال رأس السنة الجديدة ويعود النظام مرة أخرى الى الكون والطبيعة وتمطر السماء بحلول فصل الشتاء فتعطى وينبت الزرع وينعم الناس بثمرات الأرض
(٨٣) اليوفيلوت ١٩/٢٣ رؤيا سفيلوت ٦٣٣/٣
(٨٤) حنوخ الأول ٤/٩٩ و٨ و٢/١١٠ وابوكاليپس عزرا ٢٤/٦ و٣/٩ و٤ ١ ـ ٥ .

ومن العناصر المكونة لمخاض ولادة المسيح أيضا ، نجد الحديث بإسهاب عن إنتشار الإنحطاط الأخلاقى[٨٥] وتدهور العلاقات الاجتماعية ، فالابن يحتقر أباه ، وعظماء القوم سيسهرون على خدمة التافهين منهم وينتشر الظلم بين الناس وينتهى العدل إلى الأبد ، ولن يكون هناك من يدعو لأى إصلاح أخلاقى أو دينى[٨٦] .

وقد إهتم التلمود[٨٧] بالحديث عن الفساد الدينى ، فيشير إلى إهمال الناس للتوراة ونسيانها ، وأن حكمة الكتاب المقدس ستصبح عديمة الجدوى ، وينصرف الدارسون عن مدارس تعليم التوراة فتغلق تلك المدارس أبوابها ... ويؤدى كل هذا إلى سقوط الناس جميعا فى الهرطقة .

وبعد أن عرضنا للعناصر المكونة لمخاض ولادة المسيح فى أدب عصر التلمود ، فإننا نعتقد أنها تتطابق مع العناصر المكونة لفكرة « يوم الرب » فى العهد القديم لكن فى شكل رؤى رمزية مع إضفاء نوع من الخيال والمبالغة عليها .

كما أننا نرى أيضا أن تلك العناصر تعكس الظروف التاريخية السياسية والأجتماعية التى كتبت فيها حيث أن زمن كتابة تلك الفقرات ينحصر فيما بين ٧٠ : ١٣٥ م [٨٩] وهى الفترة التى شهدت فيها مقاطعة يهوذا تدهورا دينيا وفسادا أخلاقيا لم يحدث من قبل [٩٠] كما تدهورت الأحوال الاقتصادية وإنتشرت المجاعات وساد الظلم بين الناس .

---

(٨٥) سنهدرين مدارش تهليم عن مزمور ٤٥/٣ .
(٨٧) جزء براخوت ٢٨ ـ ٧٢ وشبات ١٣٨ ـ ٧٢ . نقلا عن :
يوسف كلوزنر العقيدة المسيحانية فى أرض إسرائيل ص ٢٦١

(٨٨) انظر الفصل الأول من نفس الباب .
(٨٩) كما يرى كل من كلوزنر فى كتابه سالف الذكر صفحة ٢٦١ ـ ٢٦٢ .
Scholem : The Messianic Idea in Judaism, P. 10-11.
Sarachek : The Doctrine of the Messiah in Medieval Jewisn Literature, P. 11. و
Mowinckel : He that Cometh, P. 298.

(٩٠) اصدر هدريان (١٣٠ م) الحاكم الرومانى لمقاطعة يهودا فى ذلك الوقت قرارات بمنع الختان والغاء التوراة والأعياد واتباع الوصايا وقام بنشر هذه القرارات بالقوة . وقد عمل جنوده على استقطاب عدد من اليهود ليعملوا كجواسيس للرومان لمعرفة مدى إتباع قوانينه .. كما كان الجنود يقومون بجباية الضرائب الباهظة بالقوة ... وقد ساعد كل ذلك على إنتشار الفساد الدينى والأخلاقى والإجتماعى كما ادى الى تدهور الحياة الاقتصادية انظر كلوزنر فى المرجع السابق صفحة ٢٦١

أما أهم علامة مؤكدة تبشر بمقدم المسيح ، والتى تجمع عليها فقرات كثيرة من آداب تلك الفترة فهى ظهور النبى ايليا «الياهو» [٩١] مبشرا بقدوم المسيح والمملكة المسيحانية فى عصر الخلاص .

ويلعب إيليا دورا هاما فى عصر الخلاص وتلقى عليه مهام كثيرة ، منها أنه يضع الحلول لجميع المشاكل والغموض الذى يتعلق بالدين والقضاء والشريعة ، ويقوم بتفسير أجزاء العهد القديم التى عجز الربانيون عن تفسيرها[٩٢] . وهو أيضا الذى سيقضى بين الناس[٩٣] ، كما سيقوم ببعث وإحياء الموتى[٩٤] .

---

(٩١) إيليا . هو النبى الياهو .. عاش فى القرن التاسع قبل الميلاد ونسبت إليه معجزات خارقة كما حيكت حوله الأساطير . ووجد فيه الأدباء مادة خصبة لكثير من القصص والأشعار . ويروى لنا سفر الملوك (الملوك الاصحاحات ١٦ · ١٩ والملوك الثانى الاصحاحات ١ : ٢) قصة إيليا فنعرف منها انه كان معاصرا للملك آحاب بن عمرى (حكم مملكة إسرائيل من ٩١٨ ـ ٨٩٧ ق . م) وانه ثار بعنف ضد الفساد والانحلال الدينى والخلقى الذى تفشى فى عصر ذلك الملك . ويخاف من بطشه فيهرب ويختبىء عند نهر جريت فى الأردن ومن المعجزات التى تنسب إلى إيليا فى تلك الفترة أن الغربان كانت تأتى له بالطعام صباحا ومساء (ملوك الأول ١٧/٢ ـ ٧) . وبفضله استطاعات أرملة وأبنها وبقية اهل بيتها أن ياكلوا جميعا ، أثناء فترة المجاعة الطويلة التى إجتاحت انحاء القرية ، من قدر ضئيل جدا فى الدقيق والزيت لايكفى لصنع فطيرة واحدة . وبفضل صلواته وصراخه للرب عادت الروح إلى ابن تلك الأرملة بعد أن كان قد فارق الحياة ... ويستمر السفر فى سرد القصة .. فبعد هذه المعجزات يعود إلى السامرة (عاصمة مملكة إسرائيل) ويتقابل مع الملك فيواجهه بالفساد الدينى الذى تفشى فى إسرائيل كنتيجة طبيعية لتقبلة عبادة آلهة البعل الوثنية ، معلنا تحديه للملك وانبياء البعل أمام الشعب كله ليتبين الحق من الباطل .. ويأمر النبى انبياء البعل بأن يأتوا بثورين وحطب . ويأتى هو أيضا بثورين وحطب على ألا يضع أى الفريقين نارا ثم يدعوا أنبياء البعل باسم آلهتهم ، ويدعو إيليا باسم ربه . ومن تستجيب له السماء يكون هو الآله الحق .. ويقبل أنبياء البعل هذا التحدى العلنى ويفعلوا ماأمروا به .. لكن النار تستجيب لايليا ويسجد جميع أنباء الشعب للرب آله إيليا ، فى حين يفشل أنبياء البعل ويحاولون الفرار ، لكن إيليا يآمر الشعب بالقبض عليهم ويذبحهم فى نهر قيشون . ثم تتوالى معجزات ذلك النبى مرة أخرى ، فهو ينزل المطر من السماء ويسير السحاب ، لكنه مع ذلك يخشى انتقام الملك آحاب فيهرب جنوبا إلى مملكة يهودا .. ويتجول فى عدة مناطق فيها حتى يصل جبل حوريب ، فيبيت فى مغارة هناك ، ويأتيه ملاك الرب متسائلا عن سبب مجيئه إلى ذلك المكان ويجيبه بأنه فر هاربا من بنى إسرائيل الذين تركوا عبادته ، فيامره بالعودة من حيث أتى ليمسح ملوكا وانبياء جدد على إسرائيل .. لكن العداء يستمر أيضا بين إيليا وبين الملك الجديد أحاز الذى يطارده بجيوش عظيمة لكن إيليا يأمر السموات فترسل عليهم نارا وتلتهمهم ، ويتجول إيليا مرة أخرى فى إسرائيل بصحبة نبى آخر هو النبى اليشع وهو نبى معاصر لايليا وتنبأ لاسرائيل منذ عصر الملك آحاب بن عمرى وعندما يصلان إلى نهر الأردن يضرب إيليا ماء النهر بردائه فينشق لهما النهر .. لكن بينما يتجولان معا .. تفصل بينهما مركبة نارية وخيول نارية ويصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء .. بينما يصرخ اليشع مناديا على رفيقه لكنه لايجيبه . حينئذ يعود اليشع وحيدا بعد أن يشق النهر مرة أخرى مستخدما رداء إيليا الذى سقط عنه أثناء صعوده للسماء .

(٩٢) ورد فى التلمود أن الربانيين يرجئون تفسير اصحاحات العهد القديم الغامضه حتى يأتى ايليا ليفسرها .

(٩٣) حنوخ الأول ٩/٢٦ و٨/٤٨ .

(٩٤) تشير بعض نصوص العهد القديم إلى دليل فيهم على وجود إعتقاد ما فى إحياء الموتى والحياه فى

وتتحدث فقرات أخرى من التلمود(٩٥) عن مهام الياهو ، وهى تتحدد فى تطهير النفوس مما علق بها من فساد وبهذا يجعل قبائل إسرائيل مهيأة لاستقبال العصر المسيحانى ، كما أنه سينشر السلام فى العالم(٩٦) .

وبعد تمهيد الطريق لهذا القدوم ، يقوم الياهو بالنفخ فى البوق معلنا عن قدوم المسيح من قمة جبل الكرمل(٩٧) .

كما يستمر الياهو فى أداء بعض المهام بعد مجىء عصر الخلاص وهى تتحدد فى(٩٨) :

١) إعادة سقوط المن على إسرائيل(٩٩)

٢) يعمل على إعادة تدفق الماء الطاهر لكى تتطهر إسرائيل من دنسها .

٣) كما يعمل على إعادة تدفق الزيت المقدس لمسح الكهنه(١٠٠) .

وعلى ضوء ماسبق عرضه من عناصر مكونة لأدب الاپوكاليپس نرى أن مخاض ولادة المسيح ، وعلامات القدوم بوجه عام ، تتضمن نفس العناصر المكونة ليوم الرب "يوم يهوه" عند الأنبياء ، إلا أن التعبير عنها فى إطار من رؤى الاپوكاليپس أدى إلى تضمينها عناصر من الاسكاتولوجى وهو ماجاء تحت تأثير عقيدة الثنوية التى تم قبولها فى اليهودية فى تلك الفترة .

العالم الآخر إلا أن الفكرة الشائعة فى ذلك كان الايمان بأن الحياه الدنيا هى موطن الراحة والمتاعب ، وأن الحاله الوحيدة التى يعرفونها عن العالم الآخر هى ماعبروا عنه بلفظ شاءول (اسم مفعول من الفعل سأل) وهى حالة غامضة غير مرغوب فيها ومكان مظلم يقع تحت الأرض وتستقر فيه جميع الأرواح . أما فكرة القيامة والبعث ، فلم تظهر إلا فى الأجزاء المتأخره من العهد القديم التى تنتمى إلى العودة من السبى (كأشعياء ٢٦/١٩ ودانيال ١٢/٢ ـ ١٣) . ومنذ ذلك الحين أصبح الاعتقاد فى البعث يظهر باضطراد فى فقرات عديدة من آداب التلمود (راجع رؤيا سفيلوت ١٧٢ ـ ١٩٠ و٢٧٥ ـ ٢٨٥ وباروخ الثانى ٢١/٢٣ و٧/٥٣ و٥٠/٢ ـ ٤ ... وغيرها) وأصبح عنصرا أساسيا من عناصر الايمان باليهودية . وهو ما اجمع عليه جمهور من الباحثين مثل كلوزنر فى كتابه السابق صفحة ٩ : ١٢ . وايضا كل من

Bright : A History of Israel, P. 352.
Mowinckel : He that Gometh, 135.

(٩٥) التلمود : جزءپيساحيم ١٣ ـ ٧١ ، وكيدوشين ٧٢ ـ ٧٢ .

(٩٦) كلوزنر : العقيدة المسيحانيه فى أرض إسرائيل صفحة ٢٧٠

(٩٧) التلمود الاورشليمى جزء يساحيم ٨٣ ـ ١٥

(٩٨) وردت هذه المهام الثلاثه فى التلمود : مخيلفا اويسا ٨٥ .

(٩٩) وردت هذه الفكرة أيضا فى سفر باروخ

(١٠٠) التلمود : جزء براخوت ٥ ـ ٧١ و٧٢ وسفرا ٩٥ ـ ٧١ و٩

رابعا : تحديد تاريخ القدوم ، والعصور الألفية :

اتضح لنا على الصفحات السابقة من هذا الفصل أهمية دور الاپوكاليپس فى تحول مفهوم الخلاص والقدوم القريب للملك أى المسيح اليهودى ومملكة الخلاص إلى توقعات يوطوبيه ، تأتى فى وقت ما فى المستقبل ووقفنا على دور الاپوكاليپس فى أضفاء مزيد من العناصر الإعجازية على مملكة عصر الخلاص أى المملكة المسيحانيه وشخصية المسيح حتى أصبحت الأسطورية هى السمة السائدة التى تغلف كل تلك التوقعات التى تتحدث عن المستقبل .

وتدلنا فقرات عديدة من الاپوكاليپس على أن زمن النهاية لم يكن معروفا فهى تحدثنا عن علامات قدوم المسيح اليهودى دون أن تحدد تاريخا معينا لظهوره .

بل أن الملائكة تحذر مؤلف سفر عزرا الرابع من التعجيل بالنهاية[١٠١] .

وتمسك بذلك عدد كبير من الربانيين فقد دعوا الشعب بالا «يعجلوا زمن النهاية وألا يكشفوا عن أسرارها[١٠٢] .

ويكتفى مؤلف باروخ الثانى بالإشارة إلى قرب الخلاص "لقد إقترب الخلاص ولم يعد بعيدا"[١٠٣] دون أن يحدد زمنا لمجيئه ، ويتحدث فقط عن أن إستمرار عصر حكم المسيح لمدة سبعة أسابيع[١٠٤] .

بل أن التلمود يسقط اللعنات على أولئك الحاسبين فيقول "فلتسحق عظام الذين حاولوا حساب النهاية لأنهم قالوا بما أن الوقت قد حان ولم يأن بعد ، فانه لن يأتى ابدا"[١٠٥] .

وكانت الفكرة الشائعه فى الاپوكاليپس والتلمود أن عصر الخلاص سيسبق بكوارث شاملة دون تحديد لزمن تلك الكوارث "تسأل إسرائيل متى تخلصنا يارب فيرد قائلا : عندما تهبطون إلى أدنى مستوى سأخلصكم فى ذلك الوقت . كما يؤكد التلمود على مجيء الخلاص لو تابت اسرائيل لسبت واحد فقط[١٠٦] .

لكننا نجد بعض فقرات تتخطى هذا السلوك الشائع وخاصة بين ربانى التلمود وتجاوزوا ذلك بوضع حسابات تشير إلى تواريخ محددة لمجيء الخلاص ، كما قاموا باحصاء لعدد سنوات استمرار حكم المسيح ومملكة الخلاص .

---

(١٠١) عزرا الرابع ٤/٤ .
(١٠٢) سنهدرين ٧٢ ـ ٧٨ كلوزنر «العقيده المسيحانية فى أرض اسرائيل ص ٢٧٢
(١٠٣) باروخ الثانى ٧/٢٣ و٤/٦٨ و١٠/٨٥ .
(١٠٤) ٢/٢٨ .
(١٠٥) سنهدرين ٧٣ ـ ٢ .
(١٠٦) التلمود : جزپسختا ١ ـ ٥٣ ، وشبات ٢ ـ ٨ وسنهدرين ٧٣ ـ ٧٨ وتعينت ارميا ٥٤

شهدت القرون الأولى للميلاد ـ وهى القرون التى تميزت باضطهادات هدريان ودمار المعبد الثانى وثورة بركوخيا ـ إنتشارا ملحوظا لفكرة المسيح بين بنى اسرائيل كما شهدت أيضا ظهور عددا من الكتاب الذين حاولوا وضع تخمينات وتواريخ معينة لتحديد زمن معين لقدوم المسيح معتمدين فى ذلك على إشارات غامضة من العهد القديم ومحاولين تطبيق تلك الإشارات على الواقع التاريخى المحيط بهم .

وأول مايمكن ملاحظته هنا هو أن الفكرة الشائعة فى القرنين الأول والثانى الميلادى بين الأبوكاليبس هى توقعهم للقدوم القريب السريع للمسيح ، اليهودى ، كما أنهم حددوا فترات قصيره نسبيا للفترة التى سيستمر فيها حكم المسيح فى مملكة الخلاص .

فقد توقع يوحنا بن زكاى(١٠٧) قدوم المسيح اليهودى بعد عشر سنوات فقط من دمار المعبد (حوالى ٨٠ م) معتمدا فى ذلك على عبارات التلمود التى تعلن عن مجىء المسيح اليهودى بعد أن يصل الدمار والفساد الدينى والاجتماعى والاخلاقى الى ذروته ، ومطوعا تلك الأقوال على الواقع الذى كان يعيش فيه(١٠٨) .

أما الربى اليعازر بن عزاريا فيرى أن المسيح سيأتى بعد سبعين سنة من دمار المعبد(١٠٩) (أى عام ١٤٠ ميلاديا) .

ويعتقد الربى يوسى الجاليلى(١١٠) أن عصر المسيح سيأتى بعد ثلاثة أجيال من الدمار (أى عام ١٣٠ ميلاديا) .

ولقد غالى اولئك الحاسبون فى توقعاتهم لقدوم المسيح اليهودى فهم لم يكتفوا بتحديد السنة التى ستشهد قدوم المسيح ، بل شغلوا أنفسهم أيضا بتحديد اليوم والشهر الذى سيأتى فيه :

فيرى الربى يوشيا(١١١) أن بنى اسرائيل سيخلصون فى شهر نيسان(١١٢) معتمدا فى ذلك على حادثة الخروج من مصر(١١٣) .

---

(١٠٧) عاش فى القرن الأول الميلادى (ترجع وفاته عام ٨٠ م)

108) Silver: H History of the Messianic Speculation in Israel, P. 14.

(١٠٩) ستهدرين ٧٧ تفسير عن أشعياء الاصحاح ٥٠

(١١٠) مدراش تهليم عن المزمور ١٧

(١١١) عاش فى القرن الأول الميلادى .

(١١٢) هو الشهر السابع من التقويم ، العبرى ويقابل ، آخر مارس ـ ١٤ ابريل فى التقويم الافرنجى .

(١١٣) يقول سفر الخروج ٤/١٣ ان الخروج من مصر حدث فى شهر ابيب (أى ابريل ـ نسيان)

أما اليعيزر فيرى أن الخلاص سيحدث في تشرين (١١٤) .

وتدلنا فقرات أخرى من التلمود على أنهم كانوا فى القرن الأول الميلادى يؤمنون بأن عصر المسيح سيستمر أربعين عاما .

وقد شهد النصف الأول من القرن الثانى الميلادى إنتشار اعتقاد بين كافة اليهود بنهم يعيشون فى نهاية العصر الألفى الخامس ، وهو العصر الذى ينتهى فيه كما كانوا يعتقدون ـ كل وجود على الأرض ، أما الفترة التى تسبقه فتمثل المملكه المسيحانيه .

وقد إنبثقت تلك الفكرة مما كان شائعا من إعتقاد بأن العالم سيستمر فى الوجود لمدة سبع سنوات كل سنة منها تتكون من ألف سنة ١١٦ ، تمثل الألف السابعة عصر النهاية ، وتشتمل الألف السادسة على المملكة المسيحانيه وهو العصر الذى تسبقه الألف الخامسة وهى فترة مليئة بالإضطرابات والفوضى فى جميع أنحاء العالم .

فنجد فى سفر باروخ تعبيرا غامضا عن تلك الفكرة(١١٧) .

أما أبوكاليبس عزرا فيحدثنا عن هذا التاريخ بوضوح تام شارحا لذلك الأسبوع ومسهبا فى تفاصيله وصوره .

ويؤكد يوسفوس على أن معاصريه كانوا يعتقدون أنهم يعيشون فى الألف الخامسة (١١٩) .

ويشير التلمود الى أن تاريخ خلق العالم قد بدأ منذ أكثر من أربعة آلاف سنة ، وأنهم يعيشون فى الألف الخامسة(١٢٠) .

---

(١١٤) هو الشهر الأول من السنة العبرية ويقابل (اكتوبر) (٣٠ يوما) من التقويم الافرنجى وقد اعتمد اليعيزر فى تحديده لهذا التاريخ على تفسير اشعياء ١٣/٢٧ وربطها مع مزمور ٤/٨١ ـ ٥ وقد حددت اقواله هذه فى سنهدرين ٧٢ ـ ١

(١١٥) فى تفسير سنهدرين التثنية ٣/٨ ، واضطروهم وعذبهم من الجوع وأطعمهم المن "اربعون سنه فى الصحراء" مع ربطها بما ورد فى مزمور ١٥/٩٠ جعلنا سعداء الأيام التى عذبتنا" .

(١١٦) مرجع كلوزنر السابق صفحة ٢٤٦

(١١٧) باروخ الثانى ٢/٢٨ و١٠/٨٥ و٤/٦٨ و٧/٢٣ .

(١١٨) ابوكاليبس عزرا ١٨/١٤ .

١٢٠) يشير جزء عقوداه زاراه ٩ ـ ٢ الى أن ذلك التاريخ يبدأ منذ ٤٢٣١ سنه أما جزء سنهدرين ٧٩ فيعتبر أن هذه البداية هى منذ ٤٢٩١ . نقلا عن كتاب كلوزنر السابق صفحه ١٦

أجمع على ذلك كل من الرابى دوسا وعاش مابين القرنين الثانى والثالث الميلاديين معتمدا على ما ورد فى سفر التكوين ١٣/٥ وربطها مع مزمور ١٥/٩ وقد ورد ذلك فى سنهدرين ٧٩ ـ ١ ومدراش تنحوما ٥ عن مزمور ١٧١٩ ويؤيده فى ذلك الرابى حنانيا كما ورد فى عقوداه زاراه . أما سنهدرين ٧٩ ـ ٢ فتشير الى مجىء النهايه بعد ستمائة عام .

(١٢٢) انظر الباب الثالث الفصل الثالث الوسائل المستخدمة فى الحسابات المسيحانيه .

وبناء على تلك الأفكار اعتقد الربانيون والأپوكاليپس أن دمار المعبد الثانى وانتشار الانحلال الخلقى والفساد الدينى بين كل أبناء الشعب ، فضلا عن انتشار الثورات والفوضى فى أنحاء أخرى من الممالك المحيطة بهم ، اعتقدوا أن كل ذلك يمثل علامات مؤكدة تبشر بقرب مجىء المملكه المسيحانيه فى عصر الخلاص الذى سيبدأ - كما رأينا - بمثل تلك الاضطرابات الشاملة .

وكانت ثورة بركوخيا ضد الحاكم الرومانى (حوالى ١٣٠ م) - وادعائه أنه المسيح المخلص . ومن سيأتى بمملكة عصر الخلاص المسيحانيه - صدى سياسى لتلك التوقعات المسيحانيه المحمومة والمنتشرة بصورة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ بنى اسرائيل ، واعتمد مؤيدو تلك الثورة على الظروف التاريخية التى نشأت فيها ، وأصبح مؤكدا لهم بصورة قاطعة أنهم يعيشون فى عصر "مخاض ولادة المسيح" معتمدين فى ذلك على حسابات الربانيين .

وقد أدى فشل الثورة ، وما جلبته معها من تشتت كامل ، ومزيد من خيبة الأمل واليأس بعد تلك الحسابات والتوقعات فى قرب مجىء الخلاص .

وقد شاع هذا الرقم بين كافة الربانيين ، ذلك لأنه يتناسب مع عدد السنوات التى بقى فيها بنو اسرائيل فى أرض مصر معتبرين الخلاص من عبودية مصر يمثل الخلاص الأول" وأن الخلاص النهائى يتشابه مع الخلاص الاول(١٢٣)

وقد توهموا بعد تلك التجربة الفاشلة أن فترة الانتظار سوف تكون أطول ، واضطر الربانيون - منذ ذلك الوقت - الى اعادة حساباتهم المسيحانية ، وذلك بتحديد توقعاتهم فى مستقبل بعيد جدا .

كما جعلهم ذلك أيضا ، يراجعون حساباتهم المسيحانية التى تعتمد على وضع تاريخ محدد لبداية خلق العالم ، فقالوا بأنهم قد أخطأوا فى حساباتهم الأولى التى قالوا بها وحددوها قبل ذلك بأنهم يعيشون فى الألف الخامس ، مدعين أنهم يعيشون فى نهاية الألف الرابع .

ومنذ فشل ثورة بركوخفا أصبح هناك شبه إجماع بين الربانيين على أن الخلاص لن يأتى الا بعد نهاية أربعمائة سنة من تدمير المعبد .

---

(١٢٣) أدت تلك التوقعات المسيحانية إلى ظهور مسيح كاذب فى منطقة كريت Crete يدعى موسى قاد أتباعه فى يوم موعود للذهاب الى فلسطين وقادهم الى جبل داخل البحر وأمرهم بأن يلقوا بأنفسهم فيه ، أملا فى ان ينشق البحر كما حدث للنبى موسى . فأطاعوا أمره وسقطوا فى البحر فهلكت منهم أعداد كبيرة وماتوا ....

Flas Messiah : The Jewish Enc. Vol. P. 64.

وقد شهدت السنوات الأخيرة من القرن الخامس الميلادى انتشارا عظيما للتوقعات المسيحانية وكانت الظروف السياسية التى شهدتها كل تلك المنطقة من أهم العوامل التى أكدت تلك التوقعات .

فقد شهدت تلك السنوات نهاية سيطرة الأمبراطورية الرومانية على أجزاء كثيرة من العالم ، بل وشهدت أيضا الهجوم المتكرر على روما نفسها والتى ظلت تحكم العالم لأكثر من ستمائة سنة حتى سقطت بصورة نهائية على يد الباريثين من الفرس عام ٤٧٦ م .

وقد رأى الربانيون أن ذلك كله يمثل ظروفا ملائمة لظهور المسيح ، كما رأوا فيها تطبيقاً حقيقيا للتوقعات السابقة خاصة تلك الأقوال التى أكدت على أن دمار روما سيتلى بصعود إسرائيل وسيادتها وحكمها للعالم .

إلا أن الفرس لم يأتوا بجديد معهم لليهود فى هذه المرة ، ذلك لأنهم لم يسمحوا لشعوب المناطق التى إستولوا عليها بتكوين أى نوع من الحكم المستقل عنها ـ وبناء على ذلك شهد القرنان الخامس والسادس إنصرافاً عن تلك الامال والتوقعات المسيحانية إلى أن عادت للظهور مرة أخرى بعد ظهور الاسلام واجتياحه العظيم لمناطق كثيرة من أسيا وافريقيا .

وسيكون هذا موضوعنا فى الباب القادم ..

الفصل الثالث

شخصية المسيح اليهودى فى عصر التلمود

تحدثنا فى الباب الاول عن أمل الخلاص فى العهد القديم ، وعرفنا أن شخصية المخلص لم تكن تحتل جزءا أساسيا من ذلك الأمل ، بل أن الاهتمام الأكبر كان ينصب على عصر الخلاص .

والواقع أننا نلمس هذه السمة العامة فى الكتابات التى تناولت فكرة الخلاص فيما يسمى بآداب عصر التلمود ولكن مع بعض التجاوز .

فقد إتضح لنا بعد قراءة تلك المؤلفات أنه بالرغم من أن كثيرا منها تتحدث عن عصر الخلاص وتسهب فى أوصافه وصوره ، فإنها لاتتناول شخصية المسيح(★)

وبالرغم من أن شخصية المسيح تظهر فى بعض الفقرات المتناثرة على أنه شخصية ثانوية ، فإنه لايؤدى دورا رئيسيا لتحقيق الخلاص ، وأن وجوده لا يمثل الا مجرد عنصر تقليدى من العناصر اللازمة لعقيدة الخلاص .

إلا أن شخصية المسيح فى آداب عصر التلمود تتواجد بصورة أكثر إضطرادا مما كانت عليه فى العهد القديم ، وتتحدث بعض الفقرات من هذا الآدب عن نسب المسيح والقابه وصفاته كما نسبت إليه بعض الأعمال والمهام فى عصر المملكة المسيحانية ، وهو ما سنتناوله هنا بشىء من التوضيح .

أولا : نسب المسيح :

تؤكد آداب عصر التلمود بوجه عام على أن الملك المخلص من نسل داود وذلك على غرار مانجده فى العهد القديم . وهو بهذا يعنى أنه من سبط يهوذا ، بينما نجد أن هناك فقرات أخرى متفرقة تشير إلى وجود منافس آخر للمسيح بن داود وذلك بظهور مسحاء من قبائل أخرى مثل :

★ راجع الباب الاول ـ الفصل الثالث

(١) تشير جميع الاسفار التالية إلى مملكة الخلاص بصورة اساسية ولا تتحدث عن أوصاف المسيح ودوره فى الخلاص : المكابيين الاول والثانى ـ طوبيت ـ حكمة سليمان ـ يهوديت ـ حكمة ابن سيراخ ، صعود موسى وبارخ الاول وحنوخ الثانى واجزاء من حنوخ الاول .

(أ) المسيح من سبط لاوى :

يلاحظ القارىء لسفر يوفيلوت أن المؤلف هنا لايعرف أى شىء عن ملك المستقبل من أسرة داود التى تنتمى إلى قبيلة يهوذا ، بل يتحدث فقط عن توقع مجىء ملك مخلص من سبط لاوى[1] ، يشن حربا ضد الأعداء وينتقم منهم إلى الأبد ويمنح السلام لشعبه ، ويتحدث عن الأمير الذى سيمنح القوى الملكية ويورثها لأبنائه .

كما تتحدث وصية دان المتضمنة فى سفر بركات الآباء عن رؤيا سماوية تشير إلى تنصيب ملك كأهن من سبط لاوى على شعب يهودا ، فيلبس الملابس المقدسة ويمنح الصولجان والتاج والرداء والتاج القرمزى ويزود بالورع والحكمة ويصبح كالشمس لبنى إسرائيل[2] .

ويؤكد سفر صعود موسى على مجىء مسيح من سبط لاوى وتشير بركة لاوى إلى محاولة المؤلف للتوفيق بين فكرة المسيح من سبط يهوذا وفكرة المسيح من سبط داود فيشير الى التأجين : تاج ليهوذا وتاج للاوى[4] .

ولكن ماهو الدافع الحقيقى هنا وراء إختفاء المسيح من سبط داود وظهور المسيح من سبط لاوى ؟ .

يتضح لنا ذلك بناء على معرفة الظروف التاريخية التى أحاطت بها ، فقد نشأت هذه الفكرة بعد نجاح الثورة التى قامت بها أسرة الحشمونيين وخلال الحماس الدينى الذى أسفر عن إقامة حكم مستقل عن الامبراطورية اليونانية بالرغم من أنه لم يستمر سوى مايقرب من قرن واحد ولكن يبدو أن ماتحقق خلاله من حرية دينية وسياسيه ـ ولأول مرة منذ خمسة قرون جعل البعض منهم يتصورون أن العصر المسيحانى قد بدأ بالفعل ، وتأكد ذلك لفترة ماعندما إدعى أحد أفرادها ويدعى يوناثان بن هيركانوس أنه المسيح المخلص[5] .

---

(١) سبط لاوى · سبط من أسباط بنى اسرائيل اسندت إلى أبنائه القيام بمهام الكهانة لبنى اسرائيل منذ عصر موسى .

(٢) يلاحظ ان الأوصاف المستخدم هنا للملك وطريقة تتوجه تتفق مع مانجده فى العهد القديم عن تتويج ملوك بنى اسرائيل القدامى وهو مايعكس الارتباط الواضح بين فكرة المخلص وفكرة الملكية فى اسرائيل .

(٣) صعود موسى ٩/١ ـ ٧ .

(٤) عهد لاوى ٤/٢ و ٥/١ ـ ١ ـ ٣ و ٨/٢ ـ ٥ و ٨ و ٩ .

5) Osterely : The History of the Jewish People , P · 217

ولما كانت الأسرة الحشمونية هى أسرة كهنة تنتمى لسبط لاوى لهذا نجد أن الأسفار السالفة ـ والتى ينتمى مؤلفوها إلى تلك الاسرة تشير هنا إلى المسيح من سبط لاوى .

إلا أن مملكة الحشمونيين وما ارتبط بها من توقعات مسيحانيية فى الخلاص كانت حلما قصير الأمد ، فلم تكن نهايتها هى العامل الوحيد لانصراف اليهود عنها وعن صفة المسيحانية التى وصفت بها نفسها ، بل قبل ذلك ومنذ عصر يوناثان بن هيركانوس تحول كثير من بنى اسرائيل عنها واعتبروها أسرة دنيوية متحالفة مع احكام اليونان ومغتصبه لمنصب الملك داود .

ومما يؤكد على ارتباط ظهور المسيح من قبيلة لاوى بحكم الاسرة الحشمونية هو إنتهاء أى ذكر للمسيح من قبيلة لاوى بعد إنتهاء حكم الحشمونيين .

(ب) المسيح بن يوسف :

تظهر شخصية المسيح بن يوسف لأول مرة فى آداب عصر التلمود على أنه رجل مثل باقى البشر ، وشخصية تنتمى إلى هذا العالم ، فهو بطل محارب يشترك فى حرب يأجوج ومأجوج ، وينتصر على أعداء شعبه لكنه سيموت فى النهاية ومجيئه يسبق مجىء المسيح بن داود وهو بهذا يعتبر الرجل الثانى فى المفهوم المسيحانى .

وقد احتلت فكرة المسيح بن يوسف حيزا أوسع مما أحتلته فكرة المسيح من قبيلة لاوى أو المسيح من قبيلة هارون كما أنها عاشت فى الوجدان اليهودى لفترات أطول ، حتى أننا نجد بعض فقرات من آداب العصور الوسطى تذكر المسيح بن يوسف على أنه حقيقة مؤكدة . كما سنشير على صفحات هذا الكتاب .

ولذا فقد أثار ظهور هذه الشخصية المسيحانية الجديدة شكوك كثير من الباحثين وحظيت باهتمام عدد كبير منهم .

فقد إعتقد تورى **TORRY** أن فكرة المسيح بن يوسف قد ظهرت بناء على تفسير الاصحاح الثالث والخمسين من سفر اشعياء الذى يشير إلى المسيح الذى يموت فى مقابل فكرة المسيح الحقيقى إبن داود ، "فقد تسبب تفسير هذا الاصحاح فى ظهور فكرة ضرورة وجود مسيح آخر يأتى قبل المسيح الحقيقى "ويرى تورى السبب فى إنتساب ذلك المسيح لقبيلة افرايم لانها القبيلة التى تأتى فى المرتبة مباشرة بعد قبيلة يهوذا التى ينتمى اليها المسيح الاصلى" .(٧) .

---

6) Mowincchel : He the Cometh , P · 289 · **ويوافق على ذلك كل من**
ويوسف كلوزنر فى العقيدة المسيحانية فى أرض إسرائيل صفحة ٣٩٤
ويعقوب ليفر فى دائرة المعارف المقرائية ، مادة ماشيح الجزء الخامس صفحة ٥٣٢

7) Torry, G : Messiah of Ephrim, Ephrim, Journal of Biblical Literature, 1947, P · 292 ·

ولا يخرج رأى هيدبرج Hyidberj عن رأى تورى لكنه يرجع السبب فى ايجاد تلك الفكرة الى زكريا ١٢/١٠ حيث وجد التنائيم صعوبة فى التوفيق بين فشل وموت الملك المسيح كما يوصف ويبين فكرة المخلص وأمل المستقبل بصورة عامة(٩) .

ويعارض يوسف كلوزنر الرأى السابق مؤكدا على أن تفسير فقرات العهد القديم لايخلق فكرة جديدة ، بل أن الفكرة التى نشأت بالفعل تجد دليلا وتأكيدا لها فى نصوص العهد القديم ، وعلى ذلك فإن عقيدة المسيح بن يوسف كانت قد وجدت بالفعل ، ثم وجد التنائيم أنهم مضطرون إلى تفسير ما ورد فى زكريا ١٢/١٠ على أنه يشير إليه(١٠) . كما سيكون كاهنا وتنبأ أيضا .

ولكن مهمة المسيح الرئيسية تتحدد فى خلاص بنى إسرائيل ، ويعنى هذا فى المقام الأول جمع الأسباط المشتقة وتحريرهم من الأعداء وتحطيم قوى العالم الوثنية التى تهدد شعبه(١١) وهى المهمة التى كانت تطغى بصورة خاصة عندما يظهر أى إحتمال للخلاص من الحكم الأجنبى ، والتى تحددت ـ فى فترة ما كما رأينا ـ فى شخصية المسيح بن يوسف ثم كانت تعود للظهور عندما كانت تدعو الحاجة لذلك . **مما يؤكد على أن صفات والقاب المسيح كانت تتشكل وتظهر وفقا للظروف المحيطة بها وحسبما تتطلبه ليتناسب مع الحاجة الداعية لوجوده .**

ولكن بالرغم من أهمية ذلك الدور الملقى على عاتق المسيح لتحقيق الخلاص وهو مانلمسه بوضوح فى فترات عديدة من آداب عصر التلمود أكثر مما نجده فى فقرات العهد القديم فإن الفكرة السائدة حتى فى تلك الفترة أيضا ، هى أن يهوه هو الحاكم وأن إرادته وراء كل الأشياء ، مع الاعتراف الضمنى بضرورة وجود أداة الرب التى ستقوم بتنفيذ هذه الارادة والمشيئة ، وكانت تلك الأداة هى شخصية المسيح .

وتمسك جرسمان بأن تلك الفكرة قد جاءت بعد سقوط سلسلة المسحاء الكاذبين الذين أتوا من أسرة الجليل ، وأنها ربما تشير بصورة خاصة الى مناحيم بن حزقيا هو الذى آمن به الربى هليل مسيحا ، حيث مات جميع أولئك المسحاء الكاذبين فى الصراع ضد روما ـ التى اعتقد التنائيم أن العهد القديم يشير إليها مع روما عندما تحدث عن حرب يأجوج وما جوج[١٢] .

---

١٠) كلوزنر : العقيدة المسيحانية فى أرض إسرائيل صفحة ٣٨٨

رؤيا سفيلوت ٤١٩ و ٦٥٣ و ٧٠٦ وحنوخ ٤٥ و ٥١ ـ ٥٣ وايوكاليبس عزرا ٤٦/١١ و ٣٤/١٢ وباروخ اصحاح ٣٥ و ٧٠/٩ ووصايا الآباء وصية يوسف ٢ ومزمور ٢٤ و ٢٤/١٧ ـ ٢٧ وسفر يوفيلوت ٣١/ ٢٠ والترجوم الاورشيمى عن سفر العدد ١٦/١١ وسفر الخروج ١١/٥ .

12) Gressmam, H · The sources of the Isrsel's Messianic Hope, Americ · Journal of theolojy, London 1973, P · 21 ·

وربما نجد صدى لهذا الرأى أيضا عند مور Moor الذى يرى أن الفكرة قد جاءت بناء على تفسير عوقديا ١/١٨ التى تشير الى أن أسرة يوسف ستصبح لهبا يأكل عيدوم[١٣] .

أما كستيلى فيعتقد أن السبب فى ظهور تلك الفكرة إنما يعود إلى رغبة التنائيم فى استرضاء وكسب القبائل العشر المفقودة وذلك بالحديث عن مسيح ينتمى إلى قبيلة أخرى غير قبيلة يهودا ، مع الاحتفاظ بالإنتصار النهائى للمسيح ابن داود[١٤] .

ويعارض دالمان Delman هذا الرأى قائلا : "إن العقائد الجديدة الهامة كعقيدة المسيح بن يوسف لايمكن أبدا : أن تظهر من أجل استرضاء قبائل كانت تعتبر فى عداد الشىء المفقود[١٥] .

أما برثوليت فكان من أوائل الباحثين الذين رأوا أن فكرة المسيح بن يوسف ظهرت أولا بين السومريين[١٦] ثم تقبلها اليهود وبقية الطوائف الأخرى . ويعتقد السومريون أن ذلك المسيح سيظهر كنبى ينشر التوراة فى كل مكان ، وهو فى نفس الملك ، محارب سينتصر على يأجوج ومأجوج لكنه سيموت بعد أن ينجز عمله ورسالته فى الحياة . وقد استعارت بقية الطوائف الأخرى نفس الفكرة ، وأطلقوا عليه المسيح ابن يوسف وأصبح يعنى المسيح الذى سيسبق ابن داود .

وقد وجد هذا الرأى معارضة كبيرة بين كل من دالمان وكستيلى وجليسنر Glasenr وويت Wette[(١٧)] وجرسمان الذين أنكروا إستعارة الدوائر الدينية اليهودية لفكرة المسيح بن يوسف من طائفة السومريين ، ويعتمدون فى ذلك على المعارضة القوية والعداء المستمر بين طائفة السومريين وبقية الطوائف اليهودية الأخرى ، فقد كانت طائفة مكروهة بين الطوائف الأخرى والمجتمع بصورة عامة الأمر الذى لايمكن معه أن تؤخذ عنها فكرة المسيح بن يوسف .

---

13) Moor : Judaismin the First Centuries of the Christian Era. Vol · II, Combridhe 1930. P · 371 ·

١٤) كلوزنر . العقيدة المسيحانية فى أرض إسرائيل صفحة ٣٩٨

15) Mowinckel : He That Cometh,P · 298 ·

16) Bertholet : a History of Civlization. P · 286 ·

(١٧) مرجع جرسمان السابق .

أما يعقوب لويس **Jacob Lewis** فيرجع منشأ الفكرة إلى ثورة اليهود فى عصر الملك هدريان بقيادة المسيح الكاذب شمعون بركوخڤا الذى آمن بمسيحانيته عدد لا بأس به من بنى إسرائيل وبعض الربابيين كالربى عقيبا وهو من أعظم علماء التلمود فى عصره فيرى أنه بعد فشل هذه الثورة التى انتهت بمقتل مسيحها الكاذب ، ومحاولة لإنقاذ هيبة واحترام الربى عقيبا أعظم ثنائى ذلك العصر قررت الجماهير صدق مسيحانية بركوخڤا ، وأن ذلك يكمن فى حقيقة أنه المسيح المحارب الذى يقود حروبا قاسية ، ثم يموت فى إحدى المعارك .. وبعد تلك الأحداث القاسية يظهر المسيح بن يوسف[١٨] .

ويعترض يوسف كلوزنر على ذلك الرأى مؤكدا أن مثل هذه العقيدة المنتشرة لايمكن أبدا أن تظهر فقط لانقاذ سمعة الربى عقيبا . ومؤكدا على أن الهزيمة العظيمة التى منى بها بركوخڤا لايمكن أبدا أن تجعل اليهود يعتقدون أنه شخص عظيم يأتى قبل المسيح الحقيقى ، وذلك لانه تسبب فى إحداث خيبة أمل عظيمة بينهم[١٩] حيث أصبحوا ينظرون اليه بعد ذلك على أنه رجل كاذب ومرتد عن الدين فأطلقوا عليه ابن الكاذب .

ثم يرجع كلوزنر السبب فى ظهور فكرة المسيح بن يوسف التصور المزدوج الخاص لشخصية المسيح منذ البداية ، فالمسيح ظهر على أنه ملك بشرى ، قوى وبطل حرب يقود شعبه وينتصر على أعدائه ومضطهديهم ، وكان ظهور هذه الشخصية نتيجة طبيعية لما تعرضوا له من إضطهادات على أيدى البابليين والاشوريين واليونان . وفى مقابل هذه الصورة نجد أوصافا أخرى متعارضة للمسيح وهى الشخصية الروحانية السامية العليا التى تتمتع بصفات سماوية أسطورية حيث نجده مليئا بالحكمة ومخافة الرب .

ويضيف كلوزنر أن هذه الصور المتعارضة للمسيح موجودة فى الميراث اليهودى منذ أقدم العصور ، ثم تأكدت لظروف تاريخية معينة كظهور بركوخڤا ، الذى أحدثت إدعاءاته رواجا عظيما وتصور المؤمنون به أنه سيحقق آمالهم فى الخلاص من الاضطهاد ، ولكن هزيمته أدت إلى تدمير أى أمل لليهود فى توقع مجيء مخلص حربى ، قوى ، ومن ناحية أخرى زادت العناصر الروحية وأصبحت هى الجانب الاقوى ، ومن ثم أدت تلك الظروف المريرة إلى تبلور هذه الحالة المميزة التى عانى منها اليهود فى السؤال التالى : كيف يمكن أن تتصف شخصية المسيح المخلص بصفة المحارب الجبار ـ وهى الصفة التى تجسدت أمامهم فى بركوخڤا ـ ثم صفة الحاكم العادل ومؤسس السلام على الأرض والذى يتصف بكل الصفات الأخلاقية والدينية .. وهى صفات لم تنطو عليها شخصية بركوخڤا ؟ وقد

---

18) Iewis : Principles of the Jewish Faith, P . 217 .

(١٩) مرجع كلوزنر صفحة ٣٩١

وجدوا الإجابة على ذلك فى الفصل بين شخصيتى المسيح : تتصف إحداهما بصفات حربية عظيمة ، إلا أنه سيذبح فى ميدان المعركة ويكون مجيئه قبل ابن داود والأخرى هى المسيح المثالى الذى يتمتع بالصفات الروحانية وهو المسيح بن دواد .

كان ذلك رأى يوسف كلوزنر ، وأن كنانرى أنه أقرب الآراء التى تفسر سبب ظهور عقيدة المسيح بن يوسف لكننا نعارض رأى كلوزنر ، وتتحدد إعتراضاتنا :

١) يعتمد رأى كلوزنر على الاعتقاد بأن شخصية المسيح كانت توصف بالصفتين المتعارضتين منذ بداية نشأتها : الصفات الدنيوية باعتبار المسيح ملكا محاربا ورجلا ينتمى إلى العالم الحاضر ، والصفات السامية باعتباره رجلا يتصف بصفات سامية وروحانية لكننا فى الواقع لانجد صدى لتلك الصفات المتعارضة لشخصية المسيح بين نصوص العهد القديم وقد أثبتنا فى الباب الاول أن شخصية المخلص فى تلك الفترة كانت شخصية دنيوية تنتمى إلى هذا العالم لاعلاقة لها بالعالم الآخر[20] . ودليلنا على ذلك هو أنهم ربطوا الخلاص بمجىء شخصيات حقيقية ـ ككورش وحزقيا وزوربابل ـ ورأوا فيهم تجسيدا لهذه التوقعات .

٢) ويعارض رأى كلوزنر أيضا حقيقة أن شخصية المسيح المخلص تتضمن منذ بدايتها على الصفتين المتناقضتين كملك محارب دنيوى ، وملك سماوى روحانى حقيقة أن فكرة الخلاص كانت تتعلق بمجىء ملوك من البشر ، فقد ربط بنو اسرائيل بين تلك التوقعات فى مجىء مخلص وبين أسرة دواد باعتبارها الأسرة الملكية الشرعية الوحيدة التى لها حق احتلال منصب الملك دون منازع .. وهى كما نعلم أسرة وجدت فى التاريخ .

٣) لو كانت شخصية المخلص تتضمن كلا من الصفتين المتناقضتين منذ البداية ، لكان من الضرورى أن تحاول نصوص العهد القديم التغلب على هذا التناقض كما فعلت آداب عصر التلمود ، وبالتالى كان لابد لنا من أيجاد شخصية مسيح آخر فى العهد القديم بالاضافة إلى المسيح من أسرة دواد .

٤) يربط كلوزنر بوضوح بين بداية الفصل بين شخصيتى المسيح المتعارضتين ، وبين ظهور المسيح الكاذب بركوخفا معتقدا أن ظهوره كان سببا مباشرا فى ذلك ، وأن شخصية المسيح المحارب ابن يوسف قد تأكدت بعد فشل بركوخفا وهزيمته وذبحه فى ميدان المعركة وهو بذلك يؤيد ـ بطريقة غير مباشرة ـ رأى يعقوب الذى سبق له معارضته على صفحات كتابه[21] .

---

(٢٠) انظر الباب الفصل الثالث .

(٢١) مرجع كلوزنر السابق صفحة٢١٩

ونعتقد أنه لو كان رأى كلوزنر صحيحا لنسبت شخصية المسيح المحارب إلى سبط لاوى وهو السبط الذى خرج منه بركوخفا باعتباره سببا فى تأكيد وجود شخصية المسيح المحارب .

٥) من ناحية اخرى يدلنا التاريخ على انصراف اليهود عن الاعتقاد فى مسيحانية بركوخفا ، فكيف يمكننا أن نتصور أن تنشأ أو تتأكد عقيدة ما وتستمر لعدة قرون بعد رفض السبب المباشر فى نشأتها . فقد عاشت شخصية المسيح بن يوسف جنبا إلى جنب مع المسيح بن داود وهو ماتدلنا عليه مؤلفات العصور الوسطى[٢٢] .

ويعارض مونكل فكرة احتواء شخصية المخلص على صفتين متعارضتين منذ بداية نشأتها بل يرى أن ظهور المسيح بشخصتين مزدوجتين يعود إلى بداية ظهور الاپوكاليپس فى آداب عصر التلمود فيقول : "شهدت ـ تلك الفترة ـ ظهور نموذجين مختلفين لشخصية المسيح تنفصل كل واحدة منهما عن الأخرى ، وينتمى كل نموذج منهما إلى دوائر معينه . فالأفكار عن المسيح السامى الروحانى المنتمى إلى العالم الآخر إنما جاءت على يد أدباء الاپوكاليپس ، وهى الآداب التى تنتمى إلى دائرة الحكماء والمثقفين ، وبالتالى كانت شخصية ذلك المسيح منتشرة بينهم ، بينما نجد شخصية المخلص المحارب الذى ينتمى إلى هذا العالم كانت سائدة بينهم حيث كانت تخاطب مباشرة عواطف الناس وآمالهم ، وخاصة فى الأزمات السياسية ومن هنا نشأت فكرة المسيحيين ، المسيح المحارب والذى ينتمى إلى هذا العالم والمسيح السامى المنتمى للعالم الآخر[٢٣] .

لكننا نعتقد أنه بالرغم من أن الرأى السائد بين العلماء هو أن أدب الأپوكاليپس كان شائعا بين المثقفين ، ولكن مونكل لايقدم لنا أى دليل على أن دوائر المثقفين لم تكن تؤمن إلا بشخصية المسيح الأسطورى المنتمى للعالم الآخر فقط وأن العامة كانت لا تؤمن إلا بشخصية المسيح البشرى الدنيوى المحارب فقط .

بل أن الواقع العملى يثبت لنا عكس ذلك وهو مانجده فى الحقيقة المؤكدة التى تؤكد على انه فى آدب عصر التلمود ، تقبلت ، جميع طبقات المجتمع ، ربانيوت وابوكاليبتوث والعامة الادعاءات المسيحانية التى لجأ اليها بعض الرجال

---

(٢٢) انظر الفصل الثانى من هذا الباب

23 (Mowinkel : He That Cometh, P · 285 ·

24) Scholem, G : Rhe Messianic Idea in Judaism, Ochoken Books, U · S · A · 1972, P · 10 - 13 ·

وآمنوا بها وأيدوها ، كقبول الربى عقيبا بمسيحانية بركوخبًا ـ وقبول الربى هليل بمسيحانية الملك حزقيا .. وغيرها من الادعاءات المسيحانية الاخرى التى لقيت رواجا بين الجميع .

وبناء على ذلك نرى أن الازدواجية الواضحة فى شخصية المسيح لم تظهره آداب عصر التلمود ويمكن تفسير ذلك على ضوء التطور الذى حدث فى مفهوم الخلاص والذى جاء على يد قبول مبدأ الثنويه فى اليهودية .

فقد رأينا فى الفصل السابق كيف أصبح مفهوم الخلاص يتضمن كثيرا من العناصر الاسطورية الخارقة فضلا عن العناصر الدنيوية فيه منذ البداية . ولهذا شمل مفهوم الخلاص على صفتين : صفه الخلاص الدنيوية وتستمد أساسها من الفكرة فى العهد القديم ، وصفه الخلاص السامية الخارقة التى تتضمن كثيرا من المعانى المثالية السامية وهى السمة السائدة فى فكرة الخلاص فى آداب عصر التلمود .

وهنا نتساءل : هل يمكن أن نتقبل حدوث مثل هذا التطور على مفهوم الخلاص دون أن نجد مثل هذا التطور على شخصية المخلص أى المسيح اليهودى ؟

من البديهى أن نجد كثيرا من الأوصاف الأسطورية تنهال على شخصية من سيقوم بدور ما لتحقيق ذلك العالم الأسطورى .

ومن هنا ظهرت شخصية المسيح على أنها تتضمن شخصيتين .

شخصية المسيح كقائد حربى ويتميز بكثير من الصفات الدنيوية وعمله يتحدد فى التمهيد والاعداد لاستقبال المسيح الذى سيحكم المملكة المسيحانية ، وهى شخصية ثانوية . فى آداب عصر التلمود .

وشخصية المسيح بطل السلام الذى يتمتع بصفات العدل والاستقامة وله كثير من الصفات السامية ، وهى الصفات الغالبة على شخصية المسيح فى تلك الفترة لكنها ـ مع ذلك تستمد أسسها من العهد القديم .

ويظهر دور أدباء الابوكاليبس هنا فى محاولاتهم المستمرة للتوفيق بين الصفات الأصلية لعصر الخلاص وملك هذا العالم "مسيح يهوه" التى كانت سائدة فى العهد القديم وبين الصفات الجديدة التى يجب أن يكون عليها الملك المسيح ويجب أن تتلاءم مع طبيعة العصر الأسطورى الذى سيعيش فيه وطبيعة المملكة الأسطورية التى سيحكمها .

أسماؤه وألقابه :

إحتلت شخصية المسيح فى آداب عصر التلمود مكانا أعظم مما كانت تحتله فى آداب العهد القديم وتعددت صفاته وأسماؤه وألقابه وهو ما سنلاحظه على السطور التالية :

المسيح :

هو اللقب الشائع للمخلص ، ويرجع تاريخ استخدام اللقب مسيح للتعبير بصورة خاصة عن الملك المخلص الذى سيحكم مملكة الخلاص ، آداب عصر التلمود أى حوالى القرن الثانى الميلادى[٢٥] .

وقد ورد هذا اللقب مسيح أو التعبير الكامل بمسيح الرب مشيحادى أدوناى كما أستخدم أيضا مسيح يهوه أو الملك المسيح وهو يقابل استخدام العهد القديم للملك المسيح هميلغ هما شيح .

كما يستخدم الترجوم أيضا لقب المسيح بن داود[٢٦] أو دافيد فقط كلقب للملك المخلص وهو نفس الاستخدام الشائع فى العهد القديم .

٢) ماشيح دى تسديكا

وتعنى مسيح الصدق أو العدل ، وربما يعكس هذا فكرة أن المسيح سيقيم العدل والتقوى بين الناس[٢٧] .

٣ : ماشيح بن يوسف أى المسيح بن يوسف
ماشيح بن إفرايم أى المسيح الافرايمى او ابن افرايم .
ماشيح بن ليفى أى المسيح بن لاوى .
ماشيح بن أهارون المسيح بن هارون .

وقد أوضحنا سبب إستخدام هذه الألقاب وذكرنا الفقرات التى استخدمت بها ولكن مانضيفه هنا هو استخدام الربانيين للقب آخر للتعبير عن المسيح بن يوسف وهو مسيح الحرب ماشيح ملحاه للتعبير على أنه المسيح الذى سيحارب مضطهدى شعبه يموت قبل مجىء المسيح بن داود .

٤) مناحيم :

يعنى المواسى أو المعزى[٢٨] . ويعتقد كل من جرسمان وڤون جال وبوسيت[٢٩]

---

(٢٥) انظر الباب الاول الفصل الاول

(٢٦) بركات الآباء يهوذا ٢٢ ـ ٢٤ وابوكالبيس عزرا ١٢ / ٣٢ . وترجم يوناثان عن اشعياء ١١ / ١ .

(٢٧) كما يصفه الاصحاح ٦٠ و ٩٠ من سفر ونجد استخدام التعبير الآرامى هنا ايضا و اداة الارامية تقابل فى العبرية .

(٢٨) مخيلتا پيسحا . سيفر الياهوربا من سفر مراثى ارميا ١ / ١٦ وذلك كتفسير ايضا مشتق

29) Mowinckel : He that Cometh, P · 292

أن هذا اللقب شاع كلقب للمسيح بعد إدعاء مناحيم بن حزقيا الجليلي أنه المسيح المخلص[٣٠] .

٥) **جوئيل :**

أى المحرر أو المخلص . وربما أشتق هذا اللقب أيضا من أشعياء الثانى الذى أطلق على يهوه محرر إسرائيل[٣١] .

٦) **هموشيل هقادوش :**

أى الحاكم المقدس ، وهو استخدام نادر وجد فقط فى سفر رؤيا سقيلوت[٣٢] صلوات سليمان[٣٣] .

٧) **شالوم :**

بمعنى سلام وقد وجد هذا اللقب فى التلمود[٣٤] معتمدا على تفسير اشعياء ٩ / ٥ لكنه استخدام نادر وتفسير لايؤكده إلا الربى يوسى الجاليلى .

٨) **بن بنى أدم :**

ابن بنى الانسان وتعنى أفضلهم ، وقد وردت هذه الكنية فى حنوخ فقط وتنقلنا هذه الكنية الى استخدام آخر اكثر شيوعا وهو

٩) **عيقيد يهوه :**

أى خادم الرب ، وقد وردت هذه الكنية للدلالة على المسيح فى الترجوم[٣٦] كتفسير للاصحاحات الثانى عشر والرابع عشر والثانى والخمسين والثالث والخمسين من سفر اشعياء .

---

٣٠) ادعى شخص يدعى مناحيم بن حزقيا انه المسيح المخلص وذلك فى بداية حكم الامبراطورية الرومانية (٦ م .) وكان حاكما لمنطقة الجليل فى عصر الحاكم الرومانى هيرور . راجع الفصل الاول من نفس الباب .

٣١) يرى عدد كبير من المؤرخين ان سفر اشعياء ينقسم الى ثلاثة اقسام :
١) اشعياء الاول ويضم الاصحاحات ١ - ٣٩ (عدا الاصحاحات من ٢٤/٢٧) .
٢) اشعياء الثانى ويضم الاصحاحات ٤٠ - ٥٥ واشعياء الثالث ويضم الاصحاحات ٥٦ - ٦٦
وقد شاعت فى اصحاحات سفر اشعيا الثانى فكرة ان الرب هو المخلص .

(٣٢) السفر الثالث ٦٢ / ١ .

(٣٣) صلوات سليمان ١٧ / ٤٧ .

(٣٤) سفرى دقاريم الجزء الاول .

(٣٥) حنوخ الاول الاصحاحات ٧١/ ١٧ و ٦٢/ ٧ و ١٤ و ٦٣ / ١١ و ٦٩ / ٢٦ / ٧٠ / ١

(٣٦) ترجوم عل سفر ملاخيم ب . الجزء الخامس

ويعارض كل من جرسمان و Rudolph ورود ولف[٣٧] ولا جرنج Lajranje[٣٨] وهذا التفسير لسفر اشعياء وأنه كان يقصد الملك المخلص بكنية عبد وخادم يهوه (أو خادم الرب) مؤكدين على أن النبى كان يشير إلى أنه هو نفسه المقصود بخادم الرب .

ويعارض مونكل هذا الرأى ايضا مؤكدا على أن تعبير خادم الرب وعبد يهوه لم تستخدم فى العهد القديم مطلقا للدلالة على الملك المخلص بصفه خاصة "بل هى مجرد إشارة لأى انسان إختاره يهوه لتكون أداة له لتنفيذ مشيئته على الأرض فقد أطلق هذا اللقب على نبوخذ نصر كما أطلق أيضا على كورش[٣٩] .

١٠) هناك مجموعة أخرى من الألقاب أقل أهمية وانتشارا

وقد ظهرت فقط

كمحاولة من الربانيين لاختيار لفظ معين كلقب للمسيح ، يتشابه من الناحية الصوتية أو من ناحية الدلالة ـ مع إسم المدرسة الدينية أو معلم هذه المدرسة .

فمدرسة الربى شيلوه تقول أن إسم المسيح هو **شيلو** وتعتمد هذه المدرسة ايضا على تفسير اللفظ الوارد فى تكوين ١٠/٤٩ وقد بحثنا هذا اللفظ فى موضعه[٤٠] .

أما مدرسة الربى ينائى فتقول ان اسمه **يونان**[٤١] .

وترى مدرسة الربى حننياه أن أسمه المخلص هو **حننياهو**[٤٢] .

وهناك فقرة أخرى من التلمود[٤٣] تطلق على المسيح لقبا غريبا فتقول أن أسمه هو **حدرخ**[٤٤] ذلك لانه سيكون قاسيا مع كل دول العالم ، ومتساهلا مع بنى اسرائيل .

---

37) Mowinckel : He theat Cometh, P · 315 · ·

38 (Iahranje, M · J · : Le Messiani Chez Ihez Jeuifs, Heuifs, Paris, 1909, P · 376 ·

٣٩) اشعياء ١/٤٢ و ١٠/٤٣ و ١٣/٣٢ و ١٠/٣٣ وياروخ الثانى ٩/٧٠

٤٠) راجع الباب الاول الفصل الرابع

٤١) اعتمادا على ماورد فى مزمور ١٧٠/٧٢ .

٤٢) اعتمادا على ارميا ١٣/١٦

٤٣) سفرى دفاريم پسكاتا الجزء الاول

٤٤) حد تعنى بالعبرية حاد . رخ تعنى لين ـ مرن

ويعتمد هذا التفسر على ماورد فى زكريا ١/٩ ـ ٨ حيث يخبرنا النبى بان الرب قد أوحى له ببعض الصعاب التى تلاقيها أرض حدراخ ودمشق .

وقد رفض كثير من الربانيين هذا التفسير القائل بأن حدراخ لاتدل على المسيح ، وأنه قد زار دمشق بنفسه ووجد فيها هناك مكانا يسمى حدراخ[٤٥]

ونستخلص مما سبق أن لفظ ماشيح مسيح كان الاستخدام الشائع فى فترة عصر التلمود وأن كثيرا من الألقاب والتسميات الأخرى لم تجد رواجا كما أنها لم تكن تعتمد على أى أسس صحيحة .

ثالثا صفاته وعمله :

تؤكد مجموعة الصفات التى أضيفت فى تلك الفترة على شخصية المخلص على الاهتمام بالعنصر الدينى وأن يتمتع المسيح بالتقوى والورع والصدق وقدرته على[٤٦] **القضاء العادل بين الناس[٤٧] ، وقدرته على معاقبة الاشرار وقيادة بنى إسرائيل فى حرب عظيمة لاتنتهى إلا بعد أن يمكنهم مسيحهم اليهودى من سحق الأمم الأخرى من غير اليهود وتحقيق السيطرة والسيادة على العالم حيث يجعل من اورشليم محطا لعبادة يهوه وتمجيد بنى اسرائيل باعتبارهم شعبه المختار[٤٨] .**

كما أكدت آداب نفس الفترة أيضا على صفات الحكمة والتقوى [٤٩] والورع التى يتصف بها المسيح[٥٠] .

كما تمسك الربانيون بأن المسيح يعرف مافى داخل البشر ويعلم ما سيحدث فى المستقبل فهو قادر على رؤية الحق وتحقيقه .

---

٤٥) نفس المرجع (الاشارة السابقة) .

٤٦) صلوات سليمان ١٧ و ٢٣ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٢ و ٣٧ و ٤٣ و ٢٨ /٧ و ١٦ /٤ و ١٦٢ ـ ١٦٤ ٦/٢٣ و ٣٠ / ١٥ ترجوم ارمياهو ٢٣ / ٥

٤٧) لاتوجد فكرة المسيح كقاض للعالم فى اى من الاقوال الربانيين . بل هى فكرة شائعة فقط فى سفر حنوخ .

٤٨) مزمور ١٧ / ٢٦ ـ ٢٨ و ٣٢ ، و٣٨ وحنوخ الاول ٤/٩٩ و ٨ و ٢/١١٠ وابوكاليبس عزرا ٢٤/٦ و ٣/٩ و ٤ /١ ـ ٥ وقد أشار التلمود الى ذلك فى اجزاء كثيرة نذكر منها عقوداه زاراه ٢ ـ ٧٢ و ٢٤ ـ ٧١ وبراخوت ٩ ـ ٧٢ .

٤٩) وبركات الآباء عهد يهودا ٢٤ و

٥٠) مزمور ١٧ / ٤٢ خنوخ الاول ٤٩/ ٢ و ٣/٥١ .

لكن جوهر المسيح الحقيقى ومصدر حكمته مستمدة أصلا من مخافة الرب وخشيته وهى من الصفات التى تؤكد عليها بصفة خاصة المزامير التى تنسب لنفس الفترة[٥١] .

كما أن تسلحه بالروح المقدسة المطهرة هى التى ستحفظه وتجعله تقيا خاليا من الآثام ، أما قوته وأساليبه لتنفيذ الخلاص فهى مستمدة جميعا من روح الرب[(٥٢)] .

تلك الصفات بطبيعة الحال ـ تجعل من "المسيح" شخصا مقدسا ، ذا روح مطهرة ، وربما تدل الصفات السماوية الاعجازية على أنه شخص يفوق كل البشر[(٥٣)] .

ومن أهم مهام المسيح تحقيق المثالية الدينية والروحية كما سيحقق ايضا مخافة الرب ويحول دون سقوط الناس فى الاثم[(٥٤)] .

ولان المسيح يتمتع بحكمة ومخافة الرب ، لهذا فسيكون رائدا ومثالا لشعبه فى حياته[٥٥] كما تمسك الربانيون بأن المسيح سيكون معلما للتوراه .[٥٦]

---

٥١) مزمور ١٧ / ٤١ (٣٦) .

٥٢) وصايا الاسباط الاثنى عشر وصية لاوى ١٨ / ٦ .

٥٣) مزمور ١٧ / ٢ و ٢٦ و ٣٢ / ٣٠ و ٣٥ / ٣٥ .

٥٤) مزمور ١٧ / ٣٧ و ٣٣/ ٤٤ .

٥٥) حنوخ ٣٩ / ٣ .

٥٦) ترجوم ليفى الجزء الثامن عشر وسفر يوفيلوت ٣١

الباب الثالث

المفهوم فى العصور الوسطى
بين القرنين الرابع والسادس عشر الميلاديين

الفصل الأول
المؤثرات التاريخية فى تطور المفهوم

مقدمة.

كان فشل الادعاءات المسيحانية التى روجها المسحاء الكاذبون الذين ظهروا خلال القرون الخمسة الأولى للميلاد ، وغيرها من التوقعات المسيحانية التى حددها مفسرو العهد القديم والكتاب اليهود فى تلك الفترة على أنها تشير الى زمن مجىء المسيح اليهودى ومملكة الخلاص سببا فى إحباط عظيم لأى توقع قريب بمجىء المخلص وهو الشعور الذى ساد لفترات طويلة ، الى أن عاد ذلك التوقع بمجىء الخلاص للظهور مرة أخرى بناء على الأحداث التاريخية التى شهدتها منطقة فلسطين . وكان سقوط روما وامبراطوريتها العظيمة أهم حدث ساعد على إحياء تلك التوقعات المسيحانية

ولم يحمل القرن الخامس ، ومعظم القرن السادس الميلادى أى أمل جديد لليهود فى الخلاص لأن الفرس وهم الوارثون الجدد لأنقاض الامبراطورية الرومانية ، لم يسمحوا لهم بتحقيق أى نوع من الاستقلال .

وقد تميزت معظم سنوات القرنين الخامس والسادس بقلة الانتاج الأدبى لليهود بصورة عامة ، كما لم تشهد تلك الفترة أى تطور ملحوظ فى فكرة الخلاص وجاءت المؤلفات التى تناولت تلك الفكرة متضمنة نفس العناصر التى وجدناها قبلا فى الاپوكاليپس فيحدثنا كتاب أوتوت هماشيح أى علامات المسيح عن الكوارث التى تتلو قدوم المسيح وتعدد تلك الكوارث التى لايخرج مضمونها عما وجدناه من قبل فى حقلى هماشيح أى مخاض ولادة المسيح .

كما تناول كل من كتاب رسالة المسيح أجودت هماشيح وكذلك كتاب مدارشى ويخا الحديث عن اضطرابات وثورات كبرى قبل عصر المملكة المسيحانية وتتحدث أيضا عن حكم الرب الأبدى للعالم ، وهى الاضطرابات التى تشير الى ماشهدته فلسطين عن أحداث وقعت خلال الأعوام ٦١٤ ـ ٦٢٨م . عندما غزا الفرس سوريا وفلسطين وانتهى الأمر بانتصار البيزنطيين عام ٦٢٩م . الا أن أولئك البيزنطيين أيضا لم يحملوا معهم الخلاص لاسرائيل ، وهو الأمل الذى بزغ مرة أخرى مع ظهور الاسلام وانتشاره خارج حدود الجزيرة العربية وهو موضوع دراستنا فى هذا الفصل .

أولا : المفهوم فى القرون الأولى للاسلام :

ظهر الاسلام فى الثلث الأول من القرن السادس الميلادى (٦٢٠م) وانتشرت دعوة النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) فى جميع أنحاء الجزيرة العربية ، ثم اجتاحت الجيوش الاسلامية كل من اسيا وافريقيا وكانت الفتوحات الضخمة التى حققتها تلك الجيوش فى فترة وجيزة .. وقد تبع ذلك انهيار نهائى لامبراطوريات عظيمة حكمت تلك المنطقة لفترات طويلة كالامبراطورية الفارسية والبيزنطية . وقد أدت تلك الانتصارات العظيمة للجيوش الاسلامية الى ظهور الآمال المسيحانية عند اليهود مرة أخرى معتمدين على نفس الأفكار القديمة مع اعادة تفسيرها على الواقع الجديد .

فاعتقدوا أن العرب سينجحون فى تحقيق مافشل الفرس فى انجازه وهو هزيمة عيدوم - الممثلة فى روما وبيزنطة - كما أنهم سيدمرون قوى فارس ومايتبع ذلك وحسب تفسيرهم لمفهوم الخلاص - من تحرر اليهود النهائى من تلك الامبراطوريات الكبرى ، وقد دعاهم ذلك الى تفسير تلك الثورات والحروب على أنها علامات مؤكدة لظهور ابن داود .

لقد كانت تلك الظروف السياسية التى شهدتها منطقة فلسطين سببا رئيسيا فى أحياء الفكرة المسيحانية مرة أخرى ، وجاءت المؤلفات التى تنتمى لتلك الفترة محتوية على نفس مضمون وعناصر الفكرة فى أسفار العهد القديم وأدب الابوكاليبس وأقوال التلمود . وربما يرجع ذلك الى أن الاهتمام الأعظم لتلك المؤلفات كان يتجه الى وضع توقعات وتواريخ محددة للعام الذى سيشهد قدوم المسيح المنتظر وعصره معتمدين فى ذلك على نفس العناصر الواردة فى الآداب السابقة . وسنقوم هنا بعرض لأهم المؤلفات التى تناولت فكرة الخلاص فى العصور الأولى للاسلام محاولين تفسير ماتشير إليه بما يتفق مع زمن كتابتها .

برخى دى ربى اليعازار بركات الرابى اليعازار :

وهى عبارة عن أبوكاليبس يهتم فيها بتحديد وقت ظهور المسيح وبضع ثلاثة احتمالات لهذا الظهور ، يعتمد الأول على الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين ، فقد أوحى الرب لابراهيم بالأحداث التى سيشهدها نسله ، فيرى أن هناك أربع امبراطوريات تحكم بنى اسرائيل هى فارس واليونان والرومان والعرب ، يستمر حكم كل مملكة منها لفترة يوم واحد من أيام الرب أى ألف سنة(١) ثم يستنتج أن تحرير اسرائيل سيبدأ عام ٦٢٠م .

أما التوقع الثانى فيضع تاريخا أكثر تقدما وهو عام ٦٨٠م ، فيرد فيه أن المسيح سيظهر عندما يقوم أبناء اسماعيل - أى العرب - بتشييد بناء فى المكان المقدس وعندما يتولى حكم هؤلاء العرب أميران أخوان سيظهر ابن داود .

---

(١) Osterly, w.o : The Evolution of the Messianic Idea, London, 1948, P. 315.

ويرى زونز(1) Zunz أن المؤلف هنا يشير الى مسجد عمرو الذى أرسى قواعده الأمير عمرو بن العاص عام ٦٣٦م .

أما الأميران الأخوان ، فيرى سليفر Silver (2) أنهما ابناء ابى سفيان وهما : معاوية ، الذى عينه عمر بن الخطاب عام ٦٣٩م . حاكما على سوريا وفلسطين ، وزياد الذى أصبح حاكما للبصرة ومقاطعات الشرقية عام ٦٦٥م .

وأخيرا يشير المؤلف الى التوقع الأخير على أنه سيحدث فى النصف الأول من القرن السابع الميلادى ، فيتنبأ بأن يقوم العرب فى المستقبل بشن ثلاثة حروب كبرى الأولى فى الغابات العربية ، والثانية فى البحر ، أما الثالثة فهى فى وسط المدينة العظيمة (روما) حيث يظهر ابن داود ويرى بنفسه هزيمة الوثنيين .

ومن الواضح هنا أن المؤلف يشير الى الأحداث المعاصرة له ، فالحرب الأولى تشير الى اخضاع الجزيرة العربية بكاملها للواء الاسلامى تحت حكم أبى بكر الصديق بعد نجاحه فى القضاء على حروب الردة واستقرار كل أنحاء الجزيرة تحت حكمه حتى توفى عام ٦٣٤م .

وتشير الحرب الثانية - حروب البحر - الى المعارك البحرية التى دارت بين المسلمين والقوى البيزنطية عام ٦٥٠م . وانتهت عام ٦٥٥ بانتصار العرب فى عهد الخليفة عثمان بن عفان .

أما الحرب الثالثة فتشير الى هجوم العرب على القسطنطينية عام ٦٧٢م . عاصمة بيزنطة والتى كانت تعتبر فى ذلك الوقت وريثة روما(3) .

(٢) « سفر الياهو » كتاب الياهو :

يحتوى هذا الكتاب على رؤي أبوكاليبس يرى فيها المؤلف أن المسيح سيظهر أثناء حكم آخر الملوك الفرس ، ومن المرجح أن زمن تأليف النسخة الأصلية منه يرجع الى القرن الثالث الميلادى ، وكان المؤلف يشير الى الصراع بين الفرس والرومان فى ذلك الوقت ، وقد تم تنقيح النسخة الأخيرة من هذا الكتاب فى القرن السابع الميلادى ، وقد حاول المنقح أن يطابق أحداث عصره مع الرؤى الواردة فى الكتاب فعقد مناقشة بين عدد من الربانيين حول اسم الملك الذى سيأتى فى عصره المسيح بن داود ، فقال ، على لسان الربى يوحنان بن شمعون أنه الملك كسرى الثانى الذى حكم ٥٩٠ - ٦٢٨م . والذى غزا أورشليم عام ٦١٤م . وقد

---

1) Osterely' W.O. : The Evolution of the Messianic Idea' Iondon' 1948 , P . 315

2) Silver : A History of the Messianic speculation' P.36

(٣) كان البيزنطيون يطلقون على أنفسهم الرومان كما كان العرب يطلقون عليهم ايضا اسم الروم .

توقع المنقح قدوم المسيح بعد فترة وجيزة من سقوط ذلك الحاكم الفارسى لذلك انتشرت تلك التوقعات بين اليهود بعد أن غزا العرب أورشليم عام ٦١٤م فى القدوم القريب لعصر الخلاص(٤) .

(٣) حيزيون شمعون بن يوحياهو رؤى شمعون بن يوحيا

ينسب مؤلف هذا الكتاب رؤاه إلى أحد علماء التلمود القدامى وهو شمعون بن يوحيا(٤) ويرى جراتس Grats أن زمن تأليف هذه الرؤى يرجع الى مابعد ٧٥٠م .(٥)

وتعبر هذه الرؤى بوضوح عن نفس الفكرة السابقة بأن المسلمين هم أداة الرب لتحقيق سقوط روما وهى العلامة المؤكدة التى تبشر بمجىء المسيح بن داود .

فيقول المؤلف بأن الرابى شمعون بن يوحيا اشتكى للرب من كثرة الظلم الذى أوقعها بهم عيدوم متوسلا بألا يسلط عليهم مملكة اسماعيل (العرب) لكن ملاك الرب يظهر له مطمئنا بأن الرب قد أرسل مملكة اسماعيل لكى تخلصهم من مملكة عيدوم الشريرة . وعندما يطلب يوحيا دليلا من الملاك على ذلك يجيبه بأن ذلك سيحدث عندما يرى فارسا يركب حمارا . مشيرا الى صفة المسيح الواردة فى سفر زكريا(٧) ـ وآخر يركب جملا ـ مشير الى العرب ـ حينئذ تكون ساعة الخلاص ويعطى دليلا على ذلك من العهد القديم حيث يشير سفر أشعياء(٨) الى ثروات وخيرات تأتى لبنى اسرائيل مع مجىء الجمال التى تحمل الخيرات معها .

ثم يبدأ الملاك بعد ذلك باستعراض تاريخ الاسلام منذ ظهور النبى محمد عليه الصلاة والسلام الى عصر الأسرة الاموية ـ أى العصر الذى يتحدث فيه المؤلف ـ ثم يظهر المسيح ابن يوسف ويعيد اليهود الى أورشليم ويقوم ببناء المعبد ويتبع ذلك ظهور ملاك آخر شرير يشن حربا عظيمة على ابن يوسف ويطرد اسرائيل الى الأحراش ، ويقتل المسيح بن يوسف ثم يأتى المسيح بن داود ، وبعد أن يتنكر له اليهود مدعين أن المسيح قد ظهر بالفعل يثبت لهم أنه المسيح الحقيقى .. ويذبح ملاك الشر وتتجمع اسرائيل مرة اخرى فى أورشليم وتطهر من الاثنين ، ثم تعيش فى سلام لفترة ألف عام ويأتى بعد ذلك القضاء الأخير .

---

(٤) المرجع السابق ص ٣٧ .

(٥) عاش فى القرن ٢ م وكان يمثل البطل التقليدى فى الاسطورة اليهودية وكثير ماتنسب اليه رؤى مختلفة .

(٦) المرجع السابق ص ٤٧ .

(٧) زكريا ٩/٣ .

(٨) اشعياء ٦٠/٦ و ٢١/٦ و ٧ .

(٤) تفيلات شمعون بن يوحيا هو صلاة الربى شمعون بن يوحيا

هى عبارة عن صلوات منسوبة للربى شمعون بن يوحيا ومصوغة على نفس نمط الرؤى السابقة المنسوبة اليه أيضا . وبالرغم من أن المؤلف فى الجزء الأول من الصلوات يحدد مجىء المخلص بعام ٧٥٠م ، إلا أنه يستمر فى سرد تاريخى حتى القرن العاشر الميلادى وهى القرون التى شهدت بداية الحروب الصليبية فى الشرق ، ويبدو أن هذه الصلوات قد تعرضت أيضا لاضافات متأخرة على يد بعض ممن عاصروا تلك الحروب الصليبية التى رأى فيها بعض أدباء تلك الفترة أنها تشير الى مخاض ولادة المسيح(٩) .

(٥) « أجودت دانيال » قصة دانيال :

اتبع مؤلف تلك القصة نفس النمط الأبوكاليبس المعروف ، فقد وضع توقعاته المسيحانية على لسان دانيال فى صورة رؤى رمزية مدعيا أنه على معرفة بتاريخ اسرائيل منذ بدايته حتى مجىء زمن النهاية ، ونستدل على جهل المؤلف بالتاريخ السابق له من انتقاله الجاد السريع من تاريخ الفرس الى ظهور الاسلام كما يدل على ذلك أيضا أخطاؤه فى ترتيب الخلفاء الراشدين وفى مقابل ذلك يشير المؤلف بوضوح الى الصراع الذى حدث بين الأمويين والعباسيين مشيرا الى مقر تأسيس حكم العباسيين فى بغداد مما يؤكد بوضوح على أن زمن تأليفه يعود الى أوائل القرن التاسع الميلادى ويضع المؤلف تاريخا محددا لمجىء المسيح وهو(١٠) ٩٤٠ م .

---

(9) Gressmann : The Sources of Israel's Messianic Hope, Amercan Journal of theology, vol.7, 1973, P.21

(9) Silver : A History of the Messianic Speculation, P.34

(١٠) يبدو ان هذه القصة قد تعرضت لاضافات كثيرة متأخرة ذلك لأنها تشير فى الأجزاء الأخيرة منها الى أحوال اليهود فى المغرب العربى كما أنها تشير الى الحروب الصليبية على انها ستدمر الاسلام نهائيا Je Wish Ency., Vol.I,P.680

(٦) « سفر زروبابل » كتاب زروبابل

أپوكاليپس ينسب لزروبابل ويرجع من تأليف النسخة الأصلية منه الى النصف الأول من القرن السابع الميلادى[١١] . ويتوقع المؤلف قدوم المسيح قريبا ومن المؤكد أن هذا الكتاب قد تعرض لتغيرات كثيرة على أيدى الناشرين المتأخرين لتتلاءم مع زمن نشره لهم والقصة مليئة برؤى الأيوكاليپس ، ولكنها قصة مجهولة المؤلف .

يسرد السفر أن زروبابل - الذى اعتبر مسيحا فى عصر النبى زكريا - انتقل الى روما والتقى فى السوق برجل فقير محتقر[١٢] ، لكن ذلك الرجل يكشف لزروبابل عن شخصيته فيقول له أنه المسيح وأنه يعيش فى روما الى أن تأتى المملكة المسيحانية الذى يبدو أنه إقحام متأخر - بعد ٩٩٠ سنة من تدمير المعبد - أى عام ١٠٥٨م . ويحدد المؤلف قدوم المسيح بعد ظهور ملك من نسل الشيطان وله نفس صفاته ويدعى اسمه ارميلوس ينجح فى غزو العالم كله وهزيمة كل أعداء روما وخاصة الفرس ، ثم يوحد العالم كله تحت امرته ، ويؤمن معه الجميع بعقيدة والوهية ذلك الملك الشيطان عدا اليهود الذين يستمرون فى حروبهم ضده لمقاومة حكمه وطغيانه . ويكون قائد اليهود فى هذه الحروب المسيح بن يوسف الذى يجمع قبائل اسرائيل فى فلسطين وأورشليم ، لكن أرميلوس يهزمه ويقتله . ثم يظهر المسيح بن داود فيهزم أرميلوس وحينئذ يبدأ العصر المسيحانى .

ويعتقد سيلفر أن تلك القصة الغنية بالأوصاف والشخصيات والحروب والتى تتضمن تواريخ عديدة لقدوم المسيح قد كتبت عند الانتصارات العظيمة للامبراطور هرقل ضد الفرس ، « ومن الواضح أن مؤلف النسخة الأولى منها كان أحد اليهود الذين كانوا يعيشون فى فلسطين . فى ذلك الوقت وكان يتخيل أن الامبراطور هرقل سيقوم بغزو العالم كله ويعيد توحيد الامبراطورية تحت الدين المسيحى (النصرانية)[١٤] ، ثم كان يأمل بعد ذلك فى ظهور المسيح بن داود ليهزم ذلك الامبراطور ويحقق النصر لأبناء شعبه[١٥] .

---

(١١) دان يوسف : « هسيبور هيحا سيدى » القصة الحسيدبه . اورشليم ١٩٧٥ صفحة ٢٠

(١٢) يعتمد المؤلف هنا على الاشارة الوحيدة فى العهد القديم التى ترى أن المسيح سيكون فقيرا متواضعا يركب حمارا والواردة فى سفر زكريا ٩/٩ وهو النبى الذى رأى فى زروبابل مسيحا وفرعا شرعيا من داود راجع الفصل الرابع من الباب الأول

(١٣) وقد جاء هذا الرقم من اضافة ٩٩٠ سنة الى عام ٦٨م . وهو العام الذى حدث فيه تدمير المعبد الثانى .

(١٤) استخدمنا كلمة النصرانية هنا لتشير الى عقيدة عيسى بن مريم (عليه السلام) (اى المسيحية) للتاكيد على اننا نشير هنا إلى المسيحية وليس المسيحانية . راجع ص٦

(١٥) المرجع السابق ص ٣٦

وبعد أن قمنا بعرض للمؤلفات التى تناولت فكرة الخلاص فى القرون الأولى للاسلام يتضح لنا أن الاعتقاد فى مجىء الخلاص على يد المسيح اليهودى كان عنصرا تقليديا من عناصر الايمان باليهودية ، وأنه كان يطفوا على سطح الاحداث على يد الظروف التاريخية المحيطة ، وهو ماظهر جليا من المؤلفات التى سبق عرضها واتضح لنا منها تناول فكرة الخلاص فى إطار من أدب الرؤى متخذة من الأحداث المعاصرة لزمن تأليفها رموزا لها .

ويكشف لنا ذلك أيضا أن فكرة الخلاص بما تتضمنه من حلم وهمس يحمل معه مجىء المملكة المسيحانية التى يسيطر فيها بنواسرائيل على العالم ، فضلا عن الاطار المستخدم للتعبير عن عناصرها ومحتواها ، قد جعل منها فكرة تتصف بمرونة ومطاطية يسهل معها استيعاب أى مظهر أو حدث تاريخى وتفسيره بما يمكن أن يتطابق معها ويشير الى مجىء المسيح اليهودى ومملكته ، آشور وبابل ، ثم أصبح فى عصر التلمود يشير الى الخلاص من اليونان والرومان ، نجده فى المؤلفات التى تنتمى للقرون الأولى للاسلام يشير الى الخلاص من البيزنطيين ، وأن الرب قد جعل من العرب المسلمين « أبناء اسماعيل » أداة لجلبه ، وان أكبر مثال على المرونة والمطاطية التى تتصف بها الكتب التى تناولت فى تلك الفترة ، تلك التنقيحات ، المتعددة التى أجريت على كتاب زروبابل وظهور أكثر من نسخة لنفس القصة ، تتطابق كل واحدة منها مع عصور وأحداث مختلفة تشير الى الأحداث المعاصرة لزمن كل نسخة .

ثانيا : المفهوم بين الطوائف اليهودية :

يجدر بنا قبل أن ننتقل الى دراسة الظروف المؤثرة على تطور المفهوم فى فترة الحكم الاسلامى فى العصور الوسطى ، أن نعرض فى السطور القليلة القادمة لمفهوم الخلاص فى فكرة الطوائف والفرق اليهودية[16] المتعددة ، فقد كان ماسبق ذكره من مؤلفات تناولت فكر المسيح يشكل الأفكار السائدة عن المفهوم بين بنى اسرائيل والتى كانت شائعة فى مجتمع يهوذا بصورة عامة مهما اختفت طوائفها وفرقها الدينية .

(١٦) ربما نجد اعتراضا من القارىء على تاخير عرض فكرة الخلاص عند الطوائف والفرق اليهودية التى يرجع تاريخ ظهورها الى فترات بعيدة فى تاريخ بنى اسرائيل وقد يكون القارىء محقا فى هذا لان تقسيمنا لهذا البحث يقوم على تتبع فكرة الخلاص حسب التسلسل التاريخى .

ولكن السبب فى ذلك يرجع الى تاريخ نشأة الطوائف اليهودية والذى يشتمل على فترات طويلة جدا من تاريخ بنى اسرائيل ، فيعود الى عصر الملك سليمان ، حيث ظهرت أول طائفة بين بنى اسرائيل وهى طائفة السامريين ، ويمتد الى يوحنا هذا ، وقد شهدت تلك القرون الطويلة ظهور عدة طوائف كالصدوقيين والسامرين والربانيين .. وأعضاء الدونمه والفرانكيين وغيرهم ..

فالفضل فى نشر أدب الأبوكاليبس يرجع الى أعضاء طائفة الفريسيين الذين اتخذوا من ذلك الأدب وعاء يصبون من معتقداتهم عن كثير من عناصر الايمان باليهودية ثم أصبح هذا الأدب منتشرا بين مجموعة المثقفين من أبناء ذلك المجتمع لما كان يتطلبه ذلك الأدب من معلومات تاريخية دقيقة لتأليفه أو قراءته وفهمه(١٧) .

كما نعرف أيضا أن جميع أقوال التلمود ترجع الى مجموعة الربانيين(١٨) من اليهود الذين قاموا بشرح التوراة وجميع أجزاء العهد القديم على مدى قرون طويلة وفتحوا باب الاجتهاد حول تلك الأسفار ، ثم جمعوا تلك المرويات الشفوية والفتاوى فى المشنة والتلمود والمدراشيم وقالوا بقدسية تلك الكتب حتى أصبحوا يكفرون من لايؤمن بها .

إلا أن تاريخ بنى اسرائيل يحدثنا أيضا عن انقسام ذلك المجتمع الصغير الى عدة طوائف وفرق كان لكل طائفة منها آراء خاصة فيما يتعلق بقدسية أجزاء العهد القديم أو رفض بعض المعتقدات أو الاجتهادات الواردة فى التلمود أو الاختلاف حول العناصر المكونة لعقيدة ما بالرغم من اعترافهم جميعا بقدسيتها والايمان بها ، وربما كان ذلك ماتميز به مفهوم المسيحانية فى اليهودية حيث آمنت جميع الطوائف بقدوم المسيح المخلص ومملكته لكنها اختلفت أحيانا فيما بينها عن تفاصيل هذا الايمان وهو ماسنحاول توضحيه واستعراضه خلال السطور القليلة القادمة .

والواقع أن تبلور أفكار تلك الطوائف يرجع الى القرون القليلة السابقة على الميلاد ثم القرون الأولى للميلاد ، كما شهدت القرون الأولى لظهور الاسلام ظهور طوائف اخرى جديدة كان لها اراء خاصة عن فكرة الخلاص ، كما اننا قد لاحظنا أن الحدود الفاصلة بين أفكار كل طائفة منها هى حدود دقيقة جدا ، ومتداخلة احيانا ، فاذا كان الفضل فى انتشار ادب الأبوكاليبس يرجع الى أعضاء طائفة الفريسيين ، الا أن هذا لم يمنع الربانيين من استخدام رموز وعناصر الأبوكاليبس للتعبير عن أفكارهم فى التلمود . وإذا كنا نجد أن السامريين لايعترفون إلا بنبوة موسى وينكرون جميع أنبياء اسرائيل وأسفارهم إلا أنهم مع ذلك يؤمنون ببعض الأفكار المتضمنة فى اسفار الأنبياء ومنها فكرة الخلاص . لذا فقد رأينا أن نعرض للحديث عن موقف الطوائف والفرق اليهودية من فكرة الخلاص فى الجزء من الباب وذلك بعد أن انتهينا من تحديد معنى الخلاص فى فترة العهد القديم ، ثم انتقلنا الى تحديد مظاهر التطور الذى طرأ على الفكرة فى عصر التلمود حتى يكون القارىء قد اصبح على معرفة وثيقة باصل الفكرة وتطورها ، ثم نقوم

(١٧) scholem : the Messianic Idea in Judaismp . 131

(١٨) جاءت هذه التسمية من كلمة راف أو ربان وجمعهما ربانيم ، وهم مجموعة من اليهود الذين ابقوا باب المقدسات مفتوحا على مصراعيه بعد وفاة النبى موسى ، بل بعد السبى البابلى بحيث دخلت فيه المرويات الشفوية والاجتهادات والفتاوى وغيرها من النصوص الدينية المحتواة فى المشنا التلمود والمدراش والمروية عن هؤلاء الرؤساء أو الربانيين او الاحبار من طبقة هسوفريم اى الكتبة وهتنائيم اى رياة المشنا والأمورائيم اى أحبار التلمود والدرشانيم أى المفسرين للعهد القديم وأصحاب المدراش الذى هو التفسير والجاؤنيم اى الفقهاء العظام الذين ظهر الاسلام اثناء وجودهم .

كانت طائفة السامريين أول المنشقين عن بقية مجتمع بنى اسرائيل فقد اختلف أبناء تلك الطائفة مع بقية أبناء الشعب بعد موت الملك سليمان بن داود حول قدسية أسفار الانبياء ، فقد أنكروها ولم يعترفوا إلا بنبوة موسى وأسفاره الخمسة كما اعترفوا أيضا بسفر يسوع الذى تشير إليه أسفار التوراة . لكن بالرغم من هذا النكران الصريح لعدم قدسية جزئى الأنبياء والمكتوبات من كتاب العهد القديم إلا أنهم يؤمنون ببعض الأفكار المتضمنة فيهما فهم يؤمنون بيوم الآخرة ويسمونه يوم البعث العظيم كما يؤمنون بمجيء المسيح المخلص بالرغم من أنها جميعا أفكار لم تتحدث عنها التوراة[١٩] .

ويمثل الفريسيون طائفة علماء الشريعة[٢٠] من الربانيين فى الفترة وقد آمنوا بيوم الرب ، وبكل العناصر التى تحدث عنها الانبياء مع اضفاء مزيد من العناصر الاسطورية عليه ، وتمسكوا بالايمان بالمسيح اليهودى الذى سيأتى الى العالم ليقود بنى اسرائيل فى حملات عسكرية ضد الأمم الأخرى وهى الحروب التى يتبعها ـ من وجهة نظرهم ـ حالة هدوء وسلام ابدى تتميز بسيادة بنى اسرائيل على العالم فتأتى اليهم الشعوب متعبدة وتقدم القرابين لاله اسرائيل (يهوه) ولشعبه المختار الذى تؤول له سيادة العالم .

وكما سبق لنا القول « فإن الفضل فى نشر أدب الاپوكاليپس يرجع الى تلك الطائفة وهى الاداب التى تتناول يوم الرب وقدوم المسيح[٢١]

أما الصدوقيون ـ فقد عارضوا الايمان بمجيء يوم الرب كما يصوره لاپوكاليپس وبالتالى فهم يرفضون ايضا الايمان بالثواب والعقاب فى الآخرة ويرفضون فكرة مجيء العالم الآخر[٢٢] .

ويبدو ان رفض الصدقيين لتلك الأفكار يعود الى تمسك طائفة الفريسيين بها وهى الطائفة التى كانت على عداء مستمر معهم .

ويخبرنا تاريخ بنى اسرائيل عن وجود طائفة الاسينيين التى يرجع ظهورها الى القرن الأول الميلادى ، لكن ندرة المعلومات الواردة عن تلك الطائفة تشكل مشكلة هامة لدى الباحثين ، وليس من المؤكد حتى الآن معرفة أفكارها ومعتقداتها ، ومن

---

(19) Teicher, J.I. : The Damascus Feagment, Jewish Chconical Publication, London 1951 P.137

(٢٠) كان أعضاء هذه الطائفة من اكثر معارضى المسيح عيسى بن مريم .

(20) Glubb, J.B. : Peace in the Holy Iand, Hadder and Stoughton Gomp., Iondon, 1971 P.174

(٢٢) دائرة المعارف العبرية التاسع صفحة ٢٤٥

ناحية أخرى ، فهى لم تترك لنا أى كتاب يتحدث عن معتقداتها وأفكارها ، ومع ذلك يمكن أن نستدل من الكتابات القديمة القليلة التى تحدثت عنها ، أن أعضاء طائفة الأسينيين كانوا يؤمنون أيضا بمقدم المسيح وبيوم الأخرة ، كما كانوا يعتقدون أن الحياة فى هذا العالم ماهى إلا مرحلة لقدوم المسيح المخلص ، لذلك فانهم دعوا أفراد طائفتهم الى اعداد أنفسهم لقدوم المسيح الذى سيأتى ليقيم مملكة المسيحانية على الارض(٢٣) .

أما طائفة القرائين فكانت من أهم الطوائف التى أثرت فى الفكر اليهودى لفترة ما فيما بين القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ، وخاصة ماكان لتلك الطائفة من آراء مختلفة عن آراء الربانيين فيما يتعلق بالمسيح ومملكته . فقد تأسست طائفة القرائين بزعامة عنان بن داود (٧١٥-٨١١م) فى العراق الذى تم تعيينه خلفا لعمه حا خام العراق الأكبر بعد وفاته (٧٦١م) ، وكان عنان معروفا بميوله التحررية وخاصة إزاء شرائع التلمود ، لهذا لقى تعيينه معارضة كبرى من كبار الربانيين فى العراق ، فاختاروا أخاه حنانيا بدلا منه . ولم يستطع عنان البقاء فى العراق فهاجر الى فلسطين ليعيش هناك مع طائفة من أتباعه . وكانت كراهيته العظيمة وحقده ضد الربانيين ، نتيجة لعزله ، فضلا عن انكاره لقدسيه التلمود - كانت من أهم الأسباب التى دعت عنان الى تأليف كتابة سيفر همو تسقاءوت كتاب الوصايا ليضمن فيه آراءه عن كثير من الشرائع والوصايا التى فرضها الربانيون بناء على نصوص التلمود ، كما نادى بعدم الاعتماد على التلمود كنص أساسى للشريعة ، بل أن التوراة هو الكتاب الوحيد الذى يجب الرجوع إليه فى ذلك . والواقع أن مايهمنا هنا هو معارضته لفكرة الربانيين عن الخلاص والمملكة المسيحانية .

فقد رأينا فى الفصل الأول من هذا الباب أن ربانيى التلمود يعطون أهمية خاصة لمجىء المسيح ويؤمنون بحتمية ظهوره ، كما رأينا أيضا أنهم قد وضعوا أهمية خاصة على توبة بنى اسرائيل كشرط من شروط مجىء المسيح ، وقالوا أن التوبة من شأنها أن تعجل من مجىء المسيح إلا أنهم نفوا أن يكون للانسان أى دور للتعجيل أو للتأخير من مجىء المسيح ومملكته .

أما القرائيون فلم يؤمنوا بتلك الحتمية فى مجىء المسيح المخلص ، بل ذهبوا الى أكثر من ذلك فى معارضتهم للربانيين إذ جعلوا للانسان دورا هاما

---

(23) Roth, Cecil : A History of Jewish People, P.211.

(٢٤) هى الطائفة التى أشهرت سيفها ضد الربانيين حكماء التلمود وعارضتها فى ايمانها بهذا الكتاب الذى يحمل الشريعة الشفوية ولهذا فقد سميت هذه الطائفة بالقرائين نسبة الى العهد القديم الذى يطلق عليه أيضا اسم المقرا وذلك لتمسكهم باليهودية والمعتمدة على عناصر مستقاه فقط من العهد القديم .

في مجيء المسيح وقالوا بامكانية البشر فى العمل على اقتراب مجيئه الذى يعتمد على أفعالهم ، فاذا كانت سيئة شريرة سيؤخر هذا من قدوم المسيح ، أما اذا اتسمت بالخير والاستقامة فان ذلك من شأنه أن يقرب من قدوم عصر المملكة المسيحانية[٢٥] .

وبعد أن عرضنا لموقف أهم الطوائف والفرق اليهودية يتضح لنا أن الايمان **بقدوم المسيح المخلص وعصر الخلاص كان يمثل سمة مشتركة بين تلك الطوائف بوجه عام وإن اختلفت فيما بينها حول مايتعلق ببعض التفاصيل الخاصة بعناصر المفهوم المسيحانى وهو الذى ظهر بوضوح بين الربانيين والقرائين كما أوضحنا .**

(ثالثا : المفهوم فى مابين القرنين الثامن والسادس عشر الميلاديين

لم تتوقف الجيوش الاسلامية عند حدود افريقيا ، فقد عبرت مضيق طارق الى أوربا وانتصرت فى الأندلس (٧٧١م) التى كانت تضم جالية يهودية وكان أعضاؤها يترقبون انتصار الجيوش الاسلامية ، كما عرضوا خدماتهم ومساعداتهم على قواد الجيوش وكانوا يأملون فى استمرار تلك الجيوش فى زحفها حتى يتم لها النصر النهائى لكى تنتهى تلك الاضطرابات التى عاشوها تحت حكم ملوك أسبانيا المسيحية .

وكان لليهود ماتوقعوا فبمجرد أن استقر الحال للمسلمين فى الأندلس أحسنوا معاملة اليهود كمواطنين أحرار ، وعادت لهم حريتهم الدينية فسمح المسلمون لهم بإقامة المعابد والشعائر الدينية ، كما تمتعوا بحريات سياسية واقتصادية كانوا قد حرموا منها ، وأعادوا اليهم اراضيهم وأملاكهم التى صادرتها الحكومات السابقة وتمتع اليهود فى ظل الحكم الاسلامى للأندلس ـ وخاصة فيما بين القرنين التاسع والثانى عشر الميلادى بحريات اقتصادية وسياسية ودينية لم يشهدوها من قبل فأنشأوا مراكز اقتصادية ، وتقلد بعضهم مناصب هامة في الدولة الأمر[٢٦] الذى

(25) Blan, Y.I. : The story and Jewish Phllosophy, N.Y., 1971, P.126.

(٢٦) مثل حسداى بن شفروط الذى عين طبيبا خاصا لامير المؤمنين (فى منتصف القرن العاشر الميلادى) كما عين مستشارا تجاريا أيضا وكذلك ابن تغريله الذى عين كاتبا ومستشارا وجابيا للضرائب ومسئولا عن شئون امارة « ملقا » الداخلية والخارجية وكذلك موسى بن ميمون الذى عين طبيبا خاصا لأمير المؤمنين ـ راجع ا . د . محمد بحر عبدالمجيد الشعر العبرى فى الاندلس ، فصول من حوليات كلية الاداب ـ جامعة عين شمس المجلد الخامس عشر ١٩٧٥ ـ ١٩٧٨ ، ص ١٢١ .

جعل يهودا كثيرين من أوربا يهاجرون الى الاندلس ، وقد انعكست تلك الحياة المميزة على حياتهم الثقافية ، فأنشأوا مراكز ثقافية ومدارس يهودية ومكتبات[٢٧] فى عدد كبير من مدن الاندلس حتى أصبح معظم سكان بعض المدن من اليهود[٢٨]
وكانت نتيجة تلك الحريات العامة التى تمتع بها اليهود ان نشأت بينهم نهضة فكرية شاملة ، وقد أعجبهم حماس العرب للتفقه فى القرآن وعلومه وكذلك علوم العربية وآدابها . فقلدوا العرب فى ذلك وانكبوا على دراسة العربية وفقهها كما أنكبوا على دراسة العبرية وقواعدها وقلدوا العرب فى اهتمامهم بالدراسات المتعلقة بكافة عناصر الدين الاسلامى وبدأوا هم أيضا يهتمون بدراسة العهد القديم والتلمود ويعيدون شرح فقرات كتبهم الدينية .
وقد تبع ذلك عدد من المفسرين اليهود كان أهمهم سعديا بن يوسف الملقب بسعديا الفيومى أو سعديا جاءون « الذى تميزت شروحه للعهد القديم بكثير من العقلانية ميزته عن غيره وعمن سبقوه من ربانيى التلمود[٢٩] .
كما انعكست أيضا تلك النهضة الشاملة على كل فروع الأدب العبرى ، فقد قلد اليهود العرب فى الاهتمام بقرض الشعر ، وأدخلوا الى العبرية نفس الأغراض التى تناولها العرب من فنون الشعر[٣٠] .
وعاش اليهود فى ذلك العصر المتميز بالاستقرار والهدوء المتواصل حتى القرن الحادى عشر حينما بدأت تسود دول الشرق حالة من الاضطرابات وخاصة فى منتصف القرن الحادى عشر جاءت نتيجة للحملات الصليبية المتكررة[٣١] على الشرق للاستيلاء على القدس .

---

(٢٧) كالمكتبة التى كونها حسداى بن شفروط فى قرطبة كما انشا مدرسة للدراسات اليهودية ايضا ، وكذلك المدرسة اللاهوتية التى انشئت فى لوسيانيا وهى المدرسة التى ذاع صيتها فى القرن الحادى عشر الميلادى واصبحت بمثابة دار للافتاء وبديلا لمدرستى صُورا وبمباديتا اللتان كانتا تصدران الاحكام والافتاء فى الشريعة اليهودية .. راجع كتاب اليهود فى الاندلس للدكتور محمد بحر عبدالمجيد ، المكتبة الثقافية العدد ٢٣٧ ابريل ١٩٧٠ ص ٢٢ .

(٢٨) مثل قرطبه واشبيليه واليسانه .

(29) Sarachek : The Doctrine of The Messiah in Medieval Jewish Literature, P . 78 .

(٣٠) كالموشحات والاراجيز والازجال والمدح والرثاء والغزل والخمريات والشعر الدينى الحماسى وهى اغراض لم يعرفها الشعر العبرى إلا تحت تاثير العرب فى العصور الوسطى .

(٣١) شهد القرن الحادى عشر والقرن الثانى عدة حملات متفرقة كان أولها فى ١٠٩٦ ثم فى عام ١١٤٥ ثم ١١٨٩ م .

ثم شهد النصف الثانى من القرن الحادى عشر انهيارا للخلافة الموحدة فى الاندلس وانفردت الطوائف المختلفة بحكم بعض المدن كما انفرد الأمراء بحكم مستقل بمدن وولايات أخرى عن المركز الرئيسى للخلافة فى قرطبة[٣٢] . وقد شهدت تلك الفترة أيضا بداية لصراع عظيم بين المسلمين والمسيحيين الأسبان الذين حاولوا الاستيلاء على مدن الاندلس واقصاء العرب عنها[٣٣] .

ولم تكن تلك الظروف خاصة بالدولة الاسلامية وحدها ، فقد شهدت بعض دول الغرب أيضا ، وخاصة فى أوائل القرن الحادى عشر ظروفا مماثلة من الاضطرابات السياسية والدينية بصورة خاصة .

فقد كانت تلك الموجات من الحملات الصليبية المتكررة على الشرق مصحوبة باحساس اسطورى بعودة ظهور المسيح عيسى بن مريم مرة أخرى بعد انتهاء الألف الأولى للميلاد وهى الدعوة التى كانت تخفى وراءها مطامع حكومات الغرب الاستعمارية ، فتمسكوا بتلك الأسطورة الزائفة مدعين أن القدس يجب أن تعود الى حوزة المسيحيين (النصارى) قبل عودة عيسى الى الظهور[٣٤] .

وكانت الاضطرابات التى تسود الدولة الاسلامية فرصة لاحياء مفهوم الخلاص والقول باقتراب مجىء المسيح المخلص ، فكان ذلك سببا دعا الادباء ومفسرى التوراة فى تلك الفترة الى اعادة تفسير النصوص الدينية المتضمنة لفكرة الخلاص - فى العهد القديم والتلمود ، بناء على الأحداث التاريخية المعاصرة لهم وأنها تشير الى مخاض ولادة المسيح ، وقالوا أن انتصارات الصليبيين المسيحيين فى الأندلس تشير الى نبوءات الاپوكاليپس القديمة التى أعادوا تفسيرها على أنها تشير الى أن عودة عيدوم « أى المسيحيين » الى فلسطين مرة أخرى سيحمل معه قدوم « العصر المسيحانى الذى يحقق خلاص اسرائيل ، وكان ذلك سمة غالبة فى مؤلفات سليمان بن اسحق المعروف بـ « راشى » (١٠٤٠-١٠٩٦م) وسليمان بن جبيرول (توفى ١٠٧٠م) وابراهام بن عزرا (١٠٩٢-١١٦٧م) ويهودا اللاوى (١٠٨٠-١١٤١م) وموسى بن ميمون المعروف بـ « رمبم » (١١٣٥-١٢٠٤م) وهو ماسنتناوله بالتفصيل فى الفصل القادم .

كما كان من أهم البواعث التى أدت الى بزوغ ذلك المفهوم المسيحانى الذى أصبح فى تلك الفترة مجرد أمل تناوله الشعراء **اليهود لهذه الفترة مقلدين فى ذلك للشعراء العرب فى اسبانيا الذين انتشر بينهم الشعر الدينى الحماسى**

---

(٣٢) تعرف تلك الفترة بحكم الطوائف فى الأندلس .

(٣٣) محمد بحر عبدالمجيد : اليهود فى الاندلس ، المكتبة الثقافية . القاهرة . ١٩٧ ص ٣٨ - ٣٩ .

(34) Silver : A History of the Messianic Speculation , P . 64

نتيجة للظروف المضطربة التى عاشوا فيها حيث كانوا كلما سقطت مدينة من مدن الاندلس فى يد المسيحيين يتباكون مذكرين الناس بسالف المجد والعز وحث الناس على انقاذ المدينة وتحريرها ، وتكون من مجموعة هذه القصائد ، شعر وطنى استغل الحماسة الدينية للجهاد والقتال ، وقد قلد اليهود هذا النوع من الشعر بعد اندلاع الحروب الصليبية(٣٥) .

ثم كانت القرون الثلاثة اللاحقة لذلك ، من القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر - استمرارا لتلك الظروف المضطربة .

فقد شهد القرن الثالث الميلادى بداية لتغلغل المسيحيين الأسبان فى الاندلس ورجحت كفتهم فى حكم مدن كثيرة أخرى ، ومع انتشار حكم الأسبان فى الأندلس انتهت تلك الحريات التى منحها العرب المسلمون لهم وبدأت سلسلة من الاضطرابات تعم أسبانيا كلها ، ومن ناحية أخرى فقد تميزت تلك الفترة أيضا بكثرة الحملات الصليبية على الشرق والتى استمرت طوال ذلك القرن على فترات متقطعة ، وهى الحملات التى نشرت الاضطرابات فى أنحاء كثير من الشرق والغرب . ثم شهد القرن الرابع عشر الميلادى اجتياح وباء الطاعون فى شرق اوربا وقد تسبب ذلك كله فى جلب كوارث كثيرة على أوربا كلها بصفة عامة الأمر الذى دعا الى عودة لتفسير تلك الكوارث الشاملة على أنها تشير حتما الى مخاض ولادة المسيح وقرب مجىء العصر الالفى .

أما أدباء اليهود فقد فسروا ذلك من وجهة نظرهم الخاصة ، فاعتقدوا بأن المسيح بن داود قد أوشك على القدوم حيث أن تلك الفترة المليئة بالكوارث والحروب والأمراض هى الفترة التى تحدث عنها التلمود وأشار اليها بأنها الفترة التى تسبق مجيئه مباشرة .

وقد استمر الأدباء والمفسرون والمتصوفة اليهود يتعاملون مع الأحداث المحيطة بهم بناء على تلك التفاسير لرؤى الأبوكاليبس الأسطورية حتى فى القرن الخامس عشر الذى شهد مزيدا من التقهقر العربى أمام زحف المسيحيين الاسبان على الاندلس وقد أدى ذلك الى مزيد من تضييق الخناق على اليهود من أولئك الحكام الجدد **وكان من أهم البواعث التى دعت الأسبان الى الكراهية والعنف التى ميزت معاملتهم لليهود تلك المناقشات العلنية(٣٦) التى كانت تعقد بين**

---

(٣٥) محمد بحر عبدالمجيد : الشعر العبرى فى الأندلس . ص ١٣٠

(٣٦) كان من أهم المناقشات العلنية تلك التى دارت بين موسى بن نحمان والاب بابلو النصرانى عام ١٢٦٣م . وكذلك دارت بين الاب حاييم جالى بابا ويوسف البو فى عامى ١٤١٣ - ١٤١٤م .

أدباء الكنيسة فى اسبانيا وبين ادباء اليهود طوال القرون الثلاثة الماضية ، وكان موضوعها يدور حول اثبات صحة المسيح عيسى بن مريم باعتباره المسيح الحق وهو الرأى الذى دافع عنه اباء الكنيسة فى مقابل أدباء ومفسرى اليهود الذين تمسكوا بأن المسيح المخلص لم يأت بعد-مكذبين دعوة عيسى وأناجيله وقد أدت تلك المناقشات العلنية وغيرها من مؤلفات وتفاسير تناولت فكرة الخلاص ومجىء المسيح ، أدت الى البقاء على مفهوم المسيحانية بين اليهود ، وزيادة الاهتمام به من جانب اولئك الادباء الذين عكفوا على دراسة النصوص الدينية لاستنباط مايؤكد على انتظار المسيح بن داود الذى لم يأت بعد واعادت تفسير تلك النصوص الدينية بناء على تصوراتهم ، ورفض أى احتمال لكونها تشير الى أحاديث تاريخية معاصرة لزمن كتابتها .

وينتمى لتلك الفترة مؤلفات عديدة تناولت فكرة الخلاص بنفس الأسلوب الاسطورى كما سنرى وهى كتابات موسى بن نحمان (١١٩٤-١٢٧٠م) ويوسف اليو (١٣٨٠-١٤٤٠م) وحسداى كرسكس (١٣٤٠-١٤١٠م) واسحق ابرابانيل (١٤٣٧-١٥٠٨م) .

ولم تكن نهاية القرن الخامس عشر تحمل جديدا ليهود اسبانيا الذين انتهى الأمر بطردهم منها عام ١٩٤٢م وهى الحادثة التى تعاملوا معها أيضا على أنها تشير الى مخاض ولادة المسيح تسبق مباشرة مجىء المسيح المنتظر .

وقد ظل جموع المفسرين اليهود الذين انحسرت مؤلفاتهم بصورة خاصة بعد حادثة الطرد من اسبانيا فيما عرف باسم القبالاه[٢٧] ، التى ظهرت منذ القرن الثالث عشر والتى استوعبت كثيرا من الكتابات والمؤلفات العبرية وخاصة فيما يتعلق بالمملكة المسيحانية كما أضفت عليها أفكارا جديدة سنتناولها فى موضعها ، الا أن مفهوم الخلاص فى القرن السادس عشر وحتى الثلث الأخير من القرن السابع عشر كان يظهر فى بعض كتابات أخرى ثانوية ومتفرقة ، خارج نطاق القبالاة ، وقد جاء ذلك نتيجة لاتباع أدباء اليهود نفس الطريقة التقليدية للتعامل مع الأحداث المحيطة بهم على أساس امكانية تفسيرها بناء على نصوص المعهد القديم وغيرها من رؤى الابوكاليبس .

فقد شهد القرن السادس عشر الميلادى نهضة عظيمة فى تركيا وانتصاراتها العظيمة وسيطرتها على كثير من مناطق الشرق ، ففى خلال مائة عام (١٤٥٣-١٥٦٧م) اتسعت تلك الامبراطورية الجديدة حتى أصبحت تمتد من حدود

---

(٢٧) احدث تناول القبالاة لفكرة الخلاص تطورا على عناصر ومكونات الفكرة فى العصور الوسطى وهو التطور الذى اتضحت آثاره بصورة خاصة بعد طرد اليهود من اسبانيا ١٤٩٢م . لهذا فقد رأينا ضرورة ان تتناول فكرة الخلاص فى القبالاة فى فصل خاص من نفس الباب

المانيا وحدود ايران ، وشملت كذلك شبه جزيرة البلقان كما شملت كل البلدان فى السواحل الشمالية لافريقيا من مصر وحتى مراكش وأصبح اسطولها يمثل قوة عظيمة يخشاها ساسة أوروبا .

وقد شهدت تلك الفترة اندلاعا لآمال الفية مرة أخرى فى اوربا وقد جاء ذلك فى فترة الاضطرابات الدينية التى شهدت انشقاق الكنيسة المسيحية وظهور البروتستانية التى كانت تعج بالأفكار والاحلام الألفية(٣٨) .

ولم تمر تلك الأحداث ، بالطبع ، دون أن يطوعها مفسروا اليهود على أنها تشير إلى أنهم قد أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من العصر المسيحانى وأن ذلك الجيل يمثل الأخير الذى يعيش ويتحمل مخاض ولادة المسيح ، فقد نظروا الى ذلك الانكسار الواضح للمسيحية (النصرانية) - الممثلة فى ممالك اوروبا - أمام الجيوش الاسلامية - الممثلة فى تركيا - على ضوء من رؤى الأبوكاليبس وعملوا على اعادة تفسيرها بما يتلاءم مع تلك الاحداث ، فعادوا مرة أخرى الى التأكيد على أن سقوط روما - يشير هذه المرة الى ممالك الغرب كافة - على يد الفرس - أى الاتراك - سيحمل معه المجىء الحتمى للمملكة المسيحانية ، وقد وجدوا فى انتشار هذه الآمال الألفيه فى أوروبا فرصة لهم فى تأكيد اعتقادهم بمجىء مسيحهم المنتظر بناء على تلك الظروف التاريخية . وقد اشار موسى دى ترانى (١٥٠٥-١٥٨٥م) الى تلك التفسيرات فى كتابه « سيفر بيت الوهيم » كتاب بيت الرب »(٣٩)

إلا أن معظم الفقرات والمؤلفات التى تناولت مفهوم الخلاص فى تلك الفترة قد اهتمت بصورة خاصة بوضع تاريخ محدد يشير الى السنة التى سيأتى فيها المسيح بن داود وعصر الخلاص وقد جاء معظمها فى مجموعة التوقعات الخاصة بالقبالاة والواردة فى كتاب الزوهر وهو الكتاب الأساسى الذى يشتمل على أفكار القبالاة التى أصبحت تستوعب كل مايتعلق باليهودية وجذبت اليها معظم مفكرى وأدباء اليهود وكان ذلك سببا فى ندرة كافة المؤلفات الأدبية والفكرية وهو ما انسحب أيضا على المفهوم فى نهاية العصور الوسطى .

---

(38) Gunness : Romanism and Reformation From the *stand Point of* Profecy, London, 1859, P.71.

(39) Silver : A History of the Messianic Speculation, P.114.

كان ذلك عرضا للواقع التاريخى والأحداث التى شهدتها تلك الفترة الطويلة التى امتدت مايقرب من سبعة قرون ، والتى رأينا أنها كانت سببا مباشرا فى استمرار الاعتقاد بمجىء المسيح اليهودى وعصر الخلاص طوال فترة العصور الوسطى .

وسوف نتناول فى الصفحات التالية عرضا لبعض نماذج التفاسير وغيرها من المؤلفات التى تناولت مفهوم الخلاص فى تلك الفترة والتى لاحظنا أنها تتضمن نفس العنصرين الأساسيين اللذين تميز بهما فى عصر التلمود وهما :

عنصر الكارثة المدمرة وعلامات قدوم المسيح وعنصر المثالية والأسطورية التى يتصف بها المملكة المسيحانية الخلاص .

الفصل الثانى
المفسرون الدينيون والمفهوم

أولا : عنصر الكارثة المدمرة وعلامات قدوم المخلص :

رأينا فى الفصل الأول من هذا الباب كيف تأكدت العناصر الكوارثية والمثالية فى مفهوم المسيحانية تحت تأثير قبول مبدأ الثنوية فى اليهود ووقفنا على التأثير الذى أحدثته الثنوية على المسيحانية بصورة خاصة ، وعرفنا كيف كانوا يتخذون من الأحداث التاريخية المحيطة بهم مادة لتصبح موضوعا للتوقعات بمجيء الخلاص فى إطار من الأبوكاليبيس معتقدين أنها علامات تنذر بالقدوم القريب للعصر المسيحانى .

وكانت للحرية الدينية والاقتصادية التى نعم بها اليهود فى ظل الحكم الاسلامى - وخاصة فيما بين القرنين التاسع والثانى عشر الميلادى - الأثر الأعظم على حياتهم الثقافية فاتسم الأدب بالعقلانية فى تناولهم لمختلف النشاطات الأدبية كما تميزت بالبعد عن العناصر الخرافية والغموض واللاعقلانية التى كانت تغلف الانتاج الأدبى فى العصور السابقة .

ومع ذلك فإن أدباء اليهود فى تلك الفترة لم يستطيعوا التخلص من تلك المظاهر الكوارثية والعناصر الخرافية البعيدة عن أى تعقل فيما يتعلق بفكرة قدوم المسيح المخلص ومملكة الخلاص وهو المفهوم الذى كان يمثل فى تلك الفترة عنصرا تقليديا بالايمان باليهودية ، بل أننا لانبدو مبالغين اذا قلنا أن مجرد تمسكهم بهذا المفهوم المغلف بالعنصرية والأسطورية هو قمة البعد عن العقلانية .

وأول يصادفنا عن فكرة الخلاص فى مؤلفات تلك الفترة مانجد ، عند سعديا بن يوسف (الفيومى) ، فى كتابه الامانات والاعتقادات هاأمونوت فهيد وعوت الذى تناول فيه فكرة الخلاص ، وتحدث فيه عن نفس العناصر الشائعة فى فترة العهد القديم وعصر التلمود . فكان سعديا يعتقد فى نشوب المعارك العظيمة بين الشعبين الأسطوريين يأجوج ومأجوج ، كما يعتقد فى الحرب التى ستنشب بين هذين الشعبين وبين شعب اسرائيل تحت قيادة المسيح بن داود الذى سيحاربهما وينتصر عليهما .

وهنا يعلن سعديا عن تشككه فى ظهور المسيح بن يوسف ويضع احتمالات بعدم مجيئه ، أما فى حالة ظهوره ، فيعتبره ممثلا للمملكة الشمالية فى العصر المسيحانى لذلك يحدد موقع ظهوره فى الجليل كقائد لقوة صغيرة يتجه بها الى أورشليم لتحريرها من روما ، ويهزم الأعداء ، لكن حكمه لن يستمر طويلا حيث يظهر أرميلوس الحاكم الرومانى الشرير ، فيحكم أورشليم ويطرد بنى اسرائيل

بالصحراء مرة أخرى ، ويذبح المسيح بن يوسف . وحينئذ يظهر المسيح بن داود ويحارب الحاكم الرومانى ويسيطر على المدينة المقدسة ، ثم يحارب يأجوج ومأجوج ويسحق أعداء اسرائيل ومايتبع هذا الانتصار من تجميع لشتات اسرائيل من كل أنحاء المعمورة ، وهو العنصر الذى اعتبره سعديا جاءون أهم مظهر للعصر المسيحانى(١) .

وتتشابه فكرة الربى سليمان بن اسحق ـ المعروف براشى ـ عن مجىء المسيح بن يوسف مع الاطار العام لفكرة سعديا . فيعتقد راشى أيضا أن المسيح بن يوسف يمثل المملكة الشمالية فى العصر المسيحانى ، ومن خلال تعاونه مع المسيح بن داود سيتم التوفيق بين جميع قبائل اسرائيل فى مملكة عصر الخلاص(٢) .

ويشير موسى بن نحمان أيضا الى ظهور المسيح من قبيلة افرايم (أى ابن يوسف) فى بداية عصر الخلاص ، وتتلخص مهمته فى محاربة الأمم الوثنية وتجميع بنى اسرائيل من الشتات وقيادتهم للأرض المقدسة ، ويقول بأن هذه المهمة تستغرق أربعين عاما يظهر فى نهايتها المسيح بن داود ليشن حربا على يأجوج ومأجوج ويجلب الخلاص معه(٣) .

وكان مفهوم الخلاص موضوعا تغنى به شعراء اليهود فى العصور الوسطى وتناولوا فيه أيضا عناصر الكارثة والدمار كما أشبعوا قصائدهم بأوصاف ذلك العصر المسيحانى المثالى ، وقد أنتج هذا كما هائلا من القصائد التى حمل معظمها عنوان « جيئولاه » بمعنى خلاص .

فيهودا اللاوى ينتظر المسيح الذى سيخلص اسرائيل من العبودية ويتمسك بنفس العناصر الواردة عن هذا المفهوم فى أسفار الأنبياء ولدى أحبار التلمود ، ففى احدى قصائده يضع شرط توبه اسرائيل لمجىء الخلاص ، وفى قصيدة(٥) أخرى . يشير الى أن عصر الخلاص يتشابه مع حادثة الخروج من مصر على يد موسى .

(1) Silver : A History of the Messianic Speculation, P.60.

(2) Torrey G.I. : The Messiah Son of Ephrim, Journal of Biblical literature, London 1967,

(3) Sarachek : The Doctrine of the Messiah in Medieval Jewish Literature, P.172.

(٥) نشر حاييم شيرمان فى كتابه « هشيريم هاعيڤرييم بسفاراد أو بيفروفانس » السفر العبرى فى أسبانيا وبروفانس « المجموعة الأولى . طبعه مؤسسة بيالق . القدس صفحة ٤٧٣ .

وتضرع ابراهام[٦] بن عزرا لرب اسرائيل ليرسل المخلص الموعود كى يخلصها من اهانات شعوب العالم آملا أن يكون لهم فى عصر الخلاص وضعا ومكانة أفضل .

أما عمنوئيل بن[٧] شلوموه فينتظر المسيح المحارب المقاتل الذى يحقق له هذا الخلاص ويتضرع الى الرب لارساله قويا جبارا لكنه يرفض هذا المسيح اذا كان ضعيفا خانعا أو متواضعا .

وسوف نكتفى هنا بعرض لنموذج واحد فقط من تلك القصائد وهى قصيدة تحت عنوان « جيئولاه »[٨] خلاص للشاعر سليمان بن جبيرول يشير فيها الى أن الرب سينهى آلام اسرائيل ويجمع شتاتها تحت حكم بن يسىّ الموعود وهى قصيدة على شكل حوار بين الرب (يهوه) واسرائيل التى تصرخ له من معاناتها فيجيبها الرب بأنه سينفذ وعوده القديمة لها بالخلاص ، فيقول :

لماذا أصرخ ؟ لأنى أتعذب ولاتستجيب
رغم الدمار والهلاك من مضطهدينا ،
بعنا جميعا للأغراب ، السيد والعبد
من أنت فتخافين ممن يحتقرك ؟
سأرسل ملاكى كما كتب النبى :
وأجمع اسرائيل من كل مكان !
ستكون هذه المعجزة صباح الغد !
حددت لى موعدا لتجمع قوادى
لكن لم أر أى معجزة لتشييد مقدساتى
ومبشر السلام لم يأت لمقدساتى
لماذا لم يأت ابن يسىّ ؟
إنى اقسمت بجمع سباياى ،
حينئذ ستحمل الممالك لك كل تقدير
حينئذ أجعل كل الأمم تشهد بمقدساتى
هاأنذا حقا أرى ابن يسىّ

---

(٣) نشر فريدلندر فى كتاب Standered Book of Jewidh verse, y.y., 1917. P.405

(٥) راجع مقدمة هذا الكتاب . وقد نشرت هذه القصيدة تحت عنوان « أنشودة الذهب » (مننسير ذاهاف) فى كتاب « رعيون تحيات يسرائيل » فكرة بعث اسرائيل للمؤلف مامان داف فيلنا ، ١٩٠٥ ، صفحة ٣٠

(٤) نشرها حاييم شيرمان فى كتابه السابق صفحة ٦٢٠ .

وكان تناول يهودا اللاوى لمفهوم الخلاص فى كتاب الخوزى(٩) لايخلوا من التعصب لبنى جنسه ، ويتلخص مفهومه له فى أن البشرية جميعا تمثل أرضا خصبة قد أعدت لغرس أعظم بذرة فيها وهى شريعة موسى . أما النتاج الروحى لذلك فهو قدوم المسيح الذى سيجلب الخلاص معه وينهى العذاب والاضطهاد . ويرى اللاوى أيضا أن المعاناة وطول الشتات لايعنى أن الرب قد نسى اسرائيل بل أن ذلك كله تمهيدا من الرب وأختيارا منه لمعرفة قدرتهم على تحمل المعاناة ليصبحوا جديرين بقدوم المسيح(١٠) .

ويتناول موسى بن ميمون لمفهوم الخلاص فى كثير من مؤلفاته ويجعل من قدوم المسيح اليهودى أمرا حتميا ويدعو كل يهودى الى انتظاره مهما تأخر(١١) ، وقد وصل تطرف موسى بن ميمون فى اعتقاده بمجىء المسيح اليهودى وعصر الخلاص الى أن جعله ركنا أساسيا من الايمان بالعقيدة اليهودية وذلك بالرغم من أن مفهوم الخلاص لم يأت فى التوراة ولم تشر اليه شريعة النبى موسى .

ومع ذلك فإن موسى بن ميمون يتناول قدوم المسيح مبتعدا عن العناصر الاسطورية التى كانت تغلف فكرة الخلاص فى عصره وعصر من سبقوه .

فموسى بن ميمون لايعرف أى شىء عن ذلك المسيح المحارب المحدد فى شخصية المسيح بن يوسف ، ولانجد غرابة فى ذلك حيث أن الدور الملقى على ابن يوسف وهو الأخذ بالثأر لاسرائيل من أعدائها ومشاركته فى الحروب الأسطورية بين اسرائيل والأمم الأخرى لا أهمية له عند موسى بن ميمون الذى لم يتناول أيا من تلك العناصر فى حديثه عن الخلاص . فقد كان يعتقد أن الخلاص عصر سيأتى فى مسار التاريخ وحدث يتم فى هدوء بعيدا عن أى كوارث وعلامات للظهور ، ومن هنا فهو لم يجد أى ضرورة لظهور سريع ، ثم اختفاء أسرع لتلك الشخصية العسكرية بعد أن تخلص من السبب الرئيسى لوجودها .

أما عناصر الايمان بقدوم المسيح عند موسى بن ميمون فهى نفس العناصر المكونة له عند الانبياء فيشير الى أن التوبة شرط أساسى لمجىء المسيح ، ويرى بضرورة تحول اسرائيل الى طريق الرب والتمسك بالشريعة لينفذ الله وعده لهم بالخلاص فيقول : « إننا مطالبون باتباع التوراة والشرائع فى كل العصور ، وبعد أن نفعل ماهو متوقع منا ويجدنا الرب ويجد أحفادنا مستحقين بدرجة كافية لقدوم المسيح ، فانه سوف يرسله لنا ، ومع ذلك فاننا لن نخسر شيئا اذا لم يحدث ذلك(١٢) .

---

(٩) كتاب الخوزرى : يعرف أيضا بكتاب الحجة والدليل فى نصرة الدين الذليل يرجع زمن تأليفه الى حوالى ١١٣٠ . ويتناول فيه اللاوى الدفاع عن اليهودية فى مقابل الاسلام والمسيحية (النصرانية) فى اطار قصصى

(١٠) يهودا اللاوى : كتاب يهود الخوزرى طبعة الخوزرى ١٩٧٠ صفحة ٢٦٦ .

(11) Lowits,j : Principles of the Jewish faith P.405

(١٢) تناول موسى بن ميمون عناصر الايمان باليهودية فى كتابه « يد حازاقاه »

لكن حسداى كرسكس يعارض موسى بن ميمون لانه جعل من العقيدة المسيحانية عنصرا أساسيا من عناصر الايمان باليهودية ، لكن ذلك لايعنى أنه ينكر مجىء المخلص وعصره بل هو يضع الايمان بمجىء المملكة المسيحانية فى مرتبة أقل من أن تكون عنصرا أساسيا للايمان باليهودية(١٣) .

ويتسم تناول حسداى كرسكس لعقيدة المسيحانية بالتخلص من الأسطورية والعناصر المدمرة وخاصة فيما يتعلق بعلامات قدوم المسيح والكوارث التى تسبق قدومه فهو لايتحدث عن مخاض ولادة المسيح ، كما يؤكد فى كتابه « نور الرب » أنه لايملك الكثير ليقوله عن المسيح بن يوسف ولايستطيع تأكيد أى معلومات عن قدومه بالرغم من أن التلمود وغيره يؤكد على مجىء ذلك المسيح(١٤) .

ويعتقد يوسف البو فى الايمان بقدوم المسيح ، فقد أكد فى كتابه « الاسس » على حتمية القدوم وكان يعتقد بمجىء النبى ايليا (الياهو) الذى يبشر بعصر الخلاص كما أكد أيضا على عناصر السيادة العسكرية والسيطرة على التى سينعم بها اليهود فى جميع الأمم فى ذلك العصر . وأشار أيضا فى المناظرة العلنية(١٥) التى دارت بينه وبين البابا حاييم جالييابا على ضرورة تفسير نبوءات حزقيال واشعياء ودانيال على أنها تبشر بقدوم المسيح المخلص فى المستقبل ، ونفى أى احتمال لتفسير تلك النبوءات بما يتفق مع زمن كتابتها .

لكن البو كان معارضا قويا لموسى بن ميمون فى جعله الايمان بمجىء المسيح اليهودى عنصرا أساسيا للايمان باليهودية ، مؤكدا على أن الرب قد أمر بنى اسرائيل فى التوراة بضرورة الايمان بكل ماتحدث عنه الرسل والانبياء ، « لقد تحدث الانبياء كثيرا عن قدوم المخلص لكن من ينكر هذا الايمان هو فقط مجرد انحراف عن اليهودية بجزئية فقط من العهد القديم ولايمكن اعتباره كافرا بصفة مطلقة »(١٦) .

أما اسحق ابرابانيل الذى يعتبر من الجيل الأخير لأدباء اليهود فى أسبانيا فى العصور الوسطى والذى عاصر الطرد منها عام ١٤٩٢م(١٧) . فكان واحدا من أولئك الأدباء الذين تناولوا مفهوم المسيحانية معتمدا على العناصر الاسطورية والخرافية التى غلفت الفكرة فى عصر التلمود .

---

(١٣) « أور ادوناى » نور الرب . فيلنا ١٨٦٠ ص ٧٤ .
(١٤) المرجع السابق ص ١٨٢ .
(١٥) تمت هذه المناظرة فى مدينة طورطورا فى اسبانيا فى مابين فبراير ١٤١٣ ـ نوفمبر ١٤١٤ .
(١٦) يوسف البو : « سفر هميكاريم » كتاب الأسس . وارسو ١٤٧٧ صفحة ٢١٩ ـ ٢٢٠ .
(١٧) عاصرا برابانيل الطرد من اسبانيا وقد حاول عبثا ومن خلال منصبه الرسمى كوزير للمالية والاقتصاد أن يجعل الملك فرناند يلغى ذلك القرار الرسمي لكنه فشل .

فيرى ابرابانيل أن المسيح بن يوسف شخصية أساسية فى مفهوم الخلاص وعمله يتحدد فى محاربة روما فهو قائد اسرائيل فى حروبها الأخيرة وصراعها مع مضطهديها ، كما سيعمل على وضع حد للشتات الذى يعيشونه والذى عبر عنه الربانيون بمخاض ولادة المسيح ، وكان ابرابانيل يعتقد أنه يعيش فى بداية آلام ذلك المخاض كما كان يرى أن الدول الاسلامية والمسيحية هى أداة الرب لتنفيذ الخلاص الأخير الذى سيتحقق من خلال الحروب الطويلة والصراع المرير الناشىء بينهما . وقد أشار ابرابانيل فى كتابه « خلاص مسيحه » [١٨] الى الدول الاسلامية بلفظ اسماعيل كما أشار الى الدول المسيحية بلفظ عيدوم متبعا فى ذلك نفس العناصر الأساسية لفكرة الخلاص فى عصر التلمود ومؤكدا على مجىء الخلاص من خلال ذلك الصراع .

ويصف ابرابانيل مخاض ولادة المسيح بنفس الأسلوب الذى اتبعه الربانيون ، فالدمار يعم الأرض كلها ، ووباء الطاعون ينتشر بين الناس وتأتى نار لتأكل كل شىء على الأرض وينتشر الجوع وتسود الالام كل الأرض . كما تتميز فترة الكارثة التى تعم العالم بأسوأ درجات الانحطاط الاجتماعى والاخلاقى والانحلال الدينى وانتشار الهرطقة فى جميع الاديان[١٩] .

ويتضح من تصور ابرابانيل لعصر الخلاص ومملكته المسيحانية والذى تحدث عنه فى كتابه « ينابيع الخلاص »[٢٠] ذلك الغلو فى العنصرية الفجة التى تغلف أوصافه لذلك العصر المسيحانى الذى يحلم به هذا الكاتب والذى يظهر من اشاراته المتكررة « لحتمية أن يقوم المسيح اليهودى بالانتقام من الأعداء » ثم فى اسهابه فى مايتبع ذلك من رخاء لبنى جنسه فى العصر المسيحانى

---

(١٨) B. 56., 1860, Koengsberg.

(١٩) Sarachek : The Doctrine of the Jewish Messiah in Medieval Jewish Literature, P.263 — 264.

(١) ينابيع الخلاص امستردام ١٦٤٧ م ص ١٩ .

ثانيا : المثالية والاسطورية فى عصر الخلاص :

تميزت صورة عصر الخلاص فى أدب الابوكاليبس بميلها الى الصور الأسطورية كما اشتملت على كثير من العناصر المثالية وأحداث خارقة للطبيعة .

وكنا نتوقع أن ينصرف أدباء تلك الفترة عن العناصر الخرافية والأسطورية التى تحيط بفكرة الخلاص بعد تلك النهضة الفكرية التى تمتعوا بها فى العصور الوسطى وشملت جميع المجالات الثقافية والفكرية .

إلا أن السمة العامة فى مؤلفات تلك الفترة هى التمسك بالعناصر الخرافية التى تغلف أمل الخلاص حتى أن كثيرا من تلك الاوصاف تبدو لنا ساذجة وتافهة فضلا عما يغلفها من عنصرية وتعالٍ على كافة الشعوب .

فبالرغم من أن تناول سعديا جاءون (الفيومى) لكثير من أجزاء العهد القديم كان يتميز بتفسيرات عقلانية كما أنه اعتقد أن كثيرا من نبوءات العهد القديم لاتشير الى عصر الخلاص الآت فى نهاية الأيام ، وأوضح أنها مجرد انعكاس لأحداث تاريخية معاصرة لزمن كتابتها[41] ، الا أن المملكة المسيحانية بالنسبة له كان عصرا اسطوريا يتضمن الكثير من المعجزات ، فقد احتفظ بالفكرة السائدة منذ عصر الأنبياء[42] القائلة بأن الخلاص من مصر هو بمثابة نموذج للخلاص الأخير بكل مظاهره الاعجازية ، بل سيتميز الخلاص الأخير عن الخروج من مصر بحدوث معجزات أقوى وأعظم مما حدث فى عصر موسى[43] .

ويصل سعديا الى أقصى تطرف له حينما يتمرد على أى محاولة لاستنباط أى معانى رمزية أو استعارية من العهد القديم فيما يتعلق بالشكل العملى لعودة وجمع الشتات ، فلايكتفى بالاعتماد على أقوال الانبياء فى وصف تلك المظاهر بل يضيف اليها كثيرا من العناصر الخرافية .

يحدثنا عن ذلك فى كتابه الامانات والاعتقادات حين يصف العودة مؤكدا أن **اليهود سينقلون فوق السحب الى اورشليم التى تصبح مدينة المعجزات ، أما اذا اضطروا الى عبور المياه ، فانهم سيركبون فى مراكب من الذهب والفضة ، أما يهود الحبشة فسوف يبحرون فى زوارق من البردى ليتحاشوا الاصطدام بالصخور[44]** .

---

(41) كما فعل عند تفسيره لسفر دانيال ورموزه راجع Sarachek : A History of the Messiahin the Medieval Jewish Literature P.39 — 42.

(42) كما ورد فى ميخا ١٥/٧ .

(43) Kravitz : 300 Years of Hebrew Literayure, P.139.

(44) Sarachek : The Docteine of the Messiahin Medieval Jewish Literature P.43.

ولايكتفى سعديا بتلك الأحاديث الخرافية ، بل يصل فى أوصافه لهذه العودة الى جعل جميع شعوب العالم ، أغنيائها وفقرائها ، فى خدمة بنى جنسه . وهى فى مجموعها أوصاف لاتخلو من العنصرية والتطاول على الجنس البشرى كافة ، ويضع فى مخيلته صورة استعبادية لجميع البشر قائلا بأن أبناء كافة الشعوب سيكونون خداما لبنى اسرائيل وأن جميع أغنياء العالم سيقومون بنقل اليهود المقيمين فى بلادهم على جياد سريعة وعربات فاخرة ساهرين على خدمة العائدين من بنى إسرائيل ليزودوهم بكل وسائل الراحة .. أما الفقراء فسيحملون اليهود على ظهورهم وبين أيديهم . ثم ينتقل الى وصف المقيمن فى أرض فلسطين من غير اليهود ، فيجعلهم يعتنقون اليهودية لكنهم مع ذلك يعملون خدما فى المنازل . ثم يتوحد العالم كله تحت السيادة اليهودية وتعترف كل الشعوب برب اسرائيل حاكما على الجميع ويأتون اليه حاجين طائعين مقدمين من الهدايا له فى اورشليم[٢٥] .

أما الربى سليمان بن اسحق (راشى) ، اشهر مفسرى اليهود فى عصره فقد كتب عن احتواء العهد القديم على لغة اسطورية ، وقال بضرورة تفسيره بأسلوب أكثر عقلانية ، ومع ذلك فإنه لم يستطع أن يحرر نفسه من تلك الأسطورية ومن العناصر التقليدية الشائعة عند تناوله لعالم الخلاص .

فقد حاول التماس فكرة مجيء عصر الخلاص فى ألفاظ كثيرة فى العهد القديم تبعد كل البعد عن فكرة الخلاص ، لكنه يفسرها بتعسفية ليثبت صحة قوله ، فيقول عند شرحه للمزامير ٤٦/٦ ، ٩٠/٤ و٩٢/١ ـ ٣ أن كلمة ليل تشير الى ظلام الشتات الذى يعيشه اليهود ، أما كلمة صباح فتعنى فجر يوم جديد ، وهى ترمز الى الخلاص .

كما يشير راشى الى النبى ايليا (الياهو) كعنصر تقليدى من عناصر الخلاص ويربط بينه وبين المسيح بن داود ، فقد فسر آية المزمور ٤٨/٣ على أنها تشير بطريقة رمزية اليهما معا . فيقول بأن كلمة « الضوء » تشير الى المسيح بن داود وأن كلمة « الحق » تشير الى ايليا (الياهو) المبشر بقدومه[٢٦] .

أما موسى بن ميمون فتعكس مؤلفاته التى تناول فيها فكرة الخلاص ميله الواضح الى الابتعاد عن الاسطورية عند تناوله المملكة المسيحانية وعصرها .

فقد أهمل ذلك الفيلسوف كل الملامح فوق الطبيعية والخرافية لشخصية وعصر

---

(٢٥) المرجع السابق صفحة ٤٥ .

(٢٦) Silver : AHistrorg of the Messianic Spesulation P.24

المسيح ، كما عبر عن كراهيته الشديدة للأفكار والأقاصيص الخرافية والكتابات التى تناولت المسيح كما اعتقد أن العهد القديم يجمع بين المعانى الرمزية والادبية كما أن الأنبياء كثيرا ماتحدثوا بلغة استعارية خيالية[٢٧] .

وكان يرى أن الانبياء وكتاب المزامير وربانى التلمود قد جسدوا التطلع الشعبى نحو المخلص فى لهجة شعرية حماسية مؤثرة وفى أقوال مأثورة لكن مع ذلك فلم يكن لديهم أى طموح قومى ، كما أنهم لم ينشدوا بذلك أى ثروة ولم يتطلعوا للسيطرة على العالم أو حتى الانتقام من أعدائهم ، بل على العكس فقد ابتهلوا للرب ليحررهم من عبودية الأعداء ، واتبعوا تعاليم التوراة بهدف دراستها ، ولهذا فقد أصبحوا مستحقين للارتباط الروحى مع الرب فى عالم المستقبل[٢٨] .

ومع ذلك فان موسى بن ميمون يؤمن ببعض العناصر الأخرى الشائعة فى قدوم المسيح فيشير اشارات عابرة الى حرب يأجوج ومأجوج التى يعتقد بأن انتهاءها يحمل معه خلاصهم من المضطهدين ويبقى الأطهار فقط فى المملكة المسيحانية وهى مملكة تتمتع بالاستقلال فضلا عن تحسن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والدينية .

ووفقا لرأيه تستمر تلك المملكة المسيحانية ألف عام دون حدوث معجزات فلا تتوقف الطبيعة ولاتشهد أى أحداث فوق طبيعية أو معجزات خارقة

فيعتقد أن الشر والآثام سينتهى من الوجود على أنها نتيجة طبيعية لسلوك البشر الصحيح فى عصر المملكة المسيحانية الذى سيأتى نتيجة لاكتسابهم المعرفة الحقيقية لدروب الحكمة ، فمعرفة الحق تزيل الكراهية والعداوة وتمنع البشر من اقتراف الآثام .

وينكر ابن ميمون اللغة الأسطورية الواردة فى العهد القديم ويصفها بأنها لغة مشوبة بالعاطفة تصور فقط حالة سعيده سامية لما سوف تكون عليه المملكة فى العصر المسيحانى .

ويتناول موسى بن ميمون شخصية المسيح بأسلوب يبعد أيضا عن العناصر الاسطورية ، ففى خطابه المرسل الى يهود اليمن يرد فيه على مزاعم المسحاء الكاذبين ويجرد المسيح من قواه الخارقة التى تنسبها اليه بعض رؤى الأبوكاليبس ونظر الى سليل عائلة داود على أنه شخص بشرى ، وقال فقط بتفوقه فى النواحى الروحية عن البشر الآخرين ، واعتقد بأنه سيكون أكثر حكمة من سليمان ، كما أعتقد موسى بن ميمون بأن هذا المسيح سوف يحارب معركة الرب ضد الأعداء ويحرر اسرائيل وينشر فيها المبادىء الدينية والاخلاقية وبذلك تكون شخصيته قريبة من شخصية النبى موسى[٢٩] .

---

(٢٧) موسى بن ميمون ، دلائل الحائرين تحقيق د . حسين أتاى طبعة انقرا ١٩٧٤ ، صفحة ٣٦٨ _ ٣٦٩ .

(٢٨) المرجع السابق ص ٣٧١ _ ٣٧٥ .

(٢٩) jacob, : princpies of the jewish Faith, P . 382

ومع كل تلك العقلانية التى قد تظهر عند ابن ميمون فى وصفه لمفهوم المسيحانية وتخلصه من كثير من عناصره الأسطورية يؤمن بحدوث الاضطرابات التى تسبق مجىء المسيح والمعروفة باسم مخاض ولادة المسيح ، فقد كتب الى يهود اليمن مؤكدا لهم أن الاحداث التى يتعرض لها اليهود فى أنحاء كثيرة من العالم فى عصره سواء فى الشرق أو فى الغرب هى انذار واضح بمجىء مخاض المسيح ، وأملهم بالقدوم القريب للعصر المسيحانى ، ومن ناحية أخرى فقد كان يعتقد بأن حكم روما لهم يجب أن يصل الى ذروته فى اضطهادهم ثم يأتى الخلاص كمكافأة من الرب لأبناء شعبه(٣٠) .

على أى حال فان تناول موسى بن ميمون لمبدأ الخلاص كان فى مجمله يتسم بمنطقية ببعض التعقل والبعد عن الملامح الاسطورية ، فقد عمل على ازالة الهلوسة المسيحانية التى انبعثت من الصور الخيالية المستقاه من التلمود والايوكاليپس ، ووضع مفهوم قدوم المسيح فى أفكار ومبادىء متعلقة ميزته عن بنى جنسه من معاصريه .(٣١)

وكنا نتوقع أن تسود تلك النظرة المتعلقة عند مفكرى العصور الوسطى لكننا نجد عودة أخرى للأفكار الأسطورية .

فقد وضع حسداى كرسكس العقيدة المسيحانية فى مرتبة أقل مما نجده عند موسى بن ميمون فيما يتعلق بأهميتها كعنصر أساسى للايمان باليهودية إلا أنه يختلف معه فى تصوره عن المملكة المسيحانية وشخصية المسيح اليهودى

ففى رأى كراسكس - **أن المملكة المسيحانية ستستمر الى الأبد ، ويتميز عصرها بالمعجزات المتوالية ، وسيجلس ابن داود على عرشه الى الأبد فهو الحاكم الذى اختاره الرب ليحكم تلك المملكة ، وهو مخلوق يتميز بكمال غير عادى يسمو على جميع الملائكة ، ويتفوق على موسى لان الكمال الروحى والجسدى يتحدان فى شخصيته ، وهذا الاتحاد يجعل منه شخصية تتفوق فى جميع النواحى ويجعله أعظم حتى من الملائكة التى تمتلك الكمال الروحى لكن يعوق حركتها عدم وجود جسد لها ، كما أكد كرسكس أيضا على مجىء الياهو ونسب اليه مهمة احياء الموتى فى آخرة الأيام(٣٣) .**

ويؤكد أبرابانيل على مجىء عصر الخلاص ويضع على المسيح آمالا عظيمة

---

(31) Serachek : The Doctrine of the Messiah P. 152.

(٣٢) موسى بن ميمون : دلائل الحائرين . تحقيق حسين اتاى

(٣٣) كرسكس : نور الرب صفحة ٧١ - ٧٢ .

لتحقيق معجزات عصر الخلاص الأسطورية ، متبعا نفس أقوال التلمود والعهد القديم كما يدعى أن المهمة الأساسية التى سيقوم بها هذا المسيح تتمثل فى جمع الشتات ومحاربة الاعداء وتدميرهم(٣٣) .

لكن ابرابانيل يعتقد أن المسيح لن يكون إلها أو ابن اله ، بل أنه واحد من البشر لكنه سيصل فى كماله الى مالم يصل إليه أى فرد من قبل فتجتمع فيه القوى الجسدية والتقوى والذكاء والقيادة الروحية . ويصل ابرابانيل بمسيحه الى ذروة الكمال حين يجمع فى شخصيته كل صفات أنبياء وحكماء بنى اسرائيل ، فيجعله يتفوق على ابراهيم فى شهامته ، وعلى موسى فى قيادته لشعبه .. كما يجعله يتصف بعظمة داود ويمتلك حكمة سليمان وتقوى حزقيال أما شخصيته فهى أقوى من شخصية النبى حزقيال .

أما العصر المسيحانى ، فيمثل لابرابانيل فترة فاصلة بين العالم الحالى وعالم المستقبل ، كما يعارض موسى بن ميمون الذى ينفى حدوث معجزات فى العصر المسيحانى ، ويرى أن ذلك يتعارض مع مايعتقده عن الكمال الخارق لشخصية المسيح ويعتقد ابرابانيل بأن الرب نفسه سيتجلى من خلال معجزاته ، ويصف الخلاص بأنه أعظم من معجزة الخروج من مصر لأن الرب سينقذ بنفسه بنى اسرائيل ويؤدى أمامهم معجزاته ، ويعيد اليهم النبوة مرة أخرى ، وينتهى الفقر ، وتصبح المملكة فى عصر الخلاص أمة أعظم من كل الأمم فى العصر المسيحانى كما لو كان قد أعيد خلقه بكل مافيه وكل خصوبته وبراءته وكما له قبل خطيئة آدم(٣٩) .

وبعد أن عرضنا لفكرة الخلاص والعناصر المكونة لها فى فترة العصور التى تشتمل على مايقرب من سبعة قرون (من القرن التاسع حتى القرن السادس عشر) نخلص إلى أن الحروب والاضطرابات التى شهدتها الدول الاسلامية فى القرون الوسطى - والتى جاءت على يد الحملات الصليبية - بما كان تحمله معها من آمال ألفية بظهور عيسى بن مريم ، كما جاءت نتيجة للصراع الذى نشب بين المسلمين والمسيحيين الأسبان فى الأندلس - كانت سببا مباشرا فى احياء مفهوم المسيحانية حيث تم تفسير تلك الاضطرابات والحروب بنفس التفسير الذى وجدناه فى عصر التلمود - كما رأينا على أنها تمثل مجموعة من الكوارث الشاملة والاضطرابات العامة التى سوف تسبق مجىء عصر الخلاص وتشير الى قرب مجىء المسيح المخلص والتى عرفت باسم « مخاض ولادة المسيح »

---

(٢) ابرابانيل : خلاص مسيحه : امستردام سنة ١٩٤٧ صفحة ٣١

Serachek : The Doctrine of the Medieval Jewish Literature, P.316.

وتوضح لنا تلك النماذج المتنوعة لمؤلفات تلك الفترة بفروعها المختلفة أن مفهوم المسيحانية فى العصور الوسطى **تتضمن نفس العناصر التقليدية الشائعة فى فكرة الخلاص فى عصر التلمود والتى يمكن تضنيفها فى عنصرين رئيسيين : عنصر الكارثة المدمرة التى تسود العالم قبل مجىء المخلص وعنصر المثالية والأسطورية التى يتصف بها عصر الخلاص فضلا عن علامات قدوم المسيح الأخرى كقدوم المسيح بن يوسف وظهور ايليا (الياهو) مبشرا بعصر الخلاص** .. الى غير ذلك مما سبق عرضه هنا ، وقد كان تناول الخلاص متضمنا تلك العناصر هو السمة العامة بين المفسرين الأدباء والشعراء وان ظهر ذلك بصورة خاصة فى كتابات سعديا جاءون (الفيومى) ، واسحق بن سليمان (رأشى) وابرابانيل . **وقد أدى تمسكهم بتلك العناصر التقليدية أن ظهرت فكرة الخلاص فى مؤلفاتهم لاتتميز بأى تطور أو أفكار جديدة . بل تعتمد على ذلك التطور الذى تميزت به الفكرة فى أدب الرؤى منذ القرون القليلة قبل الميلاد .**

وبناء على ما سبق ، يتأكد لنا أن السبب الحقيقى وراء استمرار الاعتقاد فى مجىء الخلاص يرجع الى احتواء فكرة الخلاص منذ نشأتها على عنصرين ، وان كانا متناقضين ، إلا أنهما متلازمان ، **فأمل الخلاص يتضمن وصفا لحالة الفشل الشاملة السائدة فى زمن ما ، ثم تقابلها حالة أخرى تتصف بالنجاح والاستقرار والسلام الشامل والتى يأمل المرء فى أن تعقب ذلك الفشل الذى يعيش فيه ، وقد جعل ذلك من فكرة الخلاص موضوعا يمكن أن يستوعب داخله أى حدث واقعى مؤلم ، وأى أمل فى مستقبل أفضل قادم .**

وكان مما ساعد على ذلك تلك المرونة الكامنة فى النصوص الدينية التى تناولت فكرة الخلاص بحيث يمكن تفسيرها بسهولة على أنها تنطبق على أحداث مختلفة فى كل زمان وفى أى مكان .

الباب الثالث

الفصل الثالث

المتصوفة اليهود (القبالاه) وحسابات مقدم المسيح

المتصوفة اليهود « القبالاه » :

شهدت السنوات الأخيرة من القرن الثانى عشر الميلادى حملات عنيفة من بعض المفكرين اليهود ضد إدخال الفلسفة فى الفكر الدينى وذلك لما لمسوه من تعارض بين الفلسفة وبين الأفكار الواردة فى العهد القديم والتلمود ، ووصل الأمر ببعض رجال الدين إلى تحريم قراءة المؤلفات الفلسفية واعتبروا أن بعض ما جاء فيها نوع من الزندقة والكفر بالعهد القديم والتلمود (١) .

ويشير عدد من باحثى اليهودية (٢) أن ذلك كان بمثابة بداية للانحدار الثقافى وأن تلك القيادات المعارضة لتناول اليهودية فى اطار من الفلسفة وأفكارها قد أدى إلى هجر العقلانية التى تميز بها بعض مفكرى العصور الوسطى وخاصة فيما بين القرن التاسع والثانى عشر ، كما انسحب ذلك أيضا على كل مجالات الفكر وأدى إلى إضمحلال الشعر والتفاسير والفلسفة والآداب العلمانية (٣) .

إلا أن أولئك المعارضين للتيار الفلسفى حاولوا البحث عن وسيلة أخرى لمعرفة ماهية الرب وكيفية خلق العالم ... وقد انتهى ذلك إلى ظهور القبالاه التى لقيت انتشارا عظيما بين أدباء اليهود ، وأضفت أفكارها الجديدة بتأثيرها الواضح على الأدب والفكر فى تلك الفترة .

وكانت فكرة الخلاص احدى الأفكار التى تناولتها القبالاه على ضوء من تلك الأفكار الجديدة ، وكان ذلك بمثابة نقطة تحول عظيمة فى فكرة الخلاص فى العصور الوسطى ثم فى العصر الحديث مما يجدر تناوله فى دراستنا لفكرة الخلاص عند اليهود .

وقد رأينا هنا ضرورة أن نعرض الملامح الرئيسية والأفكار العامة للقبالاه قبل أن نتناول أثرها على فكرة الخلاص .

---

1) Dewitch : A History of the Jewish, London 1962 P·63·
2) Silver : A History of the
Messianic Speculation P· & Sarachek : نفس المرجع السابق Dewitch كما يرى كل من
The Doctrine of the Messiah in Medieval Jewish Literature P·91· وغيرهم
3) Silver : A History of The Messianic S-eculaion in Israel p·110·

: تعريف بالقبالاه [٤] وأهم أفكارها :

يعرف جرشوم شولم القبالاه بأنها تتضمن مجموعة من الأفكار المنفصلة غير المترابطة والتى تصل فى بعض الأحيان إلى حد التعارض الكامل "فبالرغم من أن المؤمنين بتلك الأفكار كانوا يختلفون فى تفسير المضامين الفلسفية التى تناولتها القبالاه إلا أنهم ينظرون إلى القبالاه فى إطارها العام على أنها نوع من التأملات الصوفية فى اليهودية [٥] .

ويرجع تاريخ تبلور الأفكار الرئيسية للقبالاه إلى منتصف القرن الثانى عشر وقد عرف أصحابها وأتباعهم باسم « همقوباليم » أى القباليون وكانوا يشيرون إلى أنفسهم بأنهم « العارفون بالعدل والرحمة » .

ويعد ابراهام بن داود (١١١٠ ـ ١١٨٠م) من أوائل مؤسسى القبالاه ، وكان فى بداية ظهوره مدافعا عن الربانية ، وحاول فى كتابه العقيدة السامية علاج موضوع العلاقة بين الدين والفلسفة مؤمنا بأن اليهودية ليست فى حاجة إلى الفلسفة لأنها لاتشتمل على تلك الأفكار المتضمنة فى الفلسفة .

إلا أن الفضل فى إنتشار أفكار القبالاه وبداية ظهورها فى الفكر والأدب يرجع إلى اسحق الأعمى فى القرن الثالث عشر حيث بدأت أفكار تطغى على كل التفاسير التى تناولت العهد القديم وأدى ذلك إلى زيادة الاتجاه نحو الباطنية فى التفاسير والميل إلى الأسطورية والخيال [٦] .

وقد تميزت القبالاه بوجود اتجاهين رئيسيين فى تناول الأفكار والمضامين الواردة فيها وهما :

أ ـ إتجاه نظرى ويسمى قبالاه عيونيت .

ب ـ إتجاه عملى ويسمى قبالاه شيموشيت .

إزدهر الاتجاه النظرى فى أسبانيا وجنوب فرنسا ، وحاول أصحاب هذا الاتجاه أن يكشفوا للانسان عن أفكار الكون وأسراره والكيفية التى يستطيع بها الانسان إختراق ذلك الغموض لمعرفة ماهية الخلق والرب مستخدمين فى ذلك العهد القديم ومحاولين الكشف عن اسرار الحروف والكلمات المتضمنة فيه [٧] .

---

(٤) كلمة عبرية مشتقة من الفعل قاقل بمعنى قبل أو استلم ، وتخبرنا دائرة المعارف البريطانية (المجلد الرابع صفحة ٥٣٦) بأن نفس التسمية كانت تطلق على جزئى الأنبياء والمكتوبات فى العهد القديم كما كانت تطلق على التلمود أيضا تطلق على الأشكال المتطورة من التصوف إلى جانب مدلولها على الباطنية .

5) Scholem, G· : Kabbalah : An Essay in the Ency· Judica Vol·10, P·556·

6) Silver, H· : A Hostory of the Missianic Speculation P· 82·

7) Karvitz, Nahaniel : 300 years of Hebrew Literature From the Earliest Time Through the 20 th Century, Chicago 1972, P· 34·

أما أصحاب الاتجاه العملى فهم يعتمدون على الممارسات العملية للوصول إلى تلك المعارف أكثر من التأملات النظرية . وكان أصحاب هذا الاتجاه يعتقدون أن بامكانهم التحكم فى قوى الطبيعة . وقالوا بأن الانسان قادر على حماية نفسه ضد المرض والاعداء وذلك عن طريق الصلوات والابتهالات والتقرب إلى الله . كما اعتقدوا أن الحروف العبرية بدلالتها الرقمية تحتوى على قوى خفية غريبة تكشف عن نفسها للقباليين . لذلك فقد شاع استخدامهم لحروف العبرية فى عمل التمائم والتعاويذ حتى أصبح أصحاب هذا الاتجاه يعيشون فى عالم من الخرافة والأساطير ، وقد انتشر هذا الاتجاه فى الغرب وفى المانيا بصورة خاصة (٨) .

ويعتبر كتاب الزوهر هازوهار كتاب القبالاه الأساسى الذى يرجع بداية ظهوره إلى أواخر القرن الثالث عشر وهو يتضمن التفاسير التى تناولها القبالاه باتجاهيها العملى والنظرى .

وكتاب الزوهر كتاب مجهول المؤلف كما أن زمن تأليفه غير معروف بطريقة موثوق بها حتى الآن ، إلا أن الفضل فى نشره يرجع إلى موشيه بن شيم طوف (٩) الذى إدعى أن الكتاب كان محفوظا فى مكان سرى وأنه اكتشفه بطريق الصدفة ، وقد حكيت كثير من الأساطير حول الزوهر ، كما لقى معارضة فى بداية ظهوره ، حيث نظر اليه بعض الربانيين بشك وريبة الا أنهم أجازوا دراسته فى القرن السادس عشر وقد جاء ذلك على يد إسحق لوريا الذى كان أهم قبالى عصره كما سنرى .

ويتخذ الزوهر فى تفاسيره أربعة مناهج هى :

١ - بشاط أى التفسير الحرفى أو البسيط .

٢ - ريميز التفسير الرمزى أو التأويلى .

٣ - دروش التفسير عن طريق الشرح .

٤ - سود التفسير السرى .

ويشير كتاب الزوهر إلى أن الاطار العام للقبالاه ينحصر فى أن الوجود يتكون من عنصرين هما الوجود المادى المتجسد فى مكونات الكون . ثم دروب من الاشعاع صادرة من الرب وهى الواسطة بين الكون وبين الرب . وهذه الدروب تسمى سفروت .

ويقسم الزوهر دروب الاشعاع الصادرة من الرب « سفروت » إلى ثلاث مجموعات تتكون كل مجموعة من ثلاثة عناصر هى :

---

(٨) المرجع السابق ص ٢٤٣ .

(٩) يعرف ايضا باسم موسى الليونى Moshe de Lion (١٢٥٠ - ١٣٠٥م) وقد نسب تأليف كتاب الزوهر الى الرابى شمعون بن يوحياى الذى عاش فى القرن الثانى الميلادى ونسبت اليه مؤلفات كثيرة أخرى فى العصور السابقة واللاحقة على ظهور الاسلام (راجع الفصل الثانى من نفس الباب) . وقد كان تحمس موسى بن شيم طوف لكتاب الزوهر سببا دعا الى الاعتقاد بانه المؤلف الحقيقى له راجع .
Scholem : Major Trends in Jewish Mysticsm, Jerusalem, 1941, P. 159.

١ـ كيتير أى التاج : ويمثل المرحلة الأولى من عملية الخلق . وتتضمن هذه المجموعة عناصر فرعية هى « حوخماه » الحكمة « بيناه » الفهم . وبتزاوج الحكمة (العنصر المذكر) مع الفهم (العنصر المؤنث) نتج ميلاد المعرفة ديعاه وهذه المجموعة الأولى تمثل القوة المفكرة فى الكون .

٢ ـ ومن إشعاع تلك القوة المفكرة ظهرت قوة أخرى هى القوة الخلقية للعالم وتتكون بدورها من ثلاثة عناصر هى « حيسيد » حب « جيبروراه » قوة « تفئيريت » الجمال الذى نتج فى الكون من تزاوج الحب مع القوة .

٣ ـ ويمثل العالم المادى العنصر الثالث ويتكون من « نيتسح » النصر و « هود » المجد و « يسود » الأساس الذى نتج من تزاوج النصر مع المجد(١٠) .

ويتحدث الزوهر عن الارتباط الوثيق بين تلك الدروب من الاشعاع وتأثير بعضها ببعض وارتباطها بالعالم المادى . كما يشير الزوهر أيضا إلى أن القباليين كانوا ينظرون للانسان على أنه صورة مصغرة للعالم كما تصوره سلفا ، حيث يكمن فيه العالم العلوى السامى والعالم السلفى المادى :

فجسم الانسان يمثل تلك الدروب الثلاثة السالفة الذكر وعلى النحو التالى :

١ ـ نيشماه أى النفس : وهى أعظم جزء فى الانسان وتقابل أول مجموعات الدروب السالفة .

٢ ـ روح أى الروح : وهى مستقر الاخلاق وتمثل المجموعة الثالثة من دروب الاشعاع .

٣ ـ نيفيش أى الحيوية : وهى تتصل بالحياة المادية وتقابل المجموعة الثالثة من دروب الاشعاع .

ويمكن للانسان تأدية واجباته الكثيرة فى هذه الحياة بتعاون تلك المجموعات الثلاث أما مهمة الانسان الأساسية فهى المحافظة على العلاقة والتعاون مع مجموعات تلك الدروب وذلك يتحقق للانسان عن عبادة الرب وكمال الأخلاقيات (١١) .

ويعتقد القباليون أن أى ممارسة للطقوس الدينية تجد صداها فى العالم العلوى ، وأن أى عمل يؤدى إلى توطيد العلاقة مع الرب من شأنه أن يؤدى إلى ثواب الروح ، أما العمل السىء فتكون نتيجته عقاب الروح فى الآخرة .

أما التوراه ، فيرى الزوهر أنها تمثل مخطط الرب للخلق كله لذلك يجب على كل فرد من بنى إسرائيل دراستها ومعرفة أسرارها . لأن كل كلمة منها تمثل رمزا ، وكل علامة أو نقطة فيها تحوى سرا داخليا ، ومن هنا أصبحت النظرة الباطنية والسرية هى السائدة فى تفاسير التوراه (١٢) .

---

10) Scholem, G. : Kabbalah : An Essay in the Ency . Judica Vol. 1O P. 57o — 571.

1) Episten, I. : Judaism : A Historical Presentaion, Penguin Books, London, 1974, P. 233.

(١٢) المرجع السابق ص ٢٤٠

ومن هنا جاء اعتقاد القباليين فى سرية الحروف العبرية واحتوائها على معانى وقوى غريبة خفية ، وقد لقيت هذه الأفكار رواجا كبيرا بين كافة فئات اليهود وادعى البعض أنه قادر على استخدامها فى التأثير على القوى الخفية التى تسبب الضرر للانسان أو تجلب له الخير ، فاستخدموها فى عمل التمائم والتعاويذ .

فكرة الخلاص من القبالاه :

يجدر بنا الآن أن نقوم بمحاولة لتحديد موقع فكرة الخلاص من افكار القبالاه كما يمثلها كتاب الزوهر متتبعين خطوات التطور الأخرى التى حدثت على فكرة الخلاص فى القرن السادس عشر الميلادى .

توضح لنا تلك الفكرة العامة السالفة عن أهم أفكار القبالاه كما هى واردة فى الزوهر أن القباليين الأوائل ـ وقبل الطرد من أسبانيا ـ كانوا يصبون اهتماماتهم أساسا حول كيفية بداية الخليقة محاولين الوقوف على مكوناتها الأولية وجذورها الأساسية مؤكدين على أهمية معرفة درجات السلم التى تهبط عليها المخلوقات من منبع الخلق ـ أى من عند الرب ـ حتى تصل إلى المحيط الخاص بكل مخلوق ومعرفته بسر بدايته ومن أين جاء النقص فى هذا العالم ، معتقدين أن كل تلك المعارف يمكن أن تجعلهم على معرفة وثيقة بالموطن الذى هبط منه الانسان .

وبالرغم من أن تلك الأفكار كانت على العكس تماما مما تحدث عنه آدباء الاپوكاليپس الذين كانوا مهتمين أساسا بنهاية العالم وآخرة الأيام التى آسرفوا فى وصفها بكل المثاليات ، لا علاقة لها بالعالم الحالى أو ببداية خلق العالم ، الا ان الزوهر يتبع فى حديثه عن الخلاص نفس آراء التلمود وبعض رؤى الاپوكاليپس .

فالخلاص فى الزوهر لاعلاقة له بالتقدم الداخلى للعالم ، بل هو معجزة خارقة تؤدى إلى خلاص العالم عندما يظهر المسيح ويشع بضوئه على العالم بآركانه الأربعة (١٣) .

ومصير الشعوب والأمم الأخرى هو نفس ما تحدث عنه الاپوكاليپس وأحبار التلمود من استعلاء والرغبة فى تدمير كل من هم غير بنى إسرائيل ، ولكنه يظهر لنا فى القبالاة بطريقة عكسية حيث يدعى القباليون أن كافة شعوب الأمم الأخرى يتلقون ضياءهم فى هذا العالم دفعة واحدة ، إلا ان ذلك الضوء ينسحب عنهم تدريجيا حتى تقوى إسرائيل وتدمرهم . وعندما تذهب روح الدنس عن العالم ويشيع نور الرب على إسرائيل ، حينئذ ستعود كل الأشياء إلى أصولها الأولى فى حالة الكمال التى كان عليها الكون فى بداية الخليقة(١٤) .

13) Kabbalah : An Essay in the Ency . Jucica P.

(١٤) المرجع السابق ص ٥٣٩ .

يقول جرشوم شولم تعكس لنا مؤلفات القبالاة التآتير المستمر الواضح بعنصر الابوكاليبس ، كما تمثل بعض أجزاء النتاج هذا استمرارا للاداب القديمة ذلك لأن القباليين المبكرين ـ منذ القرن الثالث عشر وحتى الطرد من أسبانيا ـ لم يكن لديهم الا عناصر قليلة جدا لاضافتها على الأسطورة الشائعة عن الخلاص [١٥] .

ويشتمل الجزء الأخير من الزوهر على نبوءة رمزية بتحرير إسرائيل من كل القيود التى وضعتها التوراه عليها فى السبى، ويعبر المؤلف عن ذلك فى رؤى تخيلية فى حديثه عن شجرة الحياة وشجرة المعرفة .

فشجرة الحياة شجرة مقدسة بكل مافيها لا يختلط فيها أى شر أو دنس أو موت وهى الشجرة التى كانت تحكم العالم لكنها فقدت أهميتها منذ خطيئة آدم .

أما شجرة المعرفة فهى شجرة تحتوى على كل من الخير والشر والطهارة والدنس والفضيلة والرذيلة ، وهى الشجرة التى يستمد منها الموت وجوده وعلى ذلك فهناك كثير من الأشياء تحت حكمها ، بل هى الشجرة التى تحكم العالم .

ثم يربط المؤلف بين العالم غير المحرر والتوراه ، فهو العالم الذى تظهر فيه التوراه على صورة وصايا سلبية وايجابية بكل ما تتضمنه . وفى العالم غير المحرر يجب تفسير التوراه بطرق متعددة أدبية واستعارية وصوفية ، لكن فى المستقبل المحرر ستختص كل من الرذيلة والدنس والشر والموت ، وفيه أيضا تتجلى التوراه فى روحانية ظاهرة لشجرة الحياة .

ويبدو لنا هنا أن ذلك التصور الرمزى الذى يلجأ إليه المؤلف هنا إنما يعتمد على نفس فكرة الثنويه التى عبر عنها أدب الابوكاليبس لهذا العالم أو العالم الحاضر والعالم القادم أو عالم المستقبل[١٦] .

فشجرة الحياة تقابل العالم القادم ، وشجرة المعرفة تقابل هذا العالم . ويتميز كل من العالم القادم وشجرة الحياة بخلوهما من الدنس والموت والخطيئة ، وفيهما يكمن الخير والطهارة والوجود الأبدى .

كما أن شجرة الحياة هى الشجرة التى كانت تحكم هذا العالم لكنها فقدت أهميتها بخطيئة أدم الأولى وبذلك انتقل حكم العالم الى شجرة المعرفة التى يكمن فيها الخير والشر ويستمد منها الموت وجوده ، لكن شجرة الحياة ستحكم العالم مرة أخرى بعد ان يتطهر من الدنس والشر العالق به .

---

15) Scholem, G. : The Messianic Idea in Kabbalism : An Essay in the Messianic Idea in Judaism, P. 39

(١٦) راجع عقيدة الثنوية وأدب الأبوكاليبس الفصل الأول من الباب الثانى

ونفس الفكرة نجدها فى الابوكاليبس عن عالم المستقبل فى مقابل عالم الحاضر فقد ترك الرب « هذا العالم » للشيطان فأصبح عالما دنسا يكمن فيه الموت وينتشر فيه الشر والخطيئة لكن الرب سيعود لحكمه مرة أخرى بعد هزيمة الشيطان ليحكم حكما ابديا وينهى الشر من العالم ويلقى فيه البشر السعادة الأبدية .

وكان الطرد من أسبانيا (١٤٩٢م) عاملا هاما فى تطوير القبالاة ، فقد كان اهتمام القباليين الأوائل ـ كما رأينا ـ منصبا على اعادة تفسير عناصر اليهودية محاولين الوقوف على علاقة الرب بالانسان ، وعلاقة الانسان بهذا العالم ، محاولين الوصول الى تصور صوفى للكيفية التى تم بها خلقه ، وكان كل ذلك يرتبط بالخلاص ارتباطا تلقائيا حيث ان الخلاص لم يعد هدفا فى حد ذاته ، بل أصبح الهدف هنا هو معرفة البداية ليستطيع كل فرد أن يصل اليها مرة اخرى .

ثم جاء الطرد من أسبانيا ، فتعامل اليهود مع تلك الحادثة كما لو كانوا يتعاملون مع اى حادثة مشابهة لها فى الماضى وكان القباليون يؤمنون بأن الخلاص وشيك ووضعوا الحسابات المختلفة لمجيئه القريب (١٧) ، وفسروا الطرد من اسبانيا على انه بدايات لآلام مخاض المسيح التى تنهى التاريخ وتبشر بالخلاص .

وكان ابراهام بن اليعزر هاليفى من ابرز القباليين الذين امنوا بمجئ الخلاص الوشيك ، فادعى ان آلام مخاض المسيح قد بدأت بالفعل عام ١٤٩٢م وأنها ستصل الى ذروتها فى عام ١٥٣١م وهو العام الذى حدده لظهور المسيح ولقى ذلك تأييدا من أبرابانيل أيضا (١٨) .

كما ظهرت مؤلفات أخرى مجهولة المؤلف مثل كف هبخوريت أى "معلقة البخور" ويدعى فيه المؤلف ان لكل اية من آيات التوراه سبعين معنى يكشف الله عن معنى واحد من هذه المعانى لكل جيل ، وفى جيلنا ـ أى جيل المؤلف ـ فإن التوراه ستكشف عن المعنى المتعلق بالخلاص وعلى هذا يمكننا فهم كل آية وتفسيرها على انها تشير الى الخلاص (١٩) .

لكن الخلاص لم يأت ، وتكرر ما كان يحدث فى كل التجارب السابقة التى شهدت مسحاء كاذبين . وانتشرت خيبة الأمل ، لذلك تحولت الجماهير عن هذا الخلاص القريب الى حين ، وانصرفوا عن تحديد سنوات تشير الى قرب مجيء الخلاص على يد المسيح المنتظر وشغلوا أنفسهم بالبحث عن اصل مشكلة الشتات واسبابه وطبيعة عالمه .

ومن ذلك الحين اخذت فكرة الخلاص تزداد اهمية ، وحاول القباليون الأسبان البحث عن تفسير صوفى للطرد من اسبانيا وطبيعة مرحلة الشتات وعلاقة ذلك كله بمرحلة الخلاص .

---

(١٧) انظر الفصل الرابع من نفس الباب

18) Sarachck, J. : The Doctrinc of the Messiab in Medieval Jewish Literure P. 244.

(١٩) قام ذلك المؤلف المجهول بتفسير سفر المزامير على انه اناشيد للمعركة الأبوكاليبنيه الأخيرة مستندا الى فكرته السابقة ببدء آلام مخاض المسيح معتقدا انها انشودة المحاربين فى تلك الحرب الأخيرة .

وقد جاء ذلك التفسير فى ما بين ١٥٤٠ ـ ١٥٨٠م على يد مجموعة صغيرة من القباليين الأسبان الذين تمركزوا فى مدينة صفد (بفلسطين) ، وكان من اشهرهم اسحق لوريا Isaac Loria الذى لقب نفسه بـ "آرى" ، وذاعت أفكاره بين جميع القباليين ، وتبعه فيها كثير من معاصريه ومن أتوا بعده ، وهى القبالاة التى نسبت اليه وعرفت فيما بعد باسم قبالاة لوريا او قبالاة آرى . ووفقا لآراء لوريا فان البحث عن الكيفية التى تم بها الخلق يمكن أن تكشف عن معرفة الكيفية التى سيحدث بها الخلاص.

لذلك يتحدث لوريا عن الكيفية التى تمت بها الخلق ، فكان يرى أن الرب قبل أن يخلق أى شىء فى الكون ، يجب ان ينكمش داخل نفسه ـ ويعرف هذا الانكماش فى العبرية باسم تسمتسوم وبعد ذلك يقذف الرب بأشعة ودروب من نوره الذاتى ـ والتى تعرف باسم سفروت كما تقدم ـ أما المرحلة التى يتم فيها قذف تلك الدروب فهى مرحلة الفيض الالهى على الكون ـ وتعرف باسم أتسيلوت فى العبرية (٢٠) .

وقد وضع لوريا أهمية قصوى على كل من الانكماش والفيض قائلا أنه بدون الانكماش يعود كل شىء للرب مرة أخرى ، كما أنه بدون الفيض لايمكن أبدا لأى شىء أن يوجد ، وعلى هذا فان وجود هاتين القوتين المنعكستين هو الذى يؤدى إلى الخلق(٢١) .

ونتبع أفكار لوريا فنعرف أنه يعتقد بأن الرب قد أراد أن يكشف عن نفسه فى قوته وصفاته المختلفة بأن يكون الخلق والكون من قوته ، لذلك فقد أنشأ أوعية ليظهر نفسه من خلالها ، ثم أدخل الأشعة والدروب المنبثقة منه سفروت فى هذه الأوعية لتتخذ أشكالا تتناسب مع عملها فى مرحلة الخلق الا أن هذه الأوعية لم تتمكن من الاحتفاظ بالضوء فتكسرت وتحطمت وهى المرحلة التى تعرف فى قبالاه لوريا باسم التحطيم أو الانكسار شقيراه ، وكانت نتيجة هذا الانكسار أن إنتشر النور الالهى وتشتت وعاد جزء كبير منه إلى مصدره الأصلى ، وسقطت أجزاء أخرى لأسفل وذهب البعض الآخر لأعلى .

ثم تفسر قبالاة لوريا حالة الشتات على ضوء من مرحلة الانكسار ، فمنذ الوقت الذى حدث فيه هذا الانكسار لم يعد فى الكون أى شىء كاملا متكاملا فالنور الالهى الذى كان يجب أن يستمر فى مكان مخصص له ، أى فى الأوعية التى صنعها الرب ، لم يعد فى مكانه الصحيح لأن الأوعية تحطمت ، وبالتالى فقد إنحرف كل شىء عن مكانه المحدد له وهذا يعنى ، وفقا لقبالاة لوريا وأتباعها ـ أن كل المخلوقات قد أصبحت فى شتات دائم ـ وهو ما يعرف باسم جالوت فى العبرية لـ وهى حالة مستمرة وتنسحب على الكون كله .

2o) Scholme, G. : Kabbalah : Articl in the Eney. Judica, Vol. 1O, P. 558

21) Seltzer, R·M· : Jewish People Jewish Thought, Macmillan Publishers, U·S·A· 1980, 464·

ثم تأتى المرحلة الأخيرة وهى مرحلة إصلاح ذلك الانكسار واكتماله فى صورته الأولى وتعرف باسم تيكون ، وهى مرحلة يجب أن تتم لكى تعود كل الأشياء إلى مكانها الصحيح والى حالتها الأصلية . وهنا نجد أن لكل من الرب والانسان دورا فى تلك المرحلة الأخيرة ، فقد بدأ الرب فى مرحلة الاصلاح بعد حدوث الانكسار مباشرة ، لكنه ترك للانسان مهمة إستكمالها ، ولو لم تكن خطيئة آدم الأولى لكان العالم يعيش منذ بداية الخلق فى عالم الخلاص ، عالم الاكتمال والاصلاح دون الحاجة الى التدرج فى مراحل أخرى على الاطلاق . ذلك لأن خطيئة آدم الأولى كانت السبب فى إعادة الكون - الذى قام الرب باصلاح معظمه - إلى حالته المكسورة مرة أخرى وأدت تلك الخطيئة الى تكرار ما سبق حدوثه عند تحطيم الأوعية وسقط كل شىء فى الخطيئة مرة أخرى(٢٢) .

كما أن آدم كان فى بداية وجوده ، كائنا ساميا تكمن فيه كل الأرواح الصالحة ولكنه سقط من هذه المرتبة نتيجة لتشتت الومضات السماوية التى كانت متضمنة داخله ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت روحه حبيسة كما تشتت كل المخلوقات أيضا وأصبح الكون كله يعيش فى شتات كامل وتام .

وتصل قبالاة الى ذروة الاستعلاء والعنصرية وذلك حينما تربط مصير الكون كله بمصير بنى إسرائيل مدعية أن العالم الحاضر يقع فى حالة من الشتات وأن ذلك مرتبط بشتاتهم فقد إدعى أولئك المفكرون العنصريون أن شتات بنى إسرائيل بين كافة الأمم مجرد تعبير قاس عن المرحلة التى تسبق الاصلاح والخلاص فى مرحلة خلق العالم ، وأن شتات إسرائيل المستمر - بما فى ذلك الطرد من أسبانيا - لايجب تفسيره على انه أحداث تاريخية ، بل هو حالة ملازمة لها منذ بداية الخلق ، وبالتالى يجب على بنى إسرائيل أن تصلح ذلك الصدع الكونى وهو شىء يمكن ان يقوم به كل يهودى وذلك بإتباع التوراة ووصاياها ، لانها العلاج الذى يمكن عن طريقه تحرير الومضات ، كما يمكن من خلاله التمييز بين الخير والشر وصنع حد فاصل بين المناطق المقدسة والمدنسة التى اختلطت ببعضها عند الانكسار الأول ثم اختلطت مرة أخرى عند خطيئة آدم .

وعلى ذلك فقد إدعى أولئك القباليون أن الشتات رسالة ضرورية فبعد إصلاح حالة الشتات يقوم بنو إسرائيل بإعادة الومضات الى مكانها الصحيح فى الكون .

---

22) Scholem, The Messanic Idea in Kabbalism : An Essay in the Missianic Ideism, P. 41.

وكان لوريا وأتباعه يدعون أن تاريخ اسرائيل يسير نحو حالة الاصلاح فى مراحله المختلفة فيقولون بأن بنى إسرائيل فى عصر ابراهيم كانوا يسيرون بخطى سريعة نحو الاصلاح لأنهم أخلصوا فى عبادة يهوه ، لكنهم أخطئوا بعبادة العجل فعادت مرحلة الانكسار للظهور مرة أخرى . ثم رجعوا عن ذلك وعادوا لعبادة رب إسرائيل بعد نزول موسى بلوحين آخرين للشريعة ، وهنا بدأت مرحلة الاصلاح تسود بصورة أعظم . ثم ما لبثوا أن عادوا للشر مرة أخرى وتركوا وصايا التوراة . ولم يعبأوا بتحذيرات الأنبياء ، فأرسل الرب قوى الشر عليهم التى زادت من طغيانهم وهنا عادوا مرة أخرى لمرحلة الانكسار التى إستمرت على مدى سنوات طويلة ، منذ سبى بابل(٢٣) .

وفى أعقاب إنتشار قبالاه لوريا ، حوالى منتصف القرن السادس عشر ، إنتشرت فكرة أخرى جديدة بين أولئك القباليين تقول بأن كل إنسان قادر على اصلاح روحه وروح جاره ايضا(٢٤) . وذلك من خلال التحول الذاتى ، وهو التحول الذى يمثل حالة شتات الأرواح الداخلى ، وأن هذا التحول يمثل عنصرا أساسيا لاسبيل للتخلص منه(٢٥) .

وقد عبر القبالى أشعياء هيروفيتس A. Horovitz عن هذه الفكرة بقوله :
"عند سماعنا صوت البوق العظيم فإننا نصلى لتتجمع الأرواح المشتتة فى أركان الأرض الأربعة أثناء تحولها وهذا أيضا يؤدى إلى تجميع شتاتنا من بين الأمم(٢٦) .

وختاما لذلك نرى من واجبنا أن نحاول توضيح أثر قبالاة لوريا على فكرة الخلاص بصورة أكثر تحديدا - كما نرى - حيث أدت تلك الأفكار الجديدة لمدرسة لوريا وأتباعه الى تطور بالغ فى مفهوم الخلاص ميزها عما ورد عن نفس الفكرة فى أفكار القباليين الأوائل كما رأينا والمتمثلة فى كتاب الزوهر ، كما ميزها عن العناصر المكونة لمفهوم الخلاص طوال العصور السابقة .

وتذكرة للقارىء نقول إن فكرة الخلاص عند الأنبياء كانت تتحدد فى خلاص من حالة فشل معينة ينجزها شخص محدد هو ملك من أسرة داود ، وتوصف المرحلة السابقة على الخلاص بكل الأوصاف السيئة ، اما عصر الخلاص فهو مرحلة تختلف كلية عنها وتتضمن الرخاء والخلاص السياسى والدينى ، وقد عبر الأنبياء عن تلك الأوصاف فى يوم الرب .

---

٢٣) المرجع السابق صفحة ٤٣ .
٢٤) تطورت تلك الفكرة الى عقيدة التسديق فى الحسيديه . أنظر الفصل الثالث من الباب الرابع .
25) Scholem : The Messiamic Idea in Kabbalism , P. 43.
٢٦) نفس المرجع السابق صفحة ٤٣ .

ثم نحى أحبار التلمود بمفهوم الخلاص ذلك المنحى العنصرى الذى أوضحناه أنفا مع الاهتمام ايضا بعنصر الكوارث وإعطائه صفة عالمية واكثر شمولية وتم التعبير عن ذلك بمخاض ولادة المسيح ، ثم الاشارة الى مرحلة الخلاص التالية لتلك الكوارث وهى مرحلة تختلف تماما عن العصر السابق لها لم يشهدها العالم من قبل . وقد ظهرت تلك العناصر المكونة لأمل الخلاص فى الابوكاليبس كما إستمرت عنصرا أساسيا لأمل الخلاص فى مؤلفات العصور الوسطى ، وهو ما إنعكس أيضا فى أفكار القباليين الأوائل كما يمثلها كتاب الزوهر كما رأينا .

أما الخلاص فى قبالاة القرن السادس عشر ، بناء على النظام الذى وضعه أسحق لوريا وتلاميذه لكيفية خلق العالم ، فهو يظهر على أنه مرادف لوصول الكون كله الى مرحلة الاصلاح وهى مرحلة مرتبطة عضويا مع الحالة السالفة لها ـ على عكس فكرة الأنبياء والابوكاليبس ـ حيث أن الخلاص هنا يأتى تدريجيا كنتيجة منطقية لمسار التاريخ التلقائى نحو الاصلاح .

وقد أدى ذلك إلى إهمال تام لعنصر الكارثة فى مفهوم الخلاص ، ولذلك أيضا أصبح هناك إمكانية تجنب آلام مخاض المسيح ذلك لان الانتقال من مرحلة الانكسار الى مرحلة الاصلاح وهو الانتقال الذى يتبعه الخلاص ـ سوف يحدث بدون كوارث أو ثورات أو اضطرابات . وبهذا تتخلص فكرة الخلاص من عنصر الكارثة الذى ظل مؤكدا طوال القرون الطويلة السالفة .

يقول يوسف دان : أدت قبالاة لوريا الى تغيير ملموس فى فكرة الخلاص وذلك للتوفيق بين أسطورية الخلاص ، التى طغت فى عصر التلمود ، والتى تشتمل على عناصر كوارثيه ويوطوبية ، وبين أسطورية المستقبل الذى تحدثت عنه القبالاه المبكرة كما يبدو فى كتاب الزوهر ، وقد تم وضع مرحلة تلقائية بين التغيير المفاجىء وبين مرحلة الاصلاح فى المستقبل بحيث أصبح الحاضر هو زمن الأحداث الحاسمة والفاصلة بين الماضى الأسطورى وبين المستقبل الأسطورى أيضا(٢٧) .

من ناحية أخرى فإن قبالاة لوريا ـ كما رأينا ـ تجعل من الكون كله عنصرا حيويا فى جلب الخلاص وتجعله مشتركا فيه كما تنسب لكى شىء فى الكون دورا أساسيا يجب تأديته فى مرحلة الاصلاح .

---

٢٧) يوسف دان : « القصة الحسيدية » صفحة ١٦ .

وقد ترتب على ذلك أيضا أن أصبح المسيح شخصية مهملة بدرجة واضحة كما لا ينسب اليه أى دور فى تحقيق الخلاص حيث أوكلت تلك المهمة إلى كل مخلوق وكل فرد لاصلاح روحه والوصول الى مرحلة الاصلاح الخاصة بها ، وأصبح ظهور ابن داود مجرد رمز لاكتمال الاصلاح ووصول الكون الى مرحلة الخلاص .

أما السبب الذى أدى الى الاحتفاظ بوجود شخصية المسيح فى القبالاة ، فيرى جرشوم شولم أن ذلك يرجع الى القباليين أنفسهم حيث كانوا متحفظين فى تناولهم للتراث وكان ذلك يدعوهم الى تقبل وجود شخصية المسيح فقط لأن التراث التقليدى يتناول تلك الشخصية عند الحديث عن الخلاص(٢٨) .

ويجعلنا هذا نستنتج أيضا أن قبالاة لوريا قد وضعت أهمية كبرى على الخلاص الخاص بكل فرد أن ذلك خطوة تؤدى بدورها إلى خلاص عام مما يجعلنا نرى أيضا أن مفهوم المسيحانية فى تلك الفترة قد تخلصت من العنصر السياسى الكامن فيها مع التأكيد على العنصر الدينى حيث يتحقق الخلاص عن طريق خلاص الأرواح واتباع الوصايا .

وأخيرا فقد ادعت قبالاة لوريا أن كلا من الشتات والخلاص لايمثلان ملامح تاريخية خاصة بإسرائيل - وهو ما كان يميز الفكرة فى عصر الأنبياء - بل جعلت منها مظهرين حتميين لكل الكون الذى يعيش - كما يعتقدون - فى شتات حتمى ويسير نحو خلاص تلقائى - واعتبروا أن رمز خلاص إسرائيل هو خلاص للعالم أجمع ، واسترداد إسرائيل فى المملكة المسيحانية كما لو كان إستردادا للعالم والكون كله ووصوله الى مرحلة الاصلاح والكمال النهائى .

إلا أننا نعتقد أن تلك النظرة العنصرية الصارخة فى أفكار أولئك المفكرين الصوفيين قد جاءت عمدا كمحاولة منهم لاضفاء مزيد من العنصرية والاستعلاء على الشعوب من ذلك الموقع من الدونية والفشل والانحطاط الذى كانوا يتحدثون منه بعد طردهم من اسبانيا عام ١٤٩٢ م .

---

28) Scholem, G. : The Messianic Idea in the Kabbalism , P. 47.

ثـانيـا : حســابــات مقــدم المســيــح

أشرنا فى الفصل السابق الى فقرات الابوكاليبس التى تهتم بتحديد عدد السنوات التى سيحكم فيها المسيح المخلص ، وتحديد فترات استمرار مملكة عصر الخلاص ، كما أشرنا الى بعض فقرات التلمود التى تتحدث عن توقعات أو تحدد سنوات معينة لزمن قدوم المسيح ، ثم رأينا كيف أسرفت المؤلفات التى تنتمى إلى السنوات القليلة للفتح الاسلامى فى تلك التوقعات والحسابات حتى يبدو منها أن هدف المؤلف كان يتجه أساسا نحو وضع تاريخ معين لقدوم المسيح .

إلا أن مؤلفات العصور الوسطى قد تميزت باعطاء مزيد من الاهتمام لتلك الحسابات ، وانصرف عدد من أدباء تلك الفترة الى الاهتمام بتلك التوقعات ، فأخذ كل مفكر فى وضع تاريخ خاص به مشيرا الى انه التاريخ الصحيح للقدوم ، وأسرف البعض الآخر فى ذلك فحدد أكثر من تاريخ لتوقع هذا القدوم . وأخذ عدد آخر فى التماس الأعذار لحسابات أسلافه الفاشلة واضعا أسباب ومبررات لذلك ، ومحددا تاريخا آخر لهذا القدوم المنتظر للمسيح ومملكته حتى أصبحت تلك الحسابات المسيحانية ، فى العصور الوسطى ، عنصرا أساسيا من عناصر الخلاص وقدوم العصر المسيحانى وأصبحت هذه التوقعات تجذب الكم الأعظم من أولئك المفكرين حتى أولئك الذين تعاملوا مع عقيدة الخلاص بمنطقية وعقلانية واستطاعوا أن يتخلصوا من العناصر الأسطورية والخرافية التى أحاطت به .

وسوف نتناول فى هذا الفصل عرضا لذلك العنصر من عناصر فكرة الخلاص .

الوسائل المستخدمة فى تحديد تاريخ القدوم :

لجأ واضعو التوقعات المسيحانية الى طرق ووسائل عدة لتحديد تاريخ قدوم المسيح ، وانحصرت هذه الوسائل فى :

١) سفر دانيال .
٢) بقية أسفار العهد القديم .
٣) عصور الشتات وعصور الحرية .
٤) علم الجيماتريا (أى حساب الجمل) .
٥) التنجيـــــــم .

وكان سفر دانيال هو أكثر الوسائل استخداما وشيوعا على مر العصور ، كما لقى علم الجيماتريا رواجا هائلا بين واضعى الحسابات منذ القرن الثانى عشر الميلادى ، كما ذاعت تلك الوسيلة أيضا على يد القباليين الذين آمنوا بسرية الحروف العبرية واحتوائها على قوى خفية .

أما التنجيم فكان أقل الوسائل استخداما بالمقارنة بالوسائل الأخرى ذلك لأنه لقى معارضة من بعض أولئك الحاسبين الذين نظروا إليه بوصفه علما وثنيا لايجب اللجوء اليه كوسيلة لحساب قدوم المسيح .

وسوف نتحدث فيما يلى بشىء من التفصيل عن تلك الوسائل .

(١) سفـــر دانيـــال :

كان واضعو الحسابات والتوقعات المسيحانية يعتمدون بصورة أساسَيَة علىّ سفر دانيال ويرجع السبب فى ذلك الى احتواء سفر دانيال على أرقام مختلفة متضمنة فى آيات مرتبطة بمعانى الخلاص والنهاية ، لذلك فقد اعتقدوا منذ عصور قديمة بأن تلك الارقام تشير الى تواريخ لمجىء عصر الخلاص ، وحاولوا تفسير الممالك الأربعة والوحوش الأربعة الواردة فى دانيال مرتبطة بتلك الأرقام على اساس من "الخلفية التاريخية والظروف الفعلية التى يتحدث منها القائم بوضع التوقعات المسيحانية .

وكان من أهم ما اختلفوا حوله هو نقطة البداية التى يجب أن تبدأ منها الأرقام الواردة فى سفر دانيال ، والتى حاول كل حاسب منهم وضع نقطة بداية بما يتناسب مع التاريخ الذى حدده ومحاولة تطويع تلك الأرقام بما يلائم ظروفه التاريخية ليتمكن من تحديد عصر المملكة المسيحانية فى وقت معاصر له أو فى مستقبل قريب منه .

(٢) فقرات متفرقة من العهد القديم :

اتخذ بعض الحاسبين ، فقرات أخرى متفرقة من العهد القديم وسيلة لتحديد زمن مجىء المسيح اليهودى مهما كان الموضوع الذى تتحدث عنه ... فكانوا يشيرون أحيانا الى فقرات تتحدث عن أى وعد بالخلاص ، أو أى نبوءات بإنهاء حالة ماسيئة أو مجىء حالة أفضل ، وحاولوا تحديد زمن مجىء الخلاص وعدد سنواته إعتمادا على تلك الفقرات دون ان يضعوا فى الاعتبار المعنى الحقيقى المقصود من تلك الفقرات فى زمن تأليفها ، فضلا عن ذلك فقد حاولوا البحث عن حادثة هامة فى تاريخ اسرائيل القديم ، معتمدين فى ذلك على نصوص العهد القديم ـ ليعتبروها نقطة البداية لحساب زمن القدوم ، وقد أدى ذلك ـ كما سنرى ـ الى تحديد أكثر من نقطة كبداية لذلك الأمل الموعود .

(٣) عصـور الشـتات وعصـور التحرر :

كانت عصور الشتات الأولى التى حدثت فى تاريخ بنى إسرائيل من اهم الأحداث التاريخية التى إعتمد عليها الحاسبون فى تحديد بداية الخلاص أو تحديد عدد سنوات استمرار المملكة المسيحانية لذلك اعتمدوا دائما على حساب طول الشتات فى مصـر أو السبى البابلى ، أو الفترات التى توقفت فيها تقديم الأضحية للمعبد وذلك ليحسبوا عدد السنوات الباقية فى الشتات . ومن ناحية أخرى كانوا يحثون عن عصور الازدهار ـ كعصر سليمان ـ أو عدد السنوات التى بقى فيها المعبد مشيدا ، ليستنتجوا على أساسها عدد سنوات استمرار مملكة عصر الخلاص

(٤) علم الجيماتريا (أى حساب الجُمَّل) :

هو علم تفسير الكلمة العبرية وفقا للقيمة العددية لحروفها ، وهو من أشهر الوسائل التى استخدمت لتحديد تاريخ القدوم . وقد استخدمه الحاسبون بحرية تامة ، ذلك لأن مجال هذا العلم يتسع لأى قيمة عددية يريد الحاسب تحديدها ، فالعهد القديم ملىء بالكلمات التى يسهل اختيار المناسب منها لتتلاءم مع الرقم الذى يريده واضع الحساب .

وقد استُخدم علم الجيماتريا منذ النصف الثانى من القرن الثانى للميلاد . وقد ورد فى التلمود مائة وخمسين حالة من استخدام الجيماتريا[٢٩] لكن مايهمنا هنا هما حالتان فقط .

الأولى هو تفسير الرابى يوحنان بن زكاى لكلمة ريدو بمعنى إهبطوا ، الواردة فى سفر التكوين (٢/٤٠) على انها تشير الى عدد السنوات التى قضاها بنو اسرائيل فى مصر وقيمتها ٢١٠ سنوات فالراء = ٢٠٠ + الدال = ٤ + الواو = ٦ أما الثانية فهى تفسير الرابى ليفى(٢) الى كلمة بازوت بمعنى فى هذه الواردة فى سفر اللاويين (١٦/ ٣) على أنها تشير الى طول بقاء المعبد قائما وقيمتها العددية ٤١٠ .

فالباء = ٢ + الزين = ٧ + والألف = ١ + والتاء = ٤٠٠ .

وقد استخدم الحاسبون الرقمين السالفين لتحديد فترة الشتات للرقم الأول (٢١٠) وفترة بقاء مصر الخلاص للرقم الثانى (٤١٠) .

وقد شاع استخدام الجيماتريا فى العصور الوسطى وخاصة فى اسبانيا وزاد الاعتماد على تلك الوسيلة فى وضع توقعات القدوم وخاصة على يد القباليين الذين أسرفوا فى الاعتماد على ذلك العلم ايمانا منهم بقدسية الحروف العبرية .

(٥) التنجيـــــم :

كان علم التنجيم وسيلة اخرى من الوسائل المستخدمة فى وضع التوقعات المسيحانية كما ذاع استخدامه فى العصور الوسطى[٣٠] .

ولم يكن استخدام التنجيم فى تلك الحسابات بدعة جديدة على بنى إسرائيل فالعهد القديم يدلنا على انتشار التنجيم وعبادة النجوم فى فترات عديدة من تاريخ بنى اسرائيل .

---

(29) Silver : A History of the Messianic Speculaion in Lsrae P. 214

(٣٠) كان علم التنجيم قد أرسى جذوره عند بنى إسرائيل منذ عصر البداوه لكنه تطور تحت تأثيرات العبادات الكنعانية والكلدانية وتشير بعض اسفار العهد .

كما تدلنا التوراة[31] على بقاء الاعتقاد فى أن الأجرام السماوية تكمن فيها قوى معينة خفية ، ونجد أثار ذلك أيضا فى الأسفار الخارجة[32] .

وعلى ذلك فإن عادة استطلاع الغيب باستخدام الأجرام السماوية لم تكن عادة جديدة فى إسرائيل ، بل كانت منتشرة بينهم .

ونجد معارضات التلمود لاستخدام هذا العلم جنبا الى جنب مع الدلائل على انه كان علما منتشرا فى ذلك الوقت .

وقد أصبح ذلك العلم شائعا بصورة أقوى فى العصور الوسطى واستخدموه لتحديد تاريخ قدوم المسيح وعصر الخلاص . كما استخدموه باتساع فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر .

وقد رأينا هنا أن نعرض امام القارىء نموذجا واحدا فقط نتناوله ببعض الاسهاب حتى نطلعه على ذلك العنصر الخرافى الذى لازم الايمان بمجىء المسيح اليهودى وعصر الخلاص ونطلعه ايضا على ذلك الغلو والتعسف فى تطويع آيات العهد القديم لتتمشى مع اللاعقلانية التى إتصف بها أدباء اليهود فى العصور الوسطى عند تناولهم لمفهوم الخلاص .

(ب) الحاسبون وتوقعاتهم المسيحانية :

بالرغم من معارضة التلمود للجوء الى تلك الحسابات لتحديد زمن القدوم ، الا اننا كثيرا مانجد أن أولئك الربانيين يقدمون لنا حسابات خاصة بهم ، وكان سعديا جاءون (الفيومى) أول أولئك الربانيين الذين تناولوا الحسابات المسيحانية فى العصور الوسطى وقد تحدث عن تلك التوقعات باستفاضة فى كتابة « الامانات والاعتقادات » كما تناول هذا الموضوع أيضا عند تفسيره لسفر دانيال .

ويعتقد سعديا أن دانيال كان اول من تنبأ بتاريخ القدوم ، وذلك فى الآيات الثلاث التالية :

١٢/٧ : فسمعت الرجل اللابس الكتان الذى من فوق مياه النهر ، اذ رفع يمناه ويسراه نحو السماء وحلف بالحى الى الأبد انه الى عصر وعصور ونصف فاذا تم تفريق ايدى الشعب المقدس تتم كل هذه .

و ١٢/١٢ : طوبى لمن ينتظر ويبلغ الى الألف والثلاث مئة والخمسة والثلاثين يوما .

= القديم الى عبادة النجوم ومعارضه الانبياء لها (كما نرى على سبيل المثال فى صيفنيا ٥/١ وارمياء ١٨/٧ و ٢/٨ .. وغيرها وتثيه ١٩/١ و ١٣/٧ ...) كما شن اشعياء هجوما على من يعبدون الأجرام بطريقة غير مباشرة (اشعياء ٢٦/٤٠و١٠/٤٥) .

(٣١) سفر التكوين ٥/١١ وتثنية ١٩/١ .

(٣٢) رؤيا سفيلون ٢٢٢/٨و٢٢٢٨ من الرؤيا الرابعة . ويقول خنوخ (٣١٨) بأن الروح الشريرة قد علمت الناس الفلك والتنجم .

و ٨ / ١٤ : فقال لى حتى الفين وثلاث مئه مساء وصباح فيتبرأ المحراب .
وفيما يتعلق بالآية الأولى يرى سعديا أن التاريخ الذى يحدده دانيال يكمن فى كلمتى "عصور ونصف" وليس فى كلمة « عصر ».. فيقول بأن كلمة « عصور » تشير الى فترتين من تاريخ بنى إسرائيل .. تشتمل الفترة الأولى على ٤٨٠ سنة وهى عدد السنوات مابين الخروج من مصر وبناء المعبد على يد الملك سليمان بن داود . أما الفترة الثانية فتشتمل على ٤١٠ سنوات وهى الفترة التى بقى فيها المعبد قائما منذ أن بناه الملك سليمان الى أن تهدم على يد نبوخذ نصر .
ثم يجمع سعديا هذين الرقمين (٤٨٠ + ٤١٠ = ٨٩٠) ويضيف اليه نصف الناتج اشارة الى كلمة نصف (٨٩٠ + ٤٤٥) فينتج عن ذلك الرقم ١٣٣٥ وهو نفس الرقم الوارد فى دانيال الآية ١٢/١٢ . وهنا يؤكد سعديا أن دانيال يتحدث عن أرقام صحيحة(٣٣) .
أما الرقم الثانى الوارد فى الآية ١٢ ـ ١١ وهو ١٢٩٠ ، فهو فى رأى سعديا يشير الى عدد القرابين التى تم تقديمها الى المعبد ثم يضيف إليها رقماً آخر هو ٤٥ قائلا بأنه يشير الى عدد السنوات التى تم فيها تقديم القرابين فى فترة المعبد الثانى(٣٤) . فيصير الناتج أيضا ١٣٣٥ وهو نفس الرقم الوارد فى آية ١٢ / ٧ .
والرقم الأخير فى دانيال هو ٢٣٠٠ صباحا ومساء ، وهنا نجد سعديا يقوم بقسمة هذا الرقم على العدد ٢ لان صباحا ومساء الواردة فى الآية يقصد بها يوما كاملا من ايام الرب أى سنة كاملة (٢٢٣٠ ÷ ٢ = ١٠٥٠ سنة) فيصير الرقم الجديد ١٠٥٠ . والمقصود هنا ـ كما يرى سعديا ـ أن النهاية التى تنبأ بها دانيال تبدأ بعد ١٨٥ سنة من نبوءته لذلك يضيف ١٠٥٠ الى ١٩٨٥ (١٠٥٠ ÷ ١٨٥) فيصيرا الرقم الجديد هو ايضا ١٣٣٥ الوارد فى دانيال ١٢ / ٧ .
إلا أن سعديا لايحدد متى تبدأ تلك الـ ١٣٣٥ سنة . وقد كان ذلك سببا جعل مالتر يعتقد فى أن سعديا لم يكن يهدف للكشف عن زمن مجيء عصر الخلاص ، بل أن هدفه الوحيد كان يتحدد لتأكيد على عدم تعارض الارقام الواردة فى دانيال(٣٥) .
لكن يميل عدد من الباحثين كسيلفر وسراخك الى رأى يورنانكس(٣٦) الى أن حسابات سعديا كانت تبدأ منذ السنة الثالثة لحكم كورش الفارسى بالتقويم العبرى . لان كورش قد سمح لليهود بالعودة من السبى البابلى فيها ، وعلى ذلك يكون العام الذى حدده سعديا لقدوم المسيح عام ٩٦٨ ميلاديا(٣٧) .

(٣٣) الأمانات والاعتقادات : الجزء ٨ ص ١٧٨ ـ ١٧٩ نقلا عن :
Serachek : The Doctrine of the Messiah in Medieval Jewish Literatire P· 33 — 39·
(34) Silver : A History of the Messianic Speculation P· 48·
(35) Sachau, R· : The Chronology of Ancient Nation, London 1879, P· 18·
(٣٦) يحدد التقويم العبرى نقطة بدايته منذ خلق السموات والأرض كما يصورها العهد القديم وقد أخذ احبار اليهود فى حسابات عمر الاسلاف وضم بعضها الى بعض ملتزمين بآيات العهد القديم .
(37) Serachek : The doctrine of the Messiah in Medieval Jewish Literature, P· 41·

وهكذا تصور سعديا انه قد توصل عن طريق تلك الحسابات الغامضة الى وضع تاريخ محدد لموعد قدوم المسيح المخلص بمحاولاته المختلفة للادعاء بصدق الأرقام الواردة في دانيال فإلى جانب تعسفه فى تفسير الآيات والأرقام الواردة فيه ، وبالرغم من أنه حاول عن طريق عمليات حسابية طويلة ، من ضرب وجمع وقسمة ، للتوفيق بين الأرقام المختلفة الواردة فى السفر فإنه لم ينجح فى اخفاء ذلك الغموض الذى تنطوى عليه حساباته ويتحدد ذلك ـ من وجهة نظرنا ـ فى :

١) لم يعلل سعديا سبب اعتقاده بأن « كلمة عُصر » لاتدرج ضمن حسابات دانيال المسيحانية ، وأن تلك الحسابات تكمن فقط فى كلمتى « عصور » ونصف .

٢) كما أنه لم يوضح لنا لماذا اعتقد أن كلمة "عصور" تشير فقط الى فترتين تاريخيتين من تاريخ بنى إسرائيل فى حين أن كلمة عصور كلمة جمع تشير الى اكثر من عصر واكثر من فترة تاريخية .

٣) يضاف الى اعتقادنا بأنه لو كان دانيال يعرف زمن النهاية وتاريخ قدوم المسيح حقا ، ولو كان يقصد بكلمة "عصور" تحديد فترتين تاريخيتين فقط ـ كما يريد سعديا أن يوهمنا ـ لكان فى استطاعة دانيال التعبير عن ذلك باضافة كلمة إثنين الى كلمة "عصور" ليحدد أنهما عصران فقط ، وهى الطريقة المتبعة للتعبير عن المثنى فى العبرية .

٤) وإذا تقبلنا تلك العملية الحسابية التى قام بها سعديا بقسمة الرقم ٢٣٠٠ صباحا ومساء على العدد ليكون يوما ، لأن اليوم يتكون من صباح ومساء ، الا أننا لانجد أى ضرورة تجعلنا نتقبل إضافة سعديا للرقم ١٨٥ إلى الناتج من عملية القسمة مدعيا أنه يشير الى السنوات التى سيبدأ بعدها زمن النهاية دون أن يبرر لنا سبب إختياره لذلك الرقم بصورة خاصة .

إننا لانجد مايبرر تلك العمليات الحسابية السالفة ، من جمع وقسمة ... واختيار فترات تاريخية معينة ، وحذف كلمات اخرى من الآيات المستخدمة فى الحسابات ، الا ماسبقنا اليه مالتر من ان سعديا كان يسعى للتوفيق بين أرقام دانيال المختلفة .

كان ذلك نموذجاً للحسابات المسيحانية التى شغل بها أدباء اليهود أنفسهم على مدى عصور طويلة وقد أسهبنا فيها قليلا وعرضناها كنموذج لاظهار التعسفية التى كانت تغلف حسابات أولئك المفكرين لاستنباط تاريخ محدد على انه يشير الى عصر الخلاص وزمن قدوم المسيح الموعود .

وبالرغم من ان تلك التوقعات الفاشلة والحسابات الخاطئة كانت تتسبب فى تعرضهم لاضطرابات عنيفة داخل المجتمعات التى يعيشون فيها ، الا انهم استمروا فى وضع تلك الحسابات التى أصبحت عنصرا اساسيا عند تناول مفهوم الخلاص ولقيت إنتشارا واسعا فى العصور الوسطى .

فقد جذبت تلك التوقعات الرابى راشى[٣٨] الذى كان يعتبره بنو اسرائيل مفسر العهد القديم ، وقد حدد عام ١٣٥٠ لمجىء المسيح اليهودى معتمدا فى ذلك على علم الجيماتريا ومطابقتها مع الأرقام الواردة فى سفرة دانيال .

كما ربط اسحق بن يهودا اللاوى بين عصور الشتات وعصور التحرر التى مرت على تاريخ بنى اسرائيل ، كما يربط ذلك ايضا بسفر التثنية وقال ان مجىء الخلاص سيأتى بعد ١٢٩٠ عاما ، لكنه لايحدد متى يمكن البدء فى احصاء هذه السنوات حتى يمكن وضع تاريخ محدد للقدوم فيقول « لكن هل نعلم متى تبدأ فترة الـ ١٢٩٠ عاما وهل نعلم متى ستنتهى على وجه التحديد ، فربما بدأت منذ توقف تقديم المحرقات للمعبد فى عصر هيركانوس او ربما فى عصر هيرود او ربما فى وقت متأخر من عصر الشتات الحالى ، فعندما يأتى زمن النهاية يحين ظهور المسيح ، حينئذ فقط نعرف زمن بداية هذه الفترة بالفعل[٣٩] .

كما اسرف برحيا فى تلك الحسابات بطريقة لم يسبقه فيها احد من قبل ، فقد خصص لحساباته المسيحانية كتابا منفردا بها حمل عنوان « مجيلات همجيلاة » متبعا فى وضع توقعاته اكثر من اسلوب ومحددا اكثر من تاريخ للقدوم ، ويظهر فى كتابه هذا تأثره الواضح بعلوم التنجيم ، كما يتضح منه ايضا اهتمامه الكبير بالارقام لتأكيد مجىء المسيح اليهودى الذى يعتقد بحتميه قدومه . وقد استمد برحيا حساباته من مصادر هى : سفر التكوين وسفر دانيال بصفة خاصة ثم كافة اسفار العهد القديم ثم علم التنجيم وخاصة الحسابات الفلكية التى تشير الى ارتباط كوكبى زحل والمشترى .

أما التوقعات التى اسفرت عن ذلك فكانت عام ١٢٣٠م أو ١٣٥٨م ثم عام ١٤٤٨م وهذا اقصى احتمال توقع فيه برحيا ظهور المسيح .

واذا انتقلنا الى القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين نجدهما يشتركان فى سمة غالبة وهى قلة الحسابات التى وصلتنا فى هذين القرنين ، وانصراف عدد كبير من الكتاب اليهود عن تلك الحسابات والتوقعات المسيحانية وهناك عدة عوامل أدت الى هذا فقد كانت التجارب الكثيرة الفاشلة التى تعرض لها اليهود على مدى الخمسة قرون الماضية من جراء تلك التوقعات الزائفة التى ثبت فشلها فى كل مرة كانوا يتوقعون فيها قرب مجىء مسيحهم اليهودى الموعود . ثم كانت الادعاءات الكاذبة التى أطلقتها بعض الشخصيات اليهودية بأعلانهم بأنهم مسحاء الرب المكلفون بخلاص بنى اسرائيل وتحقيق مملكة الخلاص مستغلين فى ذلك تلك التواريخ الزائفة التى حددها عدد كبير من مفكريهم وفلاسفتهم ، وهو الأمر الذى كانت تضطر معه حكومات تلك الدول من فرض عقوبات على أولئك المدعين وأتباعهم ... مما كان يتسبب فى مزيد من خيبة الأمل ، ومما كان له بالتالى من أثر على الانصراف عن تلك الحسابات .

---

(38) Serachek : The Doctrine of the Messiah ik Medieval Jewish Literature P·68

(39) Silver : A History of the Messianic Speculations P· 85·

ومن المؤكد أيضا ان الطرد من أسبانيا (١٤٩٢م) كان له أثر واضح أدى إلى الانصراف عن تلك التوقعات فقد كان مجتمع يهود اسبانيا هو ذلك المجتمع الذي تمت فيه وازدهرت تلك الحسابات بصورة أقوى مما نجده فى مكان آخر.

فضلا عن ذلك فقد أثر ظهور القبالاة وانتشارها بين اليهود. فقد إستوعبت القبالاة عددا كبيرا من تلك التوقعات ظهرت فى كتابات القباليين الخاصة بهم، ومن ناحية اخرى فقد كان للتطور الذى أحدثته القبالاة على مفهوم الخلاص فى اسبانيا او بعد الطرد منها اثره البالغ على انصراف القباليين انفسهم عن وضع تواريخ محددة لقدوم المسيح اليهودى، حيث أشارت - كما رأينا - إلى الدور الهام الذى يجب على الفرد أن يؤديه ليعجل من الخلاص كما اصبح الخلاص فى القبالاة مرحلة تحدث داخل مسار التاريخ وتأتى بدون إعلان واضح او كوارث سابقة مما جعل القباليين ينظرون الى تلك التوقعات على أنها لا تمثل جزءا اساسيا فى مفهوم الخلاص ولكن لم يمنعهم ذلك من وضع توقعات خاصة بهم(٤٠).

ومن أهم التوقعات المسيحانية التى وردت الينا فى نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادى هى حسابات اسحق ابرابانيل الذى عاصر الطرد من أسبانيا وكان لتلك الحادثة أثرها الهام على تحديد توقعاته المسيحانية.

فقد كان ابرابانيل يؤمن بأنه يعيش فى العصر المحدد للقدوم، وكان يرى أن الاضطرابات التى يعيش فيها هى آلام مخاض المسيح، بل كان يؤمن فى اكثر من ذلك، فقد اكد ان المسيح قد ولد بالفعل وانه فى طريقة لانجاز رسالته وتحرير اسرائيل(٤١).

ويبدأ ابرابانيل توقعاته المسيحانية بالدفاع عن نفسه ضد الذين يسخرون منه لتورطه فى مسألة لاتلقى قبولا عامًا وفى مهمة غامضة، فكان يعرف أنه يسير فى أرض ممنوعة، وأن مهمة تحديد العصر المسيحانى تتطلب قدرة هائلة على اختراق معرفة الرب الحقيقية، وامكانية الوصول اليها، ذلك لآن دانيال نفسه - الذى تلقى وحيا ورؤى تتضمن معلومات قيمة - قد إعترف بأنه سمع ولم يفهم شيئا(٤٢).

ويبرر ابرابانيل قيامه بهذه الحسابات بأن كثيرين قبله من مفكرى اليهود قد قاموا بها، كسعديا وراشى وموسى بن نحمان وغيرهم، وان الايمان بالكتب المقدسة لايمنع القيام بمثل هذه الحسابات ذلك لان المعارضين لها يجب ان يوجهوا انتقاداتهم لأولئك الذين يحاولون وضع توقعات معتمدين على علم زائف مثل علم التنجيم وذلك بالرغم من انه ناقض رأيه هذا ولجأ الى التنجيم فى حساباته المسيحانية كما سنرى.

---

٤٠) راجع الفصل الثالث من نفس الباب.
٤١) ابرابانيل: ينابيع الخلاص، أمستردام، ١٦٤٧ صفحة ٣٢.
٤٢) المرجع السابق صفحة ٣٠٥.

ويعتمد ابرابانيل فى حساباته بصورة اساسية على اسفار العهد القديم واكد على ان حساباته ليست نبوءات بالقدوم ولكنها مجرد تخمينات ، ربما تخطىء ، وربما تصدق وأن هذا البحث فى حد ذاته له اخطاره العظيمة لكنه يستحق الخوض فيه .

كانت حسابات ابرابانيل مثل حسابات سابقيه خاضعة لاعتقاد قديم بان فترة استمرار العالم هى ستة آلاف سنة ، وكان يعتقد بانه يعيش فى العصر الالفى السادس ، ورأى ان الخلاص يجب ان يحدث فى هذا العصر وبالتحديد عام ٥٢٦٥ بالتقويم العبرى أى المقابل لعام ١٥٠٤م ميلاديا او بالتقريب لعام ١٥٠٣م ميلاديا وقد اعتمد فى ذلك على علم التنجيم والحسابات الفلكية المتعلقة بارتباط كوكبى زحل والمشترى كما اعتمد ايضا على سفر دانيال .

ح : المعارضون للحسابات المسيحانية

نشأ عنصر الحسابات والتوقعات المختلفة لوضع تاريخ محدد لمجىء المسيح اليهودى وعصر الخلاص منذ فترة التلمود ثم شاع وانتشر بين كافة المؤلفين والأدباء فى العصور الوسطى حتى اصبح عنصرا ملازما عند تناول مفهوم الخلاص ، كما رأينا ، الا ان تلك التوقعات لم تستمر دون معارضة ، فمنذ البداية لقيت كافة الوسائل المتبعة لحساب تاريخ القدوم معارضة شديدة ظهرت بوادرها منذ فترة التلمود حيث تحدثنا بعض فقراته عن غضب الرب الذى يحيق بأولئك الذين يحسبون زمن النهاية(٤٣) .

كما يخبرنا الرابى يوسى بأن من يحسبون زمن النهاية لن يجدوا مكانا لهم فى العالم القادم(٤٤) .

وقد انقسمت آراء معارضى حسابات النهاية فى فترة التلمود الى فريقين متميزين تراوح اعضاؤهما بين التطرف والاعتدال .

إنحصرت آراء الفريق الأول فى فكرة مجىء المسيح اليهودى كلية فى أى وقت ما فى المستقبل ، وكان الأمورائى الرابى هليل من اهم أولئك المتحمسين ، فقد أعلن أن المسيح لن يأتى فى المستقبل لأنه قد أتى بالفعل فى عصر حزقيا(٤٥) .

كما ارتفع فى تلك الفترة ايضا صوت اكثر اعتدالا يرى ضرورة التعامل مع نصوص العهد القديم وغيرها من رؤى الأبوكاليبس على انها تشير الى احداث فى الماضى . وكان الرابى ناثان(٤٦) فى القرن الثانى الميلادى ـ من اشد المتحمسين لذلك الرأى .

---

٤٣) السنهدرين ٧٢ ـ ٢

٤٤) التلمود . جزء ديفرى زوطا رباه . كلوزنر : العقيدة المسيحانية غى أرض اسرائيل صفحة ٢٤٢ .

٤٥) السنهدرين ٧٧ ـ ١ يشير الرابى هليل هن الى الملك حزقيا بن آحاز الذى حكم مملكة يهودا فيما بين ٧٢٦ ـ ٦٩٨ ق . م) وكان اشعياء قد تنبأ به ملكا مخلصا . راجع الفصل الرابع من الباب الأول .

٤٦) السنهدرين ٧٧ ـ ١ كلوزنر : العقيدة المسيحانية فى أرض اسرائيل صفحة ٢٤٣ .

والواقع ان تلك الآراء لم تلق اى تأييد بين احبار التلمود وغيرهم من ادباء الأبوكاليبس وعدد كبير من بنى اسرائيل ، فقد كان مفهوم الخلاص بالنسبة لهم حلما يداعب خيالهم فى مستقبل افضل من الحاضر الذى يعيشون فيه وكانوا بالتالى فى حاجة الى وهم مايؤيد ذلك الحلم فى النصوص التى يؤمنون بقدسيتها ، حتى لو كان هذا التأييد يأتى بتأويل للنص .

أما الفريق الثانى من معارضى تحديد سنة القدوم ، فقد رأوا حتمية مجىء المسيح المخلص، الا انهم قالوا باستحالة امكانية وضع تاريخ محدد لمجيئه ، فقد أخفى الرب تاريخ النهاية عن جميع البشر ولن يكشف عنه الا فى وقته وبمشيئته وارادته هو وحده .

فيخبرنا التلمود بأن هناك سبعة أشياء غامضة وخافية عن البشر لكن يكشف عنها الرب لأى انسان ، ومن تلك الاشياء الغامضة ، ذلك الموعد المحدد لاعادة استرداد مملكة داود(٤٧) .

وكان من اهم المتحمسين لذلك الرأى كل من الرابى يوحنان والرابى شمعون بن لاخيش والرابى زئيرا(٤٨) .

فقد استمد الرابى يوحنان هذه الفكرة من اشعياء(٤٩) الذى فسرها على انها تشير الى ان موعد انتقام الرب لاسرائيل من اعدائها لايعرفه آى انسان(٥٠) .

وهناك مجموعة أخرى أيضا من الربانيين عارضوا تاريخ محدد لمجىء الخلاص ، بل جعلوا من التوبة علامة مميزة تشير الى قرب مجيئه وشرطا اساسيا لتحقيق ذلك وقد انتشرت تلك الفكرة على مدى عصور طويلة ولقيت تأييدا من بعض ربانى التلمود وغيرهم من مفسرى العصور الوسطى ، وربما يرجع ذلك الى ان تلك الفكرة تستمد وجودها من العهد القديم ، حيث اكد انبياء اسرائيل على التوبة كعنصر هام وشرط أساسى لمجىء الخلاص(٥١) .

---

(٤٧) سنهدرين ٩٩ ـ ١ وتلك الاشياء السبعة هى : ١) يوم الوفاه ٢) يوم البعث . ٣) الثواب والعقاب . ٤) مايستره قلب الجار ٥) متى يرزق الانسان . ٦) متى تسترد مملكة داود . ٧) متى تدمر المملكة المضطهدة (روما) .

A History of Messianic Speculation P. 214.

(٤٨) عاشوا جميعا فى القرن الثالث الميلادى .

(٤٩) اشعياء ٦٣/٤ .

(٥٠) نقلا عن المرجع السابق سنهدرين ٩٩ ـ ٢

(٥١) راجع الفصل الثالث من الباب الأول .

وكان من المتحمسين لهذا الرأى فى عصر التلمود من الرابى اليعيزر[٥٢] والرابى راڤا والرابى صمويل[٥٣] .

كما حاول الرابى يوشيا بن لاڤى[٥٤] التوفيق بين فكرة الخلاص المشروط بالتوبة وعودة اسرائيل الى طريق يهوه ، وبين حتمية مجيء مخلص لبنى اسرائيل بدون اى شروط ، فنجده يضع احتمالات قدوم المسيح مسرعا اذا تابت اسرائيل ، ولكنه سيأتى اذا لم تتب[٥٥] وقد تبعه فى نفس التفسير ايضا الرابى شمعون بن يوحياه[٥٦] .

وقد امتدت هذه المعارضات للعصور الوسطى ايضا وكان من اكثر اولئك المعارضين لحساب النهاية يافث اللاوى - فى القرن الحادى عشر - الذى كرس حيزا كبيرا من تفسيره لدانيال لدحض الحسابات المعتمدة على الأرقام الواردة فى هذا السفر مؤكدا على فشل الحسابات التى قال بها جميع من سبقوه ، ورفض كل الوسائل التى إعتمدوا عليها فى حساباتهم المسيحانية وكان اعظم دليل - فى رأيه - على فشل تلك التوقعات ، هو مالا يحتاج الى اى إثبات على الأطلاق ، فقد مرت السنوات المختلفة وجاءت التواريخ التى حددوها ، ولم يأت المسيح فى أى منها[٥٧] .

وبالمثل كانت تفسيرات موسى بن چيكاتيلا للعهد القديم انكارا واضحا لتلك الحسابات ، فقد اوضح ان العهد القديم يشير الى احداث معاصرة لزمن كتابتها . كما اكد ان هذا الكتاب لم يشر قط الى غزو المملكة الرومانية لاسرائيل ، وهو الغزو الذى إعتقد عامة اليهود ان نهايته تمثل بداية لعصر الخلاص[٥٨] ، وقد وجدت تلك الاراء المنطقية التى اعلنها موسى بن چيكاتيلا معارضة قوية من معاصره بن بلا عام الذى اتهمه باحباط الامل الوحيد الذى يعيش عليه بنو اسرائيل وهو قدوم المسيح كما وصفه ابرابانيل بانه رجل متزعزع الايمان[٥٩] .

وقد حافظ موسى بن عزرا على فكرة بن جيكاتيلا ومعارضته للحسابات المسيحانية واكد رفضه للاعتماد على وسيلة الچيماتريا لتحدد تاريخ القدوم فيقول "إننا نعتقد بكل ثقة فى ان اللجوء لتلك الوسائل هو نوع من الجهل الذى لايضر ودرب من الحكمة التى لاتنفع ، ومن أسوأ ماحدث فى تاريخنا هو تلك المحاولات التى قام بها البعض للكشف عن زمن النهاية من خلال سفر دانيال وغيره من اسفار العهد القديم معتمدين على تلك الوسائل ، والواقع ان احدا من أولئك الحاسبين لم

---

٥٢) تلميذ يوحنان بن زكاى (٨٠ - ١٢٠) .
٥٣) سنهدرين ٧٧ - ٢ كما توجد نفس الفكرة ايضا فى مدراش تهليم عن مزمور ٤٥/٢ .
٥٤) سنهدرين ٧٨ - ٢ نقلا عن مرجع سيلڤر السابق صفحة ٢١٦ .
٥٥) معتمدا على دانيال ١٣/٧ التى تشير بان المسيح سيأتى فوق السحاب .
٥٦) شبات ١٨ - ١ نقلا عن كلوزنر : العقيدة المسيحانية فى ارض اسرائيل صفحة ٢٤٢ .
٥٧) Margoliouth : Commentary on Daniel, Oxford, 1889.
٥٨) Silver : A History of the Messianc Speculation, P. 218.
٥٩) Sarachek : The Doctrine of the Messiah in Medieval Jewish Literature, P.249.

يستطع الوصول إلى الحقيقة . وحتى الحاسبين المحدثين لم يتعظوا من تلك الاخطاء ، بل إتبع كل منهم طريقته الخاصة دون تبرير لها ان الرب لم يخف مسألة النهاية عن نبيه (٦٠) ، ولم يخبره صراحه بأنها سر لكى يكشف عنها بعد ذلك لأناس أقل من النبى بدرجات كثيرة جدا ومن وسائل ساذجة وهشة(٦١) .

ويعترض ابراهام بن عزرا على استخدام الارقام الواردة فى دانيال كوسيلة لتحديد تاريخ القدوم ، مؤكدا أن آيات هذا السفر تشير الى احداث معاصرة لزمن كتابتها .

"فالرقم ٢٣٠٠ صباحا ومساء فى دانيال ٢٤/٨ يشير الى الست سنوات ، أو مايزيد على ذلك بقليل ، التى حكم فيها انتيوخوس بنى اسرائيل بظلم وقسوة .

أما السبعة أسابيع والاثنين وستين أسبوعا الواردة فى دانيال ٢٥/٩ فهى تساوى عدد السنوات التى بنى فيها المعبد ، (٧ × ١٢) ٤٣٤ سنة(٦٢) .

وقد تميز النصف الثانى من القرن السادس عشر وحتى النصف الثانى من القرن السابع عشر بوضع حسابات تنتهى الى مستقبل بعيد وتشير الى قدوم الخلاص بعد فترة طويلة .

وكان اول من قدم لنا هذا يوسف بن داود بن يحيا (١٤٩٤ ـ ١٥٣٩) الذى وضع توقعات متقدمة جدا عن العصر الذى كان يعيش فيه ، فقد حدد عام ١٩٣١ ميلادية لقدوم المسيح اليهودى "ويبدوا انه كان يهدف من هذا الى تثبيط عزيمة اولئك الذين يتوقعون خلاصا مبكرا"

كما وضع صموئيل بن يهودا فلريو « حوالى ١٥٦٠م » تاريخا بعيدا ايضا هو عام ١٨٦٨ ميلادية معتمدا فى ذلك على سفر دانيال .

وفضلا عن تلك التوقعات التى عرضنا هنا لنماذج قليلة منها فقط ، هناك مجموعة اخرى من التواريخ المحددة لقدوم المسيح اليهودى تتمثل فى تلك التوقعات التى وضعها القباليون والتى وجدوا فيها أرضا خصبة لعرض مهاراتهم فى اثبات الدلالة الرقمية للكلمة العبرية معتمدين فى ذلك على علم الجيماتريا . فقد كان القباليون يعتقدون فى اهمية الدلالة الرقمية للحروف العبرية واحتوائها على معانى غريبة خفية ، وقالوا بان الكلمة العبرية بدلالتها الرقمية تكتسب معانى جديدة وتتضمن افكارا عميقة اكثر مما تبدو عليه بمعناها المباشر ، بل انهم تمادوا فى ذلك فجعلوا منها اساسا لخلق العالم وحروفا من نار تزين تاج الرب . وهى الفكرة التى عبر عنها القباليون بإسهاب فى « كتاب الخلق للرابى عقيبا » « سيفر يتسيراه دى ربى عقيب » فيقول :

---

٦٠) يشير الى دانيال .غ

61) Silevr : A History of the Messianic Speculation, P.219.

٦٢) المرجع السابق ص ٢٢٥ .

لقد قام رب الجنود بترتيب وخلق هذا العالم عن طريق اثنين وثلاثين ممرًا سريا للحكمة ، وهذه الممرات هى الاثنان والعشرون حرفا المكونة للأبجدية العبرية بالاضافة الى الحركات الصوتية العشرة المستخدمة مع تلك الحروف ، وعند خلق الكون قام الرب بتحديد تلك الحروف واقامة علاقات بينها ووزنها وتغييرها بطرق مختلفة وجعل منها كل الأشياء الموجودة والمقرر ان توجد فى هذا الكون[٦٣] .

ونجد نفس الفكرة ايضا فى كتاب "أوتيوت دى ربى عقيبا" حروف لا ومعجزات

الربى عقيبا الذى يقول بأن الحروف العبرية الاثنين والعشرين التى تتألف منها توراه موسى ، هى حروف محفورة من النار على تاج الرب المخيف ، وعندما أراد الرب خلق العالم هبطت كل الحروف امام الرب وامر كل حرف منها بأن يخلق العالم من خلاله[٦٤] .

وقد لاقت هذه الافكار رواجا كبيرا بين فئات اليهود المختلفة وادعى البعض انه قادر على استخدامها فى التأثير على القوى الخفية التى تسبب الضرر للانسان أو تجلب له الخير كما قالوا بامكانية استخدامها فى عمل التمائم والتعاويذ .

وقد شاع وضع التوقعات المسيحانية فى الزوهر وهو الكتاب الذى يحتوى على المبادىء الاساسية للقبالاة ، وكان حساب سنة القدوم يعتمد اساسا على علم الجيماتريا .

وقد انتجت تلك الحسابات عددا هائلا من التواريخ المحددة لقدوم المسيح ولكننا سنكتفى هنا بذكر تاريخ واحد فقط ورد فى هذا الكتاب وهو عام ١٦٦٤ ميلادية ، ذلك لأنه اشهر التواريخ التى وضعها القباليون لقدوم المسيح ، كما انه كان التاريخ الذى وجد رواجا عظيما بين يهود القرن السابع عشر الميلادى كما اعتمدت عليه اكبر حركة للادعاءات المسيحانية وهى الحركة التى قام بها المسيح الكاذب الذى يدعى شبتاى تسيڤى والذى اثرت حركته على تطور فكرة الخلاص وشخصية المسيح اليهودى ، وهو ماسنتناوله باسهاب فى الباب الرابع .

وكان موسى بن ميمون معارضا قويا لعلم الجماتيريا كوسيلة لتحديد تاريخ قدوم المسيح ، وفى كتابه دلائل الحائرين[٦٥] يحذر من الوقوع فى خطأ ذلك العلم ومايدعيه أصحابه من قدسية للكلمات ودلالتها العددية .

كما عارض اللجوء الى التنجيم لتحديد موعد قدوم المسيح الا اننا ومع ذلك فان موسى بن ميمون لم يستطع مقاومة جاذبية الحسابات المسيحانية فوضع حسابات خاصة به معتمدا على سفر دانيال .

---

٦٣) ص ١١٢ نقلا عن Silver : A History of the Messianic Speculation P· 245·

٦٤) يرجع زمن تاليفه الى اواخر القرن الثالث عشر . وهو مجهول المؤلف لكنه ينسب للربي عقيبا .

٦٥) موسى بن ميمون : دلائلا الحائرين تحقيق حسين اتاى فصل ٥٧ .

Silver : A History of the Messianic Speculation, P·215Œ

وكان يهودا بن صموئيل هحاسيد معارضا قويا للتوقعات المسيحانية ، فيقول فى كتاب الحاسيديم « سيفرهيحاسيديم » اذا رأيت رجلا يتنبأ بالمسيح فاعلم أنه اما ساحر او هبطت عليه الشياطين وعلمته تلك الحسابات والأشياء السرية لتذهله وتربك الجموع المحيطة به لانه لايوجد اى انسان يعرف أى شىء عن القدوم .

ولم يكن الايمان بقدوم المسيح يمثل عنصرا اساسيا للايمان باليهودية فى رأى حسداى كرسكس ، كما كان يعارض أى محاولة لاكتشاف النهاية ويصفها فى كتابه « أور أدوناى » نور الرب بأنها محاولات فاشلة ومرهقة بلا جدوى ولايتقبلها العهد القديم ولا أقوال الربانيين

ويتضمن كتاب « زوهر حاداش » الزوهر الجديد[٦٦] معارضة القباليين للحسابات المسيحانية معتمدا على ماورد فى نصوص العهد القديم والتلمود فقد ورد فيه "آن الرب لم يكشف عن مكان قبر موسى[٦٧] حتى الآن لان الرب قد اخفاه ولايريد الكشف عنه . كذلك النهاية ايضا لايمكن الكشف عنها كما ورد فى اشعياء[٦٨]أن يومَ الانتقام فى قلبى ولم اكشف عنه حتى لفمى "ويؤكد مؤلف الكتاب على آقوال التلمود التى تدعوا الناس لأنها الطريق الوحيد نحو الخلاص

ويعارض يوسف البو فى كتابه « هاعيكاريم » الاسس (آو المبادىء) موسى بن ميمون يجعله الايمان بقدوم المسيح عنصرا اساسيا للايمان باليهودية ويعتبره مجرد فرع فقط من فروع ذلك الايمان على اليهود آن يؤمنوا به وينتظروا قدومه لكنه أكد فى المناقشة العلنية التى دارت بينه وبن الاب حاييم جالى بابا على سرية تاريخ القدوم واستحالة الكشف عنه من خلال نبؤات العهد القديم لانها تشير الى احداث تنتهى لزمن كتابتها[٦٩] .

ويوجه إسحق أراما (١٤٢٠ ـ ١٤٩٤م) هجومه بصفة خاصة الى برحيا لاعتماده على التنجيم فى الكشف عن زمن النهاية فيقول "إن وقت الخلاص لايتوقف على أى من الكواكب السماوية بل على ارادة الله ومشيئته الحرة[٧٠] .

كما يعارض أيضا "أولئك الذين علقوا مصير اسرائيل على الأجرام السماوية" ويدين "الذين استبدلوا عناية الرب الالهية بسيطرة الكواكب ، فمثل هؤلاء الناس يؤخرون الخلاص بالفعل لأنهم يحولون أذهان الناس بعيدا عن الشىء الوحيد الذى يسرع من الخلاص وهو التوبة[٧١] .

---

٦٦) كتاب مجهول المؤلف وزمن التاليف .
٦٧) تثنيه ٣٤ ٦ .
٦٨) اشعياء ٦٣ / ٤ .
٦٩) المرجع السابق .
٧٠) Sarachek : The Doctrine of the Messiah in Jewish Hebrew Kiterature, P. 143.
٧١) Arama, I. : Commentary on Song of Songs, Warsow, 1911, P.32.

ومن اهم المعارضات التى وجهت للتوقعات المسيحانية فى تلك الفترة ايضا نجدها فى كتاب « ميئور عينايم » نور العينين الذى كرس فيه مؤلفه عزاريادى روس (١٥١٣ ـ ١٥٧٨م) فصولا كاملة لدحض تلك الحسابات ، وكان تناوله لذلك شاملا واضحا ، فانتقد التقويم العبرى الذى وضعه الربانيون ، وانتقد كل التواريخ المسيحانية منذ عصر التلمود حتى العصر الذى يعيش فيه مؤكدا اقوال الربانيين التى تنهى عن القيام بمثل تلك الحسابات ، كما كذب بصورة خاصة توقعات برحيا وابرابانيل اللذين اعتمدا على علوم الفلك ووصفها بالزيف والهرطقة .

فيقول : "لقد سقط كل المفكرين العظام أمثال سعديا وراشى وبرحيا وابرابانيل وغيرهم ، فى تلك الخطيئة ، وحددوا تواريخ معينة ، وكان لكل منهم حلم جميل لكنه لم يكن حقيقيا فذهبت آمالهم عبثا ، وقد تعلم المفكرون المعارضون تلك الحكمة منهم ، فارتكبوا نفس الخطيئة وقالوا بآن اليوم القريب . لكن لا آحد يمكن آن يعرف ماسيحدث عندما يثبت فشل تلك التوقعات وأى خيبة امل ستحيق بالناس من جراء ذلك(٧٢) .

وهكذا أوضحت لنا الصفحات السابقة أن معارضة التوقعات المسيحانية كانت ملازمة لظهورها منذ فترة التلمود ، وقد استمرت تلك المعارضات طوال فترة العصور الوسطى ، وكانت حجة آولئك المعارضين تتآكد فى كل مرة بعد فشل التوقعات وما كانت تحدثه من اضطرابات بين اليهود . وكانت معارضتهم تشتمل على جميع الوسائل المستخدمة فى تحديد تاريخ القدوم .

المسحـــاء الكـــاذبـــون :

كان المفهوم المسيحانى ـ كما رأينا على الصفحات السابقة ـ عنصرا اساسيا فى مؤلفات وآداب العصور الوسطى . كما اعتقد عدد كبير من ادباء ومفكرى اليهود خلال تلك الفترة بانه احد العناصر الاساسية من عناصر الإيمان باليهودية .

ولم يقتصر تأثير المفهوم المسيحانى على هذا النحو فقد تجاوز نطاق الاعتقاد والتناول الأدبى والصوفى والتغنى به فى القصائد والأشعار الى مجال التآثير فى حركة الجماعات اليهودية فى آوروبا وآسيا ، جاء ذلك على يد رجال ظهروا بين اليهود يدعى كل منهم فى زمنه انه ذلك الملك المسيح المنتظر . وقد استغل بعضهم الأحداث التاريخية المعاصرة لهم ، كالحملات الصليبية والطرد من اسبانيا مدعين انها علامات تشير الى الكوارث والدمار الذى يسبق مجىء العصر المسيحانى .

---

72) Dei Rossi : Meo'r Ainaim Wilna 1865 · نقلا عن كتاب

Silver : A History of the Messianic Speculation P· 221·

وقد رأينا هنا ان نعرض لأهم الادعاءات المسيحانية التى تنتمى الى فترة العصور الوسطى لنتعرف على مدى تاثيرها على الجماعات اليهودية مشيرين الى الاضطرابات التى كانت تحدثها بينهم والتى تسببت أحيانا كثيرة فى جلب الاضطرابات لهم بدلا من ان تجلب لهم ذلك العصر المسيحانى الذى اوهموا به مواطنيهم وبنى جنسهم .

تحمل لنا وثيقة من الجنيزاه أو مايصادفنا من تلك الادعاءات المسيحانية الكاذبة التى تزامنت مع مجيء أول قوات الحملات الصليبية عام ١٠٩٦م . فتخبرنا عن الاضطرابات التى سادت بين يهود سالونيكا حيث ثم الاعلان عن ظهور النبى ايليا (الياهو) مبشرا بقدوم المسيح وعن حدوث بعض المعجزات هناك .

كما تخبرنا وثيقة أخرى من الجنيزاه أيضا بظهور مسيح كاذب آخر أثناء الحملة الصليبية الثانية ، وأنه ظهر فى فلسطين عام ١١٢١م . وادعى بآنه سوف يحرر فلسطين ، وقد آمن بتلك الادعاءات بعض من جنود الحملة الصليبية(٧٣) .

ومن أشهر من ادعوا المسيحانية فى القرن الثانى عشر الميلاذدى (عام ١١٤٧م) رجل يدعى داود بن سليمان ويعرف أيضا باسم داود الرائى من كردستان ـ وكان داود قد درس التوراه والمدراش والمشنا والتلمود على اعظم اساتذة عصره فى بغداد ، كما اتقن علوم العرب التى كانت مزدهرة فى عصره وأوغل فى تعلم التنجيم والسحر وغيرها من المعارف السرية .

وقد بدأ داود الرائى خطواته الأولى نحو ادعاء انه المسيح المنتظر بدعوة يهود بغداد والمناطق المحيطة للذهاب الى القدس والاستيلاء عليها . وقد اطلق داود على نفسه اسم مناحيم ومعناه المواسى وهو كما رأينا لقب من الالقاب التى تطلق على المسيح المخلص فى التلمود .

ونعرف اخبارا عن بعض تحركاته من أحد معاصريه ويدعى بنيامين بن توديلا فيقول بأنه قد صمم على تجميع اليهود من حوله بهدف الاستيلاء على فلسطين كلها بالقوة مدعيا أنما أرسله الله لاستعادتها وقيادة اليهود اليها مرة اخرى ، وقد آمن عدد كبير من اليهود ونادوا به مسيحا(٧٤) .

وقد أخذ داود الرائى فى نشر دعوته بين يهود بغداد والموصل والمناطق المحيطة وارسل لهم بان ساعة الخلاص قد حانت وطلب منهم مساعدته على تحقيق هذا الهدف ، وتجمع حوله يهود من اقليم اذربيجان وكونوا جيشا من المتطوعين . ثم قرر ان يشن هجوما حربيا على المسلمين بادئا بلاستيلاء على مدينة أمد التى

---

73) Jewish Enc· VolŒ 10, P· 380 ·

74) A History of the Messianic Speculation, P· 110·

ولد فيها . لكن جيوش المسلمين فتكت به واحبطت هجومه وقتل هو نفسه فى المعركة(٧٥) .

ويحدثنا موسى بن ميمون فى رسالته ليهود اليمن(٧٦) عن ظهور رجل فى اليمن عام ١١٧٢م يدعى أنه رسول المسيح جاء ليمهد الطريق لقدومه وظهوره القريب فى اليمن . وقد تجول ذلك المدعى فى أرض اليمن ليدعو الناس لاتباعه والسير لملاقاة المسيح . وتم القبض عليه وتقديمه للحاكم العربى لليمن فى ذلك الوقت ، وبسؤاله عن سبب تلك الادعاءات الكاذبة أجاب بأنه صادق وينطق بالحق . ونتعرف من خطاب موسى بن ميمون ليهود اسبانيا على بقية القصة فيقول : "ولما سأله الملك عن علامة ودليل على ذلك ، اجابه الرجل قائلا :

"اقطع رأسى وسأعود للحياة مرة أخرى . فقال الملك انه لاتوجد علامة أفضل من هذه ، وانه اذا صدق كلامه فسوف يقتنع هو وكل العالم بصدق دعوته ، وامر الملك فقطعوا رأسه ، وهكذا مات هذا الرجل ، فربما كفر موته عن ذنبه وعن كل بنى اسرائيل(٧٧) .

كما يشير موسى بن ميمون أيضا عن ظهور عدد آخر من المسحاء الكاذبين فى مناطق مختلفة . فقد ظهر مسيح فى فرنسا عام ١٠٨٧م لكن سرعان ماقتل هو واتباعه . وظهر آخر فى قرطبة بأسبانيا عام ١١١٧م وفى فارس بالمغرب ١١٢٧م ، وثالث فى لكن هذا الاخير كان يدعى بأنه نبى ومبشر بقدوم المسيح(٧٨) .

ويخبرنا النصف الثانى من القرن الثالث عشر عن ظهور مسيح آخر فى صقلية هو ابراهام ابو العافية الذى تنبأ بمجيء الخلاص خلال حياته وكتب عن ذلك فى كتابه "كتاب المعجزة" يحدثنا هذا الكتاب عن ظهور ثلاثة ملوك فى الأرض ، يدعو كل منهم الى عقيدة مختلفة ويحدث صراع عظيم بينهم ، فيذبح ملك الجنوب ملك الشمال ، ثم يتغلب ملك الشر على ملك الجنوب ويقهره وتذكرنا هذه الرؤى بالابوكاليبس المنتشر فى ادب عصر التلمود كما تذكرنا بالابوكاليبس المنتشر فى مؤلفات القرون الأولى للميلاد التى تناولت فكرة الخلاص . فالكاتب يصور الحروب التى نشبت فى عصره بين الدولة الاسلامية وبين الامبراطوريات الأوربية فى الموجات المختلفة للحروب الصليبية . ويشير هنا إلى تحطيم تلك القوى الصليبية ـ التى يرمز لها بملك الشمال ـ على يد المسلمين ـ أى ملك الجنوب ، فى شمال افريقيا وسوريا ، وهو الصراع الذى يشهد ظهور قوى أخرى ثالثة وهى قوى المغول ـ التى يرمز لها بملك الشر التى كانت تتعهد كل من المسلمين والصليبيين .

---

٧٥) يقول الربى بنيامين ان داود الراتى فشل فى جذب اهتمام زعماء اليهود فى بغداد والموصل الذين حثوه على ان يكف عن القيام بمثل تلك الاعاءات المسيحانية . اما فيما يتعلق بوفاته فيرى انه اغتيل على يد حماه الذى تقاضى رشوة لتنفيذ ذلك من حاكم آمديا . راجع نفس المرجع السابق .

٧٦) Marx. A. : Hebrew Union College Annual, Vo13 P. 356 .

٧٧) المرجع السابق ص ٢٥٧ .

٧٨) د . حسن ظاظا ، الفكر الدينى الاسرائيلى اطواره ومذاهبه ص ١٣٦ .

ونترك الكتاب ونعود الى مؤلفه ، ابى لعافيه ، ذلك المسيح الكاذب الذى ادعى انه درس التوراه والتلمود وجميع العلوم اللغوية والطبيعية والطب ، وانه على دراية بأعمال عظماء الأدباء والفلاسفة من بنى قومه منذ سعديا الفيومى وحتى موسى بن ميمون . وادعى أن هذه الدراسات قد منحته المعرفة الشاملة لكل شيء الا انها لم تمنحه النبوة ، واعلن إن قمه الغموض والأسرار فى الابجدية العبرية وانها قد قادته الى آفاق الرؤيا ويستمر ابو العافية فى تلك الادعاءات فيقول : وعندما وصلت الى الاسماء وكشف استار الغموض فيها تجلى لى رب العالمين ، واطلعنى على سره كما اطلعنى على نهاية السبى وبداية الخلاص[79] .

وقد انتشرت شائعات بمسيحانية ابى العافية حتى وصلت الى يهود المانيا فأحدثت اضطرابات هناك وساهمت فى هجرة بعض اليهود الى فلسطين عام ١٢٨٦ م الا انه فشل فى اقناع اعداد اخرى من اليهود بأماله المسيحانية فحملها الى العالم المسيحى (النصرانى) الذى كانت تنتشر فيه فى ذلك الوقت ـ شائعات اخرى بأن النبى عيسى سيعود فى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى وسيظهر فى فلسطين[80] ولم ينفر من التحول الى المسيحية ليثبت صدق إدعاءاته لكن دعواه قوبلت بالرفض وفضل المسيحيون فى المانيا تأييد الحروب الصليبية للاستيلاء على فلسطين معتقدين ان عيسى سيظهر هناك مرة اخرى[81]

والواقع ان اهمية ذلك المسيح الكاذب تكمن فى الاثر الذى أحدثته حركته ، فقد كانت بمثابة بعث لموجة اخرى ضد الربانية حيث إنتقد الربانيون والتلمود لاهمالهم لدراسة القبالاة ومعارضتهم لها حيث كان من احد مؤسسى القبالاه ، وقد لقيت افكاره رواجا بين بعض معاصريه .

لكن ، وفى نفس الوقت ، لقيت أفكاره معارضة كبيرة من ربانى التلمود فانكر سليمان الدرعى ادعاءات وافكار ابراهيم ابا العافية وكناه "بالوغد" ودعا كافة اليهود الى تكذيبه[82] .

وقد إستمر إثنان من حواريى ذلك المسيح الكذاب فى إدعاء المسيحانية وهما صمويل الملقب بالنبى من مدينة آجلور ـ فى أسبانيا ـ والآخر هو ابراهام من مدينة آفيلاه ـ فى أسبانيا أيضا ـ وقد ادعى الأخير انه المبشر بالقدوم وأن المسيح سيظهر عام ١٢٩٥م . فانتشرت ادعاءاته بين يهود تلك المدينة ، وفى اليوم المحدد ، اجتمعوا فى المعبد لانتظار المخلص الموعود الا انه لم يظهر بالطبع ، وانتشرت الفوضى بين اليهود نتيجة لفشل تحقيق تلك النبوءات الكاذبة[83] .

---

79) Marx A· : Hebrew Union College Annual, Vol· 3, P· 358

٨٠) راجع الفصل الأول من نفس الباب .

81) Gebehart : Mystics and Heretics in Italy Paris, 1950, P· 196 ·

82) Silver : A History of the Messianic Speculation P· 89 ·

83) The Jewish Enc·, Vol· I P·4554 ·

وهناك مسيح آخر كاذب من القباليين يدعى موسى بوتاريل M· Botarel أعلن نفسه مسيحا فى سسنروس Cisnerosعام ١٣٩٣م . بعد الاضطرابات التى حدثت فى اسبانيا وكان التفسير العام لتلك الاضطرابات على انها مخاض ولادة المسيح ويشير الى ذلك كتاب بريت منوحاه آى عهد الراحة قائلا وهذه إشارات باقتراب الخلاص ، ذلك انه حينما يقترب الخلاص ستزداد المعاناه وسيضطرب كثير من المؤمنين عندما يرون الاضطرابات العظيمة والفوضى العنيفة فى المنفى وسيتخلى كثيرون عن ايمانهم ليهربوا من سيوف الطغاة ولكن طوبى لمن يتمسك بايمانه ويسير على الدرب الصحيح فربما ينقذه ذلك من المخاطر التى نسميها مخاض ولادة المسيح[٦١] .

أما أشير لاملين Achier Lamelinفكان أول المسحاء الكاذبين فى القرن السادس عشر ، وظهر فى المانيا وآمن به عدد كبير وأعلن ان المسيح سيأتى عام ١٥٠٢م . ويبدو انه كان متأثرا بكتابات ابرابانيل الذى حدد ظهور المسيح عام ١٥٠٢م . أو ربما كان على علم بتوقعات بونيت دى لاتيس الذى نشر توقعاته فى روما وقال بأن المسيح سيأتى فى عام ١٥٠٥م[٦٢] على آى حال فقد ظهر ذلك المسيح الكذاب وامر المؤمنين به بهدم الأفران التى يخبزون فيها خبز الفصح الشرعى[٦٣] مدعيا أنهم سيخبزون خبز الفصح القادم فى الأراضى المقدسة ، كما فرض عليهم صياما خاصا ، وحدد لهم أياما معينة يتوبون فيها استعدادا لليوم العظيم لكن توفى ذلك المسيح الدجال فى نفس العام الذى حدده للخلاص ، فانتشرت الفوضى واعتنق عدد كبير من اليهود المسيحية[٦٤] .

وممن تأثروا أيضا بكتابات ابرابانيل وتوقعاته ، مسيح كاذب آخر هو داود الرأوينى الذى ولد فى خيبر ١٤٩٠م وتوفى فى اسبانيا ١٥٢٥م . وتجول فى مناطق كثيرة فى الشرق والغرب لاثبات ادعاءاته وتملق كل من المسلمين والنصارى واليهود ليصل الى تحقيق أحلامه .

فقد ادعى أنه سليل النبى محمد عليه الصلاة والسلام ، وأطلق الوعود بمكان فى الجنة لمن يتبعه من المسلمين . ثم ادعى انه الوريث الشرعى لعرش مملكة خيبر اليهودية التى أسقطها الاسلام . ثم ذهب للبابا فى روما ـ كلمينت السابع ـ ليعرض عليه خدماته لمحاربة المسلمين وطرد الأتراك من فلسطين . كما ذهب الى البرتغال ، وكثر اتباعه فى اوربا وانتشرت دعواه بين اليهود هناك[٨٨] .

---

61) Silver : A History of the Messianic Speculation, P· 109 ·
62) The Jewish Enc· Vol·3 P· 315·
٦٣) يسمى متيساه وهو خبز بدون خميرة .
46) Silver : A History of the Messianic Speculation,P·122·
٦٥) د . حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى : أطواره ومذاهبه ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

لكن حدث أن كثيرا من اليهود الذين كانوا قد تنصروا هم وذرياتهم تحت ضغط محاكم التفتيش فى أسبانيا والبرتغال بدآوا يتركون المسيحية ويتهودون من جديد ، وكان من بين هؤلاء اليهودى المتنصر "ريبجوبيريز" وسمى نفسه شلومومولكو(89) الذى اتبع ذلك المسيح وعاد الى اليهودية مرة آخرى ، وقد آحدث هذا رد فعل فى غاية السرعة بالنسبة لهذا المسيح الكذاب خصوصا بعد ان تقرر احراق مولكو علنا لخروجه عن المسيحية ، وهكذا تم القبض على داود الرآوينى فى اسبانيا واودع فى السجن ووضع له السم فى طعامه فمات(٩٠).

وهكذا انتهت تلك الحركة المسيحانية الكاذبة التى احدثت إضطرابا عظيما بين اليهود فى منتصف القرن السادس عشر.

لكن تاريخ الحسابات المسيحانية لم يتوقف عند ذلك المسيح الكذاب ، فقد كانت أعظم حركة مسيحانية كاذبة ، هى تلك التى قام بها شبتاى تسفى وكان لها آثار بالغة على فكرة الخلاص فى القرنين السابع عشر والثامن عشر لذلك سوف نرجىء الحديث عنها الى الباب الرابع.

وبناء على ماسبق عرضه من أهم التوقعات الموضوعة لمجىء المسيح ، والادعاءات المسيحانية التى ظهرت فى تلك الفترة الطويلة تخلص الى مايلى :

ظهرت التوقعات المسيحانية منذ عصر التلمود الا ان المؤلفات التى تناولت فكرة الخلاص فى العصور الوسطى تميزت باعطاء مزيد من الاهتمام لتلك التوقعات حتى أصبحت عنصرا ملازما لفكرة الخلاص ، كما اصبحت تجذب اليها ادباء تلك الفترة ، وكان من السهل عليهم التوفيق بين الوسائل المتعددة التى استخدموها

والتواريخ التى حددوها ويرجع السبب فى ذلك الى ما كانت تتميز به تلك الوسائل من تنوع ومرونة بحيث يسهل تطويعها لتتناسب مع اى أرقام ، وقد انتج هذا كما هائلا من التواريخ والتوقعات بقدوم المسيح التى ثبت زيفها ، والتى تتسبب فى انتشار خيبة الأمل بين اليهود وقد تنبه الى ذلك واضعو التوقعات المسيحانية فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر فعمدوا الى تحديد تاريخ للقدوم يبعد عن الزمن الذى يعيشون فيه وذلك لتجنب الاضطرابات التى كانت تشهدها عصورهم اذا ما فشلت توقعاتهم بمجىء الخلاص على يد المسيح المنتظر.

وبالرغم من ان القبالاة قد تخلصت من كثير من العناصر الأسطورية وعنصر الكارثة فى فكرة الخلاص ، وقالت بأن الخلاص مرحلة تأتى تلقائيا دون اى علاقة بالاحداث السابقة عليها وانها نتيجة منطقية للتاريخ فى المسار التدريجى للكون ،

---

89) Roth, C. : A History of Jewish People. P. 301.

٩٠) د . حسن ظاظا . الفكر الدينى الاسرائيلى اطواره ومذاهبه ص ١٤٠ .

الا ان الحسابات المسيحانية جذبت القباليين أيضا فوضعوا تواريخ محددة يتوقعون مجيء الخلاص فيها ، وقد أسرف أولئك القباليون فى الاعتماد على الدلالة الرقمية للحروف واعتقادهم بأن الكلمات العبرية تحتوى على معانى خفية بعد تحولها الى ارقام .

الا ان التوقعات المسيحانية الموضوعة لم تستمر بدون معارضة أولئك الذين رأوا فى أن الخلاص لايتضمن الا محتوى دينى ولا علاقة له بهذا العالم ، بل ينتمى

إلى العالم الآخر وأنه سر من أسرار الرب لا يمكن أن يكشف عنه أبدا ،وكانت معارضتهم تنسحب على الوسائل المستخدمة لتحديد موعد قدوم المسيح ، كما كانوا يرون فى نصوص العهد القديم وأدب الابوكاليپس نصوصا تعكس أحداثا معاصرة لزمن تأليفها .

ومما لاشك فيه ان تلك الادعاءات المسيحانية الكاذبة التى عرضنا هنا لاهميتها كانت احدى النتائج الحتمية لانتشار الحسابات المسيحانية والتى كانت بمثابة انعكاس للظروف التاريخية للبلدان التى ظهرت فيها .

فقد تزامن ظهور تلك الادعاءات المسيحانية كما رأينا مع مجيء الحملات الصليبية ، ثم مع الاضطرابات التى شهدتها اسبانيا فى أواخر القرن الرابع عشر . كما رأينا أيضا ذلك التزامن المتوقع بين ادعاء داود الرأوبينى فى القرن السادس عشر وبين حادثة طرد اليهود من أسبانيا والتى فسرها عدد من أدباء اليهود على أنها تشير الى مخاض ولادة المسيح التى يتبعها ظهور ابن داود حاملا معه خلاص اسرائيل .

وقد رأينا كيف كانت الادعاءات تأتى بنتيجة عكسية على مدعيها ومؤيديهم وبدلا من أن يحقق لهم ذلك الحلم الخرافى فى مملكة الخلاص كانت تتسبب فى انتشار الفوضى بينهم . فقد رأينا كيف كان أولئك الذين يقعون فى برائن تلك الخرافات يتخلون عن تجارتهم وأموالهم ويتركون بيوتهم وشعائرهم انتظارا لتحقيق عصر الخلاص الذى سيجلبه معه ذلك المسيح اليهودى الكذاب ، كما كانت الادعاءات الكاذبة تتسبب فى جلب الاضطرابات على اليهود من حكومات الدول التى تنتشر فيها والتى كانو ينظرون اليها بعين الريبة والشك ويقابلونها بالقمع خشية أن تتسبب فى نشر الفوضى فى بلادهم ، وكان ذلك كله السبب فى فرض مزيد من القيود عليهم وفى مزيد من الخراب والاضطهادات التى جلبوها وتسببوا هم فيها ، وكانت ردا على تلك الفوضى التى اشاعوها فى البلدان التى عاشوا بين ظهرانيها .

الباب الرابع

فكرة الخلاص فى العصر الحديث

الفصل الاول

حركة شبتاى تسيفى وأثرها على فكرة الخلاص

كان شبتاى تسيفى (الذى ولد فى أزمير عام ١٦٢٦ م وتوفى فى ألبانيا عام ١٦٧٥ م) نموذجا غريبا من المسحاء الكاذبين الذين ظهروا معتمدين على فكرة الخلاص وانتشارها بين اليهود . وقد انتشرت إدعاءاته الكاذبة فى أنحاء كثيرة من اوروبا وآسيا وأفريقيا فى النصف الثانى من القرن السابع عشر ، كما تكمن أهمية تلك الحركة المسيحانية فيما أحدثته من تطور على مفهوم الخلاص فى العصر الحديث مما يجعلنا نفرد لها فصلا خاصا لبحث أصول تلك الحركة ثم نتناول فيه ما أحدثته من تطور على فكرة الخلاص .

حياته :

ولد شبتاى تسيفى فى أزمير ١٦٢٦ م من أسرة يهودية المانية نزحت واستقرت فى أزمير . كان أبوه يعمل فى تجارة البيض والطيور وقد نشطت تجارته بصورة خاصة أثناء نزاع نشب بين تركيا والبندقية وأصبح من كبار أغنياء عصره .

أما شبتاى فقد تلقى تعليمه فى مدرسة يوسف اسكابا التى درس فيها التوراة والتلمود . وفى سن الثامنة عشرة إجتذبته دراسة القبالاة وخاصة قبالاة لوريا فكرس جزءا من حياته لممارسة الزهد كما كان يكثر من التطهر فى ماء البحر صيفا وشتاء .

وفى سن الثلاثين صار من أكثر أبناء عصره معرفة بالتوراة كما أصبح من أشهر الأساتذة وتخرج على يديه طلاب الدراسات التلمودية من بنى جنسه . وقد آشتهر شبتاى أيضا بطلاقة لسانه فى الحديث والخطابة ، وكان يكثر من انشاد أبيات لوريا كما قام بتأليف قصائد باللغة الأرامية وكان ينشدها على تلاميذه وحوارييه [١] .

1) Roth, C . : A History of Jewish People, Eost and West Liberary, London, 1969, P . 557 .

كان شبتاى على معرفة واسعة ، كما كان دارسا متعمقا للقبالاة ، وبالطبع فقد درس تلك الفقرات العديدة فى القبالاة التى تشير الى أن عام ١٦٦٤ م سيكون عاما للخلاص النهائى الذى يأتى فيه ملك إسرائيل المخلص [٢] . وقد إستغل شبتاى تسيفى تلك التأكيدات الواردة فى الزوهر وأعلن نفسه مسيحا لهذا الخلاص ونشر دعوته بين تلاميذه الذين أمنوا به على الفور وأصبح له مريدون كثيرون فى أزمير وغيرها من المدن المجاورة .

لم تمر إدعاءات شبتاى تسيفى بدون معارضة ، فقد أعلن رؤساء المجتمع اليهودى فى أزمير ـ وخاصة الرؤساء الدينيين فى مدرسة اسكابا التى تخرج فيها ـ اللعنة على شبتاى وأتباعه وحرموه كنسيا ، وبدأ البعض منهم فى التعرض لهم بالاعتداء والضرب فهرب مع بعض أتباعه الى القسطنطينية ، وهناك إستغل شبتاى تسيفى فرصة غياب السلطان ورجال الحكومة خارج المدينة فى ذلك الوقت ـ وراح يبشر بالخلاص وكان يعاونه فى ذلك بصورة خاصة آحد آتباعه الذى يدعى إبراهام ياكينى ، لكنه وجد معارضة شديدة أيضا بين اليهود ، فقد آرسل رؤساء اليهود فى أزمير إلى بنى جنسهم فى القسطنطينية ليحذروهم من إدعاءات ذلك المسيح الكاذب وضرورة التعامل بحذر مع تلك الإدعاءات الكاذبة ، وقد أحس شبتاى تسيفى بالخطر فى مدينة القسطنطينية أيضا . وفر مرة أخرى مع أتباعه متجها فى تلك المرة إلى مدينة سالونيكا التى كانت مركزا لدراسة القبالاة [٣] .

وفى سالونيكا عكف شبتاى تسيفى على دراسة التوراة مرة اخرى ، وأقام فى أمان هناك لعدة سنوات

وفى إحدى الولائم اعلن شبتاى امام جمهور هائل من الحاضرين زواجه من التوراة ، مدعيا أن هذا الزواج يمثل الاتحاد العضوى بينه ، بأعتباره المسيح المخلص ، وبين توراة إسرائيل[٤] .

وهنا يعلن رؤساء اليهود تنكرهم لدعوى شبتاى تسيفى وتكفيره هو وأتباعه ويصل هذا التنكر إلى إستباحة دمه ، فيلوذ مع مجموعة من أولئك الأتباع بالفرار من سالونيكا (عام ١٦٥٨ م) ويظل يتجول بين عدة بلدان فيذهب إلى أثينا ثم إلى أزمير ثم يعود للقسطنطينية متمسكا بدعواه وانه المسيح وأن وقت الخلاص قد إقترب بالفعل ، وتزداد معارضة الربانيين له مرة أخرى فى القسطنطينية فيعود إلى أزمير وقد إزداد نضجا كما علمته التجارب الماضية أن يصبح أكثر حيطة وسرية فى إتصالاته .

ثم يواصل شبتاى تسيفى دعوته ، فيذهب إلى القاهرة وهناك يتعرف على رئيس الطائفة اليهودية فى مصر ويدعى روفائيل يوسف جلبى الذى كان مؤمنا بتعاليم القبالاة وخاصة تعاليم لوريا وكان له أيضا تلاميذ من القباليين يجتمعون عنده

---

(٢) راجع الفصل الثالث من الباب الثالث .
(٣) د . حسن ظاظا . الفكر الدينى الاسرائيلى أطواره ومذاهبه ص ١٤٢ .
4) Roth, C. : A Short History of Jewish People P. 562

باستمرار لدراسة التوراة ، فاستغل شبتاى هذه الفرصة ونشر تعاليمه بينهم وكان يفخر أمامهم بأنه المسيح المخلص ، فآمن به روفائيل جلبى وتلاميذه وساعده بالمال لنشر دعواه .

ويقرر شبتاى تسيڤى الذهاب إلى فلسطين لنشر دعواه هناك ، وكانت فلسطين فى ذلك الوقت تعانى من سوء الأحوال الاقتصادية وشهدت هجرات أعداد كبيرة من الأغنياء منها ، ولم يبق فيها سوى البؤساء الذين كانوا يعانون من الضيق واليأس ويرحبون بأى محاولة للتغيير ، فأنتهز شبتاى هذه الفرصة لنشر دعواه وتعاليمه هناك ولبس لباس النساك وأخذ يكثر من الصلاة والصوم والنواح على أورشليم وترتيل المزامير ليلا ، كما عمل هو ومريدوه على نشر دعواهم بين أولئك البؤساء فآمنت به أعداد لا بأس بها وقد ساعده على ذلك تلك الظروف الاقتصادية التى كان يعانى منها ساكنو فلسطين من اليهود حيث فرض والى فلسطين عليهم إتاوة باهظة ، وهنا يتدخل شبتاى لتقديم مساعدات لبنى جنسه ، فيلجأ إلى روفائيل جلبى لمساعدتهم فيستجيب لطلبه ، ويرسل لهم أموالا كثيرة للتغلب على تلك الأزمة الاقتصادية وقد أدى ذلك إلى جذب أعداد كبيرة من يهود فلسطين إلى دعوة شبتاى تسيڤى وكسبت حركته بذلك مزيدا من الأتباع .

وأثناء تواجد شبتاى تسيڤى فى القاهرة لطلب المعونة المالية ليهود فلسطين ذاع صيت فتاة يهودية "تدعى ساره" فى أوروبا كانت قد هربت من بولونيا بعد الاضطرابات التى حدثت هناك واستقرت فى امستردام ، وهناك راحت تنشر بأن تلك الأحداث التى يعيشها اليهود تؤكد على أن الوقت المناسب قد حان ليقوم على اليهود رئيس منهم ومبعوث من العناية الإلهية ليكون مسيحا ومخلصا وملكا عليهم ، (٥) وكانت ساره على جانب كبير من الجمال ، وعرف عنها أتباعها أسلوب حر فى الحياة ومبالغتها الشديدة فى تلك الحرية ، وقد علم شبتاى تسيڤى برغبة ساره فى مقابلته ، ورحب بذلك فأرسل باستدعائها للزواج منها ، وتم لهما ذلك بالفعل .

وعند عودة شبتاى تسيڤى من القاهرة إلى فلسطين تقابل فى مدينة غزة مع يهودى يدعى بنيامين ليڤى الذى كان دارسا لتعاليم التوراة والتلمود ومعتنقا لتعاليم **القبالاة ومبادئها ، وقد أعجب به شبتاى وجعله من أقرب المؤمنين به واتفق الإثنان معا على التبشير بقدوم الخلاص وإعلان شبتاى تسيڤى ملكا مخلصا ، وإعلان بنيامين ليڤى بأنه نبى الدعوة المبشر بقدوم المسيح المخلص والذى أصبح يعرف منذ ذلك الوقت بناثان ، أو ناثان الغزاوى نسبة إلى مدينة غزة التى بدأ ينشر دعوته منها .**

وسرعان ما اتفق الإثنان على بداية تنفيذ خطتهما ، وفى مارس ١٦٦٤ م إدعى ناثان - النبى المبشر بقدوم المسيح - أنه رأى رؤيا عن شبتاى تسيڤى يظهر أمامه على أنه الملك الذى أرسله الرب لخلاص بنى قومه . كما اتفق كل من شبتاى وناثان

---

5) Roth, C. : A History of Jewish People P. 558

على تزييف وثيقة تؤيد تلك الرؤيا وتشهد بأن شبتاى هو المسيح المنتظر فأحضر ناثان قطعة قديمة جدا من رق الغزال وأزال منها الكتابة القديمة ثم كتب عليها ما يثبت هذه الأكذوبة ، وأظهر الصحيفة للناس فإزداد عدد المؤمنين بإدعاءات شبتاى تسيفى .(٦) ومنذ ذلك الوقت عكف كل من ناثان وشبتاى على نشاط واسع

لنشر تلك الادعاءات والقيام بثورة لاستعادة القدس لتكون عاصمة يحكم منها المسيح العالم كله ، وكان تأثير ناثان عظيما على نشر الحركة ، فقد بدت دعوة شبتاى منذ ذلك الحين على أنها دعوة صحيحة يؤيدها نبى حقيقى مبشر بالقدوم ، كما كان لناثان دور آخر هام فى استمرار تعاليم حركة شبتاى بعد فشل شبتاى تسيفى نفسه كما سنرى .

ونعود لتتبع مسيرة ذلك المسيح الكذاب فنعرف أنه شعر بالقوة بعد إزدياد مريديه وأتباعه فى فلسطين وفى أخريات عام ١٦٦٤م ، **يقرر الدخول إلى مدينة القدس معلنا أنه المسيح المخلص وأنه المتصرف فى مصير العالم منذ ذلك الوقت ومسيطر عليه بأعتباره حاكم آخر الزمان لذلك فقد قسم العالم كله إلى ستة عشر قسما ، وزع رئاستها على ستة عشر رجلا من أتباعه ليكونوا نوابا له عليها فى عصر الخلاص(٧) .**

وهنا أيضا تلقى دعوة شبتاى تسيفى معارضة قوية من حاخامات القدس فيأمروا بضرورة تتبعه ليكف عن تلك الأكاذيب ، ويتم لهم ذلك فيتتبعوه حينما يذهب إلى هناك ، ثم يطردونه شر طرده فيخرج هاربا من القدس لكنه لايكف عن دعواه فيرسل بعضا من مريديه إلى أزمير ليبشروا الناس بظهور شبتاى مرة أخرى وتجليه فى صورة مسيح "آخرة الأيام" ، فانتشرت تلك الدعوة بين الناس وفى آزمير ، فى عيد رأس السنة اليهودية لعام ١٦٦٥ م . إستقبله جمهور كبير من اليهود إستقبالا حماسيا ، وسار أمامه المريدون والنافخون فى البوق معلنين التجلى الأعظم للمسيح المنتظر ، ومنذ ذلك الوقت أصبح شبتاى تسيفى يصدر تعاليمه الدينية الخاصة لأتباعه ، ويعلن عن انتهاكاته الصريحة للتوراة والشريعة اليهودية مما زاد من ثورة معارضيه من الربانيين واليهود له .

وصلت أخبار تلك الحركة إلى الوزير الأكبر أحمد كوبريلى بالقسطنطينية ، فأمر بالقبض عليه وتم ترحيله إلى غابة أبيدوس ، كان يوضع فيها السجناء السياسيون وكانت تسمى مفتاح البحر إلا أن أتباع شبتاى تسيفى أطلقوا عليها أسما آخر هو "ميجدال عوز" أى برج القوة(٨) .

---

(٦) د . حسن ظاظا ، الفكر الدينى الاسرائيلى اطواره ومذاهبه ص ١٤٥

7) Eichhorn, D. M. : Conversion to Judaism, London, 1964, P. 119

8) Epstein, I. : Judaism, A History Presentation, P. 248

وأثناء وجود شبتاى تسيفى فى ذلك المنفى ، جاءت نقطة تحول عظيمة فى حركة شبتاى ، فقد زاره رجلان من اليهود هما اشعيا بن داقيد وأخوه ، وأخبراه بوجود رجل يهودى يدعى نحميا هاكوهين يدعى أنه نبى وأنه يبشر بمجىء مسيح يدعى شبتاى ، فأمرهما بإحضاره إليه ليكون نبيا لدعوته وأنه المسيح المخلص الذى جاء بالفعل إلى هذا العالم ، ويبشر بعودة ظهوره مرة أخرى فكان له ماطلب ، وجاء نحميا هاكوهين لزيارة شبتاى فى منفاه إلا أنه لم يعجب به وبتعاليمه ، فيرفض التبشير بعودته للظهور مرة أخرى ، فأثار ذلك الموقف أحد أتباع شبتاى تسيفى ، وحاول قتله إلا أن نحميا هاكوهين يتمكن من الهرب ، ويذهب إلى نائب الحاكم ويخبره باستمرار شبتاى تسيفى فى إدعاءاته الكاذبة وأنه يهدف إلى القضاء على حكم الدولة التركية ، ونقلت تلك الأنباء الى حكومة السلطان التركى فى ذلك الوقت ويدعى محمد الرابع (١٦٤٥ ـ ١٦٨٧ م) فاستدعى شبتاى تسيفى للمثول أمام السلطان وهناك أعلن شبتاى تسيفى أنه يريد الدخول فى الاسلام فوافق السلطان . فأعلن شبتاى إسلامه وإسلام زوجته وأصبح إسمه منذ ذلك الوقت محمد أفندى ولقبه التركى قاتوجى باشى ايطراق "ومعناها خادم الاعتاب" .(٩) وأصبح إسم زوجته فاطمة وخلع شبتاى الملابس والقبعة اليهودية وارتدى الملابس والعمامة التركية البيضاء .

لكن بالرغم من إسلامه وإتقانه للغتين العربية والتركية ودراسته للقرآن فإنه لم يقطع الأمل فى قيادة حركة جديدة بين اليهود فكان دائم الاتصال ببعض من اتباعه وكان ينكر أمامهم إسلامه معلنا أن ذلك الاسلام ليس إلا ستارا يختفى وراءه وقد إنتقلت تلك الأنباء أيضا إلى الحكومة التركية التى أحست بخطورة ذلك الرجل فأمرت بنفيه إلى قرية فى ألبانيا وبقى فيها إلى أن مات فى أواخر عام ١٦٧٥ م .

أثر حركة شبتاى تسيفى على مفهوم المسيحانية :

ينظر المؤرخون إلى حركة شبتاى تسيفى وادعاءاته المستمرة بأنه المسيح المخلص على أنها أكبر حركة مسيحانية كاذبة شهدها تاريخ اليهود حيث انتشرت دعواه بين عدد هائل من اليهود وانتشرت تعاليمه بينهم ، ومن ناحية أخرى كانت لتلك التعاليم وتلك الحركة الكاذبة آثار عظيمة على تطور فكرة الخلاص فى العصر الحديث وهو ماسنحاول الإجابة عليه فى السطور التالية .

يبدو لنا أن أهم الأسباب التى ساعدت على انتشار دعوى شبتاى تسيفى وأتباعه هو اعتماد تلك المجموعة على مبادىء القبالاة فى نشر دعواهم وهى المبادىء التى انتشرت بين اليهود فى جميع البلدان على يد اليهود الأسبان بعد

(٩) د . حسن ظاظا . الفكر الدينى الاسرائيلى أطواره ومذاهبه ص ١٤٥

طردهم من أسبانيا ، وكانت قبالاة لوريا بصفة خاصة وماتحمله من أفكار جديدة عن عالم الخلاص وطبيعة العالم المسترد آى عالم الاصلاح الذى سيأتى فى أعقابه مباشرة هى القبالاة التى نشرها أولئك اليهود الأسبان فى المجتمعات التى استقروا فيها ، وكانت قبالاة لوريا ـ كما ذكرنا قبلا[١٠] . تهتم بالتركيز على الجانب الروحى من الخلاص وأصبح الخلاص فى بؤرة الحديث وهكذا كانت قبالاة لوريا كفيلة بزيادة التوقعات المسيحانية والتفكير فى القدوم السريع للمسيح المحرر وتوقع مجيئه فى كل لحظة .

ومن ناحية أخرى كانت التواريخ المحددة لقدوم المسيح ، التى شغلت معظم مفكرى اليهود فى العصور الوسطى ، عاملا هاما ساعد على تهيئة اليهود فى آى مكان بتوقع حدوث شىء مايجلب معه الخلاص فى تلك السنوات التى حددها أدباؤهم ومفكروهم . وكان عام ١٦٦٤ م هو عام القدوم الشائع بين أولئك الحاسبين وخاصة القباليين منهم مؤكدين أنه عام قدوم المسيح المخلص ، وقد عرف شبتاى تسيڤى وحواريوه ونبى دعوته كيف يستغلون تلك التوقعات المسيحانية ليثبتوا صدق دعواهم ، فتخيروا بدقة عام ١٦٦٤ م للإعلان عن ظهور شبتاى تسيڤى ملكا مسيحا مكلفا بخلاص اليهود ، **فكان ظهور شبتاى تسيڤى ونبى دعواه بمثابة تجسيد لهذا الأيمان المنتشر الذى أصبح حقيقة ملموسة أمامهم فامنوا به وصدقوا إدعاءاته الكاذبة .**

أما فلسطين فكانت تعانى من تدهور إقتصادى شامل ـ كما سبقت الأشارة ـ وهنا رأى شبتاى تسيڤى فى الجماهير الساكنة فيها أرضا خصبة يزرع فيها تلك الاوهام الكاذبة والآمال الزائفة .

ثم جاءت الخطوة التى كنا نتوقع معها الانهيار الكامل والفشل الذريع لتلك الحركة المسيحانية فقد أعلن شبتاى تسيڤى إسلامه ، وكان هذا من شأنه آن يؤدى إلى القضاء التام على تلك الحركة ، ويكشف لأتباعه عن تلك الأكذوبة الكبيرة التى وقعوا فيها ودافعوا عنها ، لقد إعتنق مسيحهم الأسلام بدلا من أن يحررهم من الدولة الاسلامية ، بل أنه حتى يتمسك بأسمه اليهودى ، فأعلن أمام السلطان التركى أنه أصبح "خادم الأعتاب" بدلا من أن يقضى عليه ، وأخيرا فقد تخلى عن التحرر السياسى من العبودية وهو الخطوة التى كان من المفروض أن تأتى تلقائيا فى مرحلة الاصلاح كما تقول القبالاة .

لقد كان ذلك كفيلا بسقوط الحركة وكشف زيفها أمام المؤمنين بها كما حدث مع كل الحركات والادعاءات المسيحانية السابقة ـ كما رأينا إلا آن القوى الموجهة لهذه الحركة كانت فى الواقع قوى على قدر من التمسك والحيطة ، إستطاعت بقدر الامكان التغلب على ذلك التناقض الذى صاحب إعتناق الاسلام بدلا من إستمراره

---

(١٠) راجع فصل القبالاة وفكرة الخلاص

فى قيادة بنى جنسه للتحرر وسيادة العالم ، وقد تمثلت تلك القوى بصورة خاصة فى نبى الحركة ناثان الغزاوى وعدد آخر من آتباع شبتاى وكتاب تلك الحركة امثال : ابراهام كوردوزو وصمويل بريمو وابراهام روفيجو ومردخاى اشكنازى ونحميا حيون وغيرهم ممن حملوا راية الدفاع عن شبتاى تسيفى بعد فشل حركته والذين بذلوا جهودا عظيمة للحفاظ على إستمرارية الحركة ودفع هذا الاستمرار بكل الوسائل للبقاء على حياة تلك الحركة كما لو كانوا يدافعون عن حياتهم

وبقائهم ، والسبب فى ذلك معروف فقد جعلتهم تلك الحركة الزائفة فى مركز القيادة لابناء شعبهم ، وصنعت منهم أنبياء وأبطالا فى نظر أتباعهم ، فضلا عما حققه إنتشار الدعوى من مكاسب مادية تمثلت فى الهبات والتبرعات التى كان يغدقها أغنياء اليهود عليهم لتمويل تلك الحركة .

ومن هنا يمكن أن نفهم لماذا إستمات أولئك الأتباع فى الدفاع عن تلك الحركة واستمرارها وكرسوا جهودهم للقضاء على التناقض والتعارض الذى حدث نتيجة لتحول شبتاى تسيفى عن اليهودية للاسلام كما إضطروا إلى تبرير إنتهاكاته لوصايا التوراة والمحرمات الأخرى الواردة فى التلمود واتباعه آسلوبا علنيا فى ذلك ، فأصبح همهم الأكبر هو البحث فى نصوص التوراة والتلمود وجميع الآداب القديمة على مايؤيد هذا التبرير حتى بدا أمام أعينهم أن كل التراث القديم لايتحدث إلا عن التحول الحتمى للمسيح المخلص عن يهوديته لكى ينهى مهمته فى هذا العالم ، وقالوا بحتمية نزول المسيح إلى العالم السفلى واقترافه لكثير من المحرمات لكى يعجل من هذا الخلاص ويصل بالعالم إلى مرحلة الاصلاح الكامل .

وكانت ردود الفعل الأولية ، عن تحول شبتاى عن اليهودية ، التى انتشرت بين **اتباعه ، كانت تتخبط بين الأسطورية والتبرير فقد حاول أولئك الأتباع اقناع انفسهم بتمسك مسيحهم بيهوديته .**

وأخذوا فى تكذيبه مجرد أنه أشهر إسلامه حتى أمام السلطان ، فأعلنوا أمام جماهيرهم بأن شبحا جاء على نفس صورة وشكل شبتاى تسيفى وأعلن ذلك أمام السلطان ، أما شبتاى الحقيقى فقد صعد إلى السماء ليعود للظهور مرة أخرى بصورة أكثر إجلالا وعظمة وبهاء ليستكمل عمله فى الخلاص(11) .

ثم ظهرت إجابة أخرى لتفسير ذلك ، فقد نظر أتباع شبتاى إلى تحوله للاسلام على أنه سر دينى فى حد ذاته ينطوى على أهمية قصوى فى عملية الخلاص وقالوا بأن ذلك كله يمثل أحداثا مجهولة غامضة لن تعرف تفاصيلها مسبقا ، كما لايمكن أبدا فهم الاشارات الواردة عنها فى العهد القديم إلا بعد أن تأتى هذه الأحداث المتنبأ بها إلى العالم الفعلى ، وهى النبوءات والأحداث التى كان كل من ناثان الغزاوى وابراهام كوردوزو مكلفين بتفسيرها .

---

11) Roth, C. : A Short History of Jewish People P. 582

ويتلخص تفسيرهما لذلك فى أنه بينما سقطت الشرارات الالهية منذ خطيئة آدم إلى المحيط المدنس فإنها لم تتجمع مرة أخرى ولم تعد إلى أصلها ، بل أنها تركت حتى يأتى المخلص ـ وهو أقوى البشر جميعا ـ لتحقيق مالم تستطع أعظم الأرواح التقية تحقيقه ، وينقذ الشرارات السماوية المحبوسة ، عندئذ تتقلص مملكة الشر التى تستمد وجودها من الشرارات السماوية المدنسة ، وبالتالى فإن المسيح مجبر على إقتراف أفعال تبدو غريبة وسلوك يبدو لنا أنه ملىء بالخطايا إلا أنها فى الحقيقة تتناسب مع عمل المخلص المكلف به من الرب ، وكان تقبل تلك الأفعال الغربية والانتهاكات هى المبدأ الذى أحتل ـ منذ إعلان شبتاى لإسلامه مركزا رئيسيا فى أفكار الشبتانيين الذين نظروا إلى تحول شبتاى عن اليهودية على أنه حادثة مقررة سلفا وأنه لم يجبر عليها ، كما أن ذلك لايعتبر تخليا منه عن اليهودية (١٢) .

وقد شهد هذا العصر إعادة تفسير لبعض أجزاء من العهد القديم لتبرير ارتداد شبتاى تسيفى وإثبات أن النصوص الدينية القديمة تشير إليه .

فالآيه الخامسة من الاصحاح الثالث والخمسين من سفر اشعياء التى تقول : "هو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه ويجبره شفينا" .

كانت تفسر على أنها تشير إلى المسيح بن داود وأنه سيمنع بالقوة من إتباع التوراة ففسروا كلمة مجروح على أنها تعنى مدنسا ، **وقالوا بان الآية تشير إلى أن كل الأمم الوثنية هى أمم مدنسة أما إسرائيل فهى الأمة الوحيدة المقدسة ، وبالطبع فإن الانسان اليهودى ايضا إنسان مقدس مهما اقترف من آثام** . وكان عمل المسيح المخلص يتطلب منه النزول إلى عالم الدنس ليحوله إلى عالم الاصلاح لذلك أراد المسيح أن يصبح مدنسا لكى يتناسب مع العالم الذى سيخوض فيه معركة الاصلاح ، وقد إضطره ذلك إلى التحول عن اليهودية وعن مجتمع إسرائيل إلى مجتمع آخر ودين آخر[١٣] .

وقد أكدوا ذلك بالتمثيل بالملك داود نفسه الذى أقام لفترة مؤقته مع الملك أخيش ملك جيت الوثنى[١٤] ، ولم يكن هذا يعنى أنه أصبح وثنيا مثله بل أثبتت الأيام أنه صار أعظم ملكا لاسرائيل .

كما أستشهدوا باستير التى وهبت نفسها لملك فارس الوثنى وكان هذا إنتهاكا صريحا لوصايا التوراة لكن حكماء التلمود لم يكفروها بل يجلوها وأجمعوا على أهمية الدور الذى قامت به لانقاذ اليهود من خطة هامان الوزير الفارسى للقضاء عليهم[١٥] .

---

12) Scholem, G. : Redemption Through Sin. An Article in the Messianic Idea in Judaism, P. 94.

(١٣) سبق لنا الاشارة إلى ان تلك الآية من الاصحاحات التى تحتوى على انشودة عبد يهوه التى تشير إلى النبى اشعياء . راجع الفصل الثالث من الباب الثانى "شخصية المسيح المخلص فى عصر التلمود" .

(١٤) راجع سفر صموئيل الاول ٢١/١٠ ومابعدها و ٢٧/٣ ومابعدها .

(١٥) راجع سفر استير الذى يتضمن القصة . وهو من أسفار العهد القديم ويرجع زمن تاليفه إلى حوالى القرن الرابع قبل الميلاد .

وشملت تفسيراتهم أيضا بعض فقرات من الهاجاداه ـ أى الأساطير القديمة ـ معتمدين على مافيها من إشارات تذكر أن المخلص الأخير سيكون شبيها بالمخلص الأول وقالوا بأن هذا يعنى أن المخلص الأخير ـ سيكون شبيها بموسى الذى خلص بنى إسرائيل من عبودية مصر وعاش موسى لسنوات عديدة فى بلاط فرعون ملك مصر فبالمثل يجب أن يعيش المسيح المخلص الأخير وهو شبتاى تسيفى مع الأتراك وبنفس أسلوبهم فى الحياة .

هكذا فسر كتاب الشبتانيه ارتداد مسيحهم ، وبذلوا جهودا عظيمة ليجعلوا بقية المؤمنين [١٦]بهم يقتنعون بهذه التبريرات ، ولكن ظهرت بمرور الوقت تساؤلات أخرى لم يكن الأرتداد كافيا للاجابة عنها ، وكانت أهم تلك التساؤلات تتعلق بطبيعة عمل المسيح وهل يجب اتباعه فى سلوكه وأعماله وماهى طبيعة الفترة الانتقالية التى كان فيها المسيح فى عالم الدنس ، هل يمكن تسميتها بعالم الخلاص أم لا ؟ .

إلا أن الأرتداد لم يكن هو المشكلة الوحيدة التى بحثوا لها عن حل فقد وجد المدافعون عن تلك الحركة المسيحانية أنفسهم أمام مشكلة أخرى تركها لهم مسيحهم الكذاب ، فقد كان شبتاى تسيفى قبل إعتناقه للاسلام يقوم بإنتهاك شرائع التوراة والتلمود علنا وربما بأسلوب إستفزازى وكان يطلب إلى مريده اتباعه فى تلك الانتهاكات لاثبات صحة إيمانهم به وبخلاصه المنتظر .

فقد سمح لنفسه ـ كما سمح لاتباعه ـ بنطق إسم الله الأعظم وهو يهوه المحرم على اليهود النطق به بدلا من اطلاق اسم أدوناى كما كان متبعا [١٧] ، حيث أعلن أن غضب الله قد إرتفع عن اليهود ببعثه وأن الاسم الممنوع قد أصبح مباحا .

كما ألغى صوم التاسع من شهر آب [١٨] الذى كان متبعا كذكرى لخراب اورشليم وتدمير المعبد الثانى على يد تيتوس (٦٨ م) مشيرا إلى أن مجيئه قد أنهى معه أى وجود لذكرى محزنة فى تاريخ اليهود ، بل أنه جعل منه عيدا تقام فيه المهرجانات مشيرا إلى أنه اليوم الذى ولد فيه ، كما ألغى أيضا صيام السابع عشر من تموز مدعيا أن ذلك اليوم الذى سيأتى فيه الشعور بالخلاص على كل اليهود [١٩] .

وسمح لاتباعه أيضا بأكل لحم الضأن مخالفا بذلك شريعة التوراة التى تحرم أكل شحم الحيوان [٢٠] .

---

(١٦) كان الشبتانيون يطلقون على انفسهم كلمة مؤمنين نيئمانيم وخاصة بعد اعتناق شبتاى تسيفى للاسلام .

(١٧) أقر اليهود بأن الغضب الآلهى حل عليهم منذ السبى البابلى على يد بختنصر ، ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن يستبدلون بلفظ يهوه كلمة آخرى ينطقونها ادوناى . راجع الفكر الدينى الاسرائيلى أطواره ومذاهبه د . حسن ظاظا ص ١٤٦ .

(١٨) يبدا شهر آب فى التقويم العبرى فى آخر يونيو إلى اغسطس ويشمل ٣٠ يوما .

19) Roth, C. : A Shart History of Jewish People P. 564 — 565 .

(٢٠) راجع سفر اللاويين ٧/٢٣ ومابعدها .

وكانت الانتهاكات الجنسية تمثل مجموعة أخرى من الانتهاكات حيث أباح الشبتانيون الاتصالات الجنسية التى تحرمها التوراة .

وغير ذلك من الانتهاكات التى أدت إلى ظهور تساؤلات بين أتباع شبتاى عن طبيعة التوراة فى تلك المرحلة الانتقالية وعن طريقة اتباع الوصايا وعما إذا كان قد أحدثت أى تغيرات فى طريقة أدائها واتباعها ، أم أن مافعله شبتاى يعود إلى طبيعة عمله وحده كمسيح مخلص لإسرائيل .

كانت تلك هى أهم المشاكل التى ظهرت أمام أولئك الاتباع بعد إرتداد شبتاى وحتمية هذا الارتداد .

وبالطبع فان الاجابة عنها لم تكن واحدة بين أولئك الاتباع الشبتانيين المنتشرين فى عدة مناطق ، كما أن استيعاب تلك التبريرات لم تكن عند أولئك الأتباع بنفس الدرجة ، لكننا مع ذلك يمكن أن نميز بوجه عام بين ثلاث مجموعات متباينة فى تفسيراتها لتلك التساؤلات والمشكلات وهى :

(أ) جناح الشبتانيين المعتدلين .

(ب) جناح الشبتانيين المتطرفين .

(ج) طائفـــــــة الفرانكييـــــن .

أولا : جناح المعتدلين :

من هم ؟ ماهى أفكارهم ؟ وكيف فسروا إرتداد شبتاى وأفعاله ؟ وماهى مؤلفاتهم ؟ ..

ينتمى عدد كبير من أتباع شبتاى تسيفى والمؤمنين بحركته لهذه الطائفة المعتدلة ، وهى تمثل بصورة خاصة عددا من الربانيين الذين آمنوا بتلك الادعاءات المسيحانية كما ضمت ، هذه المجموعة أيضا عددا كبيرا من أتباع شبتاى المعاصرين له ومعظم أبناء الجيل التالى له مباشرة .

وكانت أهم الأفكار التى تناولها أعضاء ذلك الجناح من المعتدلين تتعلق بأهمية ارتداد المسيح ، فكانوا يرون أن هذا الاتداد ليس مقصودا به أنْ يكون نموذجا للآخرين بل أن شبتاى تسيفى فعل ماكان ملتزما به هو وحده فقط ، وأن محاولة اتباع مافعله يعطى فكرة خاطئة عن أهمية هذا العمل الذى قام به من أجل كل فرد يهودى ذلك لأن الاتداد عمل خاص بالمسيح فقط وليس عملا يقلده فيه كل يهودى[٢١] .

واعتمادا على مبادىء القبالاة التى كانت شائعة الانتشار فى ذلك الوقت كان أعضاء ذلك الجناح المعتدل يعتقدون أن ظهور المسيح مجسد فى هذا العالم يعنى أن العالم كله قد دخل بالفعل فى مرحلة الاصلاح ولكن ـ وفى نفس الوقت ـ فان الخلاص لم يتأكد ولم يحدث بصورته الكاملة فى محيط الاحداث الخارجية المحسوسة للعالم كله ، فمازالت إسرائيل فى شتاتها ، ومازال العالم كله مستمرا

---

21) Scholem : Redemption Through Sin. the Messianic Speculation P. 100.

في مسار تاريخه الطبيعي بدون تغيرات ، ومن هنا فقد أكدوا على ضرورة الاستمرار في إتباع التوراة بكل وصاياها[٢٢] كما هي موجودة بين أيديهم حتى يدخل العالم كله إلى عالم الاصلاح .

ويعد ابراهام كوردوزو (١٦٢٧ ـ ١٧٠٦ م) من أهم أعضاء ذلك الجناح وقد عبر عن افكار أولئك المعتدلين في كتابه "ماجان افراهام" "صولجان ابراهيم" وكانت أفكاره تتفق مع مبادىء القبالاة اللوريانية في أن وصايا التوراة المتبعة الآن لن تصبح موجودة في عصر الخلاص المسيحاني بمجرد أن ينتهي المسيح من عمله لاصلاح العالم ، وتتم عودة العالم الداخلي إلى النظام المتكامل فسوف يتم ذلك في العالم الخارجي أيضا لان كل مظهر خارجي في العالم هو عبارة عن رمز للحياة الداخلية[٢٣] ثم يشرح كوردوزو تلك الأفكار الرمزية بتشبيهات محسوسة فيقول بأن وضع كل من التوارتين التوراه المكتوبة والتوراة الشفوية[٢٤] يتفق مع وضع شخص سقط من سطح عال إلى بئر عميق ، وتتجه [٢٥] لهذا السقوط يصاب جسمه بجروح عميقة في كل تركيبه العضوى البالغ عدده ٦١٣ عضوا وهى إصابات تتطلب وقتا طويلا لعلاجها واصلاح كل جزء في جسده . وينطبق هذا على الومضات السماوية وهى الملامح الصوفية للخالق [٢٦] ، أن هذه الومضات التى خلق منها العالم هى وصايا التوراة التى يتفق عددها مع عدد الأعضاء والأوعية الدموية في الجسم البشرى ـ وهى ٦١٣ وصية فاذا كان المصاب مجبراً على الامتناع عن بعض أنواع من الطعام والشراب التى قد تضره وذلك لفترة معينة يحددها له الطبيب ، كما يجب عليه أن يلتزم بأنواع أخرى معينة من الطعام فى فترة العلاج ، فان نفس الشىء يحدث عند مراعاة الوصايا ففى المرحلة الجديدة ، مرحلة الاصلاح ، وعندما تصعد الومضات إلى مكانها الأصلى ، ويتم معالجتها ، فانها لن تحتاج بعد ذلك إلى مراعاة للوصايا ، كما لن يحتاج المريض بعد شفائه إلى إمتناع عن أنواع معينة من الطعام أو الشراب ، لكن هذا لن يتم إلا فى عصر الخلاص أما المخلص فهو الوحيد الذى يجب عليه أن يمتنع عن اتباع الوصايا لانه الوحيد الذى لديه القدرة على اتمام ذلك [٢٧] .

---

(٢٢) باستثناء الغاء عيد التاسع من آب متبعين في ذلك شبتاى تسيفى ـ كما سبق لنا الاشارة . لكن مالبثوا ان احتفلوا به مرة آخرى وكان من أهم من دعى لمراعاته ابراهام روفيجرو مؤجلا إلغائه إلى مابعد إنتقال العالم كله بأحداثه الداخلية والخارجية إلى مرحلة الاصلاح .

23) Scholem : Sabbatai Sevi : The Mystical Messiah 1626 — 1676, Princeton University Press 1975, P. 633 .

(٢٤) اطلق حكماء التلمود تعبير التوراة الشفوية على كتاب التلمود لانه لايتناول شرح الربانيين للتوراة ، وكانت هذه الشروح تتناقل شفهيا لعدة قرون إلى ان جمعت فى كتاب التلمود .

(٢٥) ٣٦٥ من الاوعية الدموية و ٢٤٨ عضوا .

(٢٦) راجع الفصل الثالث من الباب الثالث

(٢٧) ماجان افراهام ص ١٣٢ ـ ١٣٣ نقلا عن :

Scholem : Redemption Through Sin, the Messianic Idea in Judaism, P. 103 .

وهكذا يرى كوردوزو ان المسيح فقط هو الشخص الوحيد المكلف بالارتداد وانتهاك الشرائع والوصايا لكي ينزل إلى عالم الدنس ويطهره من كل نقص ويتم استرداده مرة أخرى إلى حالته الاصلية التى كان عليها قبل خطيئة ادم وبذلك يصل إلى مرحلة الاصلاح ، كما يرى أن وصايا التوراة كانت موجودة اصلا لتكون أداة نحو اعادة التكامل في العالم . لكن بعد أن يتم هذا التكامل وعندما ينتقل العالم كله بالفعل إلى مرحلة الاصلاح فإن السبب الحقيقى لوجود الوصايا سيتلاشى ، وتفقد التوراة سبب قوتها واهمية وجودها فى عصر المسيح(٢٨) .

ومن ناحية أخرى أدت تفسيرات أولئك الشبتانيين المعتدلين لأفعال مسيحهم إلى إعادة إحياء لبعض أفكار القبالاة المبكرة التى أعتمد عليها أولئك المؤمنون فى تفسيراتهم وكانت أهم تلك الافكار هى التى تتحدث عن شجرة الحياة وشجرة المعرفة وعلاقة ذلك بوجى شريعة موسى، ، كما تناولوا أيضا فكرة أسبوع الخلق التى وجدت جذورها عند حكماء التلمود كما تناولها أدب الرؤى أيضا (الابوكاليبس) .

فقد ربط كل من ناثان الغزاوى وكوردوزو بين فكرة القبالاة عن شجرة الحياة وشجرة المعرفة وبين الواح الشريعة التى نزل بها موسى .

فيرى ناثان الغزاوى أن لوحى الشريعة اللذين كان يحملهما موسى عند نزوله من الجبل كانا يحتويان على شرائع ووصايا تتناسب مع حالة العالم المحرر الذى تسيطر عليه شجرة الحياة ، لكن اللوحين سقطا من موسى وتهشما بمجرد أن رأى أبناء قومه يعبدون العجل ، فصعد مرة أخرى إلى جبل سيناء وعاد بلوحين آخرين يحتويان على وصايا التوراة ، إلا أن الوصايا فى هذين اللوحين تختلف عن الوصايا السابقة ذلك لانها تتضمن أوامر ونواهى تتناسب مع حالة العالم فى السبى الذى تسيطر عليه شجرة المعرفة والتى ترشد الانسان لكيفية التمييز بين الخير والشر والحياة والموت فاللوحان اللذان نزل بهما موسى أول مرة وتهشما ، هما اللذان يحتويان على توراة شجرة الحياة ، فسيظهران مرة أخرى مع ظهور الخلاص وانتقال الكون من سيطرة شجرة المعرفة الى سيطرة شجرة الحياة ، وهنا تظهر التوراة بحالتها الاولى وهى التوراة التى ترتبط بانتقال العالم إلى حالة الاصلاح المتميز باوصاف يوطوبيه لم يشهدها العالم من قبل والتى لم يكن من الممكن إدراكها قبل هذا الارتباط الذى قام به ناثان بين لوحى التوراة وبين فكرة القبالاة عن شجرة الحياة وشجرة المعرفة(٢٩) .

وفيما يتعلق بالمحاولات المستمرة على مر العصور للتوفيق بين مسار تاريخ العالم كله وبين فكرة التوراة عن ذلك أن خلق العالم قد استغرق ستة أيام ، وأن

---

(٢٨) راجع الفصل الثالث من الباب الثالث القبالاة ص ٢٤١

29) Scholem : The Crisis of Tradition in Judaism, The Messianic Idea in Judaism, P. 71.

الرب قد استراح في اليوم السابع والمحاولات المستمرة منذ عصر الربانيين للربط بيْن فكرة الخلق وفكرة مجيء عصر الخلاص الذى يستغرق أيضا ستة أيام من أيام الرب ثم يعقبها مجيء اليوم السابع وهو السبت العظيم الذى سيجلب معه الخلاص للعالم كله والذى أسهب فيه حكماء التلمود وأدباء الابوكاليبس وكذلك أدباء العصور الوسطى كما رأينا ، فقد حاول كوردوزو أيضا استخدام نفس تلك الفكرة التقليدية للتأكيد على تبريراته السابقة .

فقد رأى كوردوزو أن الشريعة تؤكد على أن نشاطات العمل التى تتم على مدى الأيام الستة طوال الاسبوع هى نشاطات حرمت التوراه اتباعها فى يوم السبت[30]

- يحرم فى يوم السبت كل من شأنه أن يشعر بالسعى فى الرزق أو الأنشغال بحرفه أو صناعه أو إنتاج أو بذل جهد فى تحقيق هدف معين فحرموا إيقاد النار أو السفر أو إنفاق النقود أو تسلمها وابرام العقود والزواج .... وغيرها ، وأن من يؤدى تلك الأعمال والأنشطة فى يوم السبت يكون قد إنتهك الشريعة والوصايا ، وفى السبت العظيم (أى عصر الخلاص) ستتحكم شجرة الحياة فى الكون ، عندئذ لن يكون الفرد ملزما بمراعاة الشريعة ومراعاة نفس النظم والأنشطة التى كان يراعيها فى الأيام الستة لانه أنتقل إلى العالم المحرر إلى السبت العظيم الذى سيشهد مجيء عصر الخلاص وينتقل العالم بمجيئه إلى سبت دائم ، وبالتالى فان من يؤدى وصايا التوراة فى العالم المحرر (أى فى عصر المسيح) يعتبر منتهكا للسبت لانه فى هذا العالم الجديد أصبح ملزما بانتهاك تلك الوصايا ويجب عليه عدم مراعاتها مطلقا .

إلا أن كوردوزو كان يرى أن العالم لم ينتقل بصورته الكاملة إلى عالم الخلاص وإلى ذلك السبت العظيم ، وأنه لايزال فى مرحلة إنتقال مادام المسيح - شبتاى تسيڤى - لم يعد بعد من بعثته التى كان كوردوزو نفسه يرى انه لايجسر على تتبعه فيها ، ولهذا فقد رفض بشدة إرتداد أى شخص آخر غير المسيح نفسه - شبتاى تسيڤى - كما كان يؤكد دائما على ضرورة الاستمرار فى مراعاة الشريعة لانها لازالت تحتفظ بصلاحيتها كاملة[31] .

لكن كوردوزو كان يعتقد أيضا أن إسترداد ادم الاول قد تم فى شخصية المسيح - شبتاى تسيڤى - الذى قد تحرر الأن واصبح يعيش فى العالم المسترد المجدد ، وانه بالتالى قد اصبح يخضع لشريعة عصر الخلاص ، كما انه قد اصبح يتحكم فى شجرة المعرفة وتوراتها . ومن خلال تجربة المسيح ، التى هى تجربة

كل اليهود فى السبى ، كما تشمل أيضا معاناة كل البشرية - ومن خلال عمله فى عالم الدنس يقوم المسيح بدفع عملية الاصلاح لتحقيق مجيء الخلاص وعالمه

---

(٣٠) يحرم فى يوم السبت كل ما من شانه آن يشعر بالسعى فى الرزق او الانشغال بحرفة او صناعة او إنتاج او بذل جهد فى تحقيق هدف معين .. فحرموا إيقاد النار والسفر وإنفاق النقود او تسلمها وإبرام العقود والزواج .. وغيرها .

(٣١) نفس المرجع السابق ص ٧٧ .

الذى تحكمه شجرة الحياة ، لينتهى ذلك العالم الحالى الذى تتحكم فيه شجرة المعرفة الذى لم يكن يوجد إلا بعد أن استسلم آدم للخطيئة . وهنا يتفق فكر كوردوزو مع نفس فكرة قبالاة لوريا [٣٢] التى ترى أن الفرصة الأولى للخلاص قد ظهرت لآدم فى أول يوم لخلقه فاذا لم يكن قد خضع لاغراء الحيه لكان خلاص كل العالم قد بدأ منذ اللحظة الأولى ، وكان السبت الأول هو نفسه يمثل السبت الأخير ، إلا أن خضوع آدم لذلك الاغراء اوقعه ، وأوقع بالتالى كل البشر تحت سيطرة شجرة المعرفة إلى أن يتم الخلاص .

وقد عارض ناثان الغزاوى هذا المبدأ ، ورأى أنه منذ بداية الخليقة كانت روح المسيح المخلص مرتبطة أرتباطا حتميا بشجرة الحياة ، وأنه لم يكن خاضعا مطلقا لشريعة شجرة المعرفة ، لهذا فان المسيح يقف فوق الشر والخير ، والاوامر **والنواهى لانه لم يترك الجنة أبدا ، ثم يضيف ناثان قائلا « إذا كان يبدو لنا ـ ومن وجهة نظرنا الآن ـ أن المسيح يقوم بأفعال محرمة تبدو مخزية وغير شرعية إلا أنها فى الحقيقة تتوافق مع قوانين أصله ووجوده والحياة التى يعيشها حيث أنه موجود فى الجنة ، ومن هنا يجب الحكم على أفعاله بمعايير أخرى مختلفة عما نعرفها نحن** ونحكم عليها من وجهة نظرنا" [٣٣] .

وفيما يتعلق بوضع الشكيناه ـ أى الروح القدس ـ فى هذا العالم ، فسر الشبتانيون فكرتهم عن ذلك على أسس مستمدة أيضا من القبالاة وكتابها الاساسى "الزوهر" وكانت فكرتهم تتلخص فى أنه بمجرد طرد آدم من الجنة بعد خطيئته ، وبعد أن إنتقل بذلك تحت سيطرة شجرة المعرفة ، فقد أصبح بحاجة إلى ملابس فى العالم الحالى الذى ينظر إليه كما لو كان يمثل منفى لآدم على خطيئته ، ذلك لأنه كان فى حالته الأولى قادرا على الكشف عن جوهرة أما فى المنفى ـ فى العالم الحالى فقد إنكشف له عوراته على أنها خطايا وأضطر إلى إستخدام مايستر تلك العورات . وينطبق هذا على الشكيناه والتى تتجسد فى التوراه والتى ترافق إسرائيل فى منفاها ، فالشكيناه أيضا فى حاجة للثبات لكى تغطى أصلها الحقيقى ولهذا فان الشكيناه فى هذا المنفى ترتدى ملابس الحداد الكئيبة ، وبالتالى فان التوراة تتطلب أيضا ثيابا عضوية لها فى هذا المنفى وهذه الثياب هى مايطلق عليها الوصايا وهى الأوامر والنواهى التى يجب مراعاتها فى عالم المنفى أى العالم الذى لم يسترد بعد . فالتوراة الأصلية الحقة هى توراة شجرة الحياة والتى تسمى أيضا توراة الومضات لكن توراة شجرة المعرفة هى التوراة المغطاة برداء من الوصايا بكل فروعها ، لكن فى عصر الخلاص لن تصبح التوراة فى حاجة إلى تلك الملابس حيث أن الخلاص سيبلور مرة أخرى إسترداد حالة الجنة التى كان فيها آدم وحواء يقفان عاريين دون أى حاجة لثياب لستر عوراتهما وهكذا فان عصر الخلاص سيجلب معه التوراة التى تصبح مرئية لكل إنسان [٣٤] .

---

(٣٢) راجع الباب الثالث الفصل الثالث القبالاة .

(٣٣) وقد وردت هذه الفكرة ايضا فى كتابات اخرى لناثان الغزاوى .

34) Davies, W. : Torah in Messianic Age, Philadelphia 1952, P. 69.

كانت تلك هى أفكار جناح المعتدلين من الشبتانيين والتى يمكن أن نلخصها فى إعتقادهم بأن ظهور المسيح بالفعل فى هذا العالم ـ وهو شبتاى تسيفى ـ كان بمثابة إشارة مؤكدة لبداية إنتقال العالم إلى مرحلة الاصلاح ، لكنهم كانوا يرون أن العالم لا يزال فى مرحلة إنتقال وبالتالى فهم لا يزالون فى عالم الدنس وهنا يجب الاستمرار فى اداء الوصايا كما هى موجودة فى التوراة والتلمود .

أما ارتداد المسيح وانتهاكه العلنى للشرائع فكانوا ينظرون إليه على أنه مبدأ فريد من نوعه لا يجب على أى فرد أتباعه فيه ، بل أن المسيح فقط هو الذى يذهب وحيدا فى مملكة الدنس لان ذلك من صميم عمله لمساعدة الومضات للعودة إلى حالتها الأولى وبالتالى لا يجب على أى فرد أن يتبع المسيح فى ذلك .

وربما يفسر لنا ذلك تقبل عدد كبير من الربانيين اليهود هذه الأفكار وانضمامهم إلى تلك الحركة الشبتانية وجناحها المعتدل .

ثانيا : جناح المتطرفين :

رفضت مجموعة اخرى لايستهان بها من أولئك المؤمنين أفكار الشبتانيين الأوائل الذين كانوا يميلون للاعتدال فى تبرير ارتداد شبتاى وانتهاكه للوصايا ، فقد ضجرت تلك المجموعة الجديدة بهذه التبريرات المختلفة خاصة بعد أن طال إنتظارهم لظهور المسيح مرة أخرى ، وطال إنتظارهم للحظة الحاسمة القى ينتقل فيها العالم من مرحلة الدنس إلى مرحلة الاصلاح ، وظهرت بينهم تساؤلات أخرى تتعلق بمدى اخلاصهم لهذا المسيح هل يتخلون عنه لانهماكه طويلا فى صراعه مع قوى الشر والدنس ؟ أم يقتفون اثره وينزلون معه إلى ذلك العالم ليساعدوه فى الاسراع من مجىء الخلاص ؟ وهل الأرتداد عمل خاص بالمسيح وحده أم أنه ضرورة تقتضيها واجبات المؤمنين به أيضا وماذا عن إنتهاك الشرائع والوصايا الأخرى التى كان يدعو بها شبتاى نفسه قبل نزوله إلى عالم الدنس هل ينتهكوها هم أيضا أم ينتظرون حتى ينتقلوا إلى عالم الخلاص .

كانت الاجابة عن تلك التساؤلات هى الاساس الذى أدى إلى ظهور جناح آخر من الشبتانيين ، أنكر أعضاؤه أفكار جناح المعتدلين ، معتقدين أن هذا الاعتدال فى تفسير أفعال المسيح وسلوك المؤمنين به من بعده لم تؤد إلى الخلاص ، كما لم تعجل بمجيئه ، ومن هنا قاموا بتفسير أعمال شبتاى وغيرها من الافكار التى كانت سائدة بمجيئه ، ومن هنا قاموا بتفسير أعمال شبتاى وغيرها من الأفكار التى كانت سائدة فى عصرهم بأسلوب آخر يتميز بالتطرف الواضح وخاصة فيما يتعلق بمراعاة وصايا التوراة .

وكان من أهم ماساعدهم على ذلك هو سلوك ذلك المسيح نفسه ـ شبتاى تسيفى ـ الذى كان مثالا عظيما على ذلك التطرف ، فقد صاغ أسس

مبدأ جديد لاتباعه فى انتهاك المحرمات فكان دائما يردد عبارة واحدة أمام جميع مريديه قبل انتهاكه لتلك الوصايا فكان يقول : "**تبارك الرب الذى حلل المحرمات**[٣٥]" **ثم يقوم بانتهاك الشرائع علنا أمام أتباعه وكان يأمرهم باتباعه فى ذلك** ومن هنا رأى عدد من المؤمنين به ان مسيحهم يمثل لهم نموذجا يحتذى به فى جميع افعاله .

إلى جانب ذلك ، يبدو أن أفكار الشبتانيين الأوائل ـ وكان أعظمهم من أصحاب الجناح المعتدل فى تلك الحركة ـ كانت عاملا رئيسيا على سرعة ظهور ذلك الجناح المتطرف .

فقد أقر بعض الشبتانيين المعتدلين ، بإباحة إنتهاك بعض وصايا التوراة وقد ظهر ذلك بصورة خاصة فى مبدأ إلغاء جميع المحرمات الجنسية وهو المبدأ الذى طوره أعضاء الجناح المتطرف فيما بعد حينما أعلنوا شرعية إنتهاك تلك المحرمات واعتبروها مؤشرا على وجود توراة شجرة الحياة .

فقد رأينا كيف أقر كوردوزو مبدأ إنتماء حواء إلى أكثر من رجل حتى قبل الانتقال إلى مرحلة الخلاص والاصلاح ، ورأينا كيف أنهم تطرفوا فى ذلك حينما أقرو بشرعية تبادل الزوجات فى عيد اليوريم .

فقد اتخذ المتطرفون من تلك المبادىء أسسا لهم فى انتهاك الشرائع ، وكان من أهم المبادىء التى ميزتهم عن المعتدلين وجعلتهم يعرفون بتطرفهم ، هو **إعتقادهم بقدسية الخطيئة معتمدين فى ذلك على قول التلمود بأن الخطيئة التى تقترف لذاتها هى أعظم من وصية لاتؤدى لذاتها** . وكانوا يبررون ذلك بأنهم يعيشون فى نظام مختلف تماما عن العالم المعروف ، وأنهم أكثر قدسية وروحانية من البشر العاديين ، فهم يفعلون ماتمليه عليهم الروح دون الأخذ فى الاعتبار للمقاييس الأخلاقية للمجتمع من حولهم ، بل رأوا أنهم ملتزمون بهذه الانتهاكات لأن واجبهم يفرض عليهم أن ينتهكوا ويدنسوا الأخلاقيات الشائعة تحت اسم هذه المبادىء العليا التى تم كشف سرها لهم .

وكان إنضمام عدد آخر من القباليين الذين كانوا يميلون إلى نفس هذا الاتجاه ووجدوا فيه فرصة لاظهار نشاطاتهم المتميزة بالهرطقة عاملا هاما ساعد على تقوية ذلك الجناح المتطرف .

وكان القباليون قد عبروا عن ذلك فى كتاب هتموناه أى الصورة أو الخيال [٣٦] بأن التوراة تتكون من جسد من الحروف الروحانية الثابتة لكنها تبدو للقارىء بمظاهر متغايرة فى العصور المختلفة ، فالتوراة فى العصر السابق على الخلاص تقرأ فى ضوء من الوصايا والمحرمات أما توراة عصر الخلاص فتختلف فى جوهرها عن ذلك لانها تسمح بالمحرمات . وقد التقى كل من القباليين والشبتانيين المتطرفين حول ذلك المبدأ الذى وجدوا فيه تصريحا للانتهاكات المختلفة للوصايا والمحرمات .

---

35) Roth C . : A Short Histoty of Gewish People , P . 588 .

36) Scholem , G . : Sabtai Sevi . : Mystical Messiah 1626 -1676 .

كمافسر أعضاء الجناح المتطرف مبدأ القبالاة بوجود توراتين بطريقة مختلفة عما نجده عند القباليين والشبتانيين المعتدلين وذلك لانهم كانوا يرون أن العالم كله قد إنتقل إلى حالة جديدة بعد ظهور المسيح شبتاى تسيڤى وتجسده أمامهم فى هذا العالم فقالوا بأن توراة الخليفة هى توراة عالم الشتات غير المحرر وهدفها هو أن تكون رداء الشكيناه أى الروح القدس والذات الألهيه فى سبيها وعلى ذلك فان من يتبع وصاياها ومحرماتها يصبح كمن يساعد الشكيناه فى محنتها أما توراة الفيض فهى توراة العالم السامى المرتبطة باسم الرب ولكنها تظل مختفية طوال فترة الشتات ويمكن الكشف عنها فقط فى عالم الخلاص حيث يعيدها الرب إلى ذلك العالم الجديد . وتتشابه توراة الخليقة مع توراة الخلق فى محتوياتها والفاظها لكن طريقة فهم كل منها تختلف ذلك لأن تفسير كل توراة يتم وفقا للعالم الذى نزلت من أجله .

ولما كان الشبتانيون المتطرفون يؤمنون بأن العالم قد أصبح على وشك الخلاص ، وأنهم يعيشون على حافة عالم جديد يختلف تماما عن العالم السابق الذى كان يتطلب مراعاة الشريعة والوصايا ، فقد أصبح من المسموح لهم الآن تفسير التوراة بما يتناسب مع العالم الجديد الذى حل بعد ظهور شبتاى تسيڤى . ذلك لأن قبل ظهور المسيح كان كل من الجانبين الداخلى والخارجى فى الانسان يبدو أنه فى حالة توازن **واتساق مما كان يتطلب ضرورة التزام الفرد باتباع الوصايا ، اما وقد ظهر المسيح مجسدا فى هذا العالم أمام الجميع يجب على الانسان ان ينتهك التوواة ووصاياها لان العالم قد إنتقل بالفعل إلى مرحلة الاصلاح وظهرت معه التوراة الجديدة ، توراة الفيض التى تتناسب مع تلك المرحلة وهى التوراة التى تبيح المحظورات التى وضعتها توراة الخليقة والتى لم تعد تتناسب مع المرحلة الجديدة**(٣٧) .

وقد أعطى لهم ذلك التفسير لمبدأ القبالاة بوجود توراتين تبريرا كافيا لمزيد من الانتهاكات الصريحة لوصايا التوراة ، بل أنهم كانوا يرون أن إنتهاك توراة الخليقة هو البرهان العظيم على مجىء العصر الجديد الذى بشر به شبتاى تسيڤى .

وبالرغم من أن أولئك المتطرفين لم يجمعوا على أسلوب واحد فى كيفية إنتهاك الوصايا فإنهم قد إجتمعوا حول قول شبتاى السالف ـ تبارك الرب الذى حلل لنا المحرمات ـ على أنه يؤكد على ضرورة أبعاد أى أثر على توراة الخليقة لكى يصبحوا محررين .

فقد بشر باروخيا روسو Barocgia Rosso اتباعه بأن الست وثلاثين خطيئة التى تنص الشريعة اليهودية على قتل من يرتكبها ، هى خطيئة فقط من وجهة نظر توراة الخلق ، "أما الآن وقد إنتقل العالم إلى مرحلة توراة الفيض فإن تلك الخطايا قد أصبحت من المحللات (٣٨) .

---

37) Scholem : Ghe Messianic Idea in Judaism , p · 153 ·

٣٨) نقلا عن المرجع السابق ص ١٥٥ Berl Bolochver : Sefer Diver

أما يعقوب ايميدن [٣٩] فيسمح بأكل لحم الفخذ وقد إستنتج ذلك معتمدا على إلغاء صيام التاسع من آب والسماح لليهود بالأكل فى هذا اليوم بعد ظهور المسيح شبتاى تسيفى ـ وبناء على ذلك فإنه يجب أن يسمح لليهود منذ ذلك الوقت بأكل لحم الفخذ الذى كان محرما قبل ظهور المسيح [٤٠] .

وقد وصلت الانتهاكات الجنسية بين أعضاء ذلك الجناح المتطرف إلى **أقصاها ، فهم لم يكتفوا بتبادل الزوجات ـ كما فعل المعتدلون ـ بل سمحوا أيضا بالتزاوج مع من تحرم الشريعة الزواج منهم كما أعترفوا أيضا بشرعية الممارسات الجنسية الشاذه حتى بين رجال الدين .**

فيروى لنا يعقوب ايميدن أن أحد الربانيين قد أخبره عن تورطه فى ممارسات شاذه مع شبتانى آخر يدعى فيسل زلوكزو Fisl Zloczow كما أنه أكل خبزا مصنوعا بخميرة فى عيد الفصح [٤١] .

وهناك عنصر آخر يوضح إنغماس أولئك الشبتانيين فى الانتهاكات الجنسية الفجه فقد قام أولئك المؤمنون بتبرير جميع أفعالهم الحسية بما يتناسب مع رغباتهم وسلوكهم ، فقالوا بأن حاسة اللمس ، التى اعتبرها موس بن ميمون ـ متبعا ارسطو فى ذلك ـ أصل كل عار وكل غريزة ، تلك الحاسة قد إرتفعت الآن على يد شبتاى تسيفى إلى موضع عظيم من التمجيد والشرف [٤٢] .

ومن أهم ماكان يتميز به أعضاء ذلك الجناح المتطرف ، **اعتقادهم بأن من يظهر على طبيعته لايمكن إعتباره مؤمنا حقيقيا ، فالدين الحقيقى يجب أن يكون سريا دائما ، وخافيا عن عيون البشر ، ومن واجب المؤمن الحقيقى أن يؤمن إيمانه وعقيدته الحقيقية أمام الناس .**

ويبدو أن سبب وجود تلك الفكرة عند المتطرفين هو هدفهم لتبرير تحول أعداد كبيرة من الشبتانيين ـ وخاصة فى أواخر القرنين السابع عشر والثامن عشر ـ عن اليهودية علنا واتباع ديانات أخرى تتناسب مع العقيدة السائدة فى البلدان التى يعيشون فيها ، مع الاحتفاظ فى الباطن بمراعاة اليهودية بأسلوب جديد يتميز بإنتهاك وصايا التوراة .

---

(٣٩) من حوايى شبتاى تسيفى

(٤٠) نقلا عن المرجع السابق ص ١١٧ · Ya'kov Imiden : Etude be Ya'kov Fal 486

41) Rot, C · : A Short History OG Jewish People P ·590 ·

42) نقلا عن Ya'kow Imiden : Etude Be Ya'kov Fal 486 Scholem : The Messianic Idea in Judaism P · 118 ·

ثالثا : طائفة الفرانكيين :

تنسب تلك الطائفة من الشبتانيين المتطرفين إلى يعقوب فرانك الذى أتبع أفكار شبتاى تسيفى ونشرها فى أوروبا الشرقية ولكنه أبدل المظهر الاسلامى الذى أعتنقه شبتاى تسيفى ، وبعض أتباعه ، بمظهر آخر ، فقد اعتنقواالدين المسيحى بالمذهب الكاثوليكى لكنهم بطنوا أيضا اليهودية بتعاليم شبتاى الهرطقية ، وقد حظيت حركة يعقوب فرانك ، التى تعتبر أعظم تطور لجناح المتطرفين من الشبتانيين ببعض الانتشار فى أوربا الشرقية وعدد قليل من مدن أوربا الغربية حتى أنها عرفت باسم الطائفة الفرانكية .

وبالرغم من أن عددا من مؤرخى الشبتانيه لايعترفون بأهمية الحركة ويعتبرونها حركة مضللة وخدعة كبيرة قام بها فاسدون ودجالون إلا أننا نرى ضرورة أن نعرض فى صفحات قليلة لتلك الحركة بشىء من التفصيل لتوضيح مدى التطرف والهرطقة التى وصلت إليه الشبتانيه فى القرن الثامن عشر .

يعقوب فرانك :

ولد يعقوب فرانك عام ١٧٢٦ م وعرف الكثير عن تعاليم الشبتانيه الهرطقية وكذلك تعاليم قبالاة لوريا . وقد تزعم يعقوب فرانك مجموعة قليلة من الشبتانيين ونشر تعاليمه وأفكاره بينهم فأمنوا به ، ومالبث أن كذب صحة إدعاءات شبتاى تسيفى بأنه المسيح المخلص ، ثم أعلن أنه المسيح الحق الذى سيحقق الخلاص ويكشف عن عالم مرحلة الاصلاح والخلاص .

وقد آمن يعقوب فرانك بتقمص الأرواح وكان يعتقد أن صفة المسيحانية قد إنتقلت إليه وتجسدت فيه فسمى نفسه السيد المقدس ، وبالرغم من أنه كان أميا جاهلا ، كما أنه كان يتفاخر بثقافته المحدودة إلا أنه كان غارقا فى عالم من الأسطورة والخيال والخرافات صنعه هو لنفسه (٤٤) .

وبدأ يعقوب فرانك زعامته الدينية فى اقليم يوموليا (٤٥) كشباتى متطرف وكان أتباعه يعتبرونه نموذجا للقديس الصادق وأنه شبتاى تسيفى جديد وأعلن فرانك على هذه المجموعة أنه المسيح الجديد كما أعلن الكفر بالتلمود وادعى أنه قادر على صنع المعجزات .

---

43) David Kahana : A History of The Kabbalists, كدافيد كاهاناه ويؤيده فى ذلك Scholem, G · Redemplion Throujh راجع Hinirch Gratz ايضا هنيريش جراتس Sin · an Essay in The Messianic Idea In Juddaism p · 79 ·

(٤٤) نفس المرجع السابق ص ٩٣ .

(٤٥) فى الجنوب الغربى من روسيا .

وقد نظرت السلطات الروسية بعين الشك والريبة إلى نشاط تلك المجموعة وإلى رئيسهم يعقوب فرانك ، فألقوا القبض عليه ووضعوه فى سجن جرنستشوفر (٤٦) حيث بقى هناك لمدة ثلاثة عشر عاما ، إلا أن أتباعه رأوا فى هذا السجن نوعا من إضفاء مزيد من الخاصية المسيحانية على يعقوب فرانك ، فأطلقوا على السجن "أبواب روما" معتبرين أن الدين المسيحى (دين عيدوم) (٤٧) هى البوابة التى يجب أن تمر فيها المسيحانية والمسيح المخلص ، يعقوب فرانك (٤٨) لذلك فبمجرد أن أطلق صراحه أعلن هو وأتباعه الموجودون فى يودوليا (عام ١٧٥٩ م) اعتناقهم الكاثوليكيه (٤٩) . وسلكوا نفس طرق الشبتانيين فكان اعتناقهم للكاثوليكية ظاهريا وتمسكوا باليهودية فى الباطن ، وكانت تلك اليهودية التى تمسكوا بها محاطة بالغموض ويغلفها عالم اسطورى وتعاليم تبعد كل البعد عن التوراة فضلا عن تميزها بانتهاكات لجميع وصاياها .

وقد علمت السلطات الروسية بسلوكيات المجموعة فأصدرت أمرا بطردهم ، وأخذ يعقوب فرانك يتجول مع مجموعة من مريديه فى البلاد المجاورة ، وبدأ نشر تعاليمه بين اليهود الساكنين فيها وقد لقيت تعاليمه إنتشارا عظيما بين يهود الدول الشرقية كهولندا وبراغ وغيرهما ، وقد إقتفى أولئك الفرانكيون فى الدول الشرقية أثر مسيحهم يعقوب فرانك فأعلنوا الكاثوليكية لكنهم تمسكوا باليهودية وفقا لتعاليم فرانك باطنيا كما آمن به نفر قليل فى أوربا الغربية كيهود المانيا والنمسا والمجر بصفة خاصة لكنهم تمسكوا بيهوديتهم ولم يعتنقوا الكاثوليكية .

ثم عاد يعقوب إلى روسيا وهناك تتشكك السلطات الروسية مرة أخرى فى نشاط يعقوب فرانك وأتباعه خاصة بعد أن تأكد لها أنهم قد تنصروا ظاهريا ، فالقوا بالقبض على يعقوب مرة أخرى الذى قدم للمحاكمة ثم وضع فى السجن وبقى هناك إلى أن مات عام ١٧٩١ م ودفن فى مقابر المسيحيين بمدينة أوفينباخ .

---

(46) Roth, C. : A Short History of Jewish people, p. 594

(٤٧) كان ربانيو التلمود يشترون الى روما يعيدوم ويعتبرون آن سقوطها سيجلب معه عصر الخلاص راجع الباب الثانى

(٤٨) راينا فى المبحث السابق أن نفس الشيء قد حدث مع شبتاى تسيفى عندما نفته السلطات التركيه إلى قلعة مفتاح البحر التى أطلق عليها الشبتانيون اسم برج القوه

(٤٩) لم نستدل على اى اسباب توضح لنا سبب تحول يهود بودوليا والدول الشرقية للارثوذكسية متبعين فى ذلك يعقوب فرانك فى حين بقى الاخرون من يهود اوربا الغربية على يهوديتهم بالرغم من اتخاذ يعقوب فرانك ابا روحيا لهم ويضع شولى لتفسير ذلك فيقول : ربما يعود ذلك إلى إختلاف التركيبة الاجتماعية للمجموعتين فقد كان غالبية الشبتانيون فى بودوليا من اعضاء الطبقة الدنيا مع وجود قليل جدا من المتعلمين بينما نجد شبتانيو المانيا والنمسا والمجر كانوا ينتمون آساسا إلى طبقات اكثر رغده وثراء وكان بينهم عدد من اليهود المسلمين بتعاليم التلمود
The Messianic Idea in Judism p. 139.

تعاليم طائفة الفرانكيين :

يصدم الباحث فى تعاليم الفرانكيين لنقص المادة والوثائق التى يمكن أن يستشف منها معلوماته عن تلك المجموعة وتعاليمها . ذلك لان الفرانكيين كانوا يتبعون نفس الاسلوب الذى اتبعه الشبتانيون الأوائل وربما كانوا أكثر حيطة منهم ، فكان الغموض والسرية التامة تحيط بتعاليمهم كما حاول كثيرون منهم التخلص من أى كتابات أو وثائق عن الحركة .

على أى حال سنحاول هنا التعرف على أفكار تلك المجموعة من الوثائق القليلة التى بقيت عنهم وأهمها كتاب "أقوال السيد" الذى ألفه يعقوب فرانك نفسه .

فنعرف من ذلك الكتاب أن فرانك كان يعتقد أن الكون ليس من خلق الرب ـ الذى أطلق عليه أسم الأب الطيب ، ويشرح وجهة نظره هذه بأنه إذا كان الكون من خلق الرب ، فإنه يجب أن يكون خالدا ، وأن تكون حياة الانسان أبدية فيه فلا يعرف الموت طريقه إلى المخلوقات فحقيقة الموت فى هذا العالم توضح أن الكون لا يمكن أن يكون من خلق الرب (٥٠) . وبعد ذلك يؤكد فرانك على أن القوى الشريرة هى التى أنجزت هذا العمل ، كما قام الحكام الأشرار باغلاق الطريق الى الرب ـ الأب الطيب ـ الذى لا يعرفه الناس كما أنه لم يكشف عن نفسه لأى فرد لاسباب دينية

لايعرفها أحد ، وأصبح هناك ثلاث قوى تحكم هذا العالم هى الحياة والثروة والموت .

وللتخلص من الشر والآثام فى هذا العالم أرسل الرب رسل أسرائيل ، إلا أن توراة موسى تتضمن شرائع يصعب مراعاتها ، كما أن العصور الماضية كلها أثبتت عدم جدواها . أما شريعة الرب الحقه ، فهى توراة الشبتانيين الروحية ، التى أرسل الرب بها شبتاى تسيفى لهذا العالم ، إلا أنه كان شخصية ضعفية ولم يستطع تحقيق أى شىء ذلك لأنه لم يكن يملك القدرة على الوصول إلى الطريق الصحيح . أما الانسان الوحيد المكلف بتنفيذ هذه المهمة فهو يعقوب فرانك الذى لقب نفسه "بالأخ الاكبر" وأن الرب قد أرسله لينقذ الشكيناه من محنتها وقد أطلق على الشيكناه إسم "العذراء"(٥١) .

---

(50) The Sayinj of the Iord, p · 1211 · نقلا عن Scholem : The Messianic Idea in Judaism p · 130

(٥١) كتاب السيد رقم ١٧٧٦ نقلا عن نفس المرجع ص ١٣٠ ·

وقد حدد فرانك مهمته الاساسية المكلف بها فيقول "إن مهمتى هى قيادتكم وارشادكم للحياة"(٥٢) فكان فرانك يرى أن الطريق للحياة ليس سهلا لأنه يعنى تجرد النفس من كل الشرائع والقوانين والأديان واتخاذ سلوك مادى ، وهنا يعلن بجرأة : "لقد أتيت لأحرر العالم من كل الشرائع والعادات الموجودة فيه إن مهمتى هى إزاله كل شىء حتى يستطيع الرب أن يكشف عن نفسه(٥٣) .

ثم يعلن فرانك عن عقيدته التدميرية بوضوح فيقول "أينما كان يخطو آدم كانت تنشأ مدينة ، لكن إينما أضع أنا قدمى يجب أن يدمر كل شىء لأنى أتيت إلى هذا العالم لأدمر وأبيد (٥٤) .

ثم يتحدث عن فكرته الخاصة عن الخلاص قائلا "لكى يصعد الانسان يجب أن يهبط أولا .. إننى لم آت لهذا العالم لكى أصعد بكم ، بل لأهبط بكم إلى قاع الهوة ، إلى أقصى الهوة حيث لايستطيع الانسان أن يصعد بقوتة الذاتية ، أما النزول إلى تلك الهوة فهو لايقتضى فقط ترك كل الأديان والمعتقدات ، بل يجب أيضا اقتراف أعمال غريبة ، وهذا يتطلب أن يتخلى الانسان عن الاحساس بذاته لدرجة أن تصبح البجاحة والفجور هو مايقود إلى إصلاح الأرواح .

ثم يشير فرانك إلى الطريقة المثلى التى يجب أن يتبعها جنوده للوصول للخلاص فشبتاى لن يستطع تحقيق الخلاص ولن يجلبه معه ، بل أن الوصول إلى ذلك لن يأتى إلا عن طريق الصمت ، ويرى فرنك أيضا ضرورة التغلب على جميع الأديان الأخرى وهذا يتطلب من الفرد أن يكون صامتا تماما ومخادعا "فالانسان الذى يرغب فى غزو حصن لايفعل ذلك بالكلام والاعلان ، بل يتسلل إليه فى صمت وسكون لقد تحدث الأجداد كثيرا لكنهم لم يفعلوا شيئا لذلك يجب الآن تحمل الصمت ، وحينئذ لن يكون الفرد فى حاجة إلى الدين(٥٥) .

---

(٥٢) كتاب اقوال السيد رقم ٥٦١ نقلا عن نفس المرجع ص ١٣٠ .

(٥٣) كتاب اقوال السيد رقم ٢١٤٦ نقلا عن المرجع السابق ص ١٣٢ .

(٥٤) إنتشرت تلك المبادىء بين الفرانكيين وحاولوا ـ كما فعل الشبتانيون من المجموعات الاخرى إيجاد تبريرا لهما من نصوص العهد القديم التى يجب ان تفسر على ضوء توراة الفيض على انها تعنى أن خطيئة الأتقياء تظهر للاخرين على انها خطيئة لكنها ليست كذلك حيث ان افعال الأتقياء يمكن تبريرها كلية ويؤكد على ذلك بأن تلك الخطايا هى فى الواقع ضرورة روحيه للدنس للاسراع من قدوم الخلاص وعالم الاصلاح .

(٥٥) نفس المرجع السابق ص ١١٨ .

كان ذلك عرضا لاهم أفكار فرانك وتعاليمه لاتباعه والتى يتضح معها **إحتواؤها على إفكار لترك الأديان والسقوط فى عالم الرذيله واقتراف أعمال غريبه ودعوة صريحة إلى الاتجاه نحو البجاحة والفجور واتباع أساليب الخداع والالتواء والاعلان عن ذلك صراحة لأتباعه ، ولكن من الغريب حقا أن تلك الافكار قد لقيت قبولا بين عدد كبير من أعضاء الجيتوفى اوربا ، بل أنهم قد اعتبروها الطريق إلى الحرية السياسية والروحية ، فيصف أحد الفرانكيين المثقفين ويدعى "الفرانكى جبرئيل بوجز من براغ يصف لابنه أهداف تلك الحركة وتعاليمها الهرطقية على أنها الطريق الى الحرية السياسية والروحية(٥٦)** .

إلا أن تلك الأفكار والمبادىء الهرطقية المتطرفة تطورت تطورا ملحوظا بعد موت يعقوب فرانك ويتضح ذلك من بعض الكتابات القليلة التى تنتمى لنفر من أتباعة والتى الفت بعد موت فرانك وهى :

١) كتاب نبوءات اشعياء وقد كتبها فرانكى مجهول الاسم فى مدينة أوفينياخ(٥٧) .

٢) موعظة على صلاة "علينو" واردة ضمن مخطوطة خاصة بطائفة الفرانكيين .

٣) خطاب الانجيل الأحمر Red Fpistel . ينسب إلى فرانكى مجهول عاش فى مدينة أوفينياخ . حوالى ١٧٧٩ م(٥٨) .

والحق أننا لم نتمكن من الحصول على أى من تلك المؤلفات الثلاثة ولكننا سنتعرف على تطور الفرانكية فيها من خلال ماكتبه عنها جيرشوم شولم(٥٩) الذى يرى أن هذه المؤلفات توضح أن الفرانكيين قد تخلصوا قليلا من اللاعقلانية والاسطورية التى نجدها عند فرانك ، كما تخلصوا قليلا من الفسوق الاخلاقى المتطرف إلا أن مؤلف كتاب نبوءات اشعياء يذكر لاستمرار فى إتباع بعض

---

(٥٦) نفس المرجع السابق ص ١٣٤ .

(57) G · Scholem : Redemption Ghrough Sin '1937' An Essay on The Messianic Idea in Judaism ·

(٥٨) قام بنشر هذا الخطاب بروج

Prohes, revue Des des Etude Juives Mark Wischnelzer فى 'XXIX, 283 - 86' : Meories de L' Accademie Imperiale de Science ST · Petresbury 1914 ·

(59) G · scholem : Redemplion Ghroujh Sin : An Essay on The Messianic Idea in Judism, P · 133 - 140 ·

الانتهاكات الجنسية والأعمال المخزية التى كانت تؤدى فى يوم التفكير ، كما ظلت أيضا فكرة انتهاك توراه الخلق مبدأ أساسيا فى الايمان المقدس .

ويرجع جيرشوم شالوم أن ذلك جاء تحت تأثير الثورة الفرنسية حيث اتخذ التدمير الشبتانى والفرانكى للاخلاقيات والدين القديم سياقا جديدا يناسبها ، فاهتزت أعمدتها وأصبحت الوسائل القديمة فى طريقها للسقوط والتعبير ، ثم بدأوا يعيدون ترتيب أنشطتهم الداخلية والسرية قائلين أن انتقالهم الى حالة الاصلاح سيحدث دون أن يشعر بهم أحد(٦٠) ، وكان يعقوب فرانك نفسه قد عبر عن هذا الرأى قبل موته بقليل ، وكان أتباعه فى براغ يكررون هذا المبدأ ، باستمرار ، ومع ذلك فان تلك الافكار الهرطقية لم تنته تماما بل كانت تتراوح بين الرفض والقبول حيث يكشف كتاب نبوءات اشعياء عن الكراهية العظيمة التى يكنها الفرانكيون للربانيين حيث يعبر عن ضرورة إعتناق الإيمان كما يتحدث عنه يعقوب فرانك مع ضرورة إزاحة الربانيين عن طرق الفرانكيين وجميع اليهود . لأنهم يقودونهم للزيف والخديعة . الا أن تلك النظرة قد بدأت تقل شيئا فشيئا .

فتشير موعظة صلاة علينو الى الحكم المشترك للقوى الدنيوية الممثلة فى الفرانكيين والقوى الكهنوتية . الممثلة فى الربانيين معا .

أما أشهر الكتب التى تحتوى على أفكار الفرانكيين فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى فهو كتاب الانجيل الاحمر The Red Fpistel وهو خطاب إلى فرانكى مجهول ـ كما ذكرنا قبلا ـ ألف حوالى عام ١٧٩٢ م بحبر أحمر وأرسله إلى فرانكيى اوفينياخ ويوجهه إلى عدد كبير من اليهود يقنعهم فيه بضرورة اعتناق دين عيدوم (الدين المسيحى) وقد احتوت تلك الرسالة على عناصر شائعة مألوفة فى المواعظ الشبتانية ، وقد أعلن دوروسى أتباعه أن الوقت قد حان لكى يعمل الرب بنفسه لأن الشريعة ملغيه ، وقد أكد قوله هذا على ماسبق أن ردده ربانيو التلمود بأن المسيح لن يأتى حتى تستسلم كل اليهود للهرطقة(٦١) ، وأكد على أن هذا المبدأ وارد بطريقة رمزية فى سفر اللاويين ونصها : "ورأى الكاهن واذا البرص

---

(٦٠) لاتعد هذه الفكرة تطورا جديدا عند الفرانكيين فقد سبق أن رأينا ان موسى ابن ميمون قد تحدث عن مجيء الخلاص فى المسار الطبيعى للتاريخ . راجع الباب الثالث كما عبرت القبالاة عن نفس الفكرة تقريبا .

(٦١) ورد ذلك فى المستهدرين راجع الفصل الثانى من الباب الثانى أيضا .

قد غطى كل جسمه يحكم بطهارة المضروب ، كله قد أبيض . أنه طاهر[٦٢]" ، التى فسرها على أنها تشير إلى حقيقة أنه عندما ينحرف الجنس البشرى عن "اللون الابيض" أى الطهارة والبراءة والبشرية ، إلى "اللون الاحمر" بالخطيئة والذنوب ، عندئذ سيصبح المسيح المخلص تقيا كما سيصبح خدمه من اليهود أتقياء أيضا لان عصر الخلاص سيكون قد حل على العالم بالفعل .

ويضع مؤلف هذا الانجيل شخصية يعقوب فرانك على أنها المنجز الحقيقى لمعجزة الخلاص "لانه هو سيدنا المقدس ، وأعظم وأصلح الجميع" ويدعو الشبتانيين جميعا إلى ضرورة إتباع يعقوب فرانك الذى سيعلمهم طرقه وشرائعه . كما يعقد مقارنة بين يعقوب الأول أبى بنى إسرائيل وابن إبراهيم وساره ويعقوب الأخير أى يعقوب فرانك مؤكدا أن يعقوب الأخير سيحقق الخلاص العظيم فى تلك الأرض التى يعيش فيها ، "فقد عبد يعقوب الأول ربه وذهب إلى أرض حاران المدنسة تنفيذا لرسالته التى كلفه بها الرب وبالتالى فان يعقوب الأخير سيحقق الخلاص فى تلك الارض الغريبة[٦٣] .

وبناء على ماتقدم ، يمكن أن نميز وجود أربع مجموعات رئيسية داخل الجناح المتطرف للشبتانيين وهى :

١) طائفه من الشبتانيين المتطرفين رأوا ضرورة إقتفاء أثر مسيحهم المخلص شبتاى تسيفى فى كل أفعاله ، **فاظهروا إعتناقهم للاسلام إلا أنهم ظلوا محتفظين باليهودية كما تمليها عليهم تعاليم شبتاى الهرطقية ، وقد تحولت أعداد كبيرة من اليهود الموجودين فى تركيا إلى الاسلام تحولا جماعيا عام ١٦٨٣ م ، وكانوا يخفون مايمكن أن يكشف يهوديتهم ، فكانوا يتخذون لانفسهم منهجين فى الحياة منهجا يظهرونه أمام المجتمع التركى ، فكانوا يسمون باسماء إسلامية أو تركية ويرتدون الثياب التركيه كما كانوا يتحدثون أيضا باللغة التركية ، أما داخل بيوتهم فكانوا يتخذون لهم أسماء أخرى يهودية ويصلون بالعبرية ـ التى كانت لغة صلاة فقط فى ذلك الوقت ـ كما حرصوا على الزواج من أبناء طائفتهم فقط ، وتمسكوا أيضا بمراعاة السبت وغيرها من الأعياد والشرائع اليهودية لكنهم كانوا يتمسكون بالتعاليم الشبتانيه التى تحولت فيها الشرائع الى نوع آخر من الهرطقة وتميزت بالانتهاكات المستمرة للتوارة .**

وربما تعلل لنا تلك الحياة المزدوجة ذلك الاسم الذى أطلقه عليهم الأتراك وهو الدونمه أو الدومنه "وهى كلمة تركية عامية مركبة من كلمتين ـ دو ـ فارسية

---

(٦٢) سفر اللاويين ١٣ / ١٣ ومابعدها .

(63) Scholem : Ghc Messianic Idea in Judaism P · 137 ·

الأصل - وتعنى إثنين ، ونمه أو منه بمعنى نوع أى الفرقة القائمة على نوعين من الأصول ، النوع اليهودى ، والنوع الاسلامى(٦٤) .

٢) طائفة أخرى من الشبتانيين المتطرفين الذين ظلوا متمسكين بشرائع التوراه ووصاياها ظاهريا ، أما حياتهم الداخلية فكانت نوعا من الهرطقة والطقوس العربيدة . مؤكدين أن العالم كله قد إنتقل إلى حالة الاصلاح وأنهم يرتبطون بتوراة الفيض التى تبيح محظورات توراة الخلق وقد عاشت مجموعات منهم فى البلقان وفلسطين ومناطق أخرى فى أوربا مثل رومانيا وبوهيميا ومورافيا وغيرها وكان من أوائل زعمائهم حاييم مولكو .

٣) طائفة من الشبتانيين المتطرفين الذين أعلنوا إعتناقهم للكاثوليكية فى الظاهر متبعين فى ذلك زعيمهم يعقوب فرانك ، لكنهم فعلوا أيضا مثل أعضاء الدونمة ، فبطنوا اليهودية التى تبعد كل البعد عن شريعة موسى وتتضمن عددا من الطقوس الخليعة العربيده وذلك وفقا لتعاليم يعقوب فرانك الذى أعلن نفسه مسيحا جديدا بدلا من شبتاى . وقد كان لهذه الطائفة آثارها على تطور فكرة الخلاص تحت أثر الشبتانية كما رأينا .

٤) أما المجموعة الأخيرة فتمثل مجموعة صغيرة العدد قليلة التأثير ، آمن أعضاؤها بتعاليم يعقوب فرانك إلا أنهم إنشقوا عنه ولم يتبعوه فى إعتناق الكاثوليكية ، بل ظلوا متمسكين بشرائع التوراة علنا متبعين تعاليم فرانك الهرطقية فى الخفاء قائلين بأنهم قد انتقلوا بالفعل إلى عالم الخلاص ويجب مراعاة التقاليد فى ضوء توراة الفيض وكان أعضاء تلك المجموعة يتمركزون بصورة خاصة فى كل من بوهيميا ومورافيا والمجر ورومانيا .

لكنى بالرغم من أن المؤلفات التى وصلت إلينا من تلك المجموعات الرئيسية لم تكن تهدف - كما رأينا - إلا لتبرير تلك الأعمال الشاذة التى اقترفها الشبتانيون بأجنحتهم المختلفة ، وبالرغم من أن مؤرخى الأدب العبرى ينظرون إلى تلك المؤلفات التى خلفتها ، لنا الطوائف الشبتانيه المختلفة على أنها تمثل مجموعة قليلة جدا عما يعتقد أنه قد تم انتاجه مؤكدين على أن أدب الحركة الشبتانية قد شهد عمليات طمس واسعة لعدة أسباب سنتعرض لها فيما بعد ، إلا أنه يمكننا على ضوء بعض المؤلفات القليلة التى وصلت الينا أن نقف على الكيفية التى تناول بها الشبتانيون شخصية المسيح اليهودى .

---

(٦٤) دحسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى : أطواره ومذاهبه صفحة ٣١٣ . وقد رفض أولئك اليهود تلك التسمية التركية وأطلقوا على أنفسهم لفظ «المؤمنين» كما فعل غيرهم من الشبتانيين .

ملامح وتطور شخصية المسيح اليهودى :

رأينا كيف كانت حركة شبتاى تسيفى منذ بدايتها محاطة بالأسطورية واللاعقلانية التى اتبعها ذلك المسيح الكذاب فى إدعاءاته المسيحانية ، كما رأينا كيف إزدادت تلك الأسطورية على يد الكتاب والمؤلفين الشبتانيين عند تناولهم لأفكار مسيحهم الكذاب وانتهاكاته المستمرة للشريعة ، وتحوله عن اليهودية ، وأخيرا فشله فى جلب الخلاص ، آخذين على عاتقهم الدفاع عن ذلك كله بأى وسيلة .

لكن بالرغم مما كانت تنطوى عليه تلك الحركة من تضليل وأفكار هرطقية لاعقلانية فإن عددا كبيرا من اليهود آمنوا بتلك الحركة التى استمرت ـ بطوائفها واجنحتها المختلفة قوة مؤثرة داخل الجيتو اليهودى فى الدول والمجتمعات المختلفة .

والواقع أن البحث فى الشبتانية ينطوى على صعوبة هامة ، حيث شهدت الأجيال الأخيرة للشبتانية حركة طمس هائلة لأعداد كبيرة من المؤلفات والوثائق الخاصة بها ، وقد جاء ذلك عن طريقين مختلفين .

جاء أولهما على يد الربانيين المتمسكين باليهودية التقليدية كما هى واردة فى العهد القديم وكما يشرحها التلمود .

وقد تحدثنا فى المبحث السابق عن المعارضة التى لقيها شبتاى تسيفى وأتباعه القليلون ـ فى ذلك الوقت ـ منذ بداية إدعاءاته المسيحانية وهى المعارضة التى جاءت بصورة خاصة من الربانيين فى سالونيكا وأزمير والقدس ، وذلك لما لمسوه من انطواء تلك الحركة على هرطقة عظيمة وانتهاكات علنية للشريعة ، لكن ذلك الصوت لم يكن مسموعا وخاصة فى فترة أوج الشبتانية ، إلا أن بعض الربانيين ظلوا متمسكين بموقفهم ، حيث نظروا إلى تلك الحركة منذ البداية نظرة شك خاصة بعد أن أصبحت قوية ومنتشرة وكانت تجذب إليها أعدادا كبيرة من اليهود حتى من الربانيين أنفسهم وتحولت الى قوة تكاد تهدد وجود الربانية ، لذلك حرم الربانيون قراءة مؤلفات وكتب الشبتانيين كما يعملون بلا توقف على تدمير كامل لكل مايقع فى أيديهم من آداب ، وكان نتيجة ذلك أن فقدت أعدادا كبيرة من وثائق الحركة الشبتانية . أما ثانى الطريقين فقد جاء على يد الشبتانيين أنفسهم وذلك

فى الجيل الأخير من انهيار الحركة وبداية اضمحلالها .

فقد شهدت الحركةالشبتانية بداية لانصراف أعداد لايستهان بها من احفاد الجيل الأخير من أولئك الشبتانيين . وقد حاول أولئك الأحفاد طمس أى أثر يدل

على أنهم يحملون طقوس ومعتقدات اجدادهم[٦٥] .

من ناحية أخرى لم يحاول أولئك الأحفاد كشف اللثام عن نسبهم الملوث محاولين الابتعاد بكل الطرق عما يثبت انتماء اجدادهم للشبتانية للحفاظ على سمعتهم وسمعة أبنائهم بتخليهم التام وانكارهم المستمر للانتساب لتلك الحركة الهرطقية ، والتى نظروا اليها بعد ذلك على أنها حركة خيانة وتشكيك فى المعتقدات اليهودية وقد أدى ذلك أيضا إلى طمس أعداد أخرى لمؤلفات الشبتانيين وخاصة مؤلفات طائفتى الدونمة والفرانكيين .

لكن بالرغم من ذلك كله فقد بقيت بعض الكتابات والوثائق القليلة التى يمكن أن تكشف عن أفكار ودوافع تلك الحركة ـ كما رأينا فى المبحث السابق ـ كما أنه :

يمكن عن طريق تلك الوثائق القليلة ان نكشف ايضا عما احدثته الشبتانية من آثار على مفهوم الخلاص فى الأدب العبرى .

شخصية المسيح المخلص فى المؤلفات الشبتانية :

ظهر شبتاى تسيفى وادعى أنه المسيح المخلص ، وآمنت به أعدادا كبيرة من جمهور اليهود ، وانتشرت دعوته بطوائفها واجنحتها المختلفة فى آسيا وأوربا الشرقية وبعض مناطق أخرى من أوربا الغربية وشمال افريقيا على نحو ماعرضنا باسهاب فى الفصل السابق .

وقد أدى ذلك الايمان الواسع بمسيحانية شبتاى تسيفى إلى تغييرات أساسية فى فكرة القبالاة عن شخصه المخلص ودوره فى جلب الخلاص ، وهى التغيرات التى جاءت بصورة خاصة على يد ناثان الغزاوى وغيره من حواريى ومفسرى شبتاى تسيفى كنتيجة لمحاولاتهم المختلفة لتبرير فشله فى جلب الخلاص ، وكان لتلك التفسيرات والمؤلفات الأثر الأعظم على استمرار دعواه ، كما رأينا ، كما امتد الى شخصية المسيح ايضا وهو ماسنعرض له هنا .

كان ناثان الغزاوى نبى المسيح تسيفى ، كما رأينا ـ مكلفا بنشر دعواه بين جموع اليهود ، ثم أصبح مكلفا بعد ذلك بشرح الغموض الذى علق بشخصية شبتاى ، خاصة بعد تخليه عن يهوديته وبعد موته دون ان يجلب مرحلة الخلاص

---

(٦٥) يخبرنا المؤرخ First Mouther فى كتابه P . 80 M918 , P . 306 Scholem ; The Messianic Idea in Judaism , Erinnergen , Munich عن ذلك بحادثة وقعت فيما بين ١٨٢٠ ـ ١٨٣٠ م ، تشير الى انه فى الفترة التى شهدت انهيار الحركة فى بوهيميا جاء رجل فرانكى إلى جدة ـ وإلى افراد آخرين من أبناء الطائفة ـ وطلب إليه أن يعطيه كل انواع الكتابات التى فى حوزته والتى تتناول افكارا تتعلق بالشبتانية ، ثم اخذها وانصرف ولم يعد يراه بعد ذلك .

الذى وعد به بين قومه . وكان ناثان ايضا قباليا متعصبا لقبالاه لوريا بصفة خاصة ، وهى القبالاه التى اهتمت بمسيرة الاصلاح التى تجلب الخلاص والتى جعلت لكل فرد يهودى دورا هاما فى الوصول إلى تلك المرحلة كما انها لم تخصص للمسيح أى دور لجلب الخلاص ، **إلا أن ناثان الغزاوى كان يرى شيئا آخر مخالفا لذلك . فبينما كان يتفق مع قبالاه لوريا على أهمية دور كل فرد للوصول إلى مرحلة الاصلاح فقد كان يرى فى نفس الوقت أن هناك جزءا هاما اخيرا يمثل مرحلة فى غاية الصعوبة لاعلاقة لها بمسيرة الاصلاح ، لكن لابد من انجازها للوصول إلى عصر الخلاص ، وهى المرحلة التى لايمكن أن تتحقق عن طريق البشر العاديين او بالطرق والأساليب الطبيعية ، بل هى تتطلب قوى خارقة ، ويجب على من يقوم بانجازها ان يتحلى بصفات إلهية خاصة لكى يستطيع ان ينجز تلك المرحلة القاسية ، وهى صفات وقوى تكمن فى شخصية المسيح فقط ولايمكن أبدا أن توجد فى شخص سواه .**

وقد نسب ناثان الغزاوى انجاز ذلك العمل لشخصية شبتاى تسيفى فقط حيث هو المسيح المخلص الذى ظهر بالفعل مجسدا أمام الناس ، وهو شخص ـ كما كان ناثان الغزاوى يعتقد ـ يتصف بصفات إلهية ، وتكمن فيه قوى خارقة اسطورية ، لهذا فهو الشخص المكلف باصعاد الومضات والوصول إلى مرحلة الاصلاح الأخير والتخلص من الشر وانجاز بقية المهام الصعبة الملقاة عليه للوصول إلى عصر الخلاص .

ومع ذلك فقد تمسك ناثان الغزاوى بأهمية دور كل فرد فى الوصول إلى مرحلة الاصلاح ، وفضلا عن ذلك ، فقد كان يؤكد دائما على ضرورة التأييد الكامل لمسيحهم المخلص فى تلك المرحلة الأخيرة ، التى نزل فيها إلى قوى الدنس ، كما أكد على ضرورة الايمان به ايمانا كاملا حتى يستطيع انجاز تلك المرحلة الصعبة التى يعقبها الخلاص مباشرة[٦٦] .

ومما لاشك فيه أن ناثان الغزاوى قد لجأ الى تلك الفكرة بالتمسك بدور كل فرد ودعوته للشبتانيين بضرورة تأييد المسيح فى ذلك ، حتى يكسب تأييد أكبر عدد من أولئك الاتباع الذين كانوا متمسكين بتعاليم قبالاة لوريا ، لكى يضمن استمرار تأييدهم لذلك المسيح الكاذب خاصة بعد أن تخلى المسيح عنهم ، وبعد غيابه الطويل فى عالم الدنس ، وبعد فشله فى جلب عصر المسيحانية وماكان يمكن أن يحدثه كل ذلك من تصدع ثم انهيار كامل لحركة شبتاى تسيفى كما حدث فى الحركات المسيحانية الكاذبة كما رأينا من قبل .

والحق أن ناثان الغزاوى ـ وغيره ممن أخذوا على عاتقهم تبرير فشل شبتاى

---

(٦٦) Scholem : The Crisis Of Tradition in Judaism in Jewish Messianism An Essay in the Messianic Idea in Judaism , P . 72

تسيفى ـ قد نجح فى ذلك ، وتمكن من تحقيق هدفه وتقبل أولئك الأتباع هذا الدور الجديد الذى ألقى على شبتاى تسيفى بحماس شديد(٦٧) .

وهكذا أضفى ناثان الغزاوى طابعا جديدا وتغييرا ملموسا فى مبدأ الخلاص عند القباليين ، فبعد ان نجحت القبالاة ـ فى مراحلها المختلفة ـ فى استبدال صورة البطل الفردى التى لازمت الفكرة المسيحانية وتحددت بشخصية المسيح اليهودى منذ فترة العهد القديم على أنه أداة الرب والمنجز الوحيد لجلب الخلاص ـ ببطل آخر جماعى يتمثل فى المهمة الملقاة على الشعب كله فى جلب الخلاص بالوصول إلى مرحلة الاصلاح ، نجد ان ناثان الغزاوى ، قد أعاد فكرة البطل الفردى إلى المسيحانية مرة اخرى وخصص المهمة الأساسية لجلبها على شخصية المسيح حينما أكد لهم ضرورة اتباع الشرائع وعدم اتباع شبتاى فى انتهاكاته لها وضرورة التمسك باليهودية دينا لهم ، لأن شبتاى قد فعل ذلك فقط لأنه هو المسيح والمكلف الوحيد بالنزول إلى عالم الدنس لتحقيق مجىء المملكة المسيحانية

وبهذا أعاد ناثان الغزاوى شخصية البطل الأسطورى ذى القوى الخارقة التى تكمن فيه وحده إلى مفهوم المسيحانية وخصص ذلك على شخصية شبتاى تسيفى .

وسوف نتناول هنا عرضا لقصة قصيرة تنسب لمؤلف شبتانى مجهول ينتمى إلى طائفة الدونمة وهى تعتبر نموذجا يمكن على ضوئه توضيح اثر الأفكار الشبتانية على فكرة الخلاص وشخصية المسيح فى القرن الثامن عشر .

يقول النص(٦٨) :

« وتعصف الرياح وتذهب بى إلى أرض الكلدانيين ، هناك كان يوجد أولئك الرسل الذين بعثهم سيدنا الملك (٦٩) بخطاب ، سلام عليك ، لقد رأيت كل ما أرسلته إلى فيما يتعلق بسيطرة زبولون ونفتالى اللذين سخرا من أقوالك ، لاتستمع إليهما ، فقد إعتادا على السخرية منذ الأزل لكنهما سيتوبان فى الأيام القليلة ، ولاتعاقبهما على ذلك لأن بينهما رجالا عظاما وكراما وأتباعا للملك(٧٠) معهم . والآن اجمع كل الجماهير وأشرح لهم كل ماحدث ، وأخرج معهم إلى الميدان ، هناك

---

(67) Scholem : Shabbati Sevi . Mystical Messiah 1626 - 1676 , P . 290 .

(٦٨) لم نتمكن فى الواقع من الحصول على الوثيقة الأصلية التى تحتوى على تلك القصة ولكننا حصلنا عليها من كتاب يوسف دان القصة الحاسيدية صفحتا ٢٦ ـ ٢٧ .

(٦٩) يشير إلى شبتاى تسيفى .

(٧٠) يشير إلى الشبتانيين .

توجد مغارة كبيرة يقف على بابها القائد العظيم ارمائيل وزير عيدوم ، فقوضه بهذه السلاسل التى مع الرسل ، ويظل أسيرا لديك حتى أخبرك بما تفعله ، أنظرها أنذا قد كلفتك بتلك المهمة ، فلا تخف منه ذلك لأنه خاضع لوزير إسماعيل[٧١] ومن الأفضل له السقوط فى يد إسماعيل .

بعد ذلك تذهب مع الأصدقاء إلى روما وستجد خارج المدينة مظاهر عظيمة ، هناك ستجد حجرا على شكل أنثى كما تعلم ، فاصنع الحلقات التى أعطيتك إياها واحترس جيدا منها لأنها مؤيدة بقوى عظيمة ويجب ألا تخيفك ، إن شر الأنثى أعظم من شر الذكر ، وأعلم أن لها سبعة رءوس يعضدونها وبسقوط تلك الرءوس يحل عليها الخوف والكراهية والفزع ، ثم تسقط تلقائيا بين يديك كما تسقط كل قواها أسرى بين يديك حينئذ « يتسلط وينزل ويتسلط يعقوب »[٧٢] وعندما يكون الذكر والأنثى بين يديك تأتى إلى منتصرا وهما بين يديك حينئذ أخبرك بما يجب عمله ، حاول وستفلح لأن هذا هوعصر الارادة .

حينئذ استجمعت شجاعتى ، وأرسلت إلى الأصدقاء فجاءوا إلى وجمعوا كل الشعب الموجودين فى أرض الكلدانيين ونفذت كل ما أمرنى به الملاك المقدس .

وقمت مع الأصدقاء وذهبنا إلى المغارة ، وهناك رأيت القائد فهجم على هو وقواته وعندما استخدمت إحدى الحلقات خضعوا جميعا ، وقبضت على وزرائهم وكبلهم الاصدقاء بالأغلال المكتوب عليها اسم الرب ، وعرفت أن الطريق أمامى وذهبت من هناك مع الأصدقاء لاستكمال المهمة وأذهب إلى روما الشريرة إلى وجه البعل وجلست أمامه أنا والأصدقاء وصنعت الحلقات وفى كل ضربة كانت تسقط رأس منها ـ فسقطت ستة رءوس فى ست ضربات ولما رأت (روما) ذلك ازداد غضبها هى وقواتها وهجموا على بقوة هائلة وأخافونى بكل الحلقات وهربوا من أمامى ، وحملونى وحملوا أصدقائى ونقلونا إلى بيتى فى غزة ، هناك سقطنا على وجوهنا طوال اليوم وبكينا وصرخنا كيف لم يتم ذلك وفشل مجىء الخلاص فى لحظة » .

كان ذلك هو النص الأصلى كما نشره يوسف دان ، ويتضح لنا من ذلك النص أن المؤلف يتحدث عن محاولات شبتاى تسيفى ونبيه ناثان الغزاوى لجلب الخلاص بالطرق الذاتية كما يتضح منه أيضا تلك العلاقة الوثيقة التى كانت تربط شبتاى تسيفى بناثان ، حيث نفهم منه أن ناثان يتلقى تعاليمه لجلب الخلاص من « سيده الملك » فالمؤلف ـ الذى ينتمى إلى طائفة الدونمة ـ كما ذكرنا قبلا ـ والذى يبدو انه يتحدث هنا بلسان ناثان الغزاوى يصف لنا الخطوات التى اتخذها ، لذلك فقد

---

(٧١) يشير إلى المسلمين .

(٧٢) راجع سفر العدد ١٩/٢٤ .

عمل بالوصايا التى أمره بها شبتاى تشيقى فذهب إلى المغارة وتغلب على القائد الموجود هناك ، ثم ذهب إلى روما وتغلب على الحجر ذى الرءوس السبعة ، ونجح فى اسقاط ستة منها باستخدام الحلقات والأغلال وكان على وشك النجاح فى جلب الخلاص بالقضاء عليها إلا انه فشل فى المرحلة الأخيرة .

والنص كما يبدو لنا يشير إلى أن المؤلف قد استقى العناصر الأساسية المكونة لقصته من مصادر مختلفة من الأدب العبرى على مر العصور وهو مايتضح فى النقاط التالية :

(١) اتخذ المؤلف لقصته خلفية تاريخية تشير إلى أن مسيرة التاريخ وتطوره الحتمى يسير نحو المستقبل الذى يحمل معه الخلاص . كما لجأ المؤلف أيضا إلى عنصر التنبؤ حيث يشير إلى ملاك الرب الذى بشر بمجىء الخلاص وشرح له الخطوات العملية لتحقيق ذلك .

وهنا نؤكد على أن المؤلف قد استخدم هذين العنصرين اللذين استخدمهما أدباء الايكاليبس كاطار لسرد فكرتهم عن الخلاص وأحداثه .

(٢) يشير المؤلف إلى القائد العظيم الواقف على باب المغارة باسم أرمائيل ، وأنه وزير عيدوم ، وأن القضاء على ذلك الوزير هو خطوة هامة لجلب الخلاص .

وبهذا يستخدم المؤلف نفس الاسم الذى استخدمه الأپوكالبپس أيضا للاشارة إلى قائد عيدوم الشرير مؤكدين أن القضاء عليه يشير إلى قرب مجىء الخلاص وذلك بعد تحريف بسيط له من أرميلوس[٧٣] إلى أرمائيل .

(٣) ثم يشير المؤلف إلى أن ذلك القائد الشرير هو وزير عيدوم ، وهو نفس الاسم الذى شاع استخدامه أيضا فى العهد القديم والاپوكالبپس على انه يشير إلى أبناء الشعوب الوثنية التى اضطهدت إسرائيل على مر العصور والذى شاع استخدامه أيضا فى فترة الحكم الاسلامى .

(٤) كما يشير المؤلف أيضا إلى المسلمين باسماعيل ، وهو نفس الاسم الشائع الاستخدام فى القرون الوسطى .

(٥) فى المرحلة الثانية لجلب الخلاص يتحدث المؤلف عن وصية « سيده الملك » له بأنه سيتقابل مع حجر على شكل أنثى يكمن فيها قوى شريرة هى فى الواقع اعظم من شر الرجل .

وهنا يعتمد المؤلف على مبدأ مألوف فى القبالاة[٧٤] يشير إلى أن أصل الأنثى يكمن فيه شر أشد قسوة من شر الرجل .

(٦) يصف المؤلف هذا الحجر بأنه يحتوى على سبعة رءوس وأن سقوط تلك الرءوس يؤدى إلى مجىء الخلاص .

---

(٧٣) راجع الفصل الثانى من الباب الثالث .

(٧٤) نجد اصولا لهذا المبدأ فى العهد القديم فيشير زكريا إلى ذلك فى الاصحاح الخامس راجع
Scholem Kabbalah : The Ency . Judica Vol . 10 , P. 566

وهو مايتضح معه أن المؤلف أيضا يلجأ إلى الأبوكالبيس [٧٥] الشائع فى عصر التلمود .

(٧) ثم يحدد المؤلف مكان مقابلة ناثان الغزاوى لذلك التمثال بروما الشريرة مؤكدا أن القضاء عليها يمثل المرحلة الأخيرة لجلب الخلاص .

وهنا يستخدم المؤلف أيضا فكرة تقليدية كثيرا ما لجأ إليها الابوكاليبتيون والربانيون بصورة خاصة ، كما استمرت فى بعض مؤلفات العصور الوسطى الذين ربطوا بين سقوط روما ومجيء المملكة المسيحانية .

(٨) ويعتقد يوسف دان أن بعض عناصر تلك القصة الشبتانية تستمد أصولها بصورة مباشرة من قصة زروبابل التى ترجع النسخة الأولى منها إلى السنوات السابقة مباشرة لانتشار الاسلام . ويرى أن ذلك يتضح من الارتباط الذى قام به المؤلف بين القائد أرمائيل وأنثى الحجر ، حيث تشير قصة زروبابل إلى أن القائد الشرير أرميلوس قد ولد نتيجة لزواج الشيطان من تمثال حجرى على شكل أنثى يشير إلى أم أرميلوس[٧٦] .

(٩) وربما نجد فى القصة أيضا تأثرا آخر بالقصة الواردة فى سفر زروبابل . فكما[٧٧] رأينا قبلا أن الخلفية التاريخية للنص الأصلى للكتاب تشير إلى حروب البيزنطيين مع الفرس ، وأن الأدب العبرى ينظر الى الامبراطورية البيزنطية على أنها وريثة روما ،

كما تشير النسخ الأخرى لتلك القصة والتى تنتمى لفترات أخرى متقدمة أن أدباء اليهود قد استخدموا تلك القصة مع تطبيقها على خلفية تاريخية لانتصار المسلمين على البيزنطيين ، الذين كان المسلمون يشيرون اليهم أيضا باسم الروم .

أما المؤلف الشبتانى فقد استخدم نفس القصة مع تطبيقها على الظروف التاريخية التى يتحدث منها فقد كان كل من المؤلف والقراء من طائفة الدونمة ـ المتظاهرين بالاسلام والباطنين اليهودية ـ وكان المسيحيون (النصارى) ينظرون الى كل المسلمين على انهم العدو الرئيسى لهم حيث شهد القرنان الخامس عشر

---

(٧٥) تحدث دانيال فى الاصحاح السابع عن التمثال الذى كلما اسقط منه راسا يبزغ راسا آخر كما أشارت الى ذلك اسفار اخرى من الأبوكاليبس كسفر حنوخ وباروخ .

(٧٦) ذكرنا فى الباب الثانى الفصل الأول ان النسخة الأولى لكتاب زروبابل يرجع تاليفها للفترة السابقة مباشرة لانتشار الاسلام وهو ماتدل عليه الخلفية التاريخية للقصة التى يحتويها الكتاب الا ان ذلك الكتاب قد تعرض لتنقيحات كثيرة على مدى عدة عصور بحيث وجدت منه اكثر من نسخة تتحدث كل واحدة منها عن نفس القصة لكنها تقع لها خلفية تاريخية تتناسب مع زمن التنقيح انظر
Silver : A History of the Messianic Speculation , P . 20 .

(٧٧) انظر الباب الثالث الفصل الأول قصة زروبابل .

والسادس عشر علوا عظيما للامبراطورية التركية وسيطرتها على بلدان كثيرة فى آسيا وأوربا وأفريقيا لذلك تشير القصة الشبتانية الى ضرورة اخضاع روما كخطوة اساسية لجلب الخلاص لكنها لم تشر بنفس الشيء الى اسماعيل - اى المسلمين - وهى نفس الخلفية التى استخدمها منقح النسخة الأولى من كتاب زروبابل والذى بدل بالخلفية التى تحدث عنها المؤلف الأصلى بخلفية تشير الى انتصار المسلمين على الامبراطورية البيزنطية .

وقد اتضح لنا الآن أن تلك القصة تتضمن عناصر مستمدة من ثلاثة مصادر رئيسية هى الأپوكالبيس والقبالاة بالاضافة الى شخصية شبتاى تسيفى - المسيح المخلص - وأعماله وطرقه الذاتية فى جلب الخلاص ، وأن هذا النص يمثل اندماجا لتلك العناصر الثلاثة .

فضلا عن ذلك تشير هذه القصة الى الأثر الذى احدثته حركة شبتاى تسيفى وحوارييه على فكرة الخلاص فى تلك الفترة حيث **أعادت مرة اخرى اهمية دور شخصية المسيح فى الخلاص بعد أن كان ذلك الدور قد تلاشى نهائيا فى القبالاة ولفترة تشمل اكثر من قرن ونصف** (٧٨) **، والذى عاد مرة أخرى بنفس التأكيد بعد ظهور شبتاى تسيفى وتشير من ناحية أخرى الى استخدام الأپوكالبيس فى الأدب العبرى فى منتصف القرن الثامن عشر وهى** الفترة التى يرجح أن تكون القصة قد ألفت فيها .

لكن هل استمر تناول شخصية المسيح المخلص بنفس الأهمية فى المؤلفات التى تنتمى الى القرن الثامن عشر وهو القرن الذى شهد انصراف اعداد كبيرة من الشبتانيين عن تلك الحركة الهرطقية كنتيجة للمحاولات المستمرة التى قام بها احفاد الشبتانيين فى السنوات الأولى من ذلك القرن للتخلص من كل مايثبت انتماءهم الى الشبتانية ، وهى السنوات التى شهدت أيضا ظهور حركة أخرى تعرف بالحركة الحسيدية وهى حركة دينية صوفية نشأت فى جماعات صغيرة ثم مالبثت ان جذبت اليها اعدادا كبيرة من يهود شرق أوربا بصفة خاصة وكانت فكرة الخلاص احدى الدعائم العامة التى اسست عليها الحسيدية أفكارها ومبادئها وهو ماسنحاول تناوله فى الفصل القادم .

---

(٧٨) تقريبا منذ القرن السادس عشر وحتى الثلث الأخير من القرن السابع عشر .

الفصل الثالث
المتصرة اليهود "الحسيدية" وتطور المفهوم

أولا : تعريف بالحسيدية :

يعرف الأستاذ الدكتور حسن ظاظا الحسيديم "هيحا سيديم" ـ وترجمتها الاتقياء ـ بأنهم شعبة من المتصوفين وصلوا باليهودية المظلمة ربيبة الجيتو إلى أقصى درجات الدروشة والتعلق بالبدع والخرافات وادعاء فعل الخوارق والمعجزّات وعلم الغيب ونحو ذلك من مظاهر الدجل التى تلازم انحطاط الفكر الدينى فى كل الاديان . ،

وقد بدأت الحركة الحسيدية فى أقصى الجنوب من بولندا فى أواخر القرن الثامن عشر . وهى تمثل حركة دينية صوفية معتمدة على أفكار القبالاة فى أساسها ، حيث ارتبطت دوائر من القباليين فى بولندا وكونوا جماعات ذات نمط من الحياة كان يتميز فى البداية بالتقشف والزهد أحيانا ، وكانت لهم معابدهم الخاصة ، كما كان لهم سلوك خاص أثناء الصلاة يتميز بشدة التدقيق حيال الوصايا والسلوك العام فى الحياة العادية إلا أنها لم تكن تختلف عن أفكار قبالاة لوريا فى مجملها . وكان من أهم العوامل التى ساعدت على ظهورها تلك الإنقسامات التى حدثت بين اليهود بعد الحركة المسيحانية التى قام بها شبتاى تسيفى ثم حركة يعقوب فرانك أيضا وما أدت اليه من انقسامات أخرى فرعية بين اليهود فى شرق أوربا بصفة خاصة . ولم تكن تلك الحكومات تنظر إلى الحركة الحسيدية نظرة ودية بسبب انحرافها عن السلوك الدينى المعروف لدى اليهود ، وكان الحاسيديم يمضون أيامهم صائمين كابحين شهواتهم ، بينما كانت صلواتهم تتميز بالمرح والبهجة إلا أنها كانت مجموعات صغيرة محددة كما كان تأثيرها محدودا على غيرهم من اليهود .

---

(١) الأحياء المغلقة التى عاش فيها اليهود اوروبا منذ العصور الوسطى وحتى القرن التاسع عشر الميلادى .

(٢) د . حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى أطواره ومذاهبه . ص ٣١٢

ثم شهد منتصف القرن الثامن عشر إنتشارا واسعا للحركة الحسيدية بأفكارها وتعاليمها ، وقد جاء ذلك على يد بعض مؤيدى تلك الحركة ودعاتها وكان أهمهم متصوف يهودى يدعى بعل شيم طوف الذى كان أحد زعماء تلك المجموعة الصغيرة من الحسيديم فى بولندا ، ثم ذاع صيته فى قدرته على معالجة الأمراض بالسحر والتعاويذ ، فالتفت حوله جماعات أخرى وجذب إليه جماهير من اليهود وانضموا إليه فى صلواته المبهجة وأصبحوا مروجين لأفكاره مما أدى إلى انتشار أكثر للأفكار الحسيدية ، ثم اتجه بعل شيم طوف لجذب مزيد من المؤيدين للحسيدية ، فقام بعدة رحلات إلى بلدان أخرى فى أوربا الشرقية لكسب تأييدهم أيضا لزعامته للحسيديم ، وجذب اليه جماعات فى پودوليا وفى الأقاليم المجاورة لجنوب غربى بولندا وأمنت تلك الجماهير بقواه السحرية الخارقة وكانوا فى مجموعهم يمثلون الناس البسطاء الفقراء وبعض دارسى التلمود والربانيين(٤) .

ثم انتقلت زعامة الجيل الثانى من الحسيديم إلى دوف بائير المعروف باسم الماجيد الأعظم هماجيد هجادول (١٧٦٦م) وبالرغم من معارضة بعض الحسيديم الآخرين لتلك الزعامة فإن فترة زعامته شهدت انتشارا آخر للحسيدية وبالرغم من أنه لم يكن يكثر من مقابلة مريديه كما أنه لم يكن محبوبا من كل أتباعه إلا أن الحسيدية لقيت انتشارا آخر فى تلك الفترة بين يهود أوروبا الشرقية كلتوانيا وجاليسيا وڤيلنا وغيرها ، وكونوا مراكز لهم فى تلك البلدان .

أما فترة الجيل الثالث للحسيديم (وتبدأ حوالى عام ١٧٨٦) فقد شهدت انتشارا أعظم بين اليهود بزعامة زلمان شنيئورزون (توفى عام ١٨١٢ م) وتبلورت فى فترة زعامته بصورة أقوى عقيده التسديقيم ومفردها تسديق أى زعماء المجموعات الحسيدية والمراكز المحلية حيث قام كل واحد من أولئك التسديقيم بتطوير أسلوبه فى تفسير تعاليم وأفكار الحسيدية وكانت تلك الزعامة تنتقل من جيل إلى جيل وأصبح لكل تسديق مجتمع خاص له أفكاره المتوارثة(٥) .

وقد ساهمت عقيدة التسديق فى لا مركزية القيادة الحسيدية فأصبح كل تصديق مهيمنا على أتباعه من أبناء طائفته وأصبحت الحسيدية منذ عام ١٨٣٠ م

---

(٣) يعرف ايضا باسم بعشط وهو إختصار لاسمه مكون من الحروف الأولى منه كعادة اليهود فى إختصار اسماء بعض أدبائهم .

4) Polikov, leon : A History of Anti - Semitism, Trans From France by Richard Howard, Routedje and Kejan Paul, London, 1974 , P 0 263

5) Rubintesin : Ha Sidism, An Article in The Enc · Judica Vol · 10 , P · 1393 ·

أسلوبا للحياة العامة بين معظم يهود جاليسيا ووسط بولندا ويلرروزيا ولتوانيا والمجر كما انتقلت الحسيدية الى بعض مناطق أوروبا الغربية وكذلك إلى الولايات المتحدة الحسيدية فى تلك الفترة أو التيارات الدينية فى اليهودية وأصبح لها طقوس وصلوات وعبادات خاصة وأسلوبا مميزا فى العبادة ومظاهر الحياة الأخرى وأصبح ذلك كله له صيغة شرعية فى المجتمعات اليهودية .

إلا أن النصف الثانى من القرن التاسع عشر قد حمل معه انحسار لنشاط تلك الجماعات الدينية الحسيدية عن الانتشار فقد أدى ظهور بعض الإتجاهات التى تميزت بالاعتدال كحركة التنوير والحركة الاصلاحية - إلى هزة عنيفة فى أسلوب الحياة اليهودية حيث كانت تتميز بدعوى اليهود إلى التخلص من الأفكار الدينية الباليه التى يطغى عليها السحر والشعوذة كما كانت تطالب بصبغ الحياة اليهودية بالصبغة الدينية ، فقامت الحسيدية بدورها بمعارضة تلك الحركات بقوة وابتعدت بنفسها عن تلك القوى الجديدة التى ظهرت ، ولم ترحب أوساط التسديقيم بها .

ومن ناحية أخرى تسببت الحرب العالمية الأولى والسنوات القليلة التى تلتها الى إختلال فى توزيع وانتشار الحسيديم حيث سادت الاضطرابات جميع مناطق أوروبا الأمر الذى انعكس على مراكز التسديقيم وهم الزعماء الذين كانوا يمثلون الرابطه بين الحسيديم ويرأسون المجتمعات الحسيديه . كما كان لانهيار الامبراطورية النمساوية المجرية وظهور أقاليم ودول جديدة سببا فى فصل وتفرقة حشود الحسيدية عن زعمائها حيث أصبحوا ينتمون سياسيا إلى دول أخرى مختلفة كرومانيا وتشيكوسلوفاكيا . كما انفصل الحسيديم فى روسيا وانضموا إلى الثورة التى قامت هناك عام ١٩١٧ م . الأمر الذى أدى بكل مجموعة منها إلى الانفصال عن زعماء الحسيديه وقد أدى ذلك كله إلى تآكل الحسيدية وانحسار وجودها بين مجموعات صغيرة تتبادل الاتصال فيما بينها ولا يزال البعض منهم موجوداً فى المجتمعات اليهودية المختلفة وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية .

أما أهم الأفكار الحسيدية فتتمثل فى وجود ذلك النمط من الزعامة الذى التف حوله مجموعات من الحسيديم وجذب اليه أولئك المؤمنين بأفكارهم وهو زعامة التسديقيم للطوائف الحسيدية المختلفة . وكانت أفكار بعل شيم طوف ونشاطاته الدعائية للأفكار الحسيدية وكذلك نشاطاته الأخرى التى تعتمد على السحر والتعاويذ هى الأساس فى تشكيل نمط الزعامة فى الحسيدية فكان التسديق "يمثل السلطة العليا بين أتباعه ، وكان يمثل قوة جاذبية خارقة ، وكان الحسيديم من أبناء الطائفة التابعة لكل تسديق" يؤمنون بزعامته وقواه الخارقة ويعجبون به وبكل أعماله ويطيعونه طاعة عمياء وكان هو بدوره يهب التنوير الروحى للفرد الحسيدى من أبناء طائفته بإشعاعه الخاص الذى توصل إليه من خلال إتحاده الصوفى مع الرب وهو ما يعرف باسم دفيكوت كما توكل اليه مهمة شفاء الأمراض وينسب اليه أتباعه القيام ببعض المعجزات وكان كل تسديق يقوم بتفسير

ألتوراة لأتباعه بطريقته الخاصة وكان أولئك الأتباع يحيطون بمائدة التسديق لسماع التفاسير وتلقى البركة وكان هذا يحدث عادة فى الوصية الثالثة ليوم السبت ، وكان على الفرد الحسيدى الساكن بعيدا أن يسافر الى التصديق لحضور تلك التفاسير كما كان يسافر اليه فى الاعياد الرسيمة الكبرى ليتلمس بركته ويحدثه عن مشاكله الخاصة كما كان يقدم له مبلغا من المال يسمى پديون أى فديه وهى مبالغ ضخمة يتعايش منها التسديق الذى كان يشبه فى الحسيدية على آنه السلم بين السماء والأرض حيث كان الحسيديم يعتقدون أن تأملات التسديق الصوفيه تجعله على علاقة وثيقة بالرب ، ومرتبطا به لذلك كانوا يعتقدون أن التسديق يجب أن يعيش فى رغدة ظاهرة(٦) .

أما الافكار الحسيدية الأخرى فهى لا تخرج عن كونها تفصيلاً واسهاباً للفكرة الموجودة فى قبالاة لوريا(٧) عن الكيفية التى تم بها خلق الكون وهى أن الرب قد انسحب داخل نفسه وذلك لكى يترك فراغا أساسيا يستطيع العالم المحدود أن يدخل إليه بعد عملية طويلة من الفيض ، وكانت الحسيدية ترى أن النور الالهى يتم تنقيته باستمرار وأن الرب يستوعب كل شىء داخله ذلك لكى تتمكن المخلوقات من آن تظهر متمتعه بوجود مستقل . كما آن الكون هو رداء للرب ينبثق منه تماما مثل القوقع الذى تظهر منه صدفته(٨) .

أما الصلاة فى الحسيدية فتتميز بالفرح والبهجة وكانت تؤدى بصوت عالٍ وتشتمل على أغانٍ وايماءات بالجسد واهتزازات وتصفيق كما تتضمن أيضا بعض الرقصات وكان الحسيديم يعتبرون كل ذلك تعبيرا عن الورع والالتحام الجماعى ومن هنا كانت الحسيدية تؤكد دائما على التفاؤل والمرح والبهجة .

ويمكن فهم ذلك على ضوء الاعتقاد المنتشر فى الحسيدية بآن كل شىء فى الكون منبثق من الرب ، وعلى ذلك فان الآلام والاحزان ليس لها وجود حقيقى فى العالم ويجب أن ينتشر نور الرب وحيويته فى كل الأرجاء ، وعلى ذلك ليس هناك ما يدعو لليأس والقنوط ، فعندما يفرح الانسان يعتبر فى نظر الحسيدية آنه يخدم الرب ذلك لان عمله هذا هو بمثابة حث للبهجة الالهية لكى تندفع على المخلوقات . وفى مقابل ذلك ، فان التفكير ذا الاتجاه السودوى هو شىء ملعون ومحرم فى الحسيديه وهو لا يؤدى إلا إلى إقامة حواجز بين الانسان وخالقه ، فلا يجب إذا

---

(٦) انظر الباب الثالث الفصل الثالث "القبالاة" ص ٢٢٥ .

(٧) يوسف دان : القصة الحاسيديه صفحة ٤٠ ـ ٤٣

(8) Rubinstein : Hasidic Way of Life · The Enc · Judica, Vol · 10, P · 1402 ·

على الانسان أن يحزن كثيرا بسبب أخطائه . ففى أحيانا كثيرة تنجح الشياطين فى تضليل الانسان حتى يعتقد أنه قد اقترف خطيئة عظيمة ، بينما لا تكون تلك الخطيئة فى واقعها ليست إلا هفوة صغيرة أو حتى لا تمثل أى خطيئة على الاطلاق وهدف الشيطان هو وضع الانسان فى حالة من السوداويه والكآبة ، وليست هذه السوداوية إلا عائقاً عظيماً فى طريق عبادة الرب ، حتى لو كان للإنسان خطأ وتعثر فلا يجب أن يصبح حزينا لان ذلك سيمنعه من عبادة الرب[٩] .

ثانيا : موقع فكرة الخلاص من الحركة الحسيدية :

يرجع الفضل فى بلورة أهم الأفكار الحسيدية ـ كما رأينا ـ إلى بعل شيم طوف وحوارييه من أبناء نفس الجيل الذين أخذوا على عاتقهم نشر أفكارهم بين اليهود .

ويتحدد مفهوم المسيحانية فى الحسيدية كما بلورها بعل شيم طوف وحواريوه **بأن كل فرد يستطيع أن يعمل لإصعاد الأفكار الغريبة والرغبات الشهوانية السيئة داخله ، وأنه يستطيع أن يصلى وان يتصل بالرب دون تحديد أى خطوات مسبقة تأهله لذلك أو وجود شروط خاصة تمكنه من الاتصال بالرب ، وهو بهذا يمكنه الوصول إلى مرحلة الخلاص[١٠]** .

وبهذا استطاعت الحسيدية ، كما يقول الربى هيليل زيتلين H ·Zeitlin أن تؤكد على أن الخلاص شيء خاص بكل فرد ، وأن كل فرد هو مخلص عالمه الخاص وقد نجحت الحسيدية فى ذلك بالفعل فى فترتها المبكرة[١١] .

وقد أضفت الحسيدية إلى ذلك فكرة جديدة وهى أن الفرد فى إمكانه أن يصل إلى ذلك عن طريق الإلتصاق بالرب أى مايعرف فى الحسيديه باسم دڤيكوت ، وهو المبدأ الذى إنتشر فى جيل بعل شيم طوف وتلاميذه الذين كانوا يعتقدون فى إمكانية التقرب إلى الرب الى حد الالتصاق به وذلك عن طريق الصلاة والإيماءات والروحانيات وغيرها من بعض مظاهر التصوف الأخرى التى يعتقدون أنها تكمن فى كل إنسان وليس فقط فى الومضات التى سقطت داخل الشر ، ورأوا أن ذلك يحدث

---

9) Jacobs, I · : Basic Idea of Hassidism, The Enc · Judica, Vol · 10 · P · 1405 ·

(١٠) يوسف دان : القصة الحسيدية ص ٥٢ ـ ٥٣

11) Scholem : The Messianic Idea In Judaism P · 48

بهدف أن يتحول الشر الى الخير وهو ما يمكن تحقيقه بعد اعادة الشر إلى أصوله الأولى ، ذلك لأن الشر نفسه كان منذ البداية جزءا من الألوهية السامية ، وآنه قد سقط أثناء الانكسار وأصبح قوة شريرة فإذا استطاع الفرد إعادة الشر إلى أصوله ، أى إلى حدود الالوهية الخيرة النقية ، يمكن آن يتحول الفرد حينئذ إلى إنسان خير نقى .

وهنا يبدو لنا بوضوح أن الحسيدية تستمد فكرتها عن المسيحانيه من خلال نفس الفكرة الواردة فى قبالاة لوريا التى تتحدث عن أهمية دور كل فرد فى الوصول الى الخلاص ودوره فى الوصول الى مرحلة الاصلاح واسترداد الحالة المحطمة للإنسان وكل الكون ، **إلا أن الحسيدية تقول بإمكانية تحقيق ذلك عن طريق العلاقة الشخصية الخاصة بين الانسان والرب والتى تأتى عن طريق التأملات الصوفيه الى حد الالتصاق به .**

وقد أدى تمسك الحسيدية بمبدأ الإلتصاق بالرب عن طريق التأملات الصوفية إلى بروز الدور الملقى على كل فرد فى عملية الاصلاح وهو ماظهر بوضوح فى أقوال الحاسيديم فى جيل بعل شيم طوف وتلاميذه ولكن مع صبغه هنا أيضا بمفهوم السيادة والاستعلاء حيث خصص هؤلاء المفكرون الدور الأكبر فى جلب هذه المرجلة على بنى إسرائيل .

يقول رئيس طائفة حاسيديم بولونيا :

على كل فرد من إسرائيل أن يذهب إلى الأماكن التى تحتوى على شرارات تنتمى لجذر روحه الخاصة حتى يستطيع أن يحررها(١٢) .

كما تناول نفس الفكرة ايضا الحاسيدى الربى مندل من بار(١٣) ، مؤكدا على عنصر آخر هام حيث رأى أن رفع الشرارات هنا لا يعنى آن الفرد مكلف فقط برفع شراراته كشخص وفرد منفصل عن المجتمع ، بل ينطبق هذا أيضا على التزامه برفع شرارات جميع المحيطين به كزوجته وأبنائه وخدمه ، وحتى الحيوانات الموجودة فى بيئته وطعامه ومنزله ولباسه وعمله .. ، فهو مطالب بآن يؤدى دوره حيال كل شىء يتعلق به ويرفع شراراته لأن كل تلك الأشياء جميعا تنتمى إليه وتعتبر من أصول مكونات شخصيته(١٤) .

---

12) Scholom : The Neutralization of The Messianism in Early Hasidism Journal of Jewish Studies, P · 197 ·

(١٣) حوارى لبعل شيم طوف وكان رئيسا لطائفة كبيرة من اتباعه فى بولونيا .

(١٤) نفس المرجع السابق ص ١٩٩

ثم تطورت تلك الفكرة فى الجيل لبعل شيم طوف ومعاصريه ، وقد جاء ذلك على يد تلميذ له يدعى دوف بائير الذى أدخل مفهوما جديدا على فكرة دور الفرد فقد رأى دوف أن مشاغل الحياة والتشتت الفكرى للفرد العادى لا تمكنه من أداء الصلاة كما يجب ، ولا يستطيع فرد آخر غير التسديق أن يوجه كل إحساساته ومشاعره إلى الرب أثناء الصلاة ويستطيع بذلك آن يكون على اتصال بالرب ، لذا فإن الفرد العادى فى حاجة إلى أن يتصل بتسديق ونادى بأن يكون تسديقا فى مجتمع الحسيديم يرعى شئونهم الروحية والدنيوية[١٥] .

وكانت الحسيدية ترى أن هذا الدور الخاص بالتسديق هو نشاط محاط بخطر عظيم حيث أن صعود الأفكار الغريبة تلزم التسديق باقتراب من الشر ولمسه والإتصال به ، وبدون هذا الإتصال فإن الشر لن يسعد أبدا ، لكن عندما يحدث الإتصال بين الانسان والشر مرة أخرى فبالطبع لن يكون معروفا لمن تكون الغلبة فى النهاية هل للانسان أم للشر ، لذلك تمسكت الحسيدية ـ منذ الجيل الثالث ـ بابعاد الحسيدى المبتدىء عن ذلك الدور الخطير وقصرته على مجموعة معينة من الحسيديم المتبحرين فى الصلوات والطقوس الحسيدية الخاصة[١٦] .

وقد أدى ذلك إلى إضفاء نوع من التقديس على شخصية التسديق خاصة بعد أن أعلن الربى الحاسيدى يعقوب يوسف آن التسديق يستطيع آن يخلص الشرير من شره ، حينئذ أصبح التسديق عند الحاسيديم شخصية غير قابلة للنقد وأصبح أى تصرف يصدر عنها ينظر إليه أنه سلوك مقدس وأنه مدفوع بسر خفى[١٧] .

وأصبح التسديق ينوب عن الحاسيديم من أبناء طائفة فى الصلاة والتقرب إلى الرب .

لكن هل تعتبر فكرة التسديق فى الحسيدية فكرة مستوحاه فقد من قبالاة لوريا بالغاء الدور الهام لجلب الخلاص والوصول إلى مرحلة الاصلاح على شخص واحد يقوم نيابة عن أبناء طائفته بذلك الدور .

---

(١٥) د محمد بحر عبد المجيد . اليهودية ، ص ١٦٧

(١٦) يوسف دان الحسيدية صفحة ٥٥

17) GRAYZEL. S · : A History of the Jewish. New American liberay , Chicajo . U · S · A · 1968, P ·455 ·

يبدو واضحا أن الحسيدية قد استمدت فكرتها عن مبدأ التسديق - بالاضافة إلى قبالاة لوريا - من فكرة المسيح المخلص كما تبلورت فى الحركة الشبتانية وأسس عمل المسيح والدور الملقى عليه فى جلب عملية الخلاص حيث نسبت الشبتانية - كما رأينا - مرحلة خاصة بالمسيح فقط ونسبت إليه هو وحده مهمة النزول إلى عالم الدنس لمصارعة قوى الشر ، وهو الدور الذى قصرته على شخصية واحدة فقط وتمسك الشبتانيون بنسبته إلى المسيح وحده .

إلا أن قادة الحسيديم حاولوا تجنب العواقب السيئة التى نتجت عن فشل شبتاى فى جلب الخلاص ، خاصة بعد أن أصبح مؤكدا للجميع مدى زيف تلك الحركة وزيف تبريرات قادتها وطوائفها وأجنحتها المختلفه ، وخاصة فى الأجيال المتأخرة لاولئك الشبتانيين الذين بدءوا ينصرفون عن تلك الحركة الكاذبة وأصبحوا يتنكرون لوجود أى علاقة لهم بها وبأفكارها . وهو ما آدركته الحسيدية فحاولت ألا تقع فيما وقعت فيه الشبتانية ، وابتعدت عن الفردانية فى جلب الخلاص ، ولم تقصر الدور الهام والأساسى للوصول اليه على شخصية واحدة فقط ، بل نسبت ذلك الدور الى عدة أفراد ، وأوكلت اليهم جميعا تلك المهمة الصعبة ونسبت إليهم جميعا ذلك الدور فى العمل على الوصول بالكون الى مرحلة الإصلاح .

وبهذا يتضح لنا موقف الحسيدية من كل من قبالاة لوريا والشبتانية ، فقبالاة لوريا كانت تلقى على كل فرد يهودى دورا فى الوصول الى مرحلة الاصلاح وإدعت - كما رأينا أن هذا الدور من شأنه أن يجلب الخلاص للعالم كله ، وبهذا عممت قبالاة لوريا الدور فى عصر المملكة المسيحانية بحيث أصبح يشمل كل فرد من اليهود .

ثم كان ظهور شبتاى ودعوته بمثابة إرتداد مرة أخرى إلى الفردانية فى جلب الخلاص ، مع المحافظة على الشكل العام لفكرة قبالاة لوريا . حيث قالت الشبتانية - كما رأينا - بأهمية دور كل فرد فى الوصول إلى مرحلة الاصلاح لكنها قالت بوجود مرحلة أخرى خاصة - لا علاقة لها بحالة الاصلاح - وهى مرحلة تسبق الخلاص مباشرة لا يمكن أن ينجزها إلا فرد واحد فقط هو المسيح المخلص .

ثم جاءت الحسيدية وأدركت خطورة الاعتماد على شخصية وفرد واحد فقط للوصول إلى مرحلة الخلاص وهو الخطأ الذى وقعت فيه الشبتانية وأدى إلى فشلها كما أدى ذلك إلى فشل جميع الحركات والادعاءات المسيحانية السابقة على مر العصور .

من ناحية أخرى يبدو أن الحسيدية لم تعترف بتلك الشمولية التى تحدثت عنها قبالاة لوريا والتى جعلت لكل فرد دورا وأهمية خاصة فى جلب الخلاص .

لذلك اتخذت الحسيدية موضعا وسطا بين قبالاة لوريا وبين الشبتانية وقالت بوجود شخصيات معينة فقط هم مجموعة التسديقيم الذين يمكنهم فقط أن ينوبوا عن أتباعهم فى الوصول الى مرحلة الاصلاح وجلب الخلاص لهم .

ويشير جيرشوم شولم الى إختلاف جوهرى فى مضمون فكرة التصديق فى الحسيدية وفكرة المسيح الفردى فى الشبتانية ، وهو الاختلاف الذى يتضح فى كتابات كل من يعقوب يوسف من بولونيا وبائير من مزريتش(١٨) .

فيقول جرشوم شولم أنه بينما كانت الحسيدية ترى بحتمية سقوط التسديق إلى عالم الدنس لتخليص أرواح أبناء طائفته إلا أنها فى نفس الوقت قد إستبعدت النجاح الحتمى للتسديق فى مهمته ، وهو النجاح الذى كانت الشبتانية تعتبره حتميا وتبرر تأخره ، وان ذلك ما تؤكده عبارة مشهورة لربى بولونى عند حديثه عن مهمة التصديق حيث يقول : "إذا قلت أنك قد هبطت من آجل الصعود ، فإننا نقول أن الهبوط مؤكد لكن الصعود مشكوك فيه(١٩) " .

وربما يشير هذا أيضا إلى حقيقة أخرى فى الحسيدية ، تأكدت فى الاعتقاد فى دور التسديق وحتمية نزوله إلى عالم الدنس ، حيث أضفت تلك الفكرة نوعا من البطولة والأسطورية على شخصية التسديق وصراعه مع قوى الدنس والتى وجدناها قبلا فى الشبتانية .

مع ذلك فقد استطاعت الحسيدية الى حد كبير التخلص من الفردانية التى تميزت بفكرة المسيح المخلص الواحد حيث اعترفت الحسيدية بوجود عدد كبير من التسديقيم المكلفين بتخليص أبناء طائفتهم التابعين لهم من الشرارات والومضات الشريرة داخلهم .

فضلا عن ذلك ، فقد كانت الحسيدية تنظر أيضا الى مهمة التصديق على أنها مهمة موقوتة بزمن محدد هى فترة وجوده فى الحياة الدنيا وهو ما يشير إلى تطور آخر يميز مبدأ التسديق فى الحسيدية ودوره فى الخلاص عن فكرة المخلص فى الحسيدية ، فبدلا من خلاص شامل ينتمى إلى العالم الآخر ، أصبح التسديق فى الحسيدية يجلب خلاصا بأبناء طائفته من بنى إسرائيل ويتحدد نشاطه بفترة حياته فى هذا العالم ، كما أنه يتعلق بمتطلبات روحانية ومادية للحاسيد ويتصل أيضاً بحياته اليومية ويرتبط بكل شىء فيها .

وهو مانستنتجه من قول الرابى آلمان مليزنسك الذى يقرر أن التسديق يجلب خلاصا لأبناء طائفته فقط من الحاسيديم فيقول :

---

(١٨) من حواريى بعل شيم طوف وكانا مؤيدان للافكار الشبتانية وراس كل منهم طائفة حسيدية من اتباعهما .

(19) G · Scholem : The Messianic Idea In Judaism P · 89

"يا أبنائى أن الخليقه والرزق والروحانيات وغفران الخطايا هى خلاص الومضات المرتبطة والمتعلق بها روح الحاسيد(٢٠)

وكان على الحاسيد أن يمنح التسديق ثمنا مقابل إيصاله لهذه المرحلة من الخلاص وهو ثمن روحانى ومادى ، فالمادى هو الفدية التى يقدمها الحاسيد للتسديق ، أما الروحانى فهو الإيمان به إيمانا كاملا حيث يستمد التسديق قوته من إيمان الحاسيد به ليقوم بعمله الأسطورى لتخليص أبناء طائفته .

وهنا يبدو لنا أيضا أن تلك الافكار مستمده من الشبتانية حيث آكد ناثان الغزاوى - كما رأينا - على ضرورة التأييد الكامل من كل أبناء الشعب للمسيح المخلص - شبتاى تسيفى - الذى نزل إلى قوى الدنس لأن ذلك التأييد يساعده فى إنجاز مهمته . وقد نسبت الحسيدية هذا الدور للتسديق[٢١] .

وختاما لتناولنا لفكرة الخلاص فى الحسيدية نورد هنا حادثة رواها أحد الحسيديم ويدعى بلق[٢٢] عن لسان بعل شيم طوف الذى رواها بدوره على أبناء طائفته شارحا لهم ما حدث له ذات ليلة من ليالى عيد الغفران (كيپوريم)[٢٣] ودوره كتسديق مهم فى جلب الخلاص .

فبعد أن يروى بلق ما شعر به بعل شيم طوف من ضيق نتيجة لشعوره بأن إسرائيل تتعرض لقرار قاس وهوإحتمال إلغاء وصايا التلمود التى يتبعونها ، حزن بعل شيم طوف ولم يستطع مباركة أبناء طائفته والصلاة بهم فى عيد الغفران (كيبوريم) ، ودخل المحراب وأدى صلوات وإيماءات غريبه بصوت مرتفع . ولما عادوا إليه مره أخرى لتلقى بركاته ، روى لهم ماحدث له ، فقال لهم :

"عندما كنت أقوم بأداء صلاة خاصة إبتهلت إلى الرب ثم أخذت فى التجول من عالم الى عالم آخر دون أن أجد أى عوائق ، وأديت صلاة الشمونية عسرة[٢٤] .

---

(٢٠) يوسف دان القصة الحاسيدية صفحة ٥٣

(٢١) المرجع السابق صفحة ٥٣ .

(٢٢) روى قول بعل شيم طوف من ثلاثة مصادر مختلفة هى (ا) رواية الرابى بلق وهو احد الرواة الثقاة للقصص القديمة (ب) رواية جداليا مليتص وقد اضاف عليها بعض الجمل غير المؤثره على متن الرواية نفسها (ج) ثم رواية مناحيم ناحوم متتشر نوفل وهو تلميد لماجيد ميزريتش . آما الجزء الذى ترجمناه هنا فقد رواه الرابى بدباعار الذى إستمع للنسخ الثلاث واكد أن نسخه بلق أقربها إلى الأصل وقد ورد هذا النص فى كتاب يوسف دان القصة الحسيدية ص ١٢٠ - ١٢١

(٢٣) كيبوريم هو عيد الغفران عند اليهود يحتفل به فى اليوم العاشر من شهر تشرى المقابل لشهر اكتوبر .

(٢٤) هى أهم صلاة عند اليهود بعد صلاة شماع ينسب وضعها إلى عزرا فى القرن الرابع قبل الميلاد وتتكون من تسع عشرة بركة وكانت فى الاصل ثمانى عشرة لذلك احتفظت باسمها شمونه عيسره (أى ثمان عشروباللغة العبرية) حتى بعد إضافة البركة التاسعة عشرة وقد ورد اكثر الفاظها

المجهورة ، ثم سرت حتى وصلت الهيكل وكان أمامى باب واحد لأدخل منه إلى الإسم المقدس ، ولما دخلت للهيكل وجدت صلوات خمسين سنه لم تصعد . ولأنهم كانوا يصلون فى يوم كيبور بصورة خاصة فقد صعدت كل الصلوات . وكانت كل صلاة تبدو كأنها نور فجر عظيم ، وقلت لتلك الصلوات :

لماذا لم تصعدوا من قبل ؟ فأجابت لأننا قد أمرنا بهذا ، أن ننتظر صعودك لكى تذهب بنا ، فقلت لهن تعالين معى . وكان الباب مفتوحا . وأخبر أبناء مدينته أيضا بأن الباب كان كبيرا أيضا ككل الأبواب . ولما بدأنا فى السير مع الصلوات جاء ملاك وأغلق الباب ووضع قفلا على الباب وأخبرهم أيضا بأن القفل كان كبيرا . وبدأت فى الدوران حول القفل لكى أفتحه لكننى لم أستطع ، ثم أسرعت نحو معلمى وقلت له : ان إسرائيل واقعه فى ضيق عظيم ولكنهم يمنعوننى الآن من الدخول ولو كنت فى وقت آخر لما أجبرت نفسى على الدخول ، فقال معلمى : سآتى معك فإذا تمكنت من فتح الباب سأفتحه . وعندما جاء وحرك القفل ، لم يستطع فتحه أيضا حينئذ قال لى : كيف أساعدك ؟ فبدأت أشكو وأتذمر أمام معلمى كيف تتركنى فى هذا الضيق وتلك المحنة ، فأجاب ، إننى لا أعرف ماذا أصنع من أجلك ولكن لنذهب معا إلى هيكل المسيح ، وعندما رآنى عن بعد قال لى لا تصرخ ، وأعطانى علامتين فسرت نحو الباب وهللت للرب عندما فتحت القفل ، ثم فتحت الباب وأخرجت كل الصلوات وانتشرت فرحة عظيمة لأن الصلوات قد صعدت وهدأت الشكوى ، وأصبح لا يحق لى إقامة الدعوى ، والغيت المحاكمة ولم يبق إلا آثار من القرار»

يبدو لنا من تلك السطور أن الحسيدية كانت لا تزال تؤمن بإمكانية نجاح الطرق الذاتية فى جلب الخلاص حيث يمكن للتسديق أن يصل إلى ذلك بعد أداء الصلوات الخاصة . كما تدل أيضا على تمسك الحسيدية بالعناصر الأسطورية التى كانت تغلف أمل الخلاص حيث يشير بعل شيم طوف إلى نزله الى عالم غريب ومقابلته لصلوات محبوسة ، ثم ذهابه إلى المسيح وحديثه معه ونجاحه أخيرا فى جلب الخلاص لتلك الصلوات .

ويكشف لنا بعل شيم طوف أيضا أن الحسيدية كانت لا تزال تؤمن بأن مفاتيح الخلاص موجودة فقط فى يد المسيح ، وهى الفكرة التى حاولت التخلص منها بالتأكيد على دور التسديق ، لكنها مع ذلك لم تنجح كلية فى التخلص من شخصية المسيح ودوره فى جلب الخلاص .

وعباراتها فى العهد القديم ، وبعضها فى المشنا وتنقسم الى ثلاثة اقسام يسمى الاول شفاحوت أى تسابيح ، ويسمى الثانى بكيشوت أى طلبات أو توسلات . ويسمى الثالث هودوت أى شكر . وتقرأ هذه الصلاة فى يوم السبت والأعياد مع تغيير بعض فقرات منها وفقا لمناسبتها . لمزيد من التفاصيل راجع كتاب الفكر الدينى الاسرائيلى ، اطواره ومذاهبه للدكتور حسن ظاظا ص ١٧٤ ـ ١٧٨

المفهوم والحركة الصهيونية

شهد النصف الأخير من القرن التاسع عشر تطورا آخر فى مفهوم المسيحانية تمثل ذلك فى فتاوى ربانيى اليهود فى العصر الحديث وهى الفتاوى التى سبقت الصهيونية السياسية بقيادة هرتسل [1] ومهدت لظهورها كما ساهمت فى دعم الجهود البشرية الاستعمارية فى فلسطين من ناحية اخرى ، فقد قدم هؤلاء الربانيون - أمثال يهودا القالعى (١٧٩٨ - ١٨٧٨ م) وهيرشى كاليشر (١٧٨٥ - ١٨٧٤ م) وشموئيل موهيلفر (١٨٢٤ - ١٨٩٨) ابراهام كوك (١٨٦٥ - ١٩٣٥ م) وغيرهم - شرطا جديدا لظهور **المسيح اليهودى يتمثل فى ضرورة هجرة اعدادا كبيرة من اليهود الى فلسطين لاستعمارها والاستقرار فيها مدعين ان ذلك يمثل خطوة على طريق تحقيق مملكة الخلاص المسيحانية بكل ماتتضمنه من معانى السيادة والسيطرة والاستعلاء العنصرى** . وقد عرف هذا التيار الصهيونى فيما بعد بالصهيونية الدينية .

وفى إطار الحركة الصهيونية ، انقسم ذلك التيار الدينى الى إتجاهين :

إتجاه يؤمن بالطبيعة الدينية البحتة للمفهوم يعتقد اصحابه بالخلاص السماوى على يد المسيح اليهودى الذى ترسله العناية الالهية ويعتمد هذا على الرب وحده دون تدخل البشر . وهو اتجاه ظل قائما رغم ظهور الصهيونية السياسية ومازال موجودا حتى الآن ممثلا فى مجموعات من الدوائر المؤثرة فى اسرائيل مثل حزب « أجودت يسرائيل » وحزب « بوعلى أجودت يسرائيل » .

وإتجاه آخر قام أصحابه بتطويع المفهوم من الصورة السماوية **البحتة ليسمح ببدء الجهود البشرية اليهودية نحو استعمار فلسطين وقد تمثل هذا الاتجاه فيما قام به بعض الحاخامات والمفسرين الدينيين اليهود الذين اعادوا تفسير المسيحانية على انها تعنى ضرورة التمهيد البشرى لمجىء المسيح دون الاعتماد على العناية الالهية وحدها** « ذلك لأن الرب يساعد أولئك الذين يساعدون أنفسهم » [2] لذلك ففى رأيهم أن اليهود جميعا مطالبون باتخاذ الخطوات العملية التى من شأنها أن تساعد على هذا القدوم .

---

(١) عقد المؤتمر الصهيونى الأول بعد جهود هرتسل وبناء على دعوته ونفر من مؤيديه مثل نورداو ليلينبلوم وغيرهما وذلك فى اغسطس ١٨٩٧ م

(2) Jacob . Lowis : Principles of the Jewish Faith An Analytical Study , London , 1964 . P . 358

ويعتبر الحاخام هودا القالعى من أولئك المبشرين بالصهيونية الدينية ، فقد دعا الى ضرورة انشاء مجلس حكماء يرعى شئون اليهود الى ان يغادروا أرض المنفى ، ذلك لأن تحقيق خلاص اسرائيل يعتمد على الجهود البشرية وان ايجاد تنظيم جسدى يهودى عالمى واحد هو فى حد ذاته خطوة نحو الخلاص وهذا من شأنه أن يؤدى الى مجىء المسيح بن يوسف »[٣] .

وفى مقالة تحت عنوان « دريشت تسيون »[٤] أى السعى إلى صهيون دعا الحاخام هيرشى كاليشر (١٧٨٥ ـ ١٨٧٤) الى ضرورة الهجرة الجماعية واستيطان الأرض كما اهتم بصفة خاصة بالعمل الزراعى وربط بينه وبين مفهوم المسيحانية قائلا : « **سيكون هذا خطوة لبداية خلاص الأرض المقدسة ويؤدى تدريجيا الى مجىء المسيح ...، ذلك لأننا إذا حققنا الخلاص للأرض سيؤدى هذا الى ظهور ضوء الخلاص من السماء** » .

وفى نفس المقالة ينبذ كاليشر عنصر الكوارث المفاجئة عند مجىء المسيح ، ويرفض الفكرة القائلة بهبوطه فجأة من السماء آمرا شعبه بتجميع الشتات فى أورشليم **ويعتقد أن مجىء هذا الخلاص سيحدث فقط اعتمادا على الجهود البشرية التى ترمى الى تجميع اليهود فى فلسطين** فيقول :

« عزيزى القارىء : إلق عنك الفكرة التقليدية التى يؤمن بها جماهير الشعب والقائلة بأن المسيح سيصيح ويهتف فجأة ، وينفخ فى البوق العظيم ليزلزل أركان الأرض الأربعة ، ان ذلك ليس صحيحا ، بل على العكس ، فان بداية الخلاص ستتحقق عن طريق مساعدة الأمم على تجميع عدد قليل من مشتتى اسرائيل فى الأرض المقدسة » .

كما دعا الرابى كوك (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥ م) اليهود الى الهجرة الجماعية الى فلسطين ، ودعا ايضا الى ضرورة القيام بكافة الأعمال داخل المستوطنات وأيد بصفة خاصة العمل فى زراعة الأرض ووصف أعضاء المستوطنات الزراعية بأنهم « **يؤدون عمل الرب وأن عملهم هذا بمثابة تمهيد لطريق المسيح المخلص** »[٥] .

وبعد ظهور الصهيونية السياسية متمثلة فى جهود هرتسل الدبلوماسية فى إقامة « الدولة اليهودية » وما أسفر عنها من انشاء المنظمة الصهيونية ، واصل هذا الاتجاه من الصهيونية الدينية جهوده فى تبرير ودعم النشاط السياسى ... وأثناء انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول (بازل ١٨٩٧ م) أرسل الربانى موهيلفر (١٨٢٤ ـ ١٨٩٨) رسالة الى المؤتمر يؤيد جهوده فى انشاء « وطن لليهود » ويربط بين هذه الجهود بمفهوم الخلاص فيقول :

---

(٣) المرجع السابق صفحه ٣٥٨ .

(٤) دريشت تسيون : هرعيون هتسيونى . « الفكرة الصهيونية : مجموعة من كتابات المفكرين الصهيونيين الأوائل والمحدثين أورشليم ١٩٧٠ .

(5) Jacob . L : Principies of the Jewish Faith P . 388

« **لقد انقضى مايقرب من ألفى سنة ونحن ننتظر قدوم المسيح الذى يخلصنا من سبينا المرير ويجمع اخواننا المشتتين فى أركان الأرض الأربعة ، حيث نعيش هناك تحت رعايته** ، ويعيش كل يهودى فى ظل كرامته وتينته ان هذا الايمان عميق فى قلوبنا ، وكان عزاؤنا الوحيد فى العصور الطويلة التى عانينا فيها من العذاب والاضطهاد . وبالرغم من أن القرن الأخير قد شهد ظهور رجال من بيننا أنكروا هذه العقيدة ، ونزعوا ايماننا من قلوبهم كما حذفوه من كتب صلواتهم لكن الحيدريم (المدارس الدينية) الموجودة بيننا ، وكل أبناء الشعب لايزالون متمسكين بهذا الأمل ويصلون من أجله طوال اليوم ويجدون فيه العزاء لروحهم المشردة ، وقد قام مؤخرا بعض الربانيين التقليديين فى غرب اوربا وأعلنوا أن كل وعود السعادة الأبدية التى تنبأ بها أنبياؤنا ليست الا رموزا وصورا استعارية ، مؤكدين ان قدوم المسيح لايعنى انه أتى ليعيد اسرائيل لارض أبائه ، أو لكى يضع نهاية لسبيه الطويل وأحزانه الكثيرة ، بل أنه سيأتى لكى يصلح كل أنحاء العالم فى مملكة الرب ، أما شعب اسرائيل فسيبقى فى منفاه نورا لكل الأمم كما هو حاله الآن فى أيامنا هذه ، كما أعرب بعض من أولئك الربانيين عن رأيهم باختصار بأن القومية تتعارض مع ايماننا بقدوم المسيح ، واننى اود أن اعرب عن رأيى لكل الشعب بان ذلك القول ليس صحيحا ، **إن إيماننا وأملنا كان دائما ولايزال هو أن مسيحنا سيأتى ، وسيجمع مشتتى إسرائيل إلى أرض أبائه بدلا من وضعنا كمشتتين فى بلاد غريبة ، وسوف نسكن حينئذ فى أرضنا ونصبح شعبا بكل ماتحمله هذه الكلمة من معنى ، وبدلا من أن نكون فى موضع إحتقار وسخرية فى عين الشعوب ، ستحترمنا وتمجدنا كل شعوب العالم ، هذا هو إيماننا وأملنا الذى أعرب عنه أنبياؤنا وحكماؤنا طيبو الذكر وهو مايتمسك به شعبنا**[٦] .

لقد ربط الربانيون المحدثون بين مفهوم المسيحانية وبين الحركة الصهيونية التى أصبحت فى فكرهم تمثل المسيح المنتظر الآت لتحقيق مملكة عصر الخلاص المسيحانى بكل ماتتضمنه من مفاهيم العنصرية والاستعلاء على الشعوب . وقد عبر عن ذلك الربانى الصهيونى ليفنتال فى قوله :

« **تمثل الصهيونية الرداء الحديث للأمل المسيحانى القديم الذى حفظ اليهود أحياء خلال العصور الماضية ، إنه الأمل الذى يهدف إلى تحقيق شقين ـ كما يقول الأنبياء ـ فهو يهدف إلى إعادة اليهودى لحياته القومية فى**

---

(٦) شموئيل موهيلفر : هارعيون هتسيونى الفكرة الصهيونية صفحة ٣١١ .

أرضه الوطنية فى فلسطين ، كما أنه يهدف أيضا إلى إعادة إنشاء إسرائيل الذى يساعد على إعادة خلق البشر جميعا »[٧] .

ولقد ظل هذا الاتجاه الصهيونى الدينى مواكبا للحركة الصهيونية يغذيها ويتغذى من وجودها على أرض فلسطين معتمدا على إذكاء جهود الاستعمار الصهيونى البشرى بالحوافز الدينية المتعددة ومن بينها فكرة التمهيد بالجهد البشرى لظهور المسيح اليهودى .

ويمثل هذا الاتجاه من الأحزاب السياسية الدينية حزب المقدال « الحزب الدينى القومى » والحركات الدينية الحديثة مثل حركة كاخ وجوش إمونيم وهى حركات ظهرت بعد عام ١٩٦٧ م وتسعى إلى طرد العرب وإستعمار كامل للأراضى العربية بإعتبار هذا الطرد والاستعمار إتصالا للجهود البشرية الضرورية التى تمهد لظهور المسيح اليهودى وعصر السيادة الاسرائيلية المطلقة .

---

(7) Eichoin . D . M . Conversim to Judaism : A History and Analysis . V S . A 1965

المراجع والمصادر

المراجع والمصادر

المراجع العربية

(١) بن ميمون ، موسى : دلائل الحائرين ـ تحقيق أ . د . حسين اتاى مطابع جامعة انقرا ١٩٧٤ .

(٢) بيريتا ، حسن : تاريخ ايران القديم من البداية حتى نهاية العصر الساسانى ترجمة د . محمد نورالدين عبدالمنعم ود . السباعى محمد السباعى مراجعة د . يحيى الخشاب . مكتبة الانجلو المصرية . القاهرة ١٩٧٩ م .

(٣) حفنى ، قدرى أ . د . : دراسة فى الشخصية الاسرائيلية « الاشكنازيم » دار الشايع للنشر . الطبعة الثانية . القاهرة ١٩٧٨ م .

(٤) ديورنت ، ويل : قصة الحضارة الفارسية ، ترجمة د . أمين الشواربى مطبعة الخازندار ١٩٤٧ .

(٥) ظاظا ، حسن . أ . د . : الفكر الدينى الاسرائيلى . أطواره ومذاهبه ، معهد البحوث والدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٧١ .

(٦) عبدالرءوف ، محمد سليم أ . د . : تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧ ـ ١٩١٨ م ، القسمان الأول والثانى . معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٤ .

(٧) لابات ، رينية أ . د . : محاضرات فى الطب البابلى والأشورى . ترجمة د . وليد الجاد مجلة سومر ـ العراق ـ بغداد ـ الجزءان الأول والثانى ، المجلد رقم ٢٤ لسنة ١٩٦٨ .

(٨) عبدالمجيد ، محمد بحر أ . د : : اليهودية ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ١٩٧٨ م .

(٩) عبدالمجيد ، محمد بحر أ . د . : اليهود فى الاندلس . المكتبة الثقافية العدد ٢٣٧ ، ابريل ١٩٧٠ .

(١٠) عبدالمجيد ، محمد بحر أ . د . : الشعر العبرى فى الاندلس ـ فصله من حوليات كليـة الآداب ـ جامعـة عين شمس ، المجلد الخـامس عشر ١٩٧٥ ـ ١٩٧٨ .

(١١) موسكاتى ، سبتينو : الحضارات السامية القديمة ـ ترجمة د . يعقوب بكر مراجعة د . محمد القصاص ، دار الكاتب العربى ١٩٦٨ م .

المصادر العبرية

١ ـ اسحاق ابرابائيل : « يشوعت مشيحو » خلاص مسيحه امستردام ١٩٤٧ معينى هيشوعاه ينابيع الخلاص

٢ ـ ى . ل . جوردون : « تناخ عيم بيئوريم . توراه » . تفسير العهد القديم (التوراه) تل أبيب ١٩٤٥ .
« تناخ عيم بيئوريم . يشعياهو » تفسير العهد القديم سفر اشعيا تل أبيب ١٩٤٦ .
« تناخ عيم بيئوريم . زخرياهو » تفسير العهد القديم سفر زكريا تل أبيب ١٩٤٩ .

٣ ـ يوسف دان : هسيپور هيجاسيرى القصة الحاسيدية أورشليم ١٩٧٥ .

٤ ـ يهودا هاليڤر (يهودا اللاوى) سيفر هكوزارى ١٩٢٩ كتاب الخوزرى أو الحجة والدليل فى نصرة الدين الذليل

٥ ـ ح . ز . هيرشبرج احريت هياميم : أخره الأيام مقاله من دائرة المعارف العبرية الجزء الأول .

٦ ـ توڤيانتى ، يشعياهو : حميشاه حومشى توراه : اسفار التوراه الخمسة مع تفاسير راشى وترجمة اوتكيلوس . أورشليم

٧ ـ يوسف كلوزنر : هارعيون همسيحى بيئرتس يسرائيل العقيدة المسيحانية فى أرض اسرائيل . تل أبيب ١٩٥٩ . .

٨ ـ حسادى كرسكس : أور أدوناى نور الرب ڤيلنا ١٨٦٠ .

٩ ـ مثان ليڤعر : رعيون تحيات يسرائيل بديڤرى هياميم فى سفروت مبدأ بعث اسرائيل فى التاريخ والأدب . ڤيلنا ١٩٠٩ .

١٠ ـ يعقوب ليڤر : ماشيح ـ مشيحوت : المسيح والمسيحانية مقالة من دائرة المعارف المقرائية .

١١ ـ شى . موهيلفر : هرعيون هتسيونى : الفكرة الصهيونية مجموعة من مقالات المفكرين الصهيونيين الأوائل والمحدثين أورشليم ١٩٧٠ .

١٢ ـ هـ . كاليشر : دريشت تسيون : ١٨٦٠ ، مقالة من كتاب هرعيون حتسيونى الفكرة الصهيونية ، مجموعة من مقالات المفكرين الصهيونيين الأوائل والمحدثين . أورشليم ١٩٧٠ .

١٣ ـ أ . روبينشتاين : ماشيح ـ مسيحوت . المسيح ـ المسيحانية . مقاله من دائرة المعارف العبرية ١٩٦٦ .

١٤ ـ ح . شيرمان : هشيريم هاعيقرييم بيسفاراد او بيڤروڤانس : الشعر العبرى فى أسبانيا وبروڤنسا . تل أبيب ١٩٣٨ .

١٥ ـ ى . تشقى : تورت هما شيح : شريعة المسيح : مقاله فى دائرة المعارف العبرية الجزء الرابع أورشليم ١٩٦٦ .

Urbach, Sch : The Sages – Their Concepts and Belifes. The Magnes Press. Jerusalem, 1979.

Wade, G.W. : Old Testament History : Methuen Comp. London 1951.

Winer, G. : The Founding Fathers of Israel Block Publishing Comp. N.Y. 1971.

Wischnitzer, M. : Memories de l'academi Imperial de Science. St. Petresburg, 1914.

Zanguill, D. : Selected Riligious Poems Philadelphia 1929.

Zeitlin, H.A. : Hasidout, warsow 1910

Zeitlin, S. : Studics in the Early History of Judaism. Ktav. Publish House 1974.

Guinness, M. : Romanism and the Reformation From the Stand Point of Profecy. London 1857.

Gunzig, J. R. : Abraham Abulafia. Crecow. 1904.

Eichnorn, D. : Conversion to Judaism : A History and Analysis U.S.A. 1965.

Engnell : Studies in Divine Kingship in Ancient Near East, Uppsala 1943.

Epstein, I. : Judaism : A History Presentation Benguine Book, 1974.

Floher, M. & Reinharz, R. : The Jewish in Modern World A Documentary History. Oxford Univ. Press, 1980.

Frankfor, Hennery : Kingship and Ancient Israel Chicago. 1948.

Friedlender, D. : Open Letter To His Reverence Pobst Teller, Berlin 17. A Documentary History Oxford Univ. Press 1980.

-------------- : Standered Book of Jewish Vers N. Y. 1917.

Ginsberg, H. L. : Messiah. The Ency. Judica, Keter Publisher House, Jerusalem, 1972, Vol. 5.

Gray, J. : A History of Jerusalem, London, 1969.

Gayzel, S. : A history of the Jewish, New American Liberary. Chicago 1968.

Gregory, Abba : An Essay on the Physical, Moral and Political Reformation of the Jewish (1782). A Documentry History Oxford Univ. Press 1980.

Halevi, Judah : His Poetic Works. ed. by A Harkavy Warson 1893.

Halkin : Moden Hebrew Literature, Schocken Book, Publishers. N. Y. 1950.

Hiss, Michael : The Reform Rabbinical Conference at Frankfort. The Question of the Messiah. Frankfort (1845). A Documentary History. Oxford Univ. Press. 1980.

Hook, S. H. : Myth and Ritual. London 1938.

-------------- : The Religion of Ancient Palastine in the Light of Archology. London 1938.

Jacob, Lowis : Principle of the Jewish Faith : An Analytical Studies. Vallentine, Michell Press, London 1964.

REFERENCES

Aderson, David : Peak's Commentary on the Bible London, 1952.

Albright, W.F. : Archaelogy and Religion of Israel, Baltmor, 1942.

Alon, Gedalyahu : Jews, Judaism and the Classical World, the Magnes Press. Jerusalem 1977.

Arama, Isāa : Commentary on Song of Songs, Warsaw, 1911.

Baeck, L : Jewish Mycitcism, Jewish Chronical Publication, London, 1951.

Black, A. ch ; Eschatology : An Artical in the Enc. Britanica, London, 1898 - 1899.

Blan, Y. L. : The Story of the Jewish Philosophy N. Y. 1971.

Bertholet, A. : A History of Civilisation London 1929.

Bright, Johon : A History of Israel, The West Minister Press, Philadelphia U.S.A., 1952.

Buber, M. & Cohen, H. : A Debate on Zion and Messianism (1916) Trans. by Weinston Jewish in Modern World. A Documentary History. Oxford University Press, 1980.

Christopher, B. & Wolff : A History of Civilization Vol. II. New Jersy, 1960.

Dalman, G. : The Words of Jesus Considered in the Light of Post Biblical Jewish Writings and in the Aramic. Edinbrugh 1902.

David, Samvel : Apotalypse : An Article in the Enc. Britanica, London 1898 - 1899.

David, W. : Torah in Messianic Age Philadelphia, 1952.

De Frain, J. : L'aspect Religieux de la Royauté Israelité.Rome, 1954.

Driver, Samuel : An Introduction on the Literature of the Old Testament, Edinbrugh, 1929.

Gebehart, S. : Mystics and Heretics in Italy Rome. 1950.

Glubb, J. B. : Peace in the Holy Land, Hadder and Stoughton Comp. London, 1971.

Gressman, H. : The Sources of Israel's Messianic Hope. An Artical in American Journal of Theology Vol. 7, 1973.

Plummer, A. & Briggs. C.A. : Introduction Critical Comentary on the Holy Scriptures of the Old Scruptures of the Old and New Testament, London 1971.

Polikov, Leon : A History of Anti-Semitism, Treas. By R. Howard. Routedge and Kegan Comp. London, 1974.

Rosmarin, T.s. : Jewish Survival. Essays and Studies Ktav. Publishing House. N.Y. 1977.

Roth, Cecil : A History of Jewish People, East and West Liberary, London. 1969.

Rubistein, A. : Hasidism, An Article in the Ency Judica Jerusalem 1972 Vol. 10.

Sarachek, J. : The Doctrine of the Messiah in Medieval Jewish Literature, Herman Press, N.Y. 1968.

Sachau, R. : The Chronology of Ancient Nation, London 1879.

Scholem, Gershom : The Messianic Idea in Judaism and Other Essays in Jewish Spirituality Schoken Books, U.S.A. 1972.

Scholem, G. : Kabbalah : Articl in the Ency. Judica Jerasalem 1972 Vol. 10.

-------------- : Mejor Trends in Jewish Mysticism Jerusalem 1941.

-------------- : Shabbatai Sevi : The Mystical Messiah 1626 - 1676. Princeton Univ. Press, 1975.

Seletzer, R.M. : Jewish People Jewish thought, Collier. Macmillan Publishers. U.S.A. 1980.

Silver, A.H. : A History of the Messianic Speculation in Israel. Becon Press, Boston, 1959.

-------------- : Were Judaism Differend. The Macmillan Comp. N.Y. 1972.

Smith, W. : Lectures on the Religion of Semites London 1927.

Teicher, J.L. : The Damascus Ftagments. Jewish Chronical Publication. London 1951.

Throndik, J. : History of Magic. An Experimental Science Oxford 1912.

Torrey, G.L. : The Messiah Son of Ephraim, Journal of Biblical Literature. London 1967.

Jacobs, Lowis : Basic Idea of Hassidism. The Enc. Judica, Jerusalem Vol. 10, 1972.

Klawesner, J. : Eschatology An Artical in the Jewish Enc. Jerusalem 1972, Vol. 8.

Kravitz, N. : 300 Years of Hebrew Literature From the earliest time through the 20th Century. The Swallow Press, Chicago. 1972.

Labat, R. : Le Caractare Religieux de la royauté-Assyro Babylonienne, Paris 1939.

Lagrange, M. J. : Le Messiah chez les Jeuifs. Paris 1909.

Learsi, Rufus : Israel : A History of the Jewish People, Meridian Book N.Y. 1966.

Lewittes, Mendell : Religioùs Foundations of the Jewish State, N.Y. 1977.

Lord, Adolf : Israel From its Beginings to Middle of the 18th Century, London 1962.

Margolis, M.L. & Marx, A. : A History of the Jewish People A temple Book, N.Y. 1972.

Margoliouth, G. : Comentary on Daniel, Oxford Univ. Press, 1889.

Marx, A. : Hebrew Union Lollege Annual, Vol. III London 1940.

Melor, B. : Combridge Bible Comentary. Univ. of London instatue, 1972.

Mendleson, M. : Remarks Concerning Michaelies Response to Dohm (1783) A Documentary History. Oxford Univ. Press 1980.

Mowinckel, S. : He that Cometh, Trans by Anderson, G.W. Abingdon Press, N.Y. 1954.

Osterely, W.O. : Hebrew Origin an Development London 1944.

---------------- : The Evolution of the Messianic Idea London 1948.

---------------- : & Robinson : A History of Israel. Vol II Oxford 1951.

Pederson, J. : Israel, its Life and Culture Copenhagen 1962.

Phiver : Introduction to the O.T. N.Y. 1941.

يصدر فى هذه السلسلة

●● الشخصية العربية فى الأدب الصهيونى
د . محمود صميدة (دكتوراه فى الأدب العبرى)

●● الاستراتيجية الاسرائيلية تجاه العالم العربى
د . عبد المنعم المشاط (الاستاذ المساعد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة)

●● التكامل الاقتصادى العربى بين الحقيقة والحلم
عباس الطرابيلى

●● مستقبل الصراع العربى الصهيونى ..
د . أحمد صدقى الدجانى (عضو اللجنة التنفيذية العليا لمنظمة التحرير)

●● الصراع الثابت والسلام المستحيل
د . ابراهيم البحراوى (رئيس قسم الدراسات العبرية ووحدة الابحاث الاسرائيلية بجامعة عين شمس)

●● أزمة النظام الاقليمى العربى
د . على الدين هلال (الاستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة)

●● الفساد الدينى الاسرائيلى
د . أحمد عفيفى (الاستاذ المساعد بقسم الدراسات العبرية جامعة عين الشمس)

●● الوحدة العربية بين التجربة والخطأ
د . عبد العزيز نوار (استاذ التاريخ الحديث وعميد آداب عين شمس

●● الفلسطينيون فى الشتات
عبد الله أبو كاشف (ماجستير فى العلوم السياسية)

رقم الايداع بدار الكتب ٨٦/٤٤٢٢

مطابع دار الهلال بالقاهرة

٤٦٤

هذه السلسلة

في مواجهة حالة التفكك الفاضحة التي يعيشها وطننا العربي لابد من ابداع علمي يستهدف بحث حالتنا وارتياد آفاق المخرج والحل.

وفي مواجهة الخطر الاسرائيلي المستفحل يتحتم رصد هذا الخطر وغيره من المخاطر.

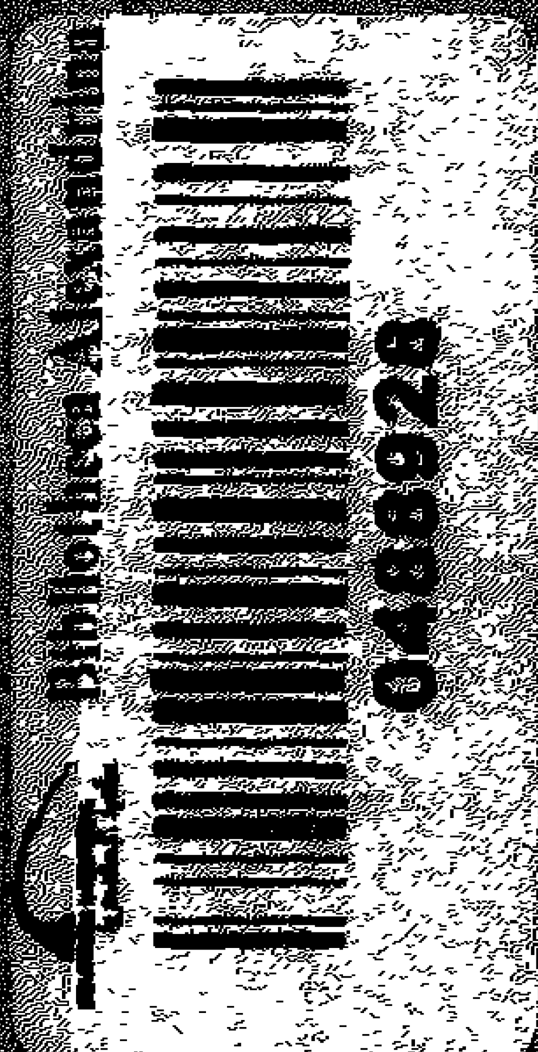
وتأتي هذه السلسلة من الجهد العلمي الابداعي لباحثين واساتذة جامعيين عرب استجابة لتحديات المواجهة لتعرف معرفة علمية من « نحن » ومن « هم » ولنكتشف الطرق الصحيحة لبناء وحدتنا وإدارة صراعنا مع اعدائنا اليوم والغد لنترك لأجيالنا رصيدا يعينهم على حماية كياننا العربي.

هذا الكتاب

يقول الحاخام سعديا جاءون « القرن العاشر الميلادي » في كتابه « الامانات والإعتقادات » واصفا عصر ظهور المسيح اليهودي « سيقوم أغنياء العالم بنقل اليهود الساكنين في بلادهم على جياد سريعة وعربات فاخرة ساهرين على خدمتهم . أما الفقراء فسيحملون اليهود على ظهورهم ليوفروا لهم الإنتقال المريح للقدس ».

ذلك نموذج للتراث الذي يحتويه التلمود ومؤلفات المفسرين والمتصوفة اليهود على مر العصور حول المسيح اليهودي صاحب القدرات القتالية الذي يخلص اليهود ويمكنهم من السيادة المطلقة لقد أدى هذا المفهوم دوره في اضطهاد عيسى بن مريم قديما وفي بلورة الحركة الصهيونية وتشكيل روح السيطرة والعدوان في الشخصية الإسرائيلية حديثا

تبحث المؤلفة د. منى ناظم ، وهي مدرس الفكر الديني اليهودي بجامعة عين شمس ، في هذا الكتاب مراحل هذا المفهوم وابعاده والكتاب رسالة دكتوراه حصلت على مرتبة الشرف الاولى بجامعة عين شمس



طبع

الثمـ ١٥ قرشا